كريم مروّة

# اعترافات نهاية القرن



التنوير

الكتاب: **اعترافات نهاية القرن**
المؤلف: **كريم مروة**
عدد الصفحات: 336 صفحة

**الترقيم الدولي**: 978-9938-886-37-5

**الطبعة الأولى**: 2014



**الناشر**:

**التنوير للطباعة والنشر والتوزيع**

لبنان: بيروت – الجناح – مقابل السلطان ابراهيم
سنتر حيدر التجاري – الطابق الثاني – هاتف وفاكس: 009611843340
بريد إلكتروني: beirut@dar-altanweer.com
مصر: القاهرة – وسط البلد – 8 شارع قصر النيل – الدور الأول – شقة 10
هاتف: 0020227738931 - 00201007332225
فاكس: 0020227738932
بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com
تونس: 24، نهج.سعيد أبو بكر – 1001 تونس
هاتف وفاكس: 0021670315690
بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com
موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

رقم الناشر: 14/454-46

كريم مروّة

# اعترافات نهاية القرن



# مدخل
## للتعريف بالاعترافات

ولد هذا الكتاب من دون قرار مسبق مني بإصداره. ولد بالصدفة من رحم أرشيفي. وأنا أبحث في الأرشيف عن وثيقة ذات صلة بسيرتي، اكتشفت هذه اليوميات التي كنت قد دوّنتها في عام 1999، وعلى الرغم من الأحداث الكثيرة التي عشتها لم أدوِّن يوميات سوى في ذلك العام باعتباره خاتمة قرن. وكنت بدأت ذلك فجأة ومن دون سابق إعداد ومن دون قرار مسبق مني بتدوينها. أنا إذًا أمام صدفتين هيّأتا الشروط لصدور هذا الكتاب.

تركت كل مشاغلي وجلست أقرأ هذه اليوميات بشغف وحنين. وكان قد مضى على كتابتها خمسة عشر عاماً. شعرت بعد أن فرغت من القراءة أنني أمام اعترافات تستحق أن أضعها أمام القراء. فانكببت على العمل لإعدادها للنشر. وحين أنجزت العمل عرضتها على عدد من أصدقائي لأخذ آرائهم في ما إذا كنت مصيباً في نشرها في كتاب. فكان تشجيعهم مصدر فرح بالنسبة إليّ. وهكذا ولدت فكرة الكتاب، وولد معها العنوان: "اعترافات نهاية القرن". وهي في الحقيقة اعترافات بكل معنى الكلمة. فاليوميات، إلى جانب ما تضمنته من أحداث وانطباعات ومواقف، شملت في الآن ذاته ذكرياتي عن أحداث سابقة ومواقفي منها، وانطباعاتي وتأملاتي حولها والاعترافات التي استوحيتها منها وقادتني إلى تدوينها.

وفي الواقع إن اختيار عام 1999 لكتابة يومياتي باعتباره آخر أعوام القرن العشرين كان خطأ مني. فهو كان العام ما قبل الأخير. لكنه خطأ غير ذي أهمية. المهم، بالنسبة إليّ، في اختياري ذلك التاريخ كان بهدف الوقوف على أطلال قرن وأطلال ألفية. فهو، أي ذلك العام، يشير إلى لحظة تاريخية كانت تتهيأ فيها البشرية، ومنها بلداننا، للانتقال من قرن له أحداثه وسماته إلى قرن جديد مختلف ستكون له أحداثه وسِماته.

لم يكن، إذًا، تدوين هذه اليوميات واعترافاتي فيها أمراً مدروساً ومعداً له من قبل. حدث ذلك بشكل عفوي. لكنه كان، كما بدا لي في ما بعد، تلبية لحاجة كانت تتبلور شروطها في وعيي الباطني. ذلك أن إحساسي بالخيبة من انهيار التجربة الاشتراكية كان لا يزال مقيماً في الوجدان رغم مرور الزمن. وكنت في الآن ذاته أعيش في حالة قلق جرّاء القرار الذي اتخذته بعدم ترشحي لأي منصب قيادي في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الذي كان مقرراً عقده في مطلع ذلك العام بالذات (1999). مصدر ذلك القلق الذي كان يستولي عليَّ آنذاك هو أنني كنت أغادر مسؤولياتي في الحزب في وقت كان الحزب يدخل في أزمة كانت مقدّماتها تخيفني وتقلقني على مستقبل هذا الحزب الذي أعطيته كل عمري. لكن تقدّمي في العمر والعدد الكبير من الأعوام التي مارست فيها مسؤولياتي في موقع القيادة، كانا كافيين لاتخاذ قراري المشار إليه. اختلطت الأمور في عقلي وفي وجداني إزاء ما كان يجري في الحزب وفي البلاد وفي المنطقة وفي العالم. وأفقت صبيحة اليوم الأول من ذلك العام مضطرب المزاج. وبدأت بتسجيل يومياتي من دون معرفة كيف ولماذا وإلى متى.

كنت أدوّن تلك اليوميات بعفوية، ومن دون أفكار مسبقة. وكنت أعبّر، بصدق وبصراحة ومن دون مواربة، عن مشاعري وانطباعاتي وتأملاتي في الأحداث التي تكون قد مرّت في ذلك اليوم أو في الأيام السابقة. وتركت لتأملاتي حرية استحضار ما تراه ممكناً وضرورياً من ذكرياتي عن الأعوام السابقة. وفي تلك الذكريات بالذات تبرز بوضوح اعترافاتي التي أردت أن أكون فيها صريحاً، قدر الإمكان، أي متحرراً، قدر الامكان أيضًا، من رقابتي المباشرة عليها، أو من رقابة ذاتية كامنة في داخلي. وهي الرقابة ذاتها، أو ما يشبهها، التي كانت تفرضها عليَّ مسؤولياتي السابقة كشرط من شروط الممارسة السياسية باسم الموقع الذي كنت فيه، وباسم الأفكار والمشاريع التي كنت وما زلت ملتزماً بها. وهي الأفكار والمشاريع التي ترمي، من حيث المبدأ، إلى تحقيق التغيير الديمقراطي في بلداننا في الاتجاه الأفضل والأرقى والأكثر تقدماً وحرية وعدالة اجتماعية باسم اشتراكية جديدة، أو ما يشبهها، مختلفة بالكامل عن التجربة التي انهارت، محتفظة في الآن ذاته بجوهر القيم التي عبّر عنها مشروع ماركس لتغيير العالم. وهو التغيير الذي يفترض أن تحترم فيه، من حيث المبدأ، شروط العصر الجديد وتحولاته الكبرى.

وأحب أن أعترف أمام القارئ بأنني، عندما قررت تدوين هذه اليوميات، لم أكن أعرف بالضبط ماذا سأكتب، وكيف سأكتب، ولمن سأكتب. ولم يكن في خطّتي قط، لا في بداية الكتابة ولا بعد الانتهاء منها، أن أنشرها في كتاب. كانت الكتابة مجرد تمرين ذهني على قول ما أريد قوله، من دون أن يكون لقولي هدف محدد سوى إرضاء النفس والتعبير عن

المكبوت فيها. وها قد انقضى على كتابة اليوميات خمسة عشر عاماً وهي ترقد في إحدى زوايا مكتبي فوق ركام من الأشياء من شتى الأنواع التي يضمها أرشيفي.

أما لماذا قررت أن أفرج عن هذه اليوميات اليوم بالذات؟ فالجواب هو أنني اكتشفت، وأنا أعبّر عن قلقي القديم والحديث، أن أفقاً جديداً من الأمل مثقلاً بالصعوبات بدأ يأخذ طريقه إلى التحقق. واكتشفت، في الآن ذاته، أن الأمل الذي نحن محكومون به، والذي بدأت تعبّر عنه الثورات المعاصرة في أكثر من بلد عربي، لا يعني أننا ذاهبون بالضرورة إليه بين ليلة وضحاها، كما كنا نحلم نحن الشيوعيين على وجه الخصوص، في القرن الماضي باسم مشروعنا الاشتراكي لتغيير العالم. ورأيت، في ضوء ما توصلت إليه من قراءة واقعية لما يجري في عالم اليوم من تحولات كبرى في الاتجاهات المتناقضة، أن من واجبي أن أقول لأجيالنا الجديدة الثائرة دفاعاً عن حقها في الحرية وفي الحياة الكريمة، بوضوح لا التباس فيه، إن التاريخ لا يأتينا بما نحب ونرغب بمجرد أن نعلن ثورتنا ضد القديم الذي كنا فيه هدفاً دائماً للقهر وللقمع وللتخلف. ورأيت في الآن ذاته أن الذهاب إلى المستقبل الذي نسعى إليه يتطلّب منا أن نقدّم قراءتنا النقدية للماضي ولمشاريعنا فيه كشرط ضروري لا غنى عنه، والبحث بوعي وبواقعية وبنضال دؤوب وشجاع في شروط العصر الجديد عن هذا المستقبل الذي نريده أن يكون أفضل مما كنا عليه، وما نحن فيه، وأن يستجيب للمطامح المشروعة لأجيالنا في الحرية والتقدم والعيش الكريم.

هكذا، وفي ضوء ما توصلت إليه من خلال قراءتي للعصر الجديد وللتحولات الجارية فيه في مطالع الألفية الثالثة، قررت أن أفرج عن هذه اليوميات، وأفرج بالتحديد عن اعترافاتي فيها وعن تأملاتي العفوية المتصلة بالمستقبل الآتي، مستنداً إلى التشجيع الذي لقيته من أصدقائي الذين قرأوا اليوميات.

لن أتناول ما تضمنته هذه اليوميات والاعترافات. سأترك للقارئ أن يدخل فيها ويكتشف من تلقاء ذاته ما جاء فيها من أفكار ومن تأملات ومن اعترافات، ويقرر بعد قراءتها ما إذا كانت تستحق أن تقرأ، وما إذا كانت ستقدم له فكرة ما حول ما ينبغي القيام به في الألفية الجديدة لتحقيق ما نصبو إليه في بلداننا وفي العالم من تغيير جوهري في شروط حياتنا.

لكنني أود أن أعتذر من القارئ عن عدم تمكني من تقسيم اليوميات إلى فصول وأقسام، فاليوميات ملأى بالأحداث العامة والخاصة، الحديثة منها والقديمة. فاكتفيت بوضع عناوين لبعض اليوميات مستوحاة من الأحداث ومن الذكريات. إلا أنني أود أن ألفت نظر القارئ إلى أن العناوين المشار إليها تختلف من عنوان إلى آخر بحسب موقعه في اليوميات. وبعضها لا يشمل إلا اليومية بعينها التي استوحيت منها العنوان، وأن اليوميات التي تلي تلك

اليوميـة سـتبقى كما هي تحـت العنوان ذاته، حتى ولو لـم تكن لهـا صلة بالضرورة. في حين أن عناوين أخرى هي أكثر شـمولاً. وسيكتشف القارئ هذه الاختلافات في المواضيع التي تشير إليها العناوين عندما يباشر بالقراءة، إذا ما استهواه الموضوع وإذا ما أقنعته إشاراتي إليه فـي هذا المدخل للكتاب. فلعله سـيقبل اعتذاري ويتفهم الصعوبة التي أشـرت إليها. وفي ظنـي أن بعـض اليوميـات التي يثيرها بعض الكتّاب عن سِيَرِ حياتهم، وربمـا تكون يومياتي واحدة منها، تتخذ بمعنى ما صفة أو شبه صفة الرواية، لكن بخصوصيات تختلف عن الرواية كجنـس أدبـي له سـماته وله خصوصياتـه. أقول ذلـك عَرَضاً. والقارئ وحـده هو صاحب القرار وصاحب الرأي في هذا الأمر. وبالنسـبة ليومياتي فإن لكل يوم منها أحداثه وتأملاتي وذكرياتي فيه واعترافاتي التي قادتني إليها تلك الأحداث والتأملات والذكريات. ولكل يوم من تلك الأيام مشـاعري فيه كإنسـان، مشـاعري في علاقتي داخل أسـرتي وفي علاقاتي مع الآخرين، كل الآخرين. سيجدني القارئ من دون جهد، كما أتصور ذلك، إنساناً طبيعياً من لحم ودم ومشاعر وانفعالات وأهواء وسوى ذلك مما يتصل بحياة الناس الطبيعيين.

**كريم مروة**

# يومياتي في عام 1999
# تأملات وذكريات واعترافات

## في وداع قرن الثورات الكبرى

**الجمعة ١ كانون الثاني - يناير**

استيقظت اليوم من نوم عميق قرابة الظهر بعد سهرة طويلة امتدت حتى الصباح، ودّعت فيهـا مع زوجتي نجـوى وعدد من الأصدقاء عامًا مضى واسـتقبلنا عاماً جديـداً. وهو وداع واسـتقبال تمّـا بشـكل مختلف عمـا كان عليه الحال في السـابق من أعوام عمـري. لم يكن الوداع والاسـتقبال روتينييـن. كانا حافلين بالأفـكار وبالهموم، وبالاهتمامات وبالمشـاعر المضطربـة. فالـوداع هـو فـي الحقيقـة وداع بالتدريج لقـرن ولألفيـة كانا حافليـن بالعظيم مـن الأحـداث والأفـكار، وبالعظيم من المشـاريع التـي كان بعضها يعد بتغيير العالم باسـم الاشـتراكية في اتجاه الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية. ثم انهارت تلك المشاريع، برغم الانجازات التي تحققت باسمها. وولّدت تلك المشاريع بانهيارها خيبة كبرى لدى الملايين في أرجاء المعمورة. أما الاستقبال فهو استقبال بالتدريج لقرن جديد ولألفية جديدة حافلين بالوعود وبالأحلام وحافلين بالقلق المرافق لتلك الوعود ولتلك الأحلام المتصلة بها، القلق الذي يشـير إليه اضطراب العالم في ظل الهيمنة المطلقة للرأسـمال باسـم العولمة. من أين نحـن خارجـون وإلى أين نحن ذاهبـون؟ وأي مصير ينتظرنا فيما نحـن ذاهبون في اتجاهه؟ هل انتهت أحلامنا بالثورة والعدالة والاشـتراكية؟ أسـئلة تسـتحق الوقـوف عندها والتفكير فـي صيغة الاجابة عنها من دون اسـتعجال. لذلك فمـن الطبيعي أن أكون في هذه اللحظات مضطرباً وقلقاً ومتناقضاً في أفكاري وفي مشاعري.

استيقظت مهموماً عَكِر المزاج. تذكرت العام الذي ودّعته وودعت معه قرناً بكامله بدأ مفعمـاً بالأحـلام وانتهى مثقلاً بالخيبات. تذكـرت أحداثاً كثيرة، كبيـرة وصغيرة وتافهة، ما

يتصل منها بالشأن العام في بلدي وفي العالم، وما يتصل منها بي شخصياً.

لـم أتنـاول فطوري الـذي اعتدت عليـه منذ أيام طفولتـي: كأس من الشـاي وصحن من اللبنـة المغمسـة بالزيت، وفوق اللبنة قليـل من الزعتر وقليل من حبـات الزيتون التي تزوّدنا بها شـقيقاتي من كروم بلدة الزرارية، المعقل الرئيسـي لعائلة مروّة ذات الجذور العميقة في تاريخ جبل عامل.

اكتفيـت مـن الفطور بكأس من الشـاي وضعتها أمامـي على الطاولة واستسـلمت لمتعة الاسـتماع إلى سـوناتا "ضياء القمر" لبيتهوفن. رحت أشرب الشاي بهدوء على غير عادتي، جرعة إثر جرعة، وأنا أسـتمع بشغف إلى الموسيقى وأسرح في متاهات الأفكار. وللتفكير، خلال الاسـتماع إلى الموسـيقى، نكهة خاصة. إذ تختلط المشـاعر بالأفكار وبالأحلام، لا سـيما فـي مثل هذه اللحظة التي تسـتعد فيها البشـرية للانتقـال بهدوء أو بصخـب إلى حقبة جديـدة ، الانتقال من حقبة قديمة حافلة بالعظيم من الأفكار والاكتشـافات العلمية وبالكثير من الانجازات المتصلة بها، والحافلة بالخيبات التي تحطمت فوقها الآمال والأحلام. كنت أسـتمع إلى سوناتا بيتهوفن وتأخذني الأفكار حتى وصلت إلى قرار مفاجئ هبط عليَّ في ما يشـبه الأمر، أن إخرج أيها "الشـاب" السبعيني من هواجسـك وهمومك ومن الارتباك الذي أنـت فيه ومن القلق الذي يسـتولي على مشـاعرك، وابدأ حياتك من جديد، وامسـك بالقلم ودوّن يومياتك وقلْ فيها ما يريح وجدانك.

هكذا رحت أسجِّل هذه اليومية الأولى تاركاً أمر اختيار صيغة اليوميات التالية إلى الأيام التاليـة. فمـا زلـت حتى هذه اللحظـة لا أعرف ماذا سـأختار من الأحداث التي سـتواجهني فـي أيامي القادمة، الأحداث الشـخصية والأحداث العامة وانطباعاتي عنهـا، ومواقفي منها ومشـاعري وبعض ذكريـات قديمة وذكريـات حديثـة، واعترافات يجب أن أسـوقها بحرية كاملـة أمارسـها للمرة الأولى مـن دون رقيب ومن دون رقابة ذاتية. لقـد قررت بوعي كامل أن أتحرّر من قيود التنظيم الحزبي ومن شـروطه ومن الحسـابات والحساسيات التي تتحكم بمواقف المسؤولين في قيادة الحزب، ما هو خاص من هذه المواقف وما هو عام.

سـأترك ليومياتي حريتها وتلقائيتها من دون تدخل قسـري مني لفرض أمور بعينها تتصل بغـرض محـدد عندي قديم أو حديث. لكنني، برغم ارتباكـي في مواجهة هذه اليوميات، لم أسـتطع إلا أن أبدأ هذه اليومية الأولى بحديث عـن موضوع طريف يتصل ببعض اهتمامات جديـدة غير مسـبوقة في حياتي. من يصدق أنني شـريك في إعداد فيلـم عن الحرب الأهلية آمل أنه من نوع مختلف عما أنتج من أفلام عن تلك الحرب؟ إنه فيلم نصف روائي ونصف وثائقي. شـركائي في إعداده هم المخرج السـينمائي برهان علوية والشاعر محمد العبد الله

والمنتج صاحب المبادرة مصطفى شباني. ولهذا الغرض كان لنا، برهان وأنا، لقاء مع صديقنا المشترك أحمد بيضون الباحث المتميّز العميق المعرفة بتاريخ لبنان وبحاضره. كان اللقاء مفيداً، قدّم لنا فيه أحمد ملاحظات قيّمة.

بداية لعام جديد مختلفة عن البدايات في الأعوام السابقة. ما علاقتي بإعداد فيلم سينمائي؟ وما علاقة مثل هذا الفيلم بأفكاري وبأحلامي للقرن الجديد وللألفية الجديدة؟ هل سنتمكن من إنتاجه؟ هل سنفلح في جعله، إذا سارت الأمور في الاتجاه الصحيح، فيلماً من نوع جديد مختلف عن الأفلام التي عالجت الحرب الأهلية في الصيغة وفي الاخراج وفي الغاية المبتغاة منه؟ فلننتظر لنرى إلى أين ستقودنا هذه المغامرة الطريفة.

**السبت 2 كانون الثاني – يناير**

كان يوم السبت هذا ثقيلاً. أصبت فيه بحالة قرف منذ الصباح الباكر من جراء حالة تسمم سبّبتها سهرة رأس السنة. ثم تبعتها رحلة استغرقت نصف نهار بين بيروت ودبي، وما أدراك ما دبي، وهذه الرحلة إليها في هذا الوقت بالذات! ولي في دبي وأبو ظبي صداقات عديدة من أهل البلد ومن اللبنانيين والعرب المتعدّدي النشاط في الميادين الاقتصادية والثقافية والاعلامية. ولي في دبي نسيبة عزيزة هي فدوى بزي وزوجها أحمد رجل الأعمال الايراني اللذان يشكل منزلهما في دبي نقطة الالتقاء في زياراتي المتكررة إلى دولة الامارات العربية المتحدة. وفدوى هي شقيقة زوجتي نجوى ورفيقة حياتها في مراحلها المختلفة.

**الأحد 3 كانون الثاني – يناير**

يوم مشمس. لكنني لم أستمتع به. قضيته مع أصدقاء نحاول إيجاد حل لخلاف بين أحد المقرَّبين وشركائه في عمل تجاري. كان لزاماً عليّ أن أبذل أقصى جهدي لإيجاد حل ينهي هذا الخلاف. وكان هذا الحل صعباً. لا مجال اليوم للتفكير في أمر غير ما أنا منشغل فيه.

**الاثنين 4 كانون الثاني – يناير**

هذا اليوم كان أكثر هدوءاً وأكثر تفاؤلاً. انتصرنا في الوصول إلى حل للمشكلة التي سافرت إلى دبي من أجلها.

هل سيكون هذا اليوم البداية الحقيقية للعام الجديد، العام الذي ستنطلق فيه مشاريعي المتعددة مواضيعها التي تتكدس في رأسي منذ زمن من دون أنتظام؟ لننتظر. لكن هذا الانتظار سيكون إنتظاراً نشيطاً، انتظاراً غير رتيب، انتظاراً مصحوباً بالعمل وبالتفاؤل، رغم أنف الصعوبات التي ستواجهني. وهي كثيرة ومصادرها متعددة.

لقد علّمتني أعوام عمري أن دروب الحياة مليئة بالتعرجات والالتواءات، وأن حركة

التاريخ لا تسير في خط مستقيم. فثمة تقدم يليه تراجع وتراجع يليه تقدم، وهلمجرا. والمحصلة العامة لحركة التاريخ هذه، التي يعطيها ماركس صفة الحركة اللولبية، هي التقدم بمستويات لا يمكن تحديدها مسبقاً بدقة، ولا يمكن الجزم بثباتها كما تشير إلى ذلك الوقائع والأحداث التاريخية قديمها وحديثها.

تقودني هذه الحقائق النسبية إلى الوقوف عند حقيقة مطلقة مفادها أن تاريخ البشرية، حتى إشعار آخر، لا نهاية حاسمة وحتمية له في أي من الاتجاهات.

ماذا يريد الآخرون مني؟ ماذا يريد مني بعض رفاقي القدامى وبعض أصدقائي؟ أنا الآن يا جماعة اشتراكي مستقل، اشتراكي مختلف عما كنت عليه سابقاً، ومختلف عما هو سائد حالياً في الأحزاب الشيوعية وفي الأحزاب الاشتراكية بتياراتها المختلفة. خياري هذا هو حق من حقوقي تعطيني إياه حريتي التي صارت المكون الأساسي لحياتي. سأكون مستقلاً عن كل مسؤولية حزبية. لماذا الاستعجال؟ أيام معدودات ويتحقق حلمي القديم هذا في الانتقال إلى الحرية، التي سأمارس فيها، بشكل مستقل عن التنظيم الحزبي وعن الانتظام فيه، التزامي بأفكاري وأحلامي ومشاعري وطرائق عملي وتفاصيل حياتي.

## بين بيروت ودبي
## أسئلة مربكة عن المستقبل

**الثلاثاء 5 كانون الثاني - يناير**

غادرت دبي عائداً إلى لبنان. إجتازت بنا الطائرة خلال ساعتين ونصف الساعة الصحراء العربية وحضارتها الجديدة التي استبدلت بها تاريخها القديم في اتجاه العصر الحديث وحضارته. هل لهذا القفز السريع من تاريخ قديم إلى تاريخ جديد من مخاطر؟ لا أدري. لا أتحدث هنا عن صراع حضارات. فنحن شرقيون أبناء حضارة تاريخية واحدة. أما صراع الحضارات فأتركه للمفكر الأميركي صموئيل هنتنغتون صاحب مقولة "صدام الحضارات" وأعلن اختلافي معه جذرياً. والتساؤل الذي طرحته حول القفز السريع من حضارة قديمة إلى حضارة جديدة لا يقلل من اندهاشي بمدينتَيْ دبي وأبو ظبي. لكنني أرى في جمالهما ما يشبه الاصطناع الذي حوّلهما بعمرانهما الفخم إلى ظاهرتين بمستوى المعجزة. معجزة كان بطلها الأول الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان مؤسس دولة الامارات العربية المتحدة. وآمل أن يكون لدى قادة هذا البلد من الحكمة ما يجعلهم يتجنّبون الوقوع في الأخطاء التي قد تقود إليها المبالغة في الانتقال القسري والسريع من التاريخ القديم إلى العصر الحديث بتناقضاته، ما هو واضح وراهن من هذه التناقضات وما هو مرتقب منها في الغد الآتي القادم

سريعاً. ولتساؤلي وتمنياتي بخصوص هاتين المدينتين مشروعيتهما. وانطلاقاً منهما أطرح سؤالاً يتعلّق بعاصمة بلدي لبنان بيروت: هل يريد الرأسمال اللبناني لبيروتنا الجميلة أن تكون مثل دبي وأبو ظبي، أي أن تتخلى عن الجمال الطبيعي والتاريخي فيها في اتجاه ما يزعم رأسماليو هذا الزمان أنه شرط ضروري للدخول في العصر الجديد؟!

بين بيروت ودبي اختلاف جوهري في طبيعة كل منهما. هل يأخذ الرأسمال اللبناني-العربي الفالت من عقاله هذه الحقيقة في الاعتبار وهو ينشر هذا العمران العشوائي في عاصمتنا الجميلة الرائعة المنتصبة قامتها على ضفة البحر الأبيض المتوسط، تحميها من الشرق وتزيدها جمالاً جبالنا الخضر البديعة التي تناطح السماء؟!

ما زلنا في أول الطريق. ما أطول هذا الطريق وما أصعبه، ليس بين دبي وبيروت، ولا بين الصحراء وصفاء مياه البحر الأبيض المتوسط، بل بين الأمس الذي نودّع والغد الذي نستعد لاستقباله!

**الأربعاء 6 كانون الثاني - يناير**

يتملّكني شعور مفاجئ بأن ثمة آفاقاً واعدة تنتظرني في العام القادم في ميادين عدة، ثقافية ومعيشية. هكذا تشير لقاءات هذا اليوم منذ الصباح. لا أستطيع إلا أن أكون متفائلاً. لكن بعض تفاؤلي هذا يبدو لي ساذجاً وطفولياً. هل يعقل، بعد كل هذه التجارب التي رافقتني في عمري الطويل إلى حدود السبعين، أنها لم تعلّمني أن أكون أكثر واقعية في تفاؤلي وأقل سذاجة وطفولية؟ أعترف بأن شيئاً من الطفولة يعود ليبرز عند الانسان وهو يتقدم في العمر. هل في اعترافي هذا تفسير أو تبرير لما أنا فيه؟!

ابني الحبيب غسان يتهيأ لمرحلة جديدة في دراسته بعد أن أنهى بنجاح المرحلة الثانوية. طموحه منذ الطفولة العمل في إدارة الفنادق. يطمح أن يصبح بعد تخرجه من الجامعة مديراً لفندق كبير من فنادق الخمسة نجوم. وقد سافر إلى مدينة تولوز الفرنسية بناء لرغبته لكي يتخصّص في إدارة الفنادق. وهو سعيد بذلك. وأنا ونجوى سعيدان، ربما أكثر منه. غسان يكبر بسرعة وتكبر معه طفولته الجميلة. هو مرح وطيب القلب وطموح وشجاع. هيا يا عزيزي غسان إلى الغد الذي تحلم به. ونحن نحلم معك أينما كنت وكيفما اتجهت، نحلم معك بذلك الغد الجميل القادم الذي سلكت الطريق في اتجاهه.

**الخميس 7 كانون الثاني - يناير**

أمران أفرحاني وأمر أقلقني. الأمر الأول الذي أفرحني يتصل بقرارات اتخذتها الحكومة اللبنانية في اتجاه الاصلاح تمثل بإقالة 13 مديراً عاماً من الذين ثبت فسادهم. الأمر الثاني

هـو سـهرة طرب جميلة مع سـلاطين الطرب. لسـت هاويـاً للطرب، لكن بعـض المطربين يدخلون الفرحة والمتعة في قلبي. كانت السـهرة رائعة وجميلة. وكان الحضور متجاوباً مع سلاطين الطرب في شكل عفوي رائع.

أما الأمر الذي أقلقني فيتصل بوضع الحزب الذي أعطيته كل عمري. لديّ قلق وخوف على المسـتقبل، مسـتقبلي أنا كاشـتراكي ملتزم بفكر وبقضية، ومسـتقبل الحزب بعد أن بدأ يفقـد البوصلـة التي تدلّه علـى الطريق الذي عليه أن يسـلكه من اللحظة الراهنـة من تاريخه إلى الغد الموعود، الغد الذي بشّـرت به ودعت إليه أفكار الاشـتراكية الجديدة المتحررة من الدوغمـا ومن الانتهازية. لكن أي اشـتراكية هي تلك الاشـتراكية المفترضة للزمن الجديد المتمايزة عن نموذجها الذي انهار؟

لقد أنساني الطرب العربي الأصيل للحظات ما يؤرق الوجدان. ليت مثل هذه اللحظات تطـول. لكـن المشـكلة هي أن مثل هذه اللحظـات مهما طالت لا بد أن تنتهـي ويعود القلق ليحتل مكانه في العقل وفي الوجدان.

## في وداع "متنبّي" العصر
## محمد مهدي الجواهري

**السبت 9 كانون الثاني - يناير**

أرجو ألا تكون عناصر الضعف في النظر، التي أشكو منها اليوم، أكثر من مجرد عارض، وإلا فإن المشكلة ستكون كبيرة. لا أريد الاستعجال في القلق. لكنني مع ذلك أحسب ألف حساب لمثل هذا الاحتمال. هذه القضية تستأثر بما أحب أن أسجله اليوم في هذه اليوميات. أحسـب حسـاباً لاحتمال فقدان القدرة على القراءة والكتابة. وهي حالة ستكون صعبة عليّ إذا هي أصبحت قدراً. تذكرني هذه الحالة المحتملة التي أخشـاها بآخر لقاء لي مع الشـاعر العربـي الكبيـر محمد مهـدي الجواهري. كان ذلك في عـام 1994. وكان اللقاء مسـاءً في منزل الجواهري في دمشـق. اسـتمر اللقاء حتى الساعة الثانية بعد منتصف الليل بطلب منه، خلافـاً لما كنت قد بـدأت أعتاد عليه منذ مطلع هذا العقد في الذهاب إلى النوم قبل منتصف الليل. كان الوضع في الأعوام السـابقة التي كنت فيها مسـؤولاً في قيادة الحزب الشـيوعي يتطلب مني العمل في الليل وفي النهار من دون حسـاب للراحة. كنا نخشـى أن يفوتنا قطار الثورة، إذا نحن لم نحسـن اسـتخدام الوقت. أما وقد انهار مشـروعنا الاشـتراكي وابتعدت الثـورة التـي كنا نحلم بهـا وبما وعدتنا به ووعدنا شـعوبنا، فقد قررت أن أسـتغل الوقت في طلـب الراحـة عندما تتوافر الشـروط لذلك. قال لـي الجواهري وهو يقدم لـي الجزء الثاني

من مذكراته: "هل تتصور يا كريم أن الجواهري لم يعد قادراً على القراءة؟". كان حزيناً. ثم بدأنا نتذكر. تذكّرنا بفرح علاقة صداقة قديمة امتدت بيننا إلى ما يقرب من نصف قرن، كثرت فيها الأحداث بحلوها ومرّها. قرأ الجواهري لنا، جمال الجواهري وأنا رفيقاه في السهرة، الكثير من أشعاره والكثير مما جادت به ذاكرته المتوقدة من الشعر العربي القديم في عصوره المختلفة. وكان للبحتري المقام الأول بين الشعراء الذين قرأ الجواهري بعض قصائدهم. وأذكر أنه سألني عمّن أحب الشعراء العرب القدامى إليَّ، فأجبته من دون تردد البحتري. فقال بفرح: "أنا يا عزيزي كريم فرح من كونك تشاطر الجواهري تقديره لشعر البحتري؟". وكان ذلك مصدر فرح بالنسبة إليَّ. والمعروف أن الجواهري، رغم تقديره لجمالية شعر البحتري، ظل يعتبر المتنبي شاعر كل العصور، وصار يصف نفسه بمتنبي العصر الحديث. كانت تلك السهرة الجميلة أشبه بسهرة وداع لمتنبي العصر الحديث. وقبل مغادرتي طلب الجواهري من جمال أن يساعده في الامساك بالقلم لكي يكتب لي إهداءً على كتاب مذكراته. وكانت الكتابة غير واضحة. لكن الكتاب مع الاهداء كانا بالنسبة إليَّ هدية ثمينة من الجواهري.

توفّي الجواهري في عام 1997 عن مئة عام، بعد ثلاثة أعوام من تلك السهرة التاريخية. وقد أقمنا له في مركز عصام فارس في الجامعة الأميركية في بيروت احتفالاً تكريمياً كبيراً شارك فيه عدد من كبار الأدباء والشعراء العرب هم الشاعر سعيد عقل والقاضي الجعفري الأديب السيد محمد حسن الأمين والشاعر عبد الوهاب البياتي والمفكر محمود أمين العالم والروائي حنا مينه والروائي عبد الرحمن منيف والشاعر جوزيف حرب. وافتتح الاحتفال الأديب محمد دكروب واختتمه الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي حبيب صادق. وأذكر أنني اقترحت على محمود درويش عندما التقيته في دمشق المشاركة في الاحتفال فاعتذر بخجل لأسباب لم تكن مقنعة. لكنني خلال الحديث معه أدركت أنه كان يفضل العودة إلى بيروت من الأبواب الواسعة وليس من الأبواب الخلفية. كان يريد أن تتخذ عودته إلى بيروت طابع مهرجان يقدّم فيها لبيروت حبّه الذي عبّر عنه في قصيدة له بعد الخروج منها بعنوان "بيروت خيمتنا". ولم يكن بالامكان دعوة سميح القاسم للمشاركة في الاحتفال لأنه كان ممنوعاً، بمنطق الوصاية السورية، عليه وعلى أمثاله من رموز المقاومة الفلسطينية في إسرائيل، من الدخول إلى لبنان، رغم أنه كان وآخرون غيره قد زاروا دمشق مرات عديدة. وهكذا غابت فلسطين وغاب شعراؤها عن الاحتفال التكريمي لشاعر العرب الكبير الجواهري. والجدير بالذكر أن ذلك الاحتفال تمّ بمبادرة مشتركة من حبيب صادق وفخري كريم ومني.

سيكون الوضع صعباً عليَّ إذا ما ضعف بصري وضعفت قدرتي على القراءة. لكنني تذكرت أنني مررت ذات عام في مثل هذه الحالة. وجرّبت إملاء أفكاري ونجحت. وجربت الاستماع إلى من يقرأ لي ونجحت. غير أنها كانت لحظة وانتهت. أما الآن فإنني أخشى أن أكون أمام احتمال المعاناة إلى آخر العمر. لماذا هذا الاحساس بالجبن؟ لم أكن في حياتي جباناً. تشجع يا رجل وانتظر ما سيقوله الأطباء!

مع ذلك أنا سعيد لأنني أكملت اليوم الفصل الثالث من كتابي الجديد "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف"، وأنني أقترب من إتمام هذا الكتاب.

## مرور عابر في عالم ماركس
## عالم كتاباته ومراسلاته وعالم أفكاره

**الأحد 10 كانون الثاني - يناير**

تابعت اليوم قراءاتي حول الفصل الرابع من كتابي الجديد. قرأت نصاً لماركس حول المساواة من كراس "نقد برنامج غوتا". يتحدث ماركس في هذا النص عن المساواة من دون إطلاق، أي من دون شعبوية، آخذاً في الاعتبار أن الأصل في المساواة هو المساواة في الفرص التي يختلف فيها الناس باختلاف كفاءاتهم وباختلاف قدراتهم على العطاء. ما أجمل هذا النص الذي سيكون، إلى جانب نصوص لماركس ولماركسيين كبار آخرين، جزءاً من كتابي الآنف الذكر، مرفقاً بنص لي أقدّم فيه لهذه النصوص. وسيكون لي في هذا الفصل من الكتاب نقاش حول الماركسية التي سادت طويلاً في بلداننا وفي العالم بتوجيه معمم من قبل القيادة السوفياتية، وشوَّهَت فكر ماركس، سأقدم في هذا الفصل الأفكار الجديدة التي بدأت تنضج عندي حول الاشتراكية في العصر الجديد. وهي ماركسية عصر ما بعد التجربة الاشتراكية التي انهارت بسبب الخلل البنيوي الفادح الذي رافقها منذ البدايات.

يذكّرني هذا النص لماركس بنصوص أخرى له في بعض كتبه، وفي مراسلاته مع إنجلز ومع رفاقه الآخرين في عصبة الشيوعيين وفي الأممية الأولى. لم يكن ماركس في ما قرأته له حاداً في نقاشاته، ولم يكن قاطعاً وجازماً في أفكاره خلال النقاش إلا ما كان يعتبره في ضوء قراءته لحركة التاريخ أمراً أقرب إلى "الحقيقة" التي لا تقبل الجدل. لكنه كان جدلياً في استشرافه للمستقبل. وكان يحترم الذين يختلف معهم. ومع ذلك فقد كان في كثير من الأحيان يتخذ في نقاشاته مع رفاقه صفة "المعلّم"، عن قصد منه أو عن غير قصد. لا أدري. وكان الجميع يحترمونه حتى وهم يختلفون معه. ما أمتع قراءة تلك المراسلات التي غالباً ما أعود إليها كمتعة فكرية وإنسانية. وما أمتع قراءة مخطوطات ماركس لأعوام 1944

و1946 و1948. وأنـا مدمن على قراءة أفكار كبار الماركسـيين وكبار آخرين من المفكرين الآخريـن الذين تركـوا بصماتهم على العصور السـابقة. أقرأ وأتعلم وأتجـاوز وأجتهد قدر الامكان في تجديد أفكاري. وتلك هي الوظيفة الأساسية للقراءة الدائمة في تاريخ الأفكار. ومكتبتـي حافلـة بالكتب لهؤلاء الكبار في عالـم الفكر. لكن عليَّ أن أعتـرف، في ما يتعلق بفكـر ماركـس، بأنني لم أقرأ من كتـاب "رأس المال" إلا بعض فصولـه. والفصول التي لم أقرأها كان صعباً عليَّ فهمها واستيعابها. أما كتبه الأخرى فقد قرأت معظمها واستمتعت بها وأغنيت ثقافتي ومعارفي.

ذهبت في المساء لزيارة الناقدة الأدبية الصديقة يمنى العيد وزوجها صديقي القديم نزيه الخطيب وليلى ابنتهما، وكان محمد دكروب صديق العمر شـريكنا في السهرة. تذكرت مع نزيـه بعـض أيامنا الجميلة في الجامعـة اللبنانية في العام الثاني لتأسيسـها (1952-1953). كان ذلك في معرض الحديث عن أوضاع الجامعة وعن المأسـاة التي تواجهها في حاضرها وفي مستقبلها. جامعتنا الوطنية التي ناضلت أجيال لقيامها تواجه اليوم عملية تدمير منظمة. كيـف يمكـن أن يحصل ذلك؟ ومن المسـؤول؟ كثيـرون هم الذين مـن مواقعهم المختلفة يتحمّلون المسؤولية عن خراب الجامعة، سياسيون في مواقع السلطة في الدولة، وسياسيون آخرون ممن كانوا في السـلطة، وممن ينتظرون دورهم للدخول إلى تلك المواقع. لكن عن أية دولة يجري الحديث في ظل الوصاية السورية وملحقاتها؟! غير أن للأساتذة الجامعيين مسؤوليتهم. هل هم مدركون لأهمية دورهم في الحفاظ على جامعتهم، جامعتنا الوطنية؟! وللطلاب أيضاً مسؤوليتهم. هل هم واعون ومدركون لمسؤوليتهم؟

مـا أجمل ذكريـات الأيام التي كنت فيها طالبـاً في الجامعة، نائباً لرئيـس الرابطة. خضنا معركة طويلة في إضراب استمر أربعين يوماً وحصلنا بفضله على بعض ما أضربنا من أجله. ما أجمل أيام ذلك الزمان، وما أتعس هذه الأيام. لكنني يا للأسف لم أبق في الجامعة سوى عام واحد. هكذا كانت مشيئة قيادة الحزب. أرسـلوني في مهمة أممية وقالوا لي إن جامعة الحياة والنضال في صفوف الحزب أهم من جامعتي. رفعت صوتي بالاحتجاج. فواجهوني بالقول: ألسـت مناضلاً شـيوعياً منضبطاً؟ فاستسـلمت. كان الرفاق على خطأ وكنت على صـواب. لكنني، مـع ذلك، أعترف بأن جامعـة الحياة وتجاربي فيهـا والنضال الذي خضته على مختلف الجهات كانا بالنسبة إليَّ جامعة حقيقية، قدمت لي الكثير مما ساهم في تكوين شخصيتي.

## قلق كبير على مستقبل الحزب الشيوعي
## يستولي على عقلي ووجداني

**الاثنين 11 كانون الثاني - يناير**

يشغلني مستقبل الحزب الشيوعي رغم أنفي. هذا المستقبل هو اليوم على كف عفريت. وحين أسأل نفسي لماذا أرى أن مستقبل الحزب في خطر، فإنني لا أجد الجواب في الحاضر وحسب، بل أراه في بعض الماضي وأراه في المستقبل على وجه التحديد. فهؤلاء الرفاق الذين يمسكون بأمور الحزب اليوم هم في وضع صعب، والحمل ثقيل عليهم في زمن الصعوبات والأزمات. إنهم ورثة حقبة طويلة عمرها قرن أو أقل قليلاً، هي الحقبة التي كانت فيها التجربة الاشتراكية على المحك، فأنجزت الكثير، لكنها انهارت بسبب الخلل الكبير الذي ساد فيها.

المشكلة في الصعوبات التي أشير إليها تكمن في هؤلاء الرفاق الذين ستعود إليهم المسؤولية، نظراً لقلة تجربتهم ولأن الوضع الجديد الذي سيمارسون فيه مسؤوليتهم متصل بالآثار التي ولدها ذلك الانهيار العظيم. والمشكلة أيضاً تكمن فينا، نحن الذين سبقناهم في مواقع المسؤولية وأورثناهم الحزب بمشكلاته التي خلفتها له الحرب الأهلية. والمشكلة أيضاً وأيضاً تكمن في من سبقنا وفي من سبق الذين سبقونا وحملوا معهم، طوعاً أو كرهاً، وهم يناضلون بصدق وبشجاعة، أمراض التجربة الاشتراكية التي فتكت بإنجازاتها العظيمة. لا بد إذاص لهؤلاء الرفاق الجدد في مواقع القرار أن يقرأوا بعمق تاريخ تجربتنا في لبنان وفي العالم العربي، وتاريخ التجربة في سائر البلدان، ما سُمّي منها بلداناً اشتراكية وما سمي بلداناً رأسمالية متقدمة. وشرط هذه القراءة أن يدخل المسؤولون الجدد في التفاصيل الكبيرة والصغيرة، وأن يستخلصوا منها الدروس للحاضر وللمستقبل. إنها المراجعة النقدية التي علينا أن نقوم بها، نحن الجيل القديم، تسهيلاً للمهمة الصعبة التي ستواجه الجيل الجديد في البحث عن مستقبله ومستقبل بلده.

وإني لأتساءل هنا بصدق عما إذا كان هذا الذي أنخرط فيه، بقدر إمكاناتي في البحث والتفكير، سيسهم في تقديم الجواب الدقيق عن السؤال الخاص بمستقبل الحزب. مهما يكن من أمر فإن مساهمتي المتواضعة هنا هي تعبير عن حرص حقيقي عندي على الحزب وعلى مستقبله، حتى وأنا خارج أطره التنظيمية، وخارج أي موقع فيه وخارج أي دور مباشر في صوغ سياساته. لكن الحقيقة الصعبة التي تستولي على عقلي وعلى وجداني هي أنني مهموم بقضية هذا الحزب ، حزبي، مهموم إلى حد الأرق والتوتر النفسي والعصبي.

وفي سياق الحديث عن وضع الحزب الراهن وعن مسؤوليتنا نحن الجيل الثاني في قيادة الحزب، أتذكّر أننا في المؤتمر الثاني للحزب (1968) وضعنا أسساً جديدة للديمقراطية في حياة الحزب وفي علاقاته مع القوى السياسية الأخرى ومع الجماهير. كان ذلك، في ذلك التاريخ، أول الطريق إلى ما كنا نطمح إليه في التحرر، بقدر معين، من الانقياد المطلق لما كان يفرض علينا، باسم انتمائنا إلى الأممية، من قرارات ومواقف كانت تأتينا من الحزب الشيوعي السوفياتي. والتحرر، في الآن ذاته، من النمط اللاديمقراطي الذي كان سائداً في الحركة الشيوعية، أنظمة حكم وأحزاباً، في السلطة وفي خارجها. لكننا للأسف لم نستكمل طريقنا إلى تلك الديمقراطية التي كنا ننشدها، والتي جاء المؤتمر الثالث للحزب (1972) ليحاول تكريسها بعد أن كان الحزب قد استعاد شرعيته بقرار من وزير الداخلية آنذاك كمال جنبلاط.

فاجأتنا الحرب الأهلية، أولم تفاجئنا (!)، فأعادتنا إلى نقطة الصفر أو إلى ما يشبه ذلك. خرجنا، طوعاً بإرادتنا أو قسراً بمنطق الحرب، مما كنا قد وضعناه من أسس جديدة للحزب فكرياً وسياسياً وتنظيمياً، ودخلنا في الحرب الأهلية. وأخضعنا حياة الحزب لمنطق الحرب. تعسكر الحزب وتعسكرت حياته. وصارت للانتماء إلى الحزب أسس وقواعد جديدة غير التي كنا قد وضعناها في المؤتمرين الثاني والثالث. همّشنا العمل الثقافي وهمّشنا دور المثقفين. ودخلت قوى جديدة إلى الحزب وخرجت منه قوى قديمة. وكان لكل من الدخول والخروج منطق يتصل بمنطق الحرب. ما أفظع تلك الجريمة التي اسمها الحرب الأهلية، الجريمة بحقنا نحن الشيوعيين وبحق مشروعنا الاشتراكي للتغيير الديمقراطي وبحق بلدنا وشعبنا. كان الثمن باهظاً لذلك الخطأ الفادح الذي وقعنا فيه، نحن في الحزب الشيوعي وفي الحركة الوطنية وفي أحزاب الجبهة اللبنانية. وما زلنا ندفع جميعنا ثمن ذلك الخطأ الفادح في بلدنا لبنان. ورغم محاولتنا في المؤتمر السادس لحزبنا (1992)، بعد انتهاء الحرب وانهيار التجربة الاشتراكية، العودة للسير في الطريق إلى الديمقراطية التي أسّسنا لها في المؤترين الثاني والثالث، فقد فشلنا في مهمتنا قادة وكوادر ومناضلين. وقعنا في تناقض حاد بين ما كنا اتفقنا عليه بالاجماع في المؤتمر، وهو الوثيقة السياسية والفكرية والتنظيمية التي تضمنت جديداً تجاوز ما كنا قد حققناه في المؤتمرين الثاني والثالث، وبين ممارستنا السياسية والتنظيمية. وُضعت الوثيقة التي أقرت بإجماع أعضاء المؤتمر السادس في الأدراج. وسادت في الحزب خلافات واختلافات بين الرفاق من شتى الأنواع وحول مختلف القضايا ذات الطابع الفكري والسياسي والتنظيمي. ودخلت في الصراع حول الحاضر والمستقبل، قضايا شخصية، وما أدراك ما القضايا الشخصية في مثل هذه الحالات!

وسرعان ما تعاظمت تلك الخلافات، وطغت على ما عداها من قضايا أساسية تتصل بإخراج الحزب من أجواء الحرب الأهلية ومن نتائجها وتحصينه ضد خطرين داهمين. يتمثل الخطر الأول بالآثار السلبية التي كان سيولدها انهيار التجربة الاشتراكية على الشيوعيين. ويتمثل الخطر الثاني بالوضع الذي وجد الحزب نفسه فيه بعد انتهاء الحرب الأهلية وحيداً يواجه محاولات تحجيمه بكل الوسائل من قبل سلطة الوصاية السورية وحلفائها، ومن ضمنهم بعض حلفاء الحزب السابقين.

وأعترف للمرة الأولى أننا بعد المؤتمر الثالث للحزب سلكنا نهجاً في تقديم الكادر مبالَغاً فيه باسم الديمقراطية التي لم تكن قد نضجت كل شروطها، وصولاً إلى بعض التعسّف الذي ساد خلال الحرب الأهلية، واستمر بعد انتهائها، في ممارسة تلك الديمقراطية في الحزب. وربما يكون ذلك من الأسباب التي أدخلت الحزب، عشية المؤتمر السادس وبعده على وجه الخصوص، في الصراع الذي أشرت إليه في جوانبه الفكرية والسياسية والتنظيمية والشخصية، وقادته إلى أزمته الراهنة المفتوحة على كل الاحتمالات.

**الثلاثاء 12 كانون الثاني - يناير**

المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي اللبناني يتهيأ للانعقاد. من سيكون من الرفاق القدامى والجدد في مواقع القرار؟ المرحلة صعبة وغامضة. تبرز فيها، إلى جانب بعض المؤشرات الايجابية، ملامح سلبية تبدو الطاغية فيها. هل سيستطيع المؤتمر أن يُحدِث تغييراً في الاتجاه الذي يساهم في تحرير الحزب من أزمته، في جانبيها الموضوعي والذاتي؟ أتساءل بقلق، في ضوء ما نشهده في الحياة السياسية من تشويه لمعنى السياسة ولدورها، ولابتعادها عما هو من أساس وظائفها، أعني إعلاء شأن الفكر والثقافة والأخلاق، لا سيما في الأحزاب التي تعطي لنفسها صفة الأحزاب المناضلة من أجل التغيير الديمقراطي باسم الاشتراكية وبأسماء أخرى مختلفة. مع ذلك فإنني أتساءل في المقابل: لماذا أنا إلى هذا الحد مهموم، مؤرّق، متوتّر، منشغل بقضايا المستقبل وبالدور المفترض لحزبنا الشيوعي فيه؟ أتساءل وأسارع إلى الجواب: أليس عيباً عليَّ أن أتساءل عن أسباب انشغالي بمستقبل بلدي وبمستقبل حزب أعطيته كل عمري؟

خوفي هذا على مستقبل الحزب يلاحقني ويرافقني في يقظتي وفي نومي، وفي حلّي وفي ترحالي. وأنا في حالتي هذه أعبّر عن صدق انتمائي إلى الفكرة والهدف والمشروع، التي قادتني جميعها للانتماء إلى هذا الحزب منذ مطلع شبابي. وإذ أشدد على ضرورة نقد التجربة الاشتراكية برمّتها، ونقد تجربتنا اللبنانية والعربية فيها، فلأنني حريص على الذهاب إلى المستقبل برؤية أكثر تعبيراً عما نحن بحاجة إليه للخلاص من المأساة التي وضعتنا فيها

أنظمة الاستبداد في بلداننا بصيَغها المختلفة، ووضعتنا فيها العولمة الرأسمالية، ووضعتنا فيها أخطاء التجربة الاشتراكية ذاتها وأخطاؤنا، ووضعنا فيها انهيار التجربة الذي ولدته وهيأت شروطه تلك الأخطاء، ووضعتنا فيها جريمة الحرب الأهلية التي دخلنا فيها من دون حساب لمخاطرها على حاضر بلدنا وعلى مستقبله وعلى حاضر حزبنا وعلى مستقبله.

لكنني أظلم نفسي وأظلم حزبي وأظلم التجربة الاشتراكية إذا أنا برّأت سائر القوى الوطنية والديمقراطية والليبرالية بتياراتها المختلفة من مسؤولياتها عما نعانيه في بلداننا من خراب سياسي واقتصادي واجتماعي وإنساني. لقد حان الوقت لكي يعود كل حزب وكل حزبيّ إلى ذاته ويقرأ تاريخه وتراثه ومواقفه وأخطاءه ويدخل في بحث عميق ومسؤول عن الطرق التي على كل حزب وحركة وتيار أن يسلكها ليسهم في تصويب مسارها نحو مستقبل أفضل لبلداننا، مستقبل متحرر من كل أشكال الاستبداد وأنظمته وقادته، ومتحرر من الشعارات الزائفة التي سادت باسم القومية نفاقاً، وباسم الدين تعسفاً ضد قيمه الانسانية. ذلك هو الشرط الضروري لدخول بلداننا في عصر الحرية والتقدم الاقتصادي والاجتماعي وحقوق الانسان والمواطنة والعدالة الاجتماعية، الأقانيم التي تتحد في ما بينها وتلتقي حول الدفاع عنها والنضال من أجل تحقيقها القوى الاجتماعية والسياسية المؤمنة بها في الفكر وفي الممارسة.

## بين الجنرال الأب النائب والوزير السابق جميل لحود والجنرال الابن رئيس الجمهورية إميل لحود

**الأربعاء 13 كانون الثاني - يناير**

يدور نقاش متعدد الجوانب والهواجس حول عهد الرئيس إميل لحود، وحول حقيقة مشروعه الاصلاحي الذي عبّر عنه في خطاب القسم. إنه نقاش حقيقي. لكن المساهمين في النقاش لا يتمتعون جميعهم بصفة الباحثين بجدية وبمسؤولية وتجرّد عن الحقيقة. هذا هو الحال في أيامنا، في بلادنا وفي بلدان العالم، بما في ذلك داخل صفوف اليسار، وفي صفوف حزبنا أيضاً. أقول ذلك بمرارة من دون مواربة ومن دون مراعاة لأي اعتبار. وأتساءل باختصار في هذا السياق: هل حقاً سيكون الرئيس إميل لحود أميناً لخطاب القَسَم الذي ذكّرتنا مواقفه فيه من القضايا العامة بوالده الجنرال جميل لحود الذي كان وطنياً لبنانياً عربياً، وديمقراطياً بالمعنى الدقيق للكلمة، إلى الحد الذي جعل البعض يصفونه بالجنرال الأحمر، استناداً إلى مواقفه المعلنة ولكونه كان صديقاً للشيوعيين. كان النائب جميل لحود عضواً في جبهة الأحزاب والشخصيات الوطنية التي تأسست في عام 1965. وأصبح وزيراً للعمل

والشؤون الاجتماعية باسم تلك الجبهة في حكومة عبد الله اليافي التي خلفت حكومة رشيد كرامي بعد أزمة بنك إنترا. وقد كنا جورج حاوي وأنا اللذين اقترحنا الجنرال لحود في اجتماع الجبهة برئاسة كمال جنبلاط ليمثل الجبهة في الحكومة الجديدة بناء لطلب تقدم به الرئيس شارل الحلو إلى كمال جنبلاط. ذهبنا يومذاك، جورج وأنا، إلى منزل الجنرال واقترحنا عليه المهمة، فوافق شاكراً. وصحبناه إلى منزل كمال جنبلاط حيث تم تعيينه رسمياً باسم الجبهة وزيراً في الحكومة العتيدة. وقد حقق لأول مرة في وزارته، التي لم يبقَ فيها سوى بضعة أشهر، إنجازات للعمال لم يسبقه إليها أحد. وكان أفضل من تسلّموا حقيبة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في تاريخ البلاد.

لا أستطيع أن أجزم اليوم، إيجاباً أو سلباً، بإمكانية الرئيس إميل لحود أن يظل ملتزماً بخطاب القسم، لأنني لا أعرفه إلا معرفة سطحية، من خلال شقيقه نصري عندما عيّن إميل قائداً للجيش، ومعرفة بالواسطة من خلال صديق مشترك لكلينا كان يشكك بقدرته على مواجهة المطالب التي ستوضع أمامه كأوامر من قبل سلطة الوصاية السورية. ما زلنا في أول الطريق. والأيام القادمة والأشهر ولا أقول الأعوام ستقدّم لنا الجواب عن هذا السؤال الصعب. أما نصري فله مكان خاص عندي. إنه صديق قديم ووفيّ. تعود صداقتنا إلى مطلع الخمسينات. لم يتغير نصري في علاقته معي ومع أصدقائه وأصدقائي من الرفاق الشيوعيين، لا سيما مع جورج حاوي ونديم عبد الصمد وجوزيف بوعقل. لكنني كنت أول من أقام تلك الصداقة معه عندما كنت طالباً في الجامعة اللبنانية، وكان هو طالباً في الجامعة اليسوعية. وتوطدت تلك الصداقة في العديد من المؤتمرات العالمية للشباب والطلاب التي شاركنا كلانا فيها. والصداقة مع نصري لا تعني بالضرورة الاتفاق معه في الآراء وفي المواقف. فللصداقة استقلاليتها عن المواقف السياسية بالنسبة إليَّ على الأقل.

## أولادنا ...
## أكبادنا تمشي على الأرض

**الجمعة 15 كانون الثاني - يناير**

أفكّر في سِرّ علاقة الأبوين بأولادهم، كسرّ عظيم. هل يكمن هذا السر في علاقة رحم وحسب، علاقة إنسان يخرج من صلب إنسان آخر فيصبح جزءاً منه، مادياً وروحياً وعواطف ومشاعر وأحلاماً، وسوى ذلك مما لا حصر له من عناصر العلاقة التي تربط الأبوين بأولادهم؟ أو أن لهذا السرّ في حياة البشر ما يخفى على المعرفة الانسانية! مصدر هذا التساؤل يعود للتنوع في تلك العلاقة، في تناقضاتها التي لا تتحكم فيها الارادة لوحدها. بل

هي، في أغلب الأحيان، رهن مؤثرات شتى، بعضها مرئي وبعضها لا يُرى بالعين المجردة. وبعضها لا يُعرف مسبقاً، ولا يُدرك بوضوح، حتى في أفضل وأرقى حالات الوعي وحالات الحدس.

لماذا هذا الاسترسال في هذه التداعيات اليوم بالذات؟

إنني مهموم بمستقبل ابني غسان، المستقبل الواعد كما أراه أنا وكما يريده هو. إنه، مع شقيقته هانية التي سبقته في اختيار طريق حياتها، أجمل ما أملك بالمعنى الروحي، وأرقى ما أنتمي إليه في أحاسيسي ومشاعري وأفكاري. هل هي حالة خاصة في حياة البشر هذه الحالة التي أنا فيها مع ولديّ؟ كلا بالتأكيد. لكن الذي أنا فيه هو إحساس عميق يغمر حياتي وحياة زوجتي نجوى ويقتحم كل الحواجز ويحتل مكان الصدارة في حياتنا. ربما أنني، في هذا الاحساس تجاه ولديّ، أمزج بين شعورين طبيعيين: شعور الأب الحريص على حياة ومستقبل ولديه، وشعور المواطن الحريص على وطنه، وطن ولديه، وعلى مستقبل هذا الوطن. مهما يكن من أمر فإنني أتبنى باطمئنان وبفرح شعار: أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض.

## الإنسان هو القيمة المطلقة في الوجود والموقف منه هو المقياس في الفكر وفي السياسة

**السبت 16 كانون الثاني – يناير**

أحاول أن أوفّق بين أفكاري ومشاريعي ذات الصلة بمستقبل بلادي، وبين اهتمامي بمستقبل ولديّ. أحاول، بكل ما لديّ من قدرة، التوفيق في هذا الأمر بين العقل والوجدان. وأشعر دائماً، في غمرة هذه المحاولة الانسانية الطابع، كم كان بائساً ذلك التعميم المشوّه للماركسية، الذي جرّد الاشتراكية في الممارسة من إنسانيتها. كيف يمكن أن تكون الاشتراكية غير إنسانية؟ لا تهمني في هذه المسألة النصوص، على أهميتها، بقدر ما يهمني السلوك باسمها، أعني الممارسة. فما أكثر ما شهدت، وعاينت، وعانيت، من هذا التناقض الرهيب بين ما يعمَّم من نصوص عظيمة وبين ما يمارَس باسمها نقيضاً لها في الحياة العملية. أتحدث هنا عن حركتنا الاشتراكية. لكن المأساة الكبرى والفضيحة الأكبر هي في ذلك التناقض الفظ بين القيم الروحية في الأديان وبين الممارسة التي جعلت الكثير من المؤسسات والحركات والأحزاب والمرجعيات الدينية تسخّر الدين لمصالحها ولمصالح أنظمة الاستبداد في بلداننا بصيغها وبأسمائها المختلفة.

الموقف من الانسان، حياته وسعادته وحريّته وكرامته، هو في نظري المقياس في كل

عمل وفي كل نشاط وفي كل مشروع سياسي. الموقف من الانسان والتعامل معه ومع حياته هو المقياس. والجماعة ليست جسماً واحداً تضيع فيه وتغيّب مصالح ومطامح الوحدات البشرية. إنها مجموعة متكاملة تتشكّل من أفراد أحرار أصحاب حقوق طبيعية. وكل تذويب للأفراد في الجماعة هو عمل لا إنساني، عمل يناقض طبيعة الحياة. إنه عمل لا علاقة له بالاشتراكية ولا علاقة له بفكر ماركس على وجه التحديد، ولا علاقة له بقيم الأديان جميعها. هذا ما فهمته من قراءتي لأفكار ماركس وللكثير مما ورد في الكتب المقدسة وعلى لسان كبار المجتهدين في الدين من أصحاب الأفكار التنويرية. وهذا ما أنا مقتنع به، بعد تلك الاعوام الطويلة من تجربتي في الحزب الشيوعي اللبناني باسم الاشتراكية. وبهذا المعنى، فأنا اليوم اشتراكي مختلف عما كنت عليه في أعوام عمري السابقة. إنني اشتراكي جديد، اشتراكي يعتبر الانسان القيمة الأعظم في الحياة، اشتراكي يتعامل مع أفكار ماركس بصيغة تتصل بالعصر وبشروطه التاريخية الجديدة. وبذلك أعتبر نفسي أكثر وفاء لماركس ولأفكاره من كثيرين ممن يدّعون الانتماء إلى الماركسية، نسبة إلى ماركس وإلى أفكاره. إنه ادعاء لا أتبرّأ منه.

**الأحد 17 كانون الثاني – يناير**

غريب هذا الشعور الذي تملّكني عندما كلفني رفيقي وصديقي فاروق دحروج الأمين العام للحزب الشيوعي بإعداد خطابه الذي سيفتتح به مؤتمر الحزب. أحسست في بادئ الأمر كأنني أكتب من غير اقتناع، ومن غير حماسة. ولا يعود ذلك لشعوري بأنني سأغادر موقعي السابق في قيادة الحزب بعد المؤتمر، ولا لأنني غير مطّلع على وثائق المؤتمر وغير مشارك في صياغتها وغير مقتنع بالكثير مما سمعت من الأفكار الواردة فيها. كلا، ليس هذا هو السبب. مصدر هذا القلق هو إحساسي بأنني أصبحت في مكان آخر، أكتب أفكاري الخاصة بي، لا أفكار الجماعة. لقد تحوّلت في كتاباتي إلى كاتب حرّ، مستقل بأفكاري، رغم استمرار انتمائي إلى الحزب، إلى تاريخه على وجه التحديد، وإلى الاشتراكية في شكل عام، الاشتراكية كقيم وكفكر جديد معاصر، والاشتراكية كممارسة سياسية صادقة في علاقتها بالأفكار وبالقيم التي تدّعي الانتماء إليها والعمل باسمها.

ما قدّمته آنفاً من مشاعر وأفكار لا يلغي التزامي بكتابة خطاب الأمين العام الذي سأنجزه خلال أيام.

ثمة في الحياة أمور لم نكن نعرفها ولم نكن نفكر بها، نحن الشيوعيين من أمثالي، الذين نقدّم أنفسنا كما لو أننا نعرف كل شيء. هذه الأمور تبدو لي الآن غاية في الوضوح وطبيعية بالمطلق. عليَّ أن أتعوّد على اكتشاف مثل هذه الحقائق. آه ما أثقل ما كنا نتعلمه ونعلمه

لرفاقنا وللآخرين عن الاشتراكية وعن الماركسية كما يبدو لي اليوم، في ظل المراجعة التي أنا منخرط فيها، بعيداً عن روح الاشتراكية وعن أفكار ماركس.

**الاثنين 18 كانون الثاني - يناير**

اليوم يوم عيد. لكنني موزّع بين همَّين: هم مباشر هو إنهاء خطاب الأمين العام الذي عذّبني إعداده كثيراً، وهمّ يتعلق بمستقبل ابني غسان. لقد انتقل غسان من مرحلة في دراسته إلى مرحلة أعلى. إنه الآن طالب جامعي. ابني غسان هو، بالنسبة إليَّ في هذه اللحظات، أهم من كل أمر آخر. ولا خوف عندي على هانية. فقد خطت في اتجاه مستقبلها خطوات واثقة. أعلن ذلك بكل عقلي ووجداني. ولست أظلم بذلك لا أفكاري التي أؤمن بها وأناضل من أجلها، ولا أظلم أحداً.

أفرحني لقائي مع عائلتي، الأشقاء والشقيقات والأولاد والأحفاد، نحتفل بعيد الفطر.

## من والدي الشيخ أحمد
## إستقيت قيمي الانسانية

**الثلاثاء 19 كانون الثاني - يناير**

كنت اليوم منشغلاً باستقبال أركان السفارة الفرنسية إلى مائدة الغداء في منزلي. كانت الجلسة حميمة وغنية بالأفكار حول مستقبل العلاقة بين بلدينا. ولهذه العلاقة بالسفارة الفرنسية تاريخ يعود إلى السبعينات. ثم تعزّزت وترسّخت في الثمانينات عندما كنت في باريس في مهمة حزبية ووطنية كلّفت بها، وأقمت خلالها علاقة وثيقة مع الأمين العام لوزارة الخارجية في ذلك التاريخ غوتمان ومع أركان الوزارة. وقد حرصت دائماً على أن أقدّم لأركان الوزارة كلما كنت أزور باريس، وللسفير في لبنان ولأركان السفارة، آرائي ومواقفي أملاً في أن تكون إسهاماً متواضعاً من قبلي في تعزيز العلاقة بين البلدين وفي التأسيس لسياسة فرنسية متوازنة إزاء لبنان.

لا جديد في السياسة اليوم يستحق الذكر. صديقي محمد دكروب احتفل بعيد ميلاده السبعين الذي لا يعرف تاريخه الدقيق.

مكالمة هاتفية من أحد أفراد عائلة والدي الشيخ أحمد جعلتني أستعيد بعض ذكرياتي عن طبيعة العلاقات العائلية في الزمن الماضي. يبدو لي أن هذه العلاقات، برغم حميميتها في عائلتنا، لم تعد تشبه ما كانت عليه في الماضي. وهذا أمر طبيعي يحصل في جميع العائلات مع تغيّر الأزمنة وتغيّر الشروط وتغيّر العلاقات العامة فيها حتى بين الآباء وأولادهم.

لقد صارت لكل فرد من أفراد كل عائلة، ومن ضمنها عائلتنا، حياته الخاصة وهمومه واهتماماته. هل هو شعور جديد هذا الذي أشعر به الآن؟ ربما. برغم ذلك وجدتني أشعر بنسمة جميلة وحميمة من عاطفة تشدني إلى أفراد عائلتي لا تقدر الأيام على إزالتها. نعم إن للعائلة، وأتحدث هنا عن عائلة والدي، نكهة خاصة لا تجوز المبالغة لا في تضخيمها ولا في التقليل منها. وأحب أن أؤكد في هذا السياق أن عائلة والدي الشيخ أحمد تشكل في علاقة أفرادها بعضهم ببعض نموذجاً راقياً. لقد كبرت العائلة ويكاد يصل أفرادها، أولاداً وأحفاداً وأحفاد الأولاد، إلى ما يقرب من المائة. إنها عائلة جميلة. مصدر جمالها يعود إلى الوالدين الشيخ أحمد والحاجة خديجة. لقد كانا في حياتهما أبوين رائعين بكل المعاني. توزعا الأدوار بينهما في تربيتنا على القيم الانسانية والأخلاق والسلوك الحَسَن والاعتماد على النفس والمحافظة على الذات الانسانية المستقلة لكل منا. كان الوالد رجل دين ودنيا. كان حريصاً على أن يكون مستقلاً في طريقة حياته مع عائلته وحريصاً على كسب رزقه بعرق جبينه. وهو، إذ كان مرتبطاً بعمق بمذهبه الشيعي الجعفري الاثني عشري، فإنني لم أسمعه مرة واحدة يتحدث عن ولاية الفقيه. كان يحدثنا عن كبار المجتهدين في عصره وفي العصور السابقة الذين كانوا ولا يزالون ينشرون بين المؤمنين اجتهاداتهم وفتاواهم في شؤون الدين والدنيا في صيغة رسالات. ويتوزع المؤمنون في اختيار المجتهد الذي يقلّدونه ويأخذون من رسالاتهم طريقة تعاملهم في قضاياهم الدينية خصوصاً وحتى الدنيوية. وكان هؤلاء المجتهدون مختلفين حتى التناقض في اجتهاداتهم وفي فتاواهم. وهي صيغة في الفقه الجعفري تشير إلى ديمقراطيته. وكان والدي يقلد واحداً من هؤلاء لم أعد أذكر اسمه. وكان باسم شيعيته يقيم علاقات واسعة مع أنماط متعددة من الناس من رجال دين ودنيا. وقد حرص على امتداد حياته ألا يقحم نفسه في العمل السياسي في أي من المواقع والاتجاهات التي كانت سائدة في زمانه. وكان منزلنا يمتلئ على الدوام بالزوار من أهل الدين والأدب. وقد تعرّفت في تلك اللقاءات على عدد كبير من تلك الوجوه. وكنت أرافق الوالد في شبابي الأول في العديد من زياراته لأصدقائه في مختلف القرى الجنوبية. كما كنت أحضر حفلات الشاي التي كان يقيمها في بلدتنا حاريص ثم في مدينة صور وأخيراً في العاصمة بيروت عندما انتقلت العائلة إليها. وهي حفلات كان يشارك فيها العديد من أصدقائه. وكانت تحفل بالأحاديث والنقاشات في شتى الشؤون الدينية والأدبية والأهلية. كما كانت تتخللها قراءات شعرية منغّمة كان يقدمها بعض الضيوف أحياناً. لكن الحصة الأكبر في تلك القراءة الشعرية كانت لشقيقي محمد حسين الذي صار يعرف في ما بعد بـ"أبو هادي". وإني لأشهد أمام نفسي في هذه اليومية بأن القيم الانسانية التي ألتزم بها

منذ شـبابي الباكر وحتى هذه اللحظة من حياتي هي ذاتها القيم التي اسـتقيتها من قيم والدي الجليل الشيخ أحمد.

**الأربعاء 20 كانون الثاني - يناير**

بعد عشـرة أيام، على وجه التحديد، ستبدأ مرحلة جديدة في حياتي. سأغادر موقعي في قيـادة الحزب وأعود إلى ما كنت عليه في أواخر الأربعينات ومطالع الخمسـينات، شـيوعياً حـراً، منتميـاً إلى الاشـتراكية، مؤيداً للحزب الشـيوعي، معتبراً إياه حزبي مـن دون أن أكون عضواً في إحدى خلاياه، عاملاً من أجل أن يكون هذا الحزب في الفكر وفي الممارسة وفي البرنامج وفي مواقفه السياسـية حزب اليسـار الأول في لبنان، وأحد أعمدة حركة اليسـار في الوطن العربي.

سـأمارس نشاطي، كسياسي اشـتراكي، بحرّية في العمل والنشـاط وفي الكتابة الفكرية، باحثـاً، على قاعدة تجربتي ووفق ما سـأحاول امتلاكه من معـارف جديدة قدر إمكاناتي، في تطويـر مفهومي للاشـتراكية ومفهومي لحركة التقدم على أساسـها، فـي المكان وفي الزمان المحدديـن لا فـي التجريـد. وسـأحاول، من هذا المنطلـق، تحديد مفهومـي للحزب كأداة لا كهـدف، وتحديـد مفهومي للديمقراطية داخل الحزب كأسـاس لا بديل منـه للعلاقة بين أعضائـه ولعلاقـة القيادة بالأعضـاء، وتحديـد مفهومـي للديمقراطية على صعيـدَي الدولة والمجتمع. إنها تجربة جديدة ولا شك. وأنا سعيد بخوضها حتى النهاية. أنتظر هذه الأيام العشرة بفارغ الصبر وبأمل كبير وبثقة بالمستقبل.

## للعوامل الروحية دور في حركة التاريخ
## هذا ما قاله وشدّد عليه كارل ماركس

**الخميس 21 كانون الثاني - يناير**

الانسـان كائن صعب. هل اكتشـفت البارود إذ أقول ذلك؟! لكن الكثيرين ممن يعرفون هـذه الحقيقـة يتجاهلونهـا في الممارسـة. كلما تقدمت بـي التجارب واغتنـت معارفي من خـلال الأحـداث وعلاقتي بهـا ومعاينتي لردود فعـل الناس إزاءهـا وإزاء ذواتهـم، ازددت اقتناعـاً بـأن جميـع الفلسـفات والعقائد والمذاهـب الاجتماعيـة والعلمانيـة والدينية، ومن ضمنها الماركسية، لا تزال مقصِّرة ومتخلفة عن إدراك الجوهر الصعب الشديد التعقيد لهذا الكائن الذي هو الانسان؟

عندما تحدثت، منذ أكثر من عشر سنوات، في موضوع العوامل الروحية وفي الدور الذي

تمارسه هذه العوامل في الوعي البشري وفي مسار حركة التاريخ، واجهتني حملة غريبة من بعض قياديي حزبنا الشيوعي اعتراضاً على مجرد التفكير بالعوامل الروحية. وهي، كما حاولت تحديد بعض جوانبها، تشمل الوعي الشعبي في تقلباته والوعي الديني والثقافة الدينية والتقاليد والعادات والطقوس. كما تشمل مشاعر الناس وأمزجتهم والأنماط التي يختارونها لحياتهم، وتأثرهم الروحي والوجداني بما يحدث حولهم. اعترض الرفاق عليَّ في هذا الموضوع قائلين إن هذه العوامل لا يمكن أن تكون ذات وزن في حركة التاريخ. وبخلاف ما واجهني من رفاقي الشيوعيين في هذا الموضوع من استغراب واعتراض فقد لقيت الفكرة الترحيب في أوساط أخرى مختلفة. لم أكن قاطعاً وصارماً في تحديد صيغة ومستوى هذا الدور للعوامل الروحية في وعي البشر وفي مسار حركة التاريخ. كنت أريد أن تأخذ هذه العوامل المكان الذي يعود لها من دون زيادة أو نقصان. وقد ازددت اقتناعاً بأهمية دور هذه العوامل عندما قرأت رأي ماركس في الموضوع.

ما يدعوني إلى التفكير اليوم في هذا الموضوع هو بعض ما أسمعه وما أشهده وما ألاقيه من تحولات وردود فعل وممارسات ومواقف عند بعض الناس ممن أعرفهم، كباراً في العمر وشباناً ومثقفين ومتوسطي الثقافة، ومن كل الأوساط، بما في ذلك عند الشيوعيين، بل لا سيّما الشيوعيين. ولكي أكون دقيقاً أقول بأن ماركس، برغم تشديده على دور العوامل الروحية، كان يعطي للعوامل المادية، الاقتصادية تحديداً، الدور الأكبر في حركة التاريخ. لكنه شدد على ضرورة الأخذ في الاعتبار العوامل الروحية في قراءة حركة التاريخ في تطورها. غير أنني، بحكم التجارب في بلداننا وفي العالم، بدأت أعطي لهذه العوامل دوراً أكبر، لا للتقليل من العوامل المادية، بل للربط بدقة أكثر بين هذه العوامل جميعها في تحليلنا للأحداث وفي فهمنا لتطور الوعي الشعبي ولإشكاليات هذا التطور، وفي تحديد أشكال نضالنا المتعددة والمتواصلة من أجل تحقيق التغيير الديمقراطي في بلداننا. لكن لهذا التغيير شروطه. وأول شروطه توافر القوى التي تدرك ضرورته وتقتنع به تلقائياً وبوعي وبواقعية لكي يكون قابلاً للتحقيق. وشرط توافر هذه القوى، الشرط الضروري، هو أن تكون قادرة على الجمع بين كل العوامل التي في وحدتها الموضوعية تتوافر، من حيث المبدأ، الشروط الضرورية لتحقيق ذلك التغيير الذي يرمي إلى تحرير الإنسان من كل أشكال العبوديات التي تمارس عليه، ومن كل أشكال الاستبداد التي تقهره وتحرمه من حقوقه.

أقول ذلك وأعرف، في ضوء الوقائع والأحداث التاريخية، أن التغيير، حتى عندما تتوافر أفضل الشروط لتحقيقه، لا يأتي دائماً كما ترسم خطوطه من قبل المناضلين الساعين إلى تحقيقه. بل هو يأتي في أحيان كثيرة مغايراً لتلك الخطط. إنها معضلة. وعلينا أن نتعامل

معها كمعضلة تحتاج منا أن نقرأها كما هي من أجل أكبر قدر من المعرفة بأسبابها والتعامل معها بواقعية وعقلانية في الغد الآتي.

**الجمعة 22 كانون الثاني - يناير**

نحاول ملكاً أو نموتَ فنعذرا. رحم الله امرأ القيس. بالنسبة إليَّ لا تتعلق المسألة لا بملك ولا بما يشبهه، ولا بموت. أما الذين يتصارعون على قيادة الحزب فهم أقرب إلى امرئ القيس في السعي إلى المواقع. أنا مفجوع ومهموم، والمرارة عندي تبلغ ذروتها. كلا، ليس في هذا الذي أشاهده في حزبنا الشيوعي ما يمت بصلة لما انتميت إليه منذ خمسين عاماً ونيف في الفكر وفي السياسة وأسلوب العيش.

سأخرج، بحزم، من أي موقع قيادي في الحزب. لن أكون جزءاً من أي قيادة قادمة. لكنني معنيّ بأن يبقى هذا الحزب أميناً لتاريخه ولأفكاره ولإنجازاته ولتضحياته ولشهدائه الذين قدّموا حياتهم على جبهات النضال السياسية والاجتماعية والفكرية ودفاعاً عن الوطن. وأميناً للمستقبل الذي وعد ويعد به. وفي اعتقادي إن المهمة ممكنة التحقيق ولو بصعوبة، إذا ما سَلُمت النيات وجرى إعمال العقل بدلاً من استنفار الغرائز. أما أنا فماذا سأعمل وماذا سيكون موقعي وكيف سيتعامل معي الآخرون بعد خروجي من القيادة، كلها أمور لا تقلقني ولا تأخذ الآن حيزاً من اهتمامي. عندي برنامج طموح قد يكون مجرد حلم. لا بأس. فقد كنت دائماً من الحالمين. والحلم عندي مرتبط باليوتوبيا، لاأخفي ذلك ولا أراه عيباً. لا بد لكل مناضل من أجل التغيير أن يحلم بغد أفضل ويناضل للوصول إلى تحقيق ذلك الحلم. الحلم هو حافز لاستمرار النضال. لكن الشرط الضروري للارتباط باليوتوبيا هو ألّا يدخل المناضلون باسمها في وهم أن التغيير الذي يسعون إلى تحقيقه قابل للتحقّق في زمن قصير. فللنضال شروط. وشرطه الأساسي هو أن يرتبط بمهمات قابلة للتحقيق. فدزينة برامج ليست ذات قيمة، كما يقول ماركس. البرنامج الوحيد الصحيح هو البرنامج الممكن تحقيقه. كان ماركس ضد الشعبوية وضد الفوضوية. كذلك كان لينين. وأنا بهذا المعنى وفي هذه المسألة بالذات ماركسي ولينيني. لكنني أعترف، برغم كل ما جزمت به في الكلمات السابقة، بأنني لا أعرف بالتحديد كيف سأمارس حريتي وكيف سأعبّر عن استقلاليتي، في صيغة التزامي بأفكاري خارج الإطار الحزبي. لننتظر ونرَ. ولا أظن أنني بحاجة إلى معجزة. الحرية شيء عظيم وجميل. وأنا مشدود إليها بكل عقلي ووجداني.

## نماذج رائعة من رفاقي الشيوعيين
## تقتحم ذاكرتي في الزمن الصعب

السبت 23 كانون الثاني – يناير

يخطر في بالي اليوم عدد من رفاقي الشيوعيين القدامى. جاؤوا إلى الذاكرة من اتجاهات وجهات لا يربط بينها تاريخ محدِّد ولا مهمة محددة. غريبة هذه الذاكرة الانسانية في منطق استحضارها للأحداث وللأفراد.

تذكرت الشهيد أحمد المير الأيوبي، الذي اغتيل في عام 1979 عشية انعقاد المؤتمر الرابع للحزب الشيوعي. اغتالته يد آثمة بتوجيه من سلطة الوصاية السورية على رصيف أحد شوارع طرابلس في فترة صراع من ذلك النوع الذي صار جزءاً غريباً وطبيعياً في آن من تاريخ هذه المدينة اللبنانية العريقة والمعذَّبة والمهملة من قبل كل السلطات في كل العهود. أتذكر رفيقي أحمد المير بطلاً شعبياً في تاريخ حزبنا الشيوعي وفي تاريخ مدينة طرابلس. جاء إلى موقع القيادة في الحزب عضواً في المكتب السياسي بكفاءة القائد الشعبي الشجاع. لم يدخل أحمد مدرسة ولا جامعة. مدرسته وجامعته كانتا مزيجاً من علاقاته بأهل منطقته "الميناء"، الجزء البحري الجميل من عاصمة الشمال، ومن مسؤولياته المتعددة في الحزب التي قادته إليها بالتدريج وبسرعة الصاروخ شخصيته وعلاقاته الشعبية المشار إليها. تعود علاقتي معه إلى مطالع الخمسينات. وأذكر أنني جمعته في عام 1955 في مدينة وارصو خلال قيادته لوفد الشبيبة الديمقراطية اللبنانية إلى المهرجان العالمي للشباب والطلاب برئيس تحرير المجلة النظرية لحزب العمال البولوني، وقمت بدور المترجم. كان النقاش بين الرجلين مدهشاً بالنسبة إليّ. سألني الرفيق البولوني بعد انتهاء اللقاء عن الصفة الأكاديمية للرفيق أحمد. فقلت له إنه لم يدخل مدرسة ولا جامعة. فدهش وشد على يده وعلى يدي وأرسل معي ومع أحمد تحية إعجاب إلى حزبنا الشيوعي.

وتذكرت الرفيق يوسف خطار الحلو. هو من جيل الحرس القديم في الحزب. يتميّز ببساطته وبتواضعه وبتفانيه في العمل الحزبي تنفيذاً للمهمات المتعددة التي كلّف بها في مراحل حياته النضالية، وصولاً إلى المرحلة التي صارت نقابة الصحافة ودوره فيها جزءاً مكوناً من حياته اليومية. صعد أبو وضاح إلى مواقع قيادية أساسية في الحزب، ثم انتقل إلى مواقع أقل في المسؤولية، من دون أن يرى في ذلك ما يسيئ إلى انتمائه الحزبي ومن دون أن يخفف من حماسته. لكن من أبرز سمات أبو وضاح المناضل التاريخي ظرفه الذي تمتزج فيه طبيعة وأخلاقية الفلاح بأخلاقية وسمات المناضل والانسان. هكذا عرفته منذ مطالع

الخمسينات وناضلت تحت قيادته لفترة من الزمن، ثم شاركته في مواقع قيادية. عندما يذكر اسم أبو وضاح يذكر معه تاريخ طويل من حياة الحزب الشيوعي منذ ثلاثينات القرن.

وتذكرت إبراهيم نعيم بزي. الرفيق "أبو نعيم" وهو من جيل الثلاثينات في الحزب. انتسب إلى الحزب خلال لقائه مع القائد الشيوعي فرج الله الحلو في إحدى جولاته الجنوبية التي شارك فيها بتأسيس عدة منظمات حزبية من ضمنها منظمات بنت جبيل وعيترون ومرجعيون وإبل السقي وسواها من القرى والبلدات الجنوبية. ربطت أبو نعيم في تلك الفترة علاقة حميمة مع القائد الشيوعي الآخر آرتين مادايان الذي أقام في فترة من حياته الحزبية في مدينة بنت جبيل. الميزة الأساسية التي يعرف بها "أبو نعيم" تتمثَّل في كونه ظل أميناً لانتمائه الفكري خلال الانتداب الفرنسي وفي ظل الاحتلال الاسرائيلي، وفي ظروف صعبة أخرى تلت تحرير أرض الجنوب من الاحتلال. لم يركع أمام أي جبّار من أي نوع. صمد وقاوم وصبر. وصار في الجنوب خصوصاً، وفي كل مكان، نموذجاً رائعاً للشيوعي ونموذجاً رائعاً للانسان الحقيقي. تضاف إلى ميزته المشار إليها ميزة الاهتمام بالفكر والأدب قراءة وحفظاً لبعض الآثار الأدبية والفكرية. كانت لقاءاتي المتواصلة معه منذ الخمسينات تجمع بين الهَمّ الحزبي والهمّ السياسي والحديث في شؤون الأدب قديمه وحديثه. وقادني ذات يوم إلى مكتبته التي أدهشني فيها ذلك العدد الكبير من الكتب في شتى ميادين المعرفة. وصرت كلما صدر لي كتاب أخصّه بنسخة منه مع إهداء أعبّر له فيه عن حبي واحترامي وتقديري الكبير له ولتاريخه المجيد.

وتذكرت الرفيقة ثريا عدرة، تلك المرأة الرائعة التي قادت لسنوات عديدة لجنة حقوق المرأة. تميزت الرفيقة ثريا بشخصيتها الجذابة، وبكفاحيتها، وبشجاعتها، وبالعلاقات الواسعة التي أقامتها باسم لجنة حقوق المرأة في لبنان وعلى الصعيدين العربي والعالمي دفاعاً عن حق المرأة اللبنانية والعربية في الحرية وفي المساواة مع الرجل. لم تكن ثريا عضواً عاملاً في صفوف الحزب. لكنها كانت تعتبر الحزب الشيوعي حزبها. وهو ما جعلني أتعامل معها ومع زوجها رجل الأعمال الكبير عبد الله عدره كعضوين أصيلين في الحزب.

وتذكرت الرفيق جورج أبو نادر. كان جورج يعمل في مكتب أحد المحامين الكبار في بيروت منذ شبابه الباكر. لم يدرس المحاماة في الجامعة إسوة بالذين مارسوا المهنة. لكنه، مع الزمن، وبالتجربة، أصبح مرجعاً قانونياً في أمور المهنة اعتمده الحزب في كثير من القضايا الحساسة. وكان جورج شريكي في العمل في الميدان الاقتصادي بتلك المهنة التي مارس فيها عصاميته. أهمية جورج أنه جمع بين أخلاقه ومناقبيته وطريقة عمله في الميدان

القانونـي وبين نشـاطه الحزبي في العاصمـة بيروت وفي الجبل وفي مهمـات متعددة. وقد تعلّمت من سعة أفقه ومن تجاربه في الحياة الكثير. إنه نموذج راق للشيوعي الحقيقي.

وتذكرت الرفيق محمد الخطاب ابن بيروت وتاريخها. كان محمد محامياً في الاستئناف. وكان يمـارس مهنتـه منـذ بدايات تخرجه. انتسـب إلى الحزب الشـيوعي وصـار أحد قادة المنظمـة الحزبيـة فـي العاصمـة قبل أن أصبـح أنا عضواً فيهـا. تعرفت إليـه خلال وجودي فـي اتحاد الشـباب الديمقراطي العالمي. إذ كان يشـارك باسـم شـبيبة الحـزب في فعاليات الاتحـاد. لكنني تعرفت إليـه جيداً في عام 1957 في المهرجان العالمي للشـباب والطلاب الذي نُظِّم في موسكو، ثم في المؤتمر الرابع لاتحاد الشباب الديمقراطي العالمي في كييف. وتوطـدت علاقتي معـه في عام 1958 عندما كنـت مكلَّفاً تحت قيادتـه ببعض المهمات في مركز المقاومة في أحداث ذلك العام. كان محمد في المهمات التي كُلِّف بها باسم الحزب نموذجـاً راقياً للرفيق وللصديق وللمسـؤول الحزبـي، متواضعاً، خلوقـاً، يتعامل مع الرفاق باحتـرام نادر المثال بحيث لا تكاد ترى فرقاً عنده بين القائد والرفيق. توفي محمد الخطاب في عام 1959وهو في ريعان شبابه، بعد أن عاد من مدرسة الحزب في موسكو متأثراً بمرض سرطان الدم الذي عجّل في رحيله.

وتذكـرت الرفيـق كريكور همامجيـان. علاقتي بكريكور تعود إلى مطالع الخمسـينات. إنه إنســان فذ بكل المعاني في المهمات التي كُلِّف بها. وكانت أهم تلك المهمات تأسـيس مطبعة كان اسمها في البداية مطبعة "النجاح". وظلت تتطور في شكل سريع ومذهل بقيادته إلى أن أصبحت تحمل إسـم "تكنو برس". وصارت من أوائل مطابع لبنان وواحدة من أهم مطابع المنطقة. وكان من المهمات التي أوكلت إلى كريكور إنشاء دار للنشر هي الدار التي تعـرف اليوم بــ"دار الفارابي". لكنه سـلمها لرفاق آخرين، وتابع اهتمامه الأساسـي بتطوير المطبعة. يتميز كريكور، إلى جانب كفاءاته المهنية، بأخلاق رفيعة وبالتزام اسـتثنائي بحزبه الشيوعي وانضباط نادر المثال. وكان من أخطائنا في قيادة الحزب، وأنا أحد المسؤولين عن تلك الأخطاء، أننا كلفنا رفاقاً من الشباب ليساعدوه في العمل، وليرثوا المهمة التاريخية عنه قبل الأوان، فقبِل من دون اعتراض استناداً إلى مناقبيته وإلى ارتباطه العميق بالحزب. نجح الرفاق الجدد في بعض المهمات التي أوكلت إليهم وأخطأوا وأخفقوا في متابعة المهمة في الشـروط الصعبة التي كانت الحرب الأهلية والنتائج التي ترتبت عليها تخلقها أمامهم وأمام الحزب. أما هو فقد حاول مساعدتهم انطلاقاً من تجربته الناجحة. لكن وضع المطبعة أخذ يتراجـع وبدأت تفقد بريقها ودورهـا التاريخي في عالم المطابـع. وتراكمت عليها الديون.

كريكور الذي تقدَّم به العمر الآن سيبقى بالنسبة إلى معرفتي بتاريخه وبتجربته وبمناقبيته الحزبية نموذجاً فذاً نادر المثال للشيوعي.

وتذكرت الرفيق سامي أبو شقرا. كان الرفيق سامي حزبياً ممتازاً. عمل أستاذاً ثم مديراً لسنوات طويلة في أكثر من مدرسة في مناطق لبنانية مختلفة. مارس عمله التربوي على أفضل وجه مستنداً في ذلك إلى قيمه الشيوعية التي كانت راسخة في عقله وفي وعيه وفي وجدانه. وكان يهوى نظم الشعر على طريقته. لكنه، عندما خرج إلى التقاعد، استهوته قراءة التاريخ، تاريخ لبنان وتاريخ العالم. فانكبّ على الكتابة التاريخية على امتداد السنوات الأخيرة من عمره. وأذكر أنني قدمت له كتابين عن تاريخ أفريقيا. تميَّز الرفيق سامي بخلق رفيع وبمناقبية حزبية عالية. كان متواضعاً وأليفاً. وبهاتين الصفتين قام بواجبه الحزبي على أفضل وجه، وقدم صورة ناصعة عن الانسان الشيوعي. وبصفاته وبمهماته التي أشرت إليها عرفته وأحببته.

وتذكرت الرفيق كرنيك عطاريان. كان كرنيك شاعر الحزب والقضية وشاعر الشعب الأرمني في لبنان وفي أرمينيا السوفياتية وفي الدياسبورا الأرمنية. لم يكن الشعر بالنسبة إليه وظيفة حزبية. كان شاعراً بطبعه. وكان الشعر أداته في التعبير عن ذاته وعن أحاسيسه وعن مواقفه السياسية من دون ابتذال. لم يفرّق في حياته النضالية بين انتماءَيه اللبناني والأرمني. كان أرمنياً ولبنانياً في آن. كنت شريكاً له في مهمات عديدة، كانت واحدة منها في قيادة منظمة الحزب الشيوعي في العاصمة بيروت. كرنيك يتميّز ببساطته وطيبته وتواضعه.

وتذكرت الرفيق عادل الصباح. عندما يذكر اسم عادل الصباح يُذكر معه تاريخ طويل من الكفاح في جبهات متعددة باسم الحزب وباسم الأفكار الشيوعية. انتسب عادل إلى الحزب في أربعينات القرن. وتعرّفت إليه في مطالع الخمسينات. يذكره الشيوعيون في مدينة النبطية خصوصاً، وفي منطقة الجنوب بشكل عام، قائداً شيوعياً لا يهادن ولا يتراجع عن أفكاره مهما كانت الصعوبات التي تواجهه. امتحنته المعارك الصعبة في كل العهود وخرج منها مرفوع الرأس والهامة باسم حزبه وباسم انتمائه إليه وإلى الأفكار الشيوعية. عادل من الرفاق الذين لم تتعبهم أحداث الحياة وساحات النضال من أجل غد أفضل للشعب اللبناني وللوطن اللبناني. إنه نموذج رائع للشيوعي على امتداد حياته. علاقتي معه تمتد منذ الستينات في مهمات حزبية عديدة في منطقة الجنوب على وجه الخصوص.

وتذكرت الرفيق المحامي إدمون عون. تعرّفت إليه في أوائل الخمسينات حين كان يدافع عني في المحكمة في قضية مشاركتي في تنظيم وقيادة التظاهرة الطلابية الكبيرة التي استقبلنا بها في مطلع عام 1953 وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية فوستر دالاس

استنكاراً واحتجاجاً ورفضاً للزيارة. ومنذ ذلك التاريخ صرنا صديقين ورفيقين دائمين في صفوف الحزب الشيوعي، ثم في قيادة منظمة الحزب في العاصمة بيروت. اختلف إدمون مع الحزب، هو ومجموعة من الرفاق في عام 1964، وقاده وقادهم ذلك الخلاف إلى الخروج من الحزب. كنت في ذلك الحين خارج البلاد. وعندما عدت إلى الوطن ذهبت إليه وجددت علاقتي معه ولم أجد صعوبة في إقناعه في العودة إلى الحزب بخلاف الآخرين من زملائه. واشتركنا في مهمات حزبية منذ ذلك التاريخ. يتمتع إدمون بصفات وسمات نادراً ما تجتمع في إنسان. إنه إنسان نبيل وصادق وأمين لأفكاره ومبادئه، متواضع في علاقته مع الآخرين، أنيس ولطيف ومحب. أزوره دائماً في منزله نتحدث في شؤون الحاضر والمستقبل ونستذكر الماضي في كثير من الحنين إلى محطات جميلة فيه.

وتذكرت الرفيق سهيل طويلة. تعرفت إلى سهيل عندما كان طالباً في الجامعة، ثم في المدرسة الحزبية في موسكو (1966-1967). وهناك في موسكو برزت أمامي سمات الشيوعي والانسان عند سهيل. إنسان كله أخلاق وحب للآخرين، وبساطة ووداعة، وتفان نادر المثال في تنفيذ المهمات الحزبية التي كان يكلّف بها، ورغبة دائمة في البحث عن المعرفة. ظل سهيل يتطور في المواقع الحزبية بكفاءاته إلى أن أصبح عضواً في المكتب السياسي ورئيساً لتحرير جريدة الحزب اليومية "النداء" إلى أن خطفته يد مجرمة في عام 1986 خلال إحدى الصراعات المسلحة بين الحزب الشيوعي وحزب الله، وألقيت جثته مشوهة على شاطئ البحر بالقرب من فندق سان جورج. وكانت افتتاحياته في جريدة "النداء" نموذجاً راقياً للرصانة في عرض الموقف السياسي باسم الحزب.

وتذكرت الرفيق خليل نعوس، ابن بيروت وابن تاريخها الحديث. برز خليل منذ شبابه، قبل أن ينتسب إلى الحزب الشيوعي، في العمل داخل النادي الثقافي العربي. وظل يتطور بعد انتسابه للحزب الشيوعي إلى أن صار مسؤولاً عن منظمة الحزب في بيروت، وعضواً في قيادة الحزب. تحول خليل بسرعة إلى واحد من الوجوه المضيئة للعاصمة بيروت بسماته الشخصية وبخلقه الرفيع وباسم موقعه في الحزب الشيوعي. وكنت مرافقاً له في مختلف مراحل نشاطه لا سيما في المرحلة التي أصبح فيها عضواً في قيادة الحزب. وذات يوم من عام 1986، وبعد أيام قليلة من استشهاد الرفيق سهيل طويلة اغتيل خليل على يد مجرمين قتلة وهو يهم بالدخول إلى الشارع الموصل إلى مكاتب الحزب. وكانت بيروت كلها في وداعه إلى مثواه الأخير.

وتذكرت الرفيق إسبر البيطار. ومن لا يعرف هذا الضابط الشيوعي الذي تميز خلال وجوده داخل صفوف الجيش، وحين خرج من الجيش باسم شيوعيته في أحداث 1958

وتحول إلى رمز؟ أول معرفتي بإسبر كانت في مركز المقاومة الذي كان يشارك محمد الخطاب المسؤولية عن العمل العسكري فيه. كان إسبر خلال مسيرته الطويلة رمزاً للشجاعة وللعمل المسؤول ورمزاً للمحبة في العلاقة التي نشأت بينه وبين الكثير من القيادات السياسية خلال تلك الأحداث وما بعدها. وتوطدت علاقتي به على امتداد الأعوام التي تلت تلك المرحلة. وازددت معرفة بسمات الشيوعي الشجاع فيه المحب لرفاقه والوفي لحزبه والأمين لأفكاره.

وتذكرت الرفيق رفلة أبو جمرة الذي يصطلح أهل مدينة صور بالاجماع على تسميته بالمعلم رفلة. تعرفت إليه في مطلع الأربعينات وأنا طالب في المرحلة المتوسطة. وكان قد انتسب إلى الحزب الشيوعي قبل بضع سنوات من ذلك التاريخ. وكنت أصنف نفسي آنذاك قومياً عربياً. لكن العلاقة التي كانت قد بدأت تربطني به منذ ذلك التاريخ تحولت عندما أصبحت شيوعياً إلى صداقة حميمة. ميزة رفلة في أخلاقه وفي سيرته وفي ارتباطه بالحزب من دون عداء لأحد من أهل المدينة، لا سيما من القوى الحزبية الأخرى، جعلت منه في نظر أهل المدينة جميعهم من دون استثناء في مستوى الأسطورة. رفلة الخياط هذا هو واحد من النماذج الشيوعية الفذة النادرة المثال الذي لا يغيب اسمه عن الذاكرة.

وتذكرت الرفيق بهيج قطريب. كان بهيج شيوعياً منذ شبابه الباكر. لم يترك منطقة الكورة التي كان أحد المسؤولين في المنظمات الحزبية فيها. لكنه في السنوات التي سبقت وفاته كان مسؤولاً عسكرياً. وصارت تلك المسؤولية المهمة التي رافقته حتى آخر أيامه. ميزة بهيج أنه كان في شيوعيته إنساناً راقياً، إنساناً طيباً، إنساناً متواضعاً. لم أره مرة خلال معرفتي الطويلة به عابساً. كان دائم الابتسامة، دائم التفاؤل، عميق الارتباط بالحزب، راقياً في علاقاته مع الرفاق في كل المهمات التي كُلّف بها، بما فيها المهمات الصعبة المتصلة بالعمل العسكري. توفي وهو في إحدى المهمات العسكرية خارج البلاد.

وتذكرت الرفيق عبده مرتضى الحسيني ابن مدينة بعلبك التاريخية. انتسب عبدو مبكراً إلى الحزب الشيوعي. تعرفت إليه في مطالع الخمسينات. لكنه اختلف مع الحزب في أواسط الستينات وانصرف إلى العمل لاستكمال مكتبته التي تعتبر اليوم من أكبر المكتبات الخاصة في لبنان. عبدو مرتضى الحسيني هذا الشيوعي على طريقته تحول مع مكتبته إلى ظاهرة. ورغم الخلاف الذي وضعه خارج صفوف الحزب ظل شيوعياً، وظلت علاقتي به وطيدة وراسخة على الدوام. وأذكر أنني عندما زرت في صيف عام 1957 مدينة دوشنبه عاصمة جمهورية طادجكستان الاشتراكية سألني شاعرها القومي الذي لم أعد أذكر اسمه عن شخص لبناني يدعى عبدو مرتضى الحسيني، إذ كان عبدو قد اتصل به ليشتري منه بعض

الكتب ذات الصلة بتاريخ الاسلام وبتاريخ آسيا الوسطى. فرحت بالسؤال وأخبرت الشاعر بمعرفتي به. وحين عدت إلى لبنان أخبرت عبده بما حصل، فكان سعيداً بذلك. عبده، نموذج رائع لإنسان شيوعي مهووس بالثقافة وبالكتاب وبالمكتبة.

وتذكرت الرفيق عبد الجليل خزعل. وأشهد أنني وجدت فيه منذ أن عرفته وهو في مطالع شبابه إنساناً من النوع الذي يستعصي حضوره في الوجدان على النسيان. عبد الجليل مناضل شيوعي من بعلبك، أمين لمدينته مثلما هو أمين لحزبه. لم يترك مناسبة حزبية إلا كان فيها حاضراً بكل شجاعته وبكل وفائه وبكل طيبته. وكان في مظاهرة الثالث والعشرين من نيسان في عام 1969 تضامناً مع المقاومة الفلسطينية في مقدمة الصفوف، وتصدى بصدره لرصاص قوى الأمن التي كلفت بقمع المظاهرة، وكان أحد الجرحى. ويستمر عبد الجليل في ارتباطه بالحزب نموذجاً رائعاً وراقياً للشيوعي وللانسان.

وتذكرت الرفيق وليد صعب رئيس اتحاد الشباب الديمقراطي. وليد هو الابن الرائع لرفيقين تاريخيين في الحزب هما لويس وماري صعب. كان وليد نموذجاً للشباب الطموح الذي يربط طموحه الشخصي بالمهمة الحزبية التي كان مكلفاً بها. كان متميزاً في نشاطه في العمل الحزبي قبل أن يصبح رئيساً لاتحاد الشباب. وقد قادته نشاطاته وكفاءاته وشجاعته والكثير من سماته الطيبة ومن حب الرفاق الذين عمل معهم إلى أن يصل إلى ذلك الموقع الذي كان واعداً في نقل اتحاد الشباب الديمقراطي إلى مرحلة متقدمة في نشاطه وفي دوره في الحركة الشبابية. عرفته باكراً من خلال والديه، ثم من خلال عمله في الحزب وفي الاتحاد. ورأيت في ممارسته لمهماته الحزبية بشائر قائد ذاهب بسرعة إلى مركزه في المسؤولية، ليس في اتحاد الشباب وحسب بل في الحزب ذاته. لكن حادثاً مؤلماً أدّى إلى فقدانه وهو في أوج عطائه وفي أوج نشاطه الواعد.

وتذكرت الرفيقة ثريا خوري. وهي من أكثر النماذج الشيوعية ارتباطاً أخلاقياً ووجدانياً بالحزب وبأفكاره وبقيمه، ومن أكثرهم وفاء وعطاء وتفانياً ومن أكثرهم استعداداً للتضحية من أجل الحزب ومن أجل أفكارها فيه. وقد قدّمت ثريا كل حياتها للحزب من دون تردد. وعاشت في الظل على امتداد عقود في كل من سوريا ولبنان. وهي تنتمي إلى عائلة جميع أعضائها شيوعيون، آباء وأبناء وأحفاد. وقد أتيح لي أن أتعرّف إليها وأعمل معها في مهمات حزبية عديدة على امتداد ما يقرب من ثلاثة عقود. وإذ أتذكرها اليوم مع هذه الكوكبة من النماذج الشيوعية الرائعة، فلأنني أعرف عن قرب كل الخصال التي ميّزت شخصيتها.

وتذكرت الرفيق همدان السيد. ومن لا يعرف ابن بلدة عيترون وابن مدينة بيروت، الشيوعي الثابت بهدوء ورسوخ ومن دون تأفف في كل المهمات التي كلفه بها الحزب،

من أبسطها إلى أكثرها دقة وصعوبة. وهو يستمر في المكان ذاته داخل مكاتب الحزب يقدم للحزب وللرفاق في القيادة ما يحتاجونه من خدمات طباعية، وأمور أخرى حتى خارج هذه المهمة. عرفت همدان منذ وقت مبكر. وظللت عميق الصلة به وعميق الثقة بوفائه للحزب وبأمانته بكل ما يتصل بالحزب. همدان واحد من روائع النماذج الحزبية في سلوكه كإنسان وفي نشاطه كشيوعي.

هذه النماذج الرائعة من الشيوعيين الذين أستحضرهم هنا في هذه اليوميات ليسوا سوى نماذج، ولهم في حياة الحزب الشيوعي وفي تاريخه القديم والحديث قرناء مثلهم أو حتى أكثر منهم أو من بعضهم في السمات التي حرصت أن أستذكرها لكل واحد من هذه النماذج الشيوعية والانسانية الرائعة والراقية.

**الأحد 24 كانون الثاني – يناير**

يوم الأحد هو يوم راحة واسترخاء بالنسبة إليّ. أقرأ وأنام وأفكر بهدوء، هذا إذا كان لا بد من التفكير في فترة الراحة. الأفضل هو أن أستريح من التفكير. لكن هذا أمرٌ صعب. وأذكر في هذا السياق أنني كلما كنت أدعى لقضاء عطلتي في إحدى الدول الاشتراكية، ومدتها شهر كامل، كنت أقضي في أماكن الراحة أسبوعاً أو أسبوعين وأعود إلى بلدي وعملي متعباً من الراحة!

هذا الأحد كان من الاستثناءات. فمنذ الصباح ذهبت إلى المكتب لمتابعة بعض قضايا المؤتمر الثامن للحزب التي كلّفت نفسي الاهتمام بها، أعني استقبال الوفود الأجنبية ومرافقتها ووضع برامج لها خارج المؤتمر. وكنت صاحب الاقتراح بدعوة تلك الوفود، وجمعت من بعض الأصدقاء المبلغ الضروري لاستضافتهم.

لماذا اخترت هذه المهمة؟ اخترتها لأنني لم أشأ، وأنا في طريق الخروج من موقع القيادة، أن أرهق نفسي بأمور لا أرى فيها ما يتفق مع ما صرت مقتنعاً به، سواء بالنسبة لطبيعة الحزب الجديد كما أتصوره، أم بالنسبة للأفكار والمواقف السياسية التي يفترض بهذا الحزب أن يتبناها في مؤتمره. وأزعم أنني كنت سأتجاوز الجميع في البحث في شؤون المستقبل، لو أن النقاش في قضايا المستقبل كان موضوعاً على هذه السكة بالشكل الملائم داخل المؤتمر. كان النقاش في المؤتمر يدور حول أمور أخرى خارج الاهتمامات الحقيقية التي يفترض بحزب يعطي لنفسه صفة حزب المستقبل باسم الاشتراكية أن تكون محور النقاشات فيه. وللمفارقة فإن بعض الرفاق ممن كانت تشغلهم في المؤتمر صراعاتهم حول مواقعهم داخل قيادة الحزب كانوا يقدمون أنفسهم لأمثالي من الشيوعيين القدامى على أنهم الورثة الأصيلون لتاريخ الحزب والمؤتمنون على أفكار ماركس ولينين، والأوصياء على

الماركسـية وعلـى نقائها، والأوصياء على الحزب وعلى مسـتقبله. وحزبنـا ليس وحده في هـذه الحالة العجيبة. إن له ما يشـبهه في معظم الأحزاب الشـيوعية فـي البلدان العربية وفي بلدان عديدة أخرى في العالم.

ألـم أقل إنني قررت أن أكون حراً مسـتقلاً في أفكاري وفي طرائـق تعبيري عنها وطرائق التزامي بها؟ فلماذا هذا الهم الذي أشـغل نفسـي فيه؟ كلا، سـأظل مهموماً بأمور الحزب. لكنني لن أسمح لنفسي بأن أتدخل في شؤونه، أو أن أكون في موقع الخصومة معه. ستكون له سياسـاته ومواقفه. وسـتكون لي سياساتي ومواقفي. وسـأبقى، في الآن ذاته، أميناً ووفياً لعلاقة عزيزة عليّ مع العديد من رفاق اليوم والأمس والغد.

**الاثنين 25 كانون الثاني – يناير**

مات الشـاعر أحمد أبو سـعد. أنا حزين. أحمد مثقف عصامي بكل معنى الكلمة. انتقل من مشـروع رجل دين أزهري إلى باحث بجهد مضنٍ عن المعرفة. بدأ حياته شـاعراً متمرداً. ديوانه الأول: "حمم" وديوانه الثاني "قصائد دافئة" صدرا في الخمسـينات. فيهما عبّر أحمد عن ثورته شـعراً ونشـاطاً واقتحامـاً لميادين المعرفة. وسـرعان ما أصبح عالمـاً لغوياً وناقداً أدبيـاً وباحثـاً في التـراث وكاتباً في مواضيع شـتى. صداقتنا قديمـة. وتعاوننا في المجالات الثقافيـة لـم ينقطع. كان أحمد أحد مؤسسـي "أسـرة الجبل الملهم"، وكان رئيسـاً لـ"جمعية أصدقاء الكتاب". وكان أميناً عاماً لاتحاد الكتّاب أكثر من مرة. قاوم المرض بشجاعة وبثقة بالمستقبل إلى أن صرعه في لحظة كانت تبدو لنا وشيكة، وكانت بالنسبة إليه مستبعدة، لشدة ما كان متعلقاً ومتشبثاً بالحياة. أنا حزين لغيابك أيها الصديق الجميل.

**الثلاثاء 26 كانون الثاني – يناير**

ما أجمل هذا الشـعور الذي ينتابني اليوم، ويسيطر على كل وجداني وعقلي. إنه الشعور بالفـرح، الذي هو امتداد للشـعور الذي عبّر عنه ولدي غسـان عندمـا حقق حلماً من أحلامه الأولـى. وهو حلم بسـيط، حلم أن يبـدأ تدريبه على العمل الفندقي فـي فندق "هيلتون" في مدينة "كان" على الشاطئ الفرنسي اللازوردي.

شـعور الأب هو الذي يغمرني ويمتلك كل مشـاعري وكل نبض في عروقي وكل عنصر من عناصر الحياة فيّ.

سـأقول يوماً، عندما أعود إلى هذه اليوميات، كم كنت طفلاً عندما كتبت هذه الكلمات. وأنا سـعيد في أن أكون هذا الطفل. ليقل الآخرون ما يشـاؤون. إن شـعور الآباء هو الشعور الصادق الذي يعبّر عن الانتماء الحقيقي للحياة الانسانية.

سر العلاقة بين الشيخوخة والطفولة لا يكتشفه المرء من تلقاء ذاته. لكن بعض كبار السن يتحسسون عفوياً تلك العلاقة عندما يدركون أن بعض تصرفاتهم تقترب من تصرفات الأطفال. فيما يتعلق بي أظن أنني لم أصل بعد إلى تلك اللحظة التي تتكرر فيها طفولتي في عمر الشيخوخة، ربما لأن شيخوختي ما زالت في بدايتها رغم تقدم العمر. أقول ذلك مطمئناً رغم أن بعض اللحظات تقودني عفوياً إلى سلوك ما يشبه طفولة الشيخوخة.

عندما بلغ الأديب والمفكر حسين مروة الثمانين من العمر قال للشاعر عباس بيضون في حديث صريح معه بأنه ولد شيخاً ويموت طفلاً. قد لا يكون حسين مروة هو المثل الذي يشير إلى تلك القاعدة الغريبة. في تجربة هذا الشيخ الجليل ما يشير إلى ذلك السر. أما في ما يتعلق بي فإنني مارست طفولتي كاملة مع أبناء جيلي. وهي كانت طفولة جميلة تنوعت فيها وتعددت أشكال ممارستنا لطفولتنا. وما زالت تحتل تلك الفترة من طفولتي مكاناً جميلاً في ذاكرتي. كنا نمارس كل أنواع ألعاب الأطفال. كما كنا، فتياناً وفتيات، نقلّد الكبار في بعض تلك الألعاب، خارج رقابة الأهل. وكان الأهل يكلفوننا القيام ببعض مهمات الكبار كتربية الحملان والنعاج وإعدادها للذبح في عيدي الفطر والأضحى، من دون أن نعرف أن تلك المهمة كانت ستقود نعاجنا وحملاننا إلى تلك النهاية. لذلك كنا نحزن كثيراً عندما كنا نرى تلك النعاج والحملان تقاد إلى الذبح من دون رحمة.

## بدأ المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي أعماله
## فإلى أي مستقبل سيقوده قادته الجدد؟!

**الأربعاء 27 كانون الثاني - يناير**

هذا هو اليوم الذي يبدأ فيه المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي أعماله. وقد أحسنت في حصر مهمتي فيه باستقبال الضيوف الأجانب. كان أول الواصلين وفد الحزب الشيوعي الصيني. كان استقبالهم لي أهم من استقبالي لهم. عبّروا لي عن شعور عميق بالوفاء لصديق قديم للصين، الوفاء لمن اعتبروه مؤسساً لعودة العلاقات بين الحزبين بعد انقطاع دام ربع قرن ونيف بفعل الصراع الصيني-السوفياتي الذي انحاز فيه حزبنا إلى السوفيات. وللتاريخ فإنني، شخصياً، وأصدقاء لي في قيادة الحزب الصيني، كنا المبادرين إلى عودة العلاقات هذه على أسس جديدة. كان ذلك عندما دعيت شخصياً إلى زيارة الصين مع عائلتي في صيف عام 1987. وكان الذين دعوني أصدقاء قدامى ممن كنت معهم في قيادة اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي في بودابست (1953-1957). لبيت الدعوة مع عائلتي ومع اثنين من قيادة الحزب هما عضو المكتب السياسي خليل الدبس وعضو اللجنة المركزية محمود أبو

شـقرا. وأذكر أننا لدى وصولنا إلى بكين كانت في استقبالنا رئيسة قسم العلاقات الخارجية في الحزب ونائبها صديقي القديم تسو ليان. بادرنا الرفيقان بعد التحية بالاعتذار باسم قيادة الحـزب عـن المحاولات التي قـام بها الحزب الصيني لتقسـيم حزبنا في ظـل ذلك الصراع العبثي بين الجبارين الشـيوعيين حول قيادة الحركة الشـيوعية العالمية. وقد تكرَّسـت عودة العلاقات بين الحزبين في اللقاء الذي نُظِم لوفدنا مع نائب الأمين العام للحزب هوتشـي لي على قاعدة الاحترام المتبادل لخيارات كل من الحزبين.

**الخميس 28 كانون الثاني - يناير**

بـدأ المؤتمر أعماله وبدأ الصراع حوله سياسـياً وتنظيمياً وشـخصياً منذ اللحظة الأولى. أما أنا فقد قررت أن أبتعد حتى لا أكون في هذه اللحظات جزءاً مما لا يتفق مع ما أحببت أن يكون سمة حياتي.

أنـا شـيوعي بالطبـع، رغم أنه لم يعد، في رأيـي، معنى للإصرار على هـذه الكلمة . وأنا، في الحقيقة، اشـتراكي بالنسبة إلى مشـروع ماركس لتغيير العالم. أنا بهذا المعنى معنيّ بهذا الحزب الذي يحمل اسـم الحزب الشـيوعي، معنيّ بانتمائي لتاريخه الذي هو جزء أساسـي من تاريخي، ومعنيّ في الآن ذاته في أن أراه في وضع أفضل، حتى وأنا خارج أطره التنظيمية. معنـيّ به كحزب للمسـتقبل، لا حزباً ماضوياً يغرق في الماضي، ويغـرق الآخرين فيه وفي متاهاتـه، ويخرج مـن الحياة العامة في بلدنـا ومن قضاياه ويخرج مـن العصر، ويصبح على هامش التاريخ!

**الجمعة 29 كانون الثاني - يناير**

اقتربت الساعة التي سأدخل فيها عالم حريتي، عالم بيتي الجميل، زوجتي نجوى وابنتي هانيـة التي اختـارت طريقها بشـجاعة وبثقة بالنفس، وابني غسـان الباحث فـي أول الطريق وبوسائطه الخاصة به عن المستقبل الذي يريده لحياته.

عائلتـي الصغيـرة الجميلـة هذه هي التي سـتكون مدخلي إلـى الحياة الجديـدة، أي إلى هـذه الحرية التي طـال انتظاري لها. ومن بيتنا العائلي هذا بالذات وعلى قاعدة هذه الحرية، سأعمل ما بقي لي من عمر أعتقد أنه سيمتد لسنوات طويلة أخرى، سأعمل قدر استطاعتي، من خارج التنظيم والانتظام في الحزب، لكي يكون الحزب هذا، حزبي، أفضل وأرقى وأكثر وعياً وحرية، ولكي يكون اليسـار، الذي أريده أن يكون مسـتقبل بلادنا، أكثر قوة وتأثيراً في الحياة السياسية، ولكي تكون بلادنا أكثر حرية وأكثر تقدماً، ولكي يكون شعبنا أكثر سعادة.

كيف سأعمل من أجل هذا كله؟ لا أستطيع أن أحدد الآن دوري المستقبلي هذا. أتحدث

عنه الآن بسهولة وبشغف، لكنني أعترف بأنني أشعر بالرهبة. هل من تناقض بين حريتي هذه وبين ما أعلنه من التزام أخلاقي تجاه حزبي؟ لا أستطيع الاجابة عن هذا السؤال الآن. عليّ أن أنتظر بعض الوقت لأرى كيف سيكون عليه الحزب بعد هذه المعارك داخل صفوفه حول الأفكار والسياسات والمواقع الشخصية!

السبت 30 كانون الثاني - يناير

هل خسرت الرهان على الحرية التي أريدها لنفسي مثلما أريدها لسواي من رفاقي الشيوعيين ومن سائر البشر؟ فالحرية التي أنشدها لنفسي أنا صاحب القرار في اختيارها شكلاً ومضموناً. لكنها تبدو، بالنسبة لآخرين، أكثر تعقيداً وصعبة المنال. الحرية التي أنشدها هي، في محاولة تحديدي لها اليوم، مختلفة في معناها عما جرى في السابق وما يجري تداوله في هذه الأيام. أنا حر بالطبع، حر في خياراتي، في أفكاري، في انتمائي الفكري، حرّ في طريقة حياتي. تلك أمور لا نقاش فيها. لكن من موجبات هذه الحرية التي أبحث عنها أن أوفّق بدقة بين امتلاكي لها كحق طبيعي وبين استمرار التزامي الخلقي والقيمي بالقضايا العامة في بلادي باسم أفكاري الاشتراكية الجديدة. بكلام آخر، إن ما أنشده هو أن أكون حراً في اختيار شكل التزامي بأفكاري، وحراً في الآن ذاته في اختيار صيغة علاقتي بالحزب. أما بالنسبة للحزب ذاته فأملي الدائم هو أن يتحوّل عند قيادته وأعضائه من هدف بذاته إلى أداة صالحة للنضال من أجل التغيير، بخلاف ما كنا نتعامل معه في الماضي. كان الحزب في تجربتنا السابقة هدفاً بذاته. وكانت تلك واحدة من معضلاته. وكانت واحدة من أخطائنا الفادحة في ممارسة دورنا فيه وباسمه.

أحب أن أقول اليوم، من واجبي أن أقول بالفم الملآن، بأن حركتنا الشيوعية في السلطة وخارجها قد تقاطعت على امتداد عقود طويلة مع حالات غريبة من التخلف، وهي تنادي بالتقدم وبالحرية وبالعدالة الاجتماعية. ويؤلمني أن أقول بأن لديّ أمثلة كثيرة على ذلك قبل انهيار التجربة الاشتراكية الذي جاء نتيجة خلل بنيوي كبير ساد فيها منذ البدايات. وبعض نماذج ذلك الخلل الذي أشير إليه هو الذي ساد في العلاقة بين الأفكار العظيمة التي عبّرت عنها الاشتراكية في مشروع ماركس لتغيير العالم، وبين ممارسة الكثيرين من حاملي هذه الأفكار في الاتجاه النقيض لها. وهؤلاء هم الذين صاروا يعرفون بالستالينيين في عهد ستالين وبأسماء أخرى في عهود ما بعد ستالين والستالينية القديمة. تأخرنا في الاعتراف بهذه الحقيقة المُرَّة. وعلينا أن نصحح هذين الخطأ والخلل في مرحلة ما بعد إنهيار التجربة الاشتراكية، قبل أن تحاكمنا شعوبنا ويحاكمنا أولئك الذين قدّموا حياتهم من أجل المستقبل الموعود باسم الاشتراكية.

الأحد 31 كانون الثاني - يناير

بعض العقول تستعصي على فهم جدل الحياة في حركتها وفي تطورها، وتصرّ على البقاء مسمّرة حيث هي. لا يرى أصحاب هذه العقول في الجديد جديدًا. فهم يحبون أن يروا الأشياء في تكرار متواصل ورتيب وممل للماضي، ويقفون عند لحظة من التاريخ ويتسمّرون فيها، كما لو أن تلك اللحظة هي نهاية التاريخ. فالتاريخ بعامة، وتاريخهم هم بخاصة، هو التاريخ ذاته مكرراً، وأفكارهم عن التاريخ هي ذاتها مكررة. فما العمل في ظل طغيان مثل هذه العقول في حركتنا الاشتراكية؟

لكن من قال إن الذهاب إلى المستقبل يتطلب نسيان الماضي؟ كلا. فلاستحضار الماضي دائماً نكهته عندما يكون هذا الاستحضار مربوطاً برؤية واضحة، أو حتى شبه واضحة، للمستقبل المختلف الذي يفترض بالنضال من أجل التغيير أن يقود إليه.

## أعترف صادقاً بقسطي من المسؤولية عن الأزمة الراهنة في حزبنا

الاثنين 1 شباط - فبراير

قررت بحزم أن أختار الحرية، الحرية بالمعنى الذي يعطي للانسان قيمته الانسانية ويحدد له شخصيته وحريته في تحديد خياراته. في مثل هذه الحرية سأكون أكثر قدرة على العطاء. قراري هذا نابع من إحساسي بأنني لو عدت إلى موقع قيادي في الحزب سأكون مثل الداخل إلى السجن بإرادته. هذا الأمر صار خارج البحث، صار مستحيلاً بالنسبة إليّ.

لكن عليَّ أن أعترف هنا للمرة الأولى بأنني أتحمل شخصياً، من موقعي السابق في قيادة الحزب، ويتحمل معي بالقدر ذاته، وربما أكثر مني، جورج حاوي من موقعه كأمين عام للحزب، ويتحمل معنا آخرون في قيادة الحزب من جيل الستينات، خصوصاً جيل المؤتمر الثاني والجيل الذي تلاه، المسؤولية عن الأزمة التي دخل فيها الحزب. أكثرنا الحديث عن الديمقراطية ومارسنا الكثير مما يتناقض معها. ورغم الجديد الذي أدخلناه في المؤتمر السادس فإن الممارسة الخاطئة القديمة ظلت لصيقة بنا رغم إرادتنا. وبعض أخطاء المؤتمر السادس تجلّت أولاً باستقالة جورج حاوي من موقعه في المسؤولية بشكل سيئ بعد عقد المؤتمر. وقدم في رسالته الشهيرة مبررات لاستقالته، بعضها موضوعي وبعضها ذاتي، وأصر على الاستقالة. ولم نتمكن نحن رفاقه القدامى من إقناعه بتأجيل ذلك إلى زمن آخر تكون فيه نتائج استقالته أقل ضرراً له وللحزب. كان مصاباً بحالة من القرف مما كان قد بدأ يسود في حياة الحزب وفي قيادته تحديداً، ومما كان يوجّه إليه من إهانات شخصية في

الدرجة الأولى مطعَّمة بمواقف سياسية تتعارض مع ما أقرّه المؤتمر السادس. لكن تصوّر جورج للمستقبل في ذلك التاريخ كان مليئاً بالأوهام. استقال وبقيت أنا وبقي معي آخرون من جيلنا، بقينا في صيغة هي أقل مما كان ينبغي أن تكون فيها مسؤولياتنا. وكنا قد نجحنا في المؤتمر السادس للحزب بوضع وثيقة جديدة في محتواها لحزب من نوع مختلف. وقدَّمنا فيها مراجعة نقدية لسياساتنا السابقة ولدورنا ولموقفنا في الحرب الأهلية. وقد صيغت تلك الوثيقة في ضوء النقاش الواسع الذي انخرط فيه الشيوعيون كل منهم على طريقته ووفق تصوراته لحاضر الحزب ولمستقبله ووفق أهوائه الخاصة به. ورغم أن الوثيقة قد أقرّت بإجماع المؤتمر فقد وضعت في الخزائن المغلقة بعد انتهاء أعمال المؤتمر. يعود السبب في ذلك إلى الاضطراب الذي ساد صفوف الحزب بعد المؤتمر، قيادات وكوادر وأعضاء. كان ينبغي علينا، نحن جيل المؤتمرَيْن الثاني والثالث، أن نعمل بكل طاقاتنا لمنع الحزب من الانهيار، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وبعد الوضع الذي وجد الحزب نفسه فيه، في أعقاب توقف الحرب الأهلية على قاعدة اتفاق الطائف، في ظل سلطة الوصاية السورية وحلفائها من رفاق الدرب ومن الخصوم السياسيين. لكننا لم نقم بما كان علينا أن نقوم به، وانكفأنا كل منا على طريقته. وانتهى الأمر بتهميش الحزب من خارجه. وشارك هو في تهميش نفسه. خرج جورج حاوي وبقيت أنا وبقي معي آخرون من جيلي في موقع المسؤولية داخل المكتب السياسي من دون الحماسة والنشاط اللذين كانا من سماتنا في الفترة السابقة. واخترت لنفسي مهمة الاشراف على إعادة إصدار مجلة "الطريق" بعد أن كانت قد توقفت في العام الخمسين لصدورها.

أعترف بمسؤوليتي بعد فوات الأوان. لقد أصبح مستقبل الحزب بيد الذين هم في قيادته والذين ما زالوا يشكلون قاعدته التنظيمية والسياسية. كنت أظن أنه سيكون للشباب الدور الفصل في المرحلة الجديدة. لكنهم لم يكونوا في مستوى تلك المسؤولية الصعبة برغم ما كان بعضهم يعد به من جديد في الفكر وفي الممارسة. لعلّ بعضهم كان ينتظر مخلّصاً ما تأتي به الأيام أو الأحداث القادمة رغم معرفتهم بأن المخلّص في الفكر الاشتراكي هو خرافة. كانت "الخلطة" داخل القيادة لا تقبل الالتحام بين مكوناتها. وبدأ التناقض بين الاتجاهات داخل القيادة يبرز سريعاً وبقوة.

الزمان اليوم اختلف عن الزمان السابق أيها الرفاق. ولكل زمان دولة ورجال، كما يقول الشاعر صادقاً ومصيباً. بالنسبة إليَّ كل ما أستطيع فعله، وهو ما أنا منخرط فيه بكل عقلي ومشاعري وبكل ما أملك من قدرة ومن عزم على مراجعة أفكاري وتجاربي، كل ما أستطيع فعله هو تقديم بعض الخلاصات من تجربتنا، في الصواب وفي الخطأ، والمساهمة

من موقعي الخاص قدر الإمكان في مساعدة الحزب على الخروج من أزمته والدخول في العصر وفي شروطه الصعبة. وهو عصر مليء بالجديد، ما هو عظيم منه وما هو بالغ السوء. وكتبي ستكون أحد سُبُلي لهذا الاسهام. وقد أصدرت بعضها وأعمل على إصدار كتب جديدة عندما تنضج شروط إصدارها، وعندما أقتنع بأهميتها وبضرورتها من وجهة نظري. هكذا أحاول، من موقعي خارج المسؤولية، وباسم الحرية التي انتصرت بانتزاعها لحياتي، أن أعوّض قدر الامكان عما اعتبرته مسؤوليتي الشخصية ومسؤولية رفاق جيلي عمّا وصل إليه الحزب. وأحب أن أؤكد هنا، ولو بعد سنوات، أنه كان علينا أن نبقى جميعنا في المسؤولية مع دخول عناصر شابة في القيادة والعمل معاً لتنفيذ ما نصّت عليه وثيقة المؤتمر السادس، في ما يتعلّق منها بالمراجعة النقدية لدورنا في الحرب الأهلية، وما يتعلق بتجديد فكرنا والاتجاه بحزم نحو ترسيخ الديمقراطية في الحزب، وتغيير اسمه بالعودة إلى "حزب الشعب" الذي كان قد تأسس في عام 1925. مرة ثانية وعاشرة أعترف بمسؤوليتي الشخصية عن الحالة الراهنة للحزب في ظل الأزمة، وعلى رفاق جيلي أن يحدِّد كل منهم بنفسه قسطه من تلك المسؤولية.

يبقى عليَّ أن اقول كلمة ترددت كثيراً في قولها بمناسبة الحديث عن المؤتمر السادس وعن الصراعات التي كانت تترافق مع التحضير له ومع عقده وبعد عقده. لم يكن جورج حاوي وحده هدفاً للنقد الفظ من قبل بعض قياديي الحزب وبعض كوادره. كنت قبله هدفاً لذلك النقد الذي التقى حوله، لأسباب مختلفة، نصف أعضاء المكتب السياسي وعدد من أعضاء اللجنة المركزية. وكان كتابي "حوارات" الذي صدر في مطلع عام 1990 أحد الأسباب في ذلك النقد. فقررت، وأنا في موقع نائب الأمين العام ورئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر السادس، أن أستقيل من مسؤولياتي عملياً ومن دون إعلان، بانتظار إنعقاد المؤتمر. وطلبت من رفيقي وصديقي نائب رئيس اللجنة التحضيرية غسان الرفاعي أن يقوم بالنيابة عني بكامل المسؤولية في مهمة الإشراف على التحضير للمؤتمر السادس. وقام بدوره على أفضل وجه. وهو ما تمثَّل بتلك الورشة الواسعة من النقاشات التي جرت حول مشروع الوثيقة التحضيرية في منظمات الحزب وفي وسائل الإعلام. وأعلنت في حديث لجريدة "النهار" أجراه معي إسماعيل فقيه (1991) بأنني لن أترشَّح في المؤتمر لأي موقع قيادي. لكن جورج أصرّ عليّ، عندما بدأنا نقترب من موعد المؤتمر، أن أصوغ مشروع الوثيقة الرئيسية التي ستعرض أمام المؤتمر في ضوء النقاشات التي كانت تجرى حول خطة الحزب للمرحلة اللاحقة. اعتذرت. وإذ أصرّ عليَّ جورج اتفقت مع جورج البطل على العمل معاً لصياغة الوثيقة. وذهبنا معاً إلى دمشق للقيام بتلك المهمة الصعبة والدقيقة. وقد حرصنا،

جورج البطل وأنا، على أن تكون الوثيقة جديدة بكل المعاني وأن تحترم في الآن ذاته جوهر النقاشات التي شارك فيها إلى جانب الشيوعيين أصدقاء الحزب. أعدنا في مشروع الوثيقة النظر بكثير من أفكارنا السابقة وقدمنا مراجعة نقدية لدورنا في الحرب الأهلية، ووضعنا صيغة جديدة لتعاملنا مع الفكر بعامة والفكر الاشتراكي بخاصة، ودَعَوْنا القادرين على التفكير إلى أن يتباروا في إغناء فكر الحزب. ووضعنا صيغة جديدة للتنظيم تحرر الحزب من الصيغ التنظيمية القديمة، صيغة تحترم حق العضو في الحزب في أن يناقش ويختلف. وفور إنجاز عملنا قدمنا الوثيقة لجورج حاوي وطلبنا منه أن يتبناها ويخفي دورنا، لا سيما دوري، في صياغتها حتى لا يثير ذلك موقفاً سلبياً منها قبل قراءتها. وهكذا كان. وأُقرّت الوثيقة في المؤتمر من دون أن تُقرأ كما بدا لي، لا سيما ممن صاروا بقرار من المؤتمر الأعضاء المقررين في قيادة الحزب. لقد وضعت القيادة المنتخبة تلك الوثيقة التاريخية في خزائن الحزب المغلقة. وأذكر أنني قلت في أحد اجتماعات اللجنة المركزية خلال التحضير للمؤتمر تعليقاً على ما كان قد بدأ يسود من صراع عشوائي معلن وخفي حول الحزب وحول مستقبله، بأننا بدأنا نعيش في مرحلة عجيبة في حياة حزبنا أبرز سماتها أن الشيوعي الذي كاد في الماضي أن يكون نصف إله، بالنظر لما كان يرتبط بنضاله وبخصاله من قيم وأخلاقيات باسم الشيوعية، بدأ يصبح، يا للأسف، أقرب ما يكون إلى نصف إنسان، بالمعنى القِيَمي والأخلاقي!

لقد بات يستولي عليَّ شعور قوي بأن الحزب ذاهب في اتجاه الخروج من الحياة السياسية بتهميش نفسه، بعد أن كانت قد بذلت سلطة الوصاية السورية كل جهدها لتهميشه. أحاول أن أدفع عني هذا الشعور لكي أحرِّر نفسي مما قد يقودني إليه. لكنه يكاد يخنقني ويقبض على روحي. لا أستطيع أن أتصور، لا أريد أن أتصور، أن حزباً مثل حزبنا الشيوعي يمكن أن ينفصل عن تاريخه ويذهب، بسبب أزمته وصراعات الرفاق وخلافاتهم حول جنس الملائكة وحول مواقعهم فيه، في الاتجاه المغاير لما ارتبط باسمه وبالوعود التي حملها في نضالاته وتضحياته الجسيمة فيها؟ ولكي أخرج من هذا الشعور، ولكي أتغلب عليه وأتحرر منه، استعنت بالذاكرة لأستحضر تلك النضالات التي خاضها الشيوعيون على امتداد تاريخهم دفاعاً عن استقلال وطنهم ضد الأحلاف الأجنبية وضد أشكال التدخل الخارجية في شؤونه، ونضالاته في الدفاع عن حقوق العمال والفلاحين والأجراء والمثقفين وعن الثقافة وعن كل ما يتصل بتطور لبنان وتقدمه في شتى ميادين الحياة. وأتذكر مع تلك النضالات على مختلف الجبهات ذلك العدد الكبير من الشهداء الذين يشكّلون باستشهادهم في المعارك الوطنية والاجتماعية وفي مقاومة العدوان الاسرائيلي نماذج رائعة في البطولة

والتضحية. أتذكر هذا التاريخ من النضالات ومن الإنجازات التي حققها الحزب فيها، وهي عديدة، كان أولها إقرار أول قانون للعمل في عام 1946 في أعقاب ذلك الاضراب التاريخي للعمال بقيادة القائد الشيوعي مصطفى العريس. وأتذكر مع مصطفى العريس قادة نقابيين كباراً يعتز بهم شعبنا ويعتز بهم وبنضالاتهم العمال والمزارعون والأجراء، في مقدمتهم سعد الدين مومنه، والقائمة كبيرة. كانوا في معظمهم شيوعيين ويساريين. وكان بينهم من لم ينتموا لا إلى اليسار ولا إلى اليمين بالمعنى الحرفي للكلمتين. وأتذكر مع هؤلاء القادة الكبار الشهداء الذين قدموا حياتهم من أجل سعادة شعبهم. أتذكر هؤلاء جميعاً وأتذكر تاريخهم الناصع، فأزداد شعوراً بالأسى وبالمرارة. أين هي الحركة النقابية الآن؟ أين هو الدور التاريخي الملقى على عاتقها في مثل الظروف التي يعيشها لبنان ويعيشها فقراؤه من العمال والمزارعين والأجراء ومن الذين قادتهم الحياة الصعبة إلى موقع المهمشين؟!

أين نحن الآن؟ أين كان الحزب الشيوعي وأين هو في هذه الأيام، وإلى أين هو ذاهب في أزمته؟

يبدو أن شعوري الذي أقاومه، والذي يقوى عليَّ ويرفض مقاومتي له، هو الحقيقة المُرَّة!

**الثلاثاء 2 شباط - فبراير**

اليوم، وبعد نضال طويل، حققت ما كنت أسعى إليه منذ عشر سنوات. استعدت حريتي كاملة وعدت إلى ما يشبه السنوات الأربع الأولى من انتمائي إلى الشيوعية، أي عندما كنت شيوعياً بالفكر، شيوعياً في القيم والسلوك من دون التزام ضيّق ومحدّد بأطر تنظيمية. قلت ما يشبه تلك السنوات، لأنني ما زلت عضواً في المجلس الوطني بقرار من الرفاق وغصباً عني. لكنني أعتبر وجودي في المجلس مجرد عنوان، أعتبره نوعاً من الوفاء لتاريخ أعتزّ به بصفتي جزءاً منه في التكوين وفي السيرة وفي مجمل ما يتصل بالفكر وبالسياسة وبتطورهما. وفي الواقع فقد انتُخبت عضواً في المجلس الوطني من دون أن أتقدّم بترشيحي، ومن دون أن أحضر الجلسة التي انتخب فيها أعضاء المجلس. شكراً لكم أيها الرفاق لهذه الثقة التي منحتموني إياها. لكنني مقرِّر بحزم وبمسؤولية ألا أكون عضواً فاعلاً في المجلس الوطني حفاظاً على حريتي التي انتزعتها بعد صراع مرير مع الذات ومع الرفاق.

**الأربعاء 3 شباط - فبراير**

اليوم هو أول أيام الحرية. لكنني لا أشعر بأنني حر مثلما كنت أتصور. فما هي الحرية التي أكثرت الحديث عنها في هذه اليوميات؟ إنها كما يبدو لي ملتبسة في ذهني. وهي تصبح اليوم أكثر التباساً. لماذا؟ لا أعرف! يبدو أنني ما دمت ملتزماً بقضية، وما دمت

ملتزماً بقيم، فإذاً أنا حر بحدود، حر بمعنى مختلف عما هو سائد في تحديد معنى الحرية. الحرية والالتزام معناهما في الممارسة التزام وحرية، التزام بقضية هي بالنسبة إليّ قضية شعبي وقضية الانسانية التي تعبّر الاشتراكية بقيمها عنها، وحرية في اختيار شكل الالتزام بهذه القضية. هكذا يزول الالتباس أو يوشك أن يزول. وهكذا أصبح حراً ربما أكثر وأعمق مما هو سائد في شكل مبسط لمعنى الحرية.

**الخميس 4 شباط - فبراير**

الراحة غير ممكنة مبدئياً وواقعياً. الراحة مرادف للموت، الموت الحقيقي عندما تنتهي الحياة، والموت غرقاً في الركون خارج هموم الحياة. ما كنت أبتغيه من نزوعي نحو الحرية، أي نحو التحرر من مهماتي الحزبية اليومية في قيادة الحزب، هو أن أتفرغ بحرية لعمل آخر، هو اليوم أقرب إلى مزاجي وإلى إمكاناتي وإلى طموحي لعمل شيء مفيد في تصوري وفي مفهومي أنا لمعنى الإفادة. أول وأبسط وأمتع، وربما أكثر فائدة، في ما أنا منخرط فيه هو الكتابة التي أحمّلها أفكاري حول المستقبل، تجاوزاً للماضي ونقداً له من دون التنكر له. بعض هذه الكتابة يتخذ شكل مقالات في الصحف والمجلات. لكن الأهم في هذه الكتابة هو ما تتضمّنه كتبي، ما صدر منها وما هو قيد الاعداد. أما الجوانب الأخرى من اهتماماتي فتدخل في إطار بعض المشاريع الثقافية التي تتطلب تمويلاً، والتمويل غير متوفر الآن. لذلك سأنتظر من دون ملل، وبتفاؤل من دون أوهام.

**مات المثقف المصري اليساري لطفي الخولي**
**فحزنت مرة عليه ومرة على بعض أوهامه**

**الجمعة 5 شباط - فبراير**

مات المثقف اليساري المصري لطفي الخولي. لأول مرة أجهش بالبكاء عندما أتلقى خبر فقدان عزيز. حصل ذلك أمام ابنتي هانية خلال مكالمة مع الأديبة ليلى عسيران التي حملت إليّ النبأ. حزنت كثيراً لموت لطفي. وأساس حزني هذا لغياب لطفي يعود لصداقة عمرها أكثر من أربعين عاماً. ولحزني سبب آخر. ذلك أن لطفي الذي أعرفه جيداً كان قد مات فيه تاريخه القديم الناصع كواحد من رموز اليسار المصري. لقد فعل لطفي بنفسه ما لم يفعله الموت به. ما الذي حصل للطفي؟ لقد كان للطفي حضور بهيّ في مصر في الثقافة وفي الفكر وفي السياسة وفي العلاقات الانسانية. وكانت رئاسته لتحرير مجلة "الطليعة" عنواناً لدور مميز في الثقافة وفي السياسة وفي الفكر في ميادينه المختلفة، في زمن كانت فيه للأفكار مكانة مرموقة. كان ذلك في أواخر الستينات وفي مطالع السبعينات. ما أجمل

تلـك المجلة الراقيـة، وما أعظم ما تضمنته من كتابات في كل شـؤون الحياة، كتابات بأقلام رمـوز الفكـر التقدمي في مصر وفـي العالم العربي وفـي العالم. وهـي بمجموعتها الكاملة تحتل مكاناً مميزاً في مكتبتي تستحقه. وعليَّ أن أعترف، برغم مرور الزمن، أن للرئيس عبد الناصر شـخصياً وللمفكرين الاشتراكيين بمدارسـهم المختلفة، ومنهم لطفي، دورًا أساسيًا فـي صـدور المجلة وفـي الدور التنويـري الذي مارسـته. مشـكلة لطفي أنه حـاول، خارج الواقعية وخارج الشـروط الموضوعية، البحث عن سـلام مع إسـرائيل لـم يكن ممكناً، ولم تكن إسرائيل مهيأة له، ولم تكن القيادة الفلسطينية والحكام العرب مهيئين له.

لمـاذا يصنع الناس بأنفسـهم أحيانـاً أكثر مما تصنعه الأحداث والهـزات والأعاصير بهم وبشـعوبهم. عالم الانسـان عجيـب. كذلك هو عالم الحياة. أنا مندهـش بما أرى، وبما لم أكـن قـادراً على رؤيته من قبل. هل كنت فاقد البصيرة، أو فاقد البصر، أو كنت فاقداً لفضول المعرفة؟!

مهمـا تعلّم الانسـان يظل ينقصـه الكثير من المعارف، لا سـيما ما يتصل بحياة الانسـان وبالتأثيرات التي تتركها الأحداث في حياته.

مات لطفي الخولي بعد أن كانت قبل ذلك بسـنوات قد توقفت مجلة "الطليعة" التي كان يرأس تحريرها، وبعد أن كانت قد ماتت بفعل الوقائع الصعبة محاولته اليائسـة لتحقيق ذلك السلام الوهمي بين العرب وإسرائيل.

اتصلت في المسـاء بالصديقة ليلى عسـيران لأعتذر منها عن انفعالي عندما أخبرتني بوفاة لطفـي الخولي. سـألتها عن ظـروف وفاته وعن أمور أخرى. وسـألتها عـن زوجها صديقي التاريخي أمين الحافظ، صداقة تعود إلى الخمسـينات عندمـا كان يعمل في جريدة "الحياة"، ثـم عندما أصبح نائباً عن طرابلس في كتلة الرئيس رشـيد كرامـي. وأذكر أنني كلفت في عام 1966، باسـم الحركة الوطنية برئاسة كمال جنبلاط بعد استقالة حكومة كرامي إثر أزمة إنترا، بالاتصـال بالحافـظ لكي يكون وزيراً باسـم الحركة الوطنية فـي وزارة عبدالله اليافي. اعتذر الحافظ يومذاك لأنه لـم يكن ممكناً بالنسـبة إليه أن يكون وزيراً في حكومة اليافي، وهو نائب في كتلة رشيد كرامي. وأذكر في السياق ذاته أنني كلّفت في عام 1973 باسـم الحركة الوطنية أيضاً، بالاتصال به لمعرفة اسـتعداده وقدرته على ترؤس حكومة جديدة بعد اسـتقالة حكومة صائب سـلام فـي أعقاب الأزمة التي نشـأت من جراء اغتيـال القادة الفلسـطينيين الثلاثة أبو يوسـف النجار وكمـال عدوان وكمال ناصر. ذهبت إليه برفقة نديـم عبد الصمد. ووافق على الاقتـراح وشـكرنا، ورافقناه إلى منـزل كمال جنبلاط لكـي يتم تكليفه برئاسـة الحكومة بعد اتصـال جنبـلاط بالرئيس فرنجية. لـم تكن زوجته ليلـى موافقة. لكنه لم يسـتمع إلى رأيها.

كُلِّف بالمهمة. لكنه لم يستطع تشكيل الحكومة. فاستقال من المهمة بعد أسبوعين من المحاولات الصعبة. فكُلِّف بديلاً منه تقي الدين الصلح، الذي قرر أن يواجه الصعوبات بقوة وعناد. وكنت مع جورج حاوي إلى جانبه، ناصحين له أن يتعاون مع كمال جنبلاط ويختار أحد نواب جبهة النضال ليكون وزيراً في حكومته. نجح الصلح بتشكيل الحكومة، ونشأت بيني وبينه علاقة صداقة خلال حكومته. واستمرت تلك العلاقة حتى وفاته. وأشهد أن الجلسات مع تقي بك هي من أمتع الجلسات التي يضفي عليها من ذكرياته القديمة طابعاً غنياً بالمعلومات وبالطرائف.

السبت 6 شباط - فبراير

أحسست اليوم بتعب لا أدري إلى أين سيوصلني. إنه تعب نفسي مصدره إحساس غريب بأنني أكاد أكون غريباً في هذا العالم. بدأت أشعر أن ما أعتبره قيماً في العلاقات بين الناس، على قاعدة ما تعلمته من والدي ومن الفكرة الاشتراكية لم يعد له، في ما أرى، وجود حقيقي عند الناس. هل الأمر هو كما يبدو لي، أو أنني أبالغ في توصيف الوضع الذي نحن فيه؟! أرجو أن أكون مخطئاً في هذا التوصيف.

## هكذا توزّع أبناء الشيخ أحمد سياسياً واجتماعياً وميادين عمل

الأحد 7 شباط - فبراير

يوم أحد حافل باللقاءات. لقاء عائلي جميل إلى مائدة غداء في منزلي بحضور شقيقتي الكبرى أم عدنان وشقيقي الأكبر أبو هادي والشقيقات نزيهة وسكنة ومريم وزينب. تلت الغداء حفلة شاي على الطريقة التي كان والدي يقيمها بعد ظهر كل يوم، أي بعد الغداء والقيلولة. هذا اللقاء أثار ذكرياتي. وارتسمت أمامي صورة عن كل فرد من أفراد عائلتنا التي تنتمي إلى الشيخ أحمد والحاجة خديجة. لكل منا، نحن أفراد العائلة، سماته الخاصة. لكن الجامع والموحِّد بيننا هو ما تركه فينا الوالدان من قيم لم يحِد أي منا عنها. أقول ذلك حتى لا يبقى حديثي عن التزامي بقيم والديّ حكراً عليَّ وحدي. السمات الخاصة لكل فرد منا هي التي تحدّد شخصيته. وقد حدّد كل منا، استناداً إليها، طريقته في الكفاح من أجل الحياة. كنا جميعنا على الدوام، وما زلنا، متضامنين في ما بيننا في كل الظروف ومتعاونين في مواجهة صعوبات الحياة. أما في السياسة بالمعنى العام وبالمعنى المحدد فقد اختار كل منا موقعه بحرية من دون أن يؤدي اختلاف المواقع، حتى في تناقضها، إلى أي خلل

مـن أي نوع في علاقات الأخـوة وفي التضامن والتعاون والتكاتف بيننا. غادرنا يا للأسـف مبكراً الشـقيق أبو حسـان "مرتضى"، وغادرنا بعده بأعوام الشـقيق الأكبر أبو جعفر "محمد علي". وبقي الآخرون يجاهدون كل في ميدانه في سـبيل حياة أفضل. دخلت السياسـة في وقت مبكر إلى عالمنا. وكنت السَبّاق في ولوج الطريق إليها. إذ صرت شـيوعياً في الثامنة عشـرة من عمري. تبعني أولاً في الانتماء للحزب شـقيقي الأكبر سـناً مني مرتضى لكن في مهمـات حزبيـة سـرية لم أعرفهـا إلا في وقت لاحق عندما أسـرّ بهـا لي وهو يتهيّـأ للهجرة إلـى أفريقيا. ثم تبعنا رؤوف الأصغر سـناً مني في الاتجاه ذاتـه. وإذ ذهبت أنا بإتجاه مواقع قياديـة في الحزب الشـيوعي بالتدريج، كان رؤوف يمارس دوره في قيـادة المنظمة الحزبية في العاصمة بيروت. وخاض من موقعه في قيادة المنظمة معارك عديدة أدخلته السجن عدة مرات. ثم غادر العمل السياسـي إلى العمل التجاري. كان منزله المكان الذي كانت تلتقي فيـه العائلـة وامتداداتها في شـكل جميل وظريـف. وكان رؤوف لولب تلـك اللقاءات. لن أنسـى تلك الأيام الجميلة في تاريخي وفي تاريخ العائلة. أما مصطفى الأصغر سـناً بيننا فقد لحق بنا في الاتجاه ذاته بعد أن بلغ سن الرشد قبل أن يسافر إلى الاتحاد السوفياتي للدراسة الجامعية. ولم تدخل السياسة إلى عالم الشقيقين الكبيرين أبو جعفر وأبو هادي اللذين ظلّا في حياتهما أكثر ارتباطاً بالموقع الديني للوالد والوالدة.

فـي المسـاء كان لي لقـاء عمل عائلـي من نوع آخـر مع شـقيقي مصطفى وابن شـقيقتي عدنـان. ثـم كان لـي لقاء عمل حزبي مع الرئيـس الحالي للمجلس الوطنـي جورج حاوي، والرئيس السابق للمجلس الوطني نديم عبد الصمد. ناقشنا في هذا اللقاء هموم اللحظة التي نحن فيها، اللحظة المتصلة بوضع الحزب بعد المؤتمر الثامن. وهي لحظة صعبة. تذكرنا، ونحن مهمومون بالحاضر وبتاريخنا القديم المشترك، إنجازاتنا السابقة في المؤتمرين الثاني (1968) والثالث (1972) والأخطاء التي قادتنا إليها مشاركتنا في الحرب الأهلية. وأعترف بأنني شـعرت بحنين إلى بدايات تاريخنا المشـترك في الخمسـينات، ثم إلى مراحل تدرّجي في المسـؤوليات فـي الحزب وعلاقاتي الجميلة مع عدد كبير من مناضلي الحزب البسـطاء الطيبين الذين كانوا يقومون بمهماتهم من دون حسـاب لكل الاحتمالات، ومشاعرهم كلها مليئة بالحلم الذي كان يبشـر ويعد به مشـروعنا الاشـتراكي محلياً وعالمياً. ما أطيب أولئك المناضلين وما أجمل ذكرياتي معهم.

بعـد كل تلـك اللقاءات جلسـت مع ابنتي هانية فـي لقاء حميم، قرأت لـي فيه نصاً أعدته بالفرنسية حول إنتاج فيلم شبابي للقرن القادم. ما إن انتهت من قراءته حتى قفزت وضممتها إلـى صـدري وقبلتها قبلة حب واعتـزاز، إلى أن كانت المفاجأة السـارة، بعد منتصف الليل،

التـي أخفـت هانيـة إخبارها عنـي وعن نجوى، وهـي إطلالة الحبيب غسـان آتيـاً من تولوز الفرنسية لقضاء فرصة الشتاء في بيروت. أهلاً بغسان. أهلاً بطلّته البهية الفرحة.

**الاثنين 8 شباط – فبراير**

عود على بدء.

أعود اليوم إلى متابعة أبحاثي السـابقة. سأعيد طباعة كتاب "حوار الأيديولوجيات" بعد أن نفـدت الطبعـة الأولى. أهمية هـذا الكتاب أنني أطرح فيه للمـرة الثالثة، بعد كتابي الأول "كيـف نواجـه الأزمة في حركة التحرر الوطني العربية" (1974)، وكتابي الثاني "حوارات" (1990)، في إمكانية وضرورة العلاقة بين المؤمنين المنتمين إلى دياناتهم وإلى مؤسساتها، وبين المنتمين إلى الاشتراكية، من دون أن يتخلى أي منهم عن أفكاره، والعمل معاً من أجل تغيير شـروط حياتهم نحو الأفضل. وسأتابع إعداد كتابي الجديد "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف". يجب أن يصدر هذا الكتاب في ربيع أو صيف هذا العام. وسأعمل في الوقت ذاته علـى إعداد كتاب آخـر لكي يصدر في العام القادم، كتاب يضـم مجموعة كتابات عن بعض المثقفين العرب الكبار الذين تركوا بصماتهم على عصرنا العربي في القرن العشرين. بعض تلـك الكتابات كنت قد أنجزته سـابقاً، وسـأعيد النظر فيـه، وبعضها سـيحتاج إلى الاعداد. هدفـي من هذا الكتاب أن أقدم فيه للقراء العرب ما يشـبه "ذاكرتنا الثقافية" المنسـية. المهم هو أن حريتي التي اخترتها قد بدأت تمارس فعلها في أشـكال ممارسـتي لها. أفلا تسـتحق هذه الحرية أن تنتزع بالصراع مع الذات ومع الرفاق؟

## ظاهرتان ثقافيتان لبنانية ومصرية أعتز بهما
## ظاهرة حبيب صادق وظاهرة لطيفة الزيات

**الثلاثاء 9 شباط – فبراير**

ظاهرة الأفراد الذين يتحولون إلى ظاهرة هي واحدة من القضايا التي تسـتحق الاهتمام، بالايجابي فيها أساسـاً، وبالسـلبي فيها في بعض الحالات. ثمة شـروط لتوليد هذا النوع من الظاهرات لم أستطع اكتشافها، ولا بذلت جهداً لمعرفتها. استولت عليَّ هذه القضية صباح هذا اليوم ارتباطاً بصديقي حبيب صادق في جانبين مهمين من شخصيته، شخصية السياسي الشـعبي الـذي أظهـرت الانتخابـات النيابيـة أكثر من مـرة النسـبة العالية غير المسـبوقة من الأصوات التي حصل عليها، وشـخصية المثقـف الذي ما زال يقود بكفاءة المجلس الثقافي للبنان الجنوبي منذ أواسـط السـتينات. علاقتي بحبيب قديمة تعود إلى مطلع الخمسـينات.

وهـي علاقـة حميمـة وعميقة الجذور. وأنا شـديد الاعتـزاز بهذه العلاقـة. لكنني لا أخفي قلقي من الاضطراب الذي يشـوب وضع وموقع وموقف اليسـار عموماً والحزب الشيوعي خصوصـاً، وتأثيـر ذلك على هذه الظاهرة، وعلى مسـتقبل العمـل الديمقراطي في الجنوب على وجه الخصوص من جراء ذلك الاضطراب.

تذكِّرني ظاهـرة حبيب صادق بظاهرة لطيفة الزيات، الأديبة والمناضلة المصرية الرائعة. تذكرني لطيفة بأدبها وبثقافتها الواسـعة وبشخصيتها وبتاريخ نضالها منذ أواسط الأربعينات في قيادة لجنة الطلبة والعمال التي قادت تظاهرات تاريخية ضد المعاهدة المصرية البريطانية ومـن أجـل الديمقراطية. وكمـا جمع حبيب صادق حولـه عدداً كبيراً مـن المثقفين، كذلك فعلـت لطيفة الزيات. والجامع بين الظاهرتين هو الفعل الثقافي بارتباطه بالعمل السياسـي. لقـد كنت سـعيداً بالصداقـة التي ربطتنـي بلطيفة الزيات. وكنت سـعيداً بمشـاركتي لها في بعـض مـا قامـت به من نشـاط ثقافي فـي مصر إلى جانـب العديد مـن المثقفين الشـيوعيين والديمقراطيين المصريين.

وثمة ظاهرات آخرى من هذا النوع في العالم العربي وفي العالم أعرف بعض أصحابها. جميلة هذه الظاهرات في حياتنا الثقافية العربية.

## في "حلبة" الصراع بين اليأس والأمل

**الأربعاء 10 شباط - فبراير**

أنـا فـي هذه الأيام في حالة اضطراب وصراع متواصلة بيـن اليأس والأمل. ويبدو لي أن هـذه الحالة سـتتواصل لمدى زمني لا أسـتطيع تحديده. وفي ظني أن هـذه الحالة لن تدوم طويـلاً. فأنـا ممن لا تهلكه الأزمات، ولا تتحكم به طويـلاً. فالعمر الذي مرّ منه الكثير كان على الدوام مثقلاً بالأزمات من كل نوع وحافلاً بالنضال في مواجهة تلك الأزمات.

أحاول في الكتابة، وفي نشاطي الثقافي وفي أعمال أخرى في ميادين متعددة، أن أتجاوز أزمة اللحظة التي أنا فيها، وأعمل على استيعاب الآثار السلبية لهذه الأزمة.

سأطل من شرفة هذا العمر المتقدم، الذي ما زال طافحاً بحيوية الشباب ودفء الشيخوخة وهدوئها، سأطل على عالم تمضي الأيام فيه، وأسدد نظري باتجاه عالم الغد. فأنا، برغم كل شـيء، مصرّ على الانتماء إلى عالم الغد هذا. لذلك فإن للأزمات لحظاتها القائمة والبائدة. ومـع ذلـك عليَّ أن أعتـرف بأنني أمرّ في هـذه المرحلة من حياتي في لحظـات يصعب عليَّ وصفهـا بدقـة. إنها أقرب إلى حالة القلق والاضطراب التي تشـعرني ولو لفترة زمنية قصيرة بأننـي غير سـعيد. أقول ذلك من دون أن أكون متأكداً مـن دقة وصفي لحالتي. أنا أعرف أن

كل الناس يمرون في لحظات تقودهم إلى مثل هذه الحالة التي أنا فيها. والأمر لا يتعلق هنا فقط بما أنا فيه من انتقال من واقع إلى واقع آخر، من موقع كنت فيه قيادياً في الحزب الشيوعي إلى موقع مختلف بالكامل، أمارس فيه حريتي والتزامي بأفكاري. بل يتعلّق الأمر ربما، إضافة إلى ذلك، بالوضع العام في الحزب وفي البلاد وفي وضعي المادي الصعب. هنا يكمن مصدر شعوري بالقلق. وهو القلق الذي أعطيته صفة اضطراب السعادة، حتى لا أقول فقدانها، السعادة بمعناها الواقعي والطبيعي التي يسعى كل إنسان إلى امتلاكها في حياته المادية وفي حياته النفسية وفي علاقاته العامة. إلا أنني، برغم ذلك، أملك قدراً عالياً من الثقة بنفسي وبالمستقبل. لذلك لن أستسلم لهذه الحالة التي تأتيني بين وقت وآخر وتستولي عليَّ للحظات قد تطول. أشعر بأنني أقوى من أن أكون أسير هذه الحالة، وأجهد لكي أظل على الدوام أقوى منها ومن مثيلاتها.

يقودني هذا الحديث عن السعادة، استطراداً، إلى القول بأن ثمة لحظات عابرة من السعادة تطل على جميع البشر حتى وهم في أقسى ظروف الحياة: النوم بعد النعاس، وتناول الطعام بعد الجوع، وتناول الشراب بعد العطش، ولقاء الأحباء بعد غياب. وثمة أمور أخرى تشعر الانسان بالسعادة للحظات، ما يذكر منها بالاسم وما لا يذكر. مثل هذه السعادة العابرة، التي يشترك في الاستمتاع بها جميع البشر من كل الفئات، تشكل أحد العناصر التي تعطي للحياة، حتى في أيأس وأبأس الحالات، المعنى الذي تستحقه. الحياة تستحق أن تعاش، وتستحق أن يناضل الناس، جميع الناس، من أجل أن تكون جميلة بكل المعاني.

**الخميس 11 شباط - فبراير**

الاحتفاء بذكرى نزار مروة بمناسبة صدور كتابه في النقد الموسيقي يبعث على التفاؤل. المهم هو أن بعض الناس لا يزالون يملكون قدراً من الوفاء. والمهم أيضاً، بل الأكثر أهمية، هو أن هذا التقدير لنزار يشير إلى أنه ناقد موسيقي عربي مميز، صاحب معرفة واسعة بالموسيقى. وهو إقرار بتقييمه أجمع عليه كبار الموسيقيين اللبنانيين، في مقدمتهم الرحابنة جميعهم. ولا أنسى توفيق الباشا ونجاة قصاب حسن ووليد غلمية ومارسيل خليفة وزياد الرحباني والقائمة كبيرة. الاهتمام بنزار صديق العمر أمر يدخل السعادة إلى قلبي.

## خطوات جادّة ومتواصلة
## لإنتاج فيلم عن الحرب الأهلية

**الجمعة 12 شباط - فبراير**

اليوم عقدنا جلسة نقاش حول الفيلم الذي أساهم في إعداده عن الحرب الأهلية. النقاش جرى بيني وبين أحمد بيضون وبرهان علوية. وهو الاجتماع الثاني مع أحمد بيضون. أفكار كثيرة برزت خلال النقاش. إلا أن المهم هو أننا اتفقنا على متابعة البحث في إنتاج الفيلم. لكن كيف، أي نوع من الأفلام، روائي أو وثائقي، أو خليط من الاثنين؟ إنه أمر لا بد من الاجتهاد في تحديده، رغم أنني من جهتي جازم في أن يكون الفيلم روائياً ووثائقياً. لذلك جرى اقتراح توسيع دائرة المشاركين في النقاش حول الفيلم.

أنا سعيد جداً في أنني أبدأ اليوم ممارسة حريتي في اختيار شكل إسهامي في خدمة أفكاري. سيكون لهذا الفيلم، عندما ننتهي من إعداده وإنتاجه، مكان في السينما البديلة، أو هكذا نسعى لأن يكون. وسوف أكون سعيداً لدوري المتواضع في إعداده.

**السبت 13 شباط - فبراير**

ما الذي أصاب العينين في هذا اليوم؟ حالة طارئة، ربما لأنني لم أنم الساعات الثماني التي هي من مقدسات عاداتي. أقول ربما ولننتظر إلى الغد.

الموضوع لا يحتمل المزاح. فعدتي للأيام والأعوام القادمة وأداتي في عملي هما عيناي. كلا، لا مجال لأي تهاون في هذا الموضوع. ومع ذلك فلن يثنيني عن برنامجي أي طارئ من أي نوع حتى ضعف النظر. فأنا قادر على الكتابة إملاءً. وأنا قادر على الاستيعاب من خلال الاستعانة بقارئ يقرأ لي.

التقيت اليوم نموذجين من الشيوعيين، مثقفاً يبحث عن حزب جديد من خارج السياق، ومثقفين يبحثون عن موقع لهم في هذا الحزب باسم التجديد، لكن بعصبية لا تخدم هدفاً. مستقبل الحزب الشيوعي مرهون بارتقاء الوعي لدى الشيوعيين من كل المواقع ومن كل الاتجاهات. ومن دون هذا الارتقاء بالوعي سيكون مستقبل الحزب عاصفاً وشديد التعقيد. مهمتي في الظروف الجديدة هي أن أسهم قدر إمكاناتي في خلق هذا الوعي من خارج الانتظام. أكثرية الناس هم خارج الانتظام في الأحزاب. أين هي المشكلة في ذلك؟ هل هي في الناس أو في الأحزاب؟! غالب الظن أن المشكلة هي في الأحزاب، بما في ذلك في حزبنا الشيوعي، وفي الأحزاب التي تنتمي، أو تدعي الانتماء إلى اليسار بتنويعاته وبتياراته المختلفة.

**الأحد 14 شباط - فبراير**

كان يوماً هادئاً، وكان مع ذلك يوم عمل. أنهيت كتابة الورقة الخاصة بخلفيات الفيلم عن الحرب الأهلية، للنقاش مع أحمد بيضون وبرهان علوية ومحمد العبد الله ومصطفى شباني. وأنهيت قراءة وتدقيق حديث للينين إلى هيئات التثقيف السياسي في روسيا الذي ترجمه صديقي ورفيقي الياس شاكر بطلب مني ليكون جزءاً من كتابي القادم "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف". حديث مهم للينين يستحق أن يقرأه جهلة الحزب الشيوعي، وكافة "الجهلة" من أهل اليسار، لا سيما الشباب منهم.

يبدو أنني بدأت أخلط الأمور ببعضها، من دون حساب للواقع. لكن من قال بأن الناس، بمن فيهم الأكثر ادعاء بامتلاك المعرفة والوعي الراقي، هم دائماً وفي كل الظروف قادرون على محاكمة الأحداث بالعقل وبالوعي الكاملين؟

**الاثنين 15 شباط - فبراير**

يقلقني هذا الوضع في الحزب الشيوعي. أشعر بأسى إزاء ما يبدو لي أزمة عميقة بدأت تواجه الحزب في حياته الداخلية وفي السياسة، سواء ما يتصل منها بالحاضر، أو بالمستقبل على وجه الخصوص. لا أتحدث هنا عن الفكر، فهو مغيّب في هذه الأيام. إننا أمام حالة هي أشبه ما تكون بأزمة عام 1966. لكن ما أخشاه، إذا ما انفجرت الأزمة، أن يكون أبطال التغيير في هذه الأزمة أقل قدرة على خوض معركتهم من أبطال معركة 1966 وعلى الانتصار فيها، وأقل قدرة على امتلاك الوعي الضروري للحؤول دون انقسام الحزب. فانقسام الحزب هو كارثة بكل المعاني، كما دلت على ذلك التجارب في الأحزاب الشيوعية والقومية، وفي كل الأحزاب.

التاريخ لا يتكرر. لكنه حين يتكرر يحمل معه مشاكل للحاضر وللمستقبل. لكل زمان خصوصياته وأحداثه وأبطاله. والمسرح الآن مختلف جداً، لا سيما في الأمور الأساسية. أما الأدوار المفترض القيام بها فهي اليوم أكثر وضوحاً من ذي قبل. لكن المشكلة هي أن الأبطال هم في الأزمة الراهنة أقل وضوحاً. عدم الوضوح هنا لا يتعلق بالموقف السياسي. فالموقف السياسي، كما يبدو لي، واضح بشكل عام عند هؤلاء الشباب. لكن ثمة بعض الغموض والارتباك يسيطران عليهم في الأداء وفي تقديم صورة واضحة عن مشروعهم تساعدهم في إقناع الشيوعيين وغير الشيوعيين به. قلت إنني قلق مما يُجرى، لكن لا بد من خوض المعركة الآن أفضل من خوضها غداً. وإذا كان لا بد من "مساومة" ما تؤمّن الشروط لمتابعة التجديد بالتدريج فلا يجوز التخلف عن القيام بها. يجب أن يعيش هذا الحزب، لكن في شكل مختلف، وإلا تلاشى. وتلك ستكون كارثة حقيقية. "المساومة"

هـي حاجة تفرضهـا محطات صعبة في النضال كسـباً للوقت وإعداداً دقيقـاً ومتأنياً لإنضاج الشـروط الملائمة للمراحل اللاحقة من النضال. و"المسـاومة"، بهذا المعنى، كانت سائدة في محطات مختلفة من نضال البلاشـفة بقيادة لينين. وقد كرّس لينين أحد مقالاته السياسية لموضوع المساومة باعتبارها في بعض الظروف شرطًا لا بد من أخذه في الاعتبار في مراحل معينة من الثورة، في ما يشبه استراحة المحارب لتهيئة الشروط التي تؤمّن النجاح في النضال في مرحلة لاحقة.

**الثلاثاء 16 شباط - فبراير**

يبـدو لي مثل الحلم أن الأزمة في الحزب التي تشـغلني قد بـدأت تدخل في طريقها إلى الحل، بعد أن بلغت ذروتها، وأنني لم أعد بحاجة لأن أشـغل نفسـي بتفاصيلها. لعل العقل يعـود تدريجيـاً إلى الذين اسـتعاضوا عنه بالغرائز. يحصل الأمران في تناقضهما في أحسـن العائـلات! وعائلتنـا، عائلـة الشـيوعيين، هي من أكثـر العائلات التي يحصـل فيها مثل هذا الأمـر. أرجـو أن يكون مـا أقوله عن حل الأزمة صحيحـاً. لكن يبدو أن ما أقوله وأشـعر به هو تمنياتي!

سـأظل أحلم بشـيء جديد مختلف عن التقاليد الشـيوعية القديمة. إنني مسكون بالحلم لمـا أريـده أن يتحقـق في الحـزب. وفي الحلم شـيء من الإدمـان. لكنني، فـي إدماني، لا أستعيض عن العقل بأي أمر آخر. غير أنني سأضيف إلى العقل شيئاً من الغريزة، غريزة حب الحياة. وهي أجمل غرائز البشر إذا هي ظهرت بشكل طبيعي مترافقة مع العقل.

البارحـة، قبل الذهاب إلـى النوم، كانت لي مع نجوى وهانية نقاشـات غنية حول الورقة التي أعددتها كأساس لإنتاج الفيلم عن الحرب الأهلية. كان النقاش جميلاً. وأجمل ما فيه تلـك الأفـكار التي حملتها إليَّ هانية عن عالم الشـباب وعن أحلامهـم في الغد الآتي. لكن بعض تلك الأفكار بدت لي أشبه بأفكار ومشاعر ومفاهيم شديدة البعد عن واقعنا المعاش. أمـر طبيعـي أن يختلـط الواقـع بالحلم. لكـن الحلم عند الشـباب مختلف عـن حلمنا نحن المتقدميـن فـي العمر. مـا أجمل جيل الغد. أملي ورجائي أن يتمكـن هذا الجيل من اجتياز وتجاوز غدرات الزمان وخيباته، وأن يكونوا قادرين على ابتداع الوسائل التي تقودهم بوعي وبواقعية إلى تحقيق أحلامهم في الغد الآتي.

**الأربعاء 17 شباط - فبراير**

دخلنـا في اللقاء الذي عُقد اليوم في مرحلـة متقدمة من إعداد الفيلم. المهم هو أن ينجز هـذا الفيلـم. لكن الأهـم منه هـو أن نعرف كيف ننجزه، ولماذا، وفـي أي اتجاه، ولأية غاية.

هذا ما أحببت أن أقوله في الورقة التي أعددتها كأساس للنقاش حول الفيلم.

قضية القائد الكردي التركي عبد الله أوجلان تهزّ الضمير الانساني والأخلاقي والسياسي. هل هي واحدة من علامات العصر الذي ننتقل إليه، عصر العولمة بمعناها السلبي لا بالمعنى الذي تعبّر عنه حركة التاريخ، العولمة التي تهيمن فيها، على قاعدة اللاقانون، أي على قاعدة القرصنة، سياسة القوى الكبرى التي تسعى لتفرض قوانينها ضد كل قوانين البشر الطبيعية؟

قضية أوجلان يمكن أن تحصل كل يوم وضد كل فرد وضد كل شعب وضد كل من يحمل قضية عادلة.

لقد تعرفت إلى أوجلان في فترة لم أعد أذكر تاريخها بالضبط عندما كان يقيم في لبنان. لم أكن أعرف يومذاك وزنه السياسي ودوره كقائد كردي. لكنه بدا لي على بساطته شديد الاقتناع بعدالة قضيته. المشكلة الآن هي أن السلطات السورية هي التي أخرجته من سوريا بطلب من القيادة التركية، وظل يتنقل من مكان إلى آخر إلى أن قُبض عليه وتحوّل إلى قضية.

**الخميس 18 شباط - فبراير**

كان يوماً من أيام البدايات المرتبكة في العمل، من موقع آخر، خارج الأطر القديمة، يوماً حاولت فيه أن أتابع عملي الفكري بانتظام أكثر وبجدية أكثر. هكذا عدت إلى العمل على الكتاب الذي يجب أن يصدر في أواسط هذا العام "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف". وعلى قاعدة هذا الكتاب، وبالانطلاق من بعض أفكاره، سأعمل على إصدار كتاب باللغتين الفرنسية والانكليزية، ألخِّص فيه أفكاري الأساسية حول نظرتي إلى اشتراكية متحررة من الدوغما. هل ذلك ممكن؟

لا خيار سوى العمل. والطريق مفتوح أمامي للعمل. سأحاول أن أسلكه بقوة وبحزم.

## المرجع الشيعي محسن الأمين
## قامة كبيرة في الاستنارة الدينية

**الجمعة 19 شباط - فبراير**

تابعت لقاءاتي مع المثقفين حول الفيلم. الأمور تسير حتى الآن في الاتجاه الصحيح.

حضرت مساء محاضرة لصديقي المؤرخ حسن الأمين حول كتاب والده المرجع الشيعي الكبير السيد محسن الأمين بعنوان "خطط جبل عامل"، الذي يتضمّن بعض الأخبار عن عروبة هذه المنطقة، نسبة إلى العرب الذين هاجروا إليها منذ القرن الرابع قبل الميلاد من اليمن بعد انهيار سد مأرب.

ثمة طرائف تثير الدهشة في الأخبار التاريخية التي وردت في كتاب السيد الأمين. وهي أخبار أضفى عليها السيد حسن في المحاضرة مزيداً من المتعة. جبل عامل نقطة مضيئة في تاريخ لبنان القديم والحديث، والسيد محسن الأمين صاحب الكتاب المشار إليه هو واحد من كبار المرجعيات الشيعية المستنيرة. دلت على استنارته المبكرة مواقفه التي التقى فيها مع المرجع الديني الايراني الميرزا النائيني صاحب "المشروطة" في "الثورة الدستورية" في مطالع هذا القرن. وكان من بين تلك المواقف للسيد الأمين القرار الجريء بإنشاء "المدرسة المحسنية" في دمشق في مطالع العشرينات التي كانت الأولى بين مدارس تلك الحقبة التي جمعت في صفوفها الابتدائية فتياناً وفتيات. كما دلت على استنارته مواقفه المعارضة للطريقة التي كان ولا يزال يحتفل فيها الشيعة بعاشوراء. فقد أعلن في رسالة "التنزيه" اعتراضه الصريح والقاطع على أشكال العنف التي ترافق هذه الاحتفالات. تضاف إلى ذلك مواقفه التي دعا فيها إلى جعل جامعة النجف الفقهية جامعة حديثة تدرّس فيها، إلى جانب الفقه، المواد العلمية المختلفة، لكي يتخرج منها الفقيه ملماً بشؤون الحياة، بدل أن يخرج منها ناقص المعرفة بهذه الشؤون، التي تعتبر الأساس الأول في المعرفة الانسانية. لكن من أهم مواقف السيد الأمين التاريخية موقفه المعارض لسلطات الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، ومشاركته في الدعوة إلى الاضراب الخمسيني الذي نُظِّم في دمشق في أوساط الثلاثينات ضد الانتداب الفرنسي. ويذكر المؤرخون، ومن ضمنهم ابنه السيد حسن، أن أركان سلطة الاستقلال برئاسة شكري القوتلي قد قامت فور الحصول على الاستقلال بزيارة إلى السيد الأمين لتهنئته بالاستقلال والاعتراف بدوره في المعركة الوطنية من أجلِ الاستقلال.

يذكرني حسن الأمين بلقاء جرى في منزلي في منتصف الثمانينات. لم أعد أذكر التاريخ بالتحديد. حضر اللقاء أربعة رموز من المثقفين الكبار من أبناء جبل عامل، هم، إلى جانب حسن الأمين، حسين مروة الذي لا يحتاج إلى التعريف، والأديب والمؤرخ زميل حسين مروة في الدراسة في النجف الشيخ علي الزين والشاعر موسى الزين شرارة. غاب الشاعر عبد الحسين عبد الله بسبب المرض. كانت السهرة ممتعة حافلة بروايات وأحاديث وقصص من تاريخ قديم جميل تبارى الحضور في استحضار ذكرياتهم فيها ما تقاطع منها بينهم وما اتصل بآخرين. وكان الشعر، إلى جانب تلك الروايات والأحاديث، الحاضر الأكبر. قرأ كل منهم بعضاً من قصائده بما في ذلك ما يتصل منها بالأحداث الغنية بدلالاتها. وكان معنا في السهرة صديقاي ورفيقاي جورج البطل وفؤاد كحيل. وقد ندمت كثيراً لأنني لم أسجل ذلك اللقاء على شريط كاسيت.

السبت 20 شباط - فبراير

مـا أغرب ما أصاب مهنـة الصحافة. وما أغرب الطريقة التـي يتعامل بها بعض المنتمين إلـى سـلكها. يأتونك بأسئلة ما أنزل الله بها من سـلطان. كثير منها غيـر دقيق، وتختلط فيه الأمـور. وعليـك أنت أن تقرأ الأسـئلة وتفك رموزها، وتعيد ترتيبهـا، لكي تتمكن من كتابة الأجوبة عنها. مهنة المتاعب سمّوها. وكتب عنها خالي أديب مروة كتاباً بكامله تحت هذا العنوان بالذات. لم تعد هذه المهنة متعبة بالنسبة للكثيرين من جيل الصحافيين الجدد. هي سـهلة إلـى الحـدود التي لم تعد معهـا مهنة ممتعة ومتعبـة. فالتعب هو الآليـة الموصلة إلى المتعة في كل عمل إبداعي أياً كان نوعه. كتبت الأجوبة عن الأسئلة المرتبكة بعد أن أعدت صوغها. اقتضى مني هذا العمل أربع ساعات متواصلة. هل يعقل هذا؟

في المساء قضيت سهرة سمر مع بعض أصدقائي في منزل الرفيق الصديق الياس شاكر، بحضـور الصديقين الفنان عدنان شـرارة وزوجتـه، وصديقي الفنان جليـل بيضون وصديق العمر محمد دكروب. وكانت معي نجوى، أو كنت معها. كانت السهرة ممتعة مليئة بالمرح.

## صلة وصل خفية بين سلطة الوصاية السورية وبين الموضوعة البائسة "لبنان كيان مصطنع"!

الأحد 21 شباط - فبراير

سألني أحد الأصدقاء عن شعوري بعد مضي ثلاثة أسابيع على خروجي من موقع القيادة في الحزب الشـيوعي الذي اسـتمر خمسة وثلاثين عاماً، فقلت له بأنها هي البداية وأنا سعيد بذلـك. لكننـي ما زلـت أفكر في نـوع العلاقة التي سـأقيمها مع الحزب في المسـتقبل. أما مواقـف الآخريـن مني بعد خروجـي من موقع القيادة ومـن أفكاري الخاصة بـي فهو أمر لا يهمني كثيراً، وإن كان سيقدم لي دروساً وعبراً.

أشـعر بالحرية لأنني سـأكون قادراً على أن أحدد شكل ونوع حضوري حيث ينبغي عليَّ أو حيـث يحلـو لـي أن أكون، وحيث أسـتطيع أن أقوم بعمل ممتع بالنسـبة إلـيّ، ومفيد قدر الامـكان للقضيــة العامـة. حريتي هذه لا تتعـارض مع التزامي. فأنا سـأظل أميناً لالتزامي الفكري على طريقتي وعلى مسؤوليتي. وأزعم أن حريتي هذه ستكون من النوع الذي يجدد الحياة، ويغني قدرة الانسان على إبداع جديد ما. هنا التحدي.

تابعـت لقاءاتـي مع بعض المثقفيـن من أجل إنتـاج الفيلم عن الحرب الأهليـة. المهمة صعبة أكثر مما كنت أتصور. لكنها تستحق أن نتابع العمل لإنجازها.

الأخلاق والسياسة. والثقافة والسياسة. علاقات لا غنى عنها، وإلا فقدت الأشياء معانيها.

أشعر بالقلق من هذا الذي يحصل أمامنا في البلاد. لماذا تتعثر مسيرة الاصلاح، ومن المسؤول؟

لقد أصبحت السياسة في بلادنا في ممارسة معظم السياسيين لها ترفاً عند البعض، وانتهازية ونفاقاً عند بعض آخر، وشعبوية عند بعض ثالث، وهلمجرًّا. لا بد من الانتظار قليلاً. لكن لا بد من النضال كثيراً لكي يكتمل الوعي عند من هم أصحاب مصلحة في التغيير لصالح الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية. ذلك أن أخطر ما في حركة التاريخ هو سيادة العفوية فيها.

لقد خرجنا من الحرب الأهلية اللعينة بعد أن دمّرنا البشر والحجر، ودمّرنا معهما الوعي. لكن هذه الحرب اللعينة لا تزال تقيم فينا. وتعمل سلطة الوصاية السورية جاهدة في تعميق الانقسامات القديمة لكي تثبت أمام العالم أن اللبنانيين غير مؤهلين لحكم أنفسهم، وأنهم بحاجة إلى وصيّ عليهم، وهذا الوصي هو بالتحديد الشقيق السوري الذي يحلم حكامه على مرّ الزمان في أن يجعلوا لبنان جزءاً ملحقاً بهم في السياسة وفي المصالح وفي مختلف شؤون الحياة.

أتذكّر في مسألة الموقف الرسمي السوري من لبنان الوطن والدولة ما قاله لي كبيران من أهل السياسة ومن أصحاب المعرفة بتاريخ لبنان الحديث، الوزير السابق فؤاد بطرس، والاعلامي والوزير السابق غسان تويني. قال لي كل منهما على طريقته وفق المعلومات المتوفرة لديه بأن الوفد السوري إلى الاجتماع الأول الذي عقد في شهر أيار- مايو من عام 1944 في الاسكندرية لتأسيس الجامعة العربية اعترض على توقيع الوفد اللبناني على بروتوكول تأسيس الجامعة. وتبرير اعتراض الوفد السوري يقوم على الادعاء بأن لبنان، الذي كان قد نال استقلاله قبل سوريا ببضعة أشهر، لا يشكل برأي أعضاء الوفد كياناً وطنياً مكتملة عناصره. كان الحضور من الوزراء العرب يمثلون كلاً من مصر واليمن والسعودية والعراق وسوريا ولبنان. وإذ رفض جميع الحضور اعتراض الوفد السوري فقد اكتفى الوفد بتسجيل تحفّظه. وفي الواقع فقد استمر ذلك الموقف من لبنان في صيغ مختلفة من قبل السلطات السورية في مختلف العهود. وترافق ذلك الموقف السوري الرسمي مع مواقف تعسفية باسم القومية العربية من قبل بعض اللبنانيين الذين كانوا يعلنون بصيغ مختلفة أن لبنان هو "كيان مصطنع" وأن موقعه الحقيقي هو أن يكون جزءاً من دولة الوحدة العربية عندما تتوافر شروط تأسيسها، وأن يكون، بانتظار ذلك التاريخ، مرتبطاً بسوريا ومتكاملاً معها في الشؤون السياسية والاقتصادية وفي سوى ذلك من شؤون.

مضى ستة وخمسون عاماً على استقلال لبنان. ولا يزال موقف السلطات السورية من الوطن اللبناني هو ذاته، لا سيما في هذه الأيام تحت سلطة الوصاية السورية. لقد حان الوقت لتصحيح ذلك المسار. سلطة الوصاية السورية على لبنان في صيغتها الراهنة لا تقود إلا إلى دمار العلاقة بين البلدين. والموقف البديل والصحيح والسويّ والموضوعي في الآن ذاته من ذلك الموقف التعسفي هو التأسيس لعلاقة أخوّة بين البلدين تُحتَرَم فيها خصوصيات كل بلد من طَرَف البلد الآخر، علاقة تشمل جميع جوانب الحياة في تكامل ضروري يؤدي إلى تحقيق ما تطمح إليه شعوبنا العربية من حرية وتقدم ووحدة قومية قائمة على الديقراطية والتعددية.

تذكّر الماضي، والنظر إلى الحاضر، هما اللذان يثيران عندي القلق على مستقبل بلدنا لبنان. غير أن القلق لا ينتج تغييراً. لا بد من العمل مع الشباب لتأسيس حركة جديدة للتغيير تضع على عاتقها إعادة صوغ المشروع الوطني اللبناني ووضع خطة واقعية وعقلانية طويلة المدى لتحقيق هذا المشروع.

## زرت أم نزار في أيامها الأخيرة فتذكرت "ظروف" استشهاد أبي نزار

**الاثنين 22 شباط - فبراير**

زرت البارحة أمّ نزار مروة وهي في سريرها الذي بات يعدّها للانتقال إلى نهاية رحلة العمر. سألتها هل تعرفينني؟ فقالت بوضوح وبلهجة صارمة: "كريم". ثم تابعت: "وينو أبو نزار؟". لم أستطع أن أقول لها شيئاً. لكن ابنتها فريدة أجابتها: "إنه في رحلة طويلة".

تثير هذه الزيارة عندي ذكريات عزيزة، مصحوبة بمرارة. لقد تذكرت، على الفور، اللحظة التي فيها اغتيل أبو نزار بكاتم الصوت أمام ناظريّ أمّ نزار في شهر شباط من عام 1987. تذكرت الحكاية كلها وبالتفاصيل. من قام بالاغتيال ولماذا في تلك الفترة بالذات. وتذكرت المعركة التي أجبر حزبنا على خوضها ضد من كانوا يسيطرون على العاصمة ويستبيحون كل شي فيها، وحاولوا اقتحام مراكز حزبنا بقوة السلاح، بما في ذلك مكاتب جريدة الحزب "النداء". وتذكرت دوري في قيادة تلك المعركة، الدور الذي فرضته عليّ الظروف يومذاك خارج إرادتي وخارج أية تجربة لي في العمل العسكري. فُرضت علينا تلك المعركة يومها، الحزب الشيوعي والحزب التقدمي الاشتراكي، ووضعنا أمامنا فيها مهمتين: تحرير بيروت من القوى التي كانت تسيطر عليها وتتحكّم بأهلها، وقطع الطريق على كل من السلفي سعيد شعبان والمنظمات الفلسطينية، ومنعهم من الاستيلاء على العاصمة أسوة بما كان قد حصل لعاصمة

الشمال طرابلس في عام 1983. انتصرنا في المعركة وسلّمنا العاصمة للقوات السورية، لأن ذلك كان الحل الوحيد الصعب في تلك الحقبة المأساوية من تاريخ بلدنا المعذّب لبنان، رغم أننا كنا نعرف سلفاً مخاطر ذلك الأمر، والنتائج لم تتأخر لتبرز في ما بعد في صيغة الوصاية السورية بعد انتهاء الحرب الأهلية. كان الوضع صعباً عليّ في تلك المعركة وفي نتائجها لعدة أسباب. يعود السبب الأول لكوننا اضطررنا للدخول في صراع مسلح مع فريق لبناني، لم نكن نرغب في مقاتلته رغم اختلافنا معه. ويعود السبب الثاني للصدمة التي لم تكن في الحسبان والتي تمثّلت باستشهاد حسين مروة بكاتم الصوت على يد ظلاميي ذلك الزمن، ثم باستشهاد مهدي عامل بالطريقة ذاتها. فكرت كثيراً في ما نحن ذاهبون باتجاهه في ظل الوصاية السورية، خارج إرادتنا وضد طموحنا. وحزنت، وتساءلت بيني وبين نفسي متى سنكون قادرين على الخروج مما وضعتنا فيه مأساة الحرب الأهلية إلى الحرية. وفي تساؤلي هذا بالذات تكمن المعضلة التي تواجهنا في هذه الحقبة من تاريخ بلدنا لبنان.

## تجربتي الجميلة والمحزنة في رحاب مجلة "الطريق"

**الثلاثاء 23 شباط - فبراير**

لم أتعلم من تجاربي المريرة في بعض المهمات التي كلفت نفسي بها في خدمة الحزب. والأمثلة عديدة: فقد تطوعت في العام الماضي لتصوير أرشيف الحزب وتأمين الشروط التي تحفظه من التلف وتنظيمه وتبويبه لكي يكون صالحاً للإفادة منه عند الضرورة. ولبّيت لهذا الغرض دعوة جاءتني بواسطة صديق من جامعة في هولندا تعنى بجمع وحفظ أرشيف الحركة العمالية العالمية ابتداءً من القرن التاسع عشر حتى أيامنا هذه. هدف الدعوة كان البحث معي في إمكانية وكيفية حفظ أرشيف حزبنا الشيوعي، أسوة بأرشيف أحزاب شيوعية وعمالية أخرى، في مقر الجامعة المشار إليها. جمعت قبل السفر إلى هولندا عناوين أرشيف الحزب بأقسامه المختلفة وترجمتها إلى الانكليزية وحملتها معي. فوجئ المدير العام للجامعة بمحتوى أرشيفنا، وفوجئت أنا بما شاهدته في مبنى الجامعة المؤلف من اثني عشر طابقاً من تنظيم رائع لمحتويات هذا الأرشيف العالمي للحركة العمالية. اقترح عليَّ مدير الجامعة بأن تقوم المؤسسة بتصوير أرشيفنا بأحدث الوسائل التقنية وتسليمنا النسخة المصوَّرة ورقياً وعلى أسطوانة مضغوطة، واستلام الأرشيف في صيغته الأصلية مقابل مبلغ كبير من المال ترك لنا تحديد رقمه. فرحت بالاقتراح، وحملته إلى قيادة الحزب. فلم أجد أي اهتمام بالموضوع. وبدا لي كما لو أنني استعجلت في الاضطلاع بمهمة لم تعترف قيادة

الحزب بأهميتها. الأمر الذي جعلني أشعر كما لو أنني ارتكبت خطأ فادحاً! فاعتذرت بالهاتف من الذين دعوني ولم أعد أعرف شيئاً عن الأرشيف. أكتفي هنا بإعلان حزني، ليس على الأرشيف وحسب، بل على مستقبل حزبي الذي لا تهتم قيادته بحفظ تاريخه.

تجربتي في الأرشيف جاءت بعد تجربتي في تأسيس الشركة العربية للاعلام والنشر التي ما زلت أعاني فيها. لكن أمر مجلة "الطريق" في إصدارها الجديد مختلف عن الأرشيف وعن الشركة المشار إليها. ومعروف للجميع أنني أنا الذي اخترت إعادة إصدارها في عام 1993 بعد أن كانت قد توقفت عن الصدور في عامها الخمسين. ولن أدخل هنا في أي حديث عن الظروف التي أدت إلى توقفها عن الصدور. واقترحت على قيادة الحزب تكليفي رسمياً بإعادة إصدارها. واستجابت القيادة لطلبي. وأجدني اليوم مدفوعاً للتذكير ببعض الوقائع التاريخية المتعلّقة بهذا الاصدار الجديد للمجلة حتى لا أظلم نفسي على الأقل. وللتاريخ أذكر بأن "الطريق" عندما توقفت عن الصدور في عام 1991، تطوّع محمد دكروب لإصدار عدد خاص يذكّر بتاريخها. وكان لي في ذلك العدد مقال أشرت فيه إلى الظروف التي قادت إلى إصدارها في عام 1941 بقرار من قيادة الحزب الشيوعي في شخص نقولا شاوي الذي كلّف المهندس أنطون ثابت عضو اللجنة المركزية للحزب بإصدارها. وكان للمستعرب الفرنسي مكسيم رودنسون في ذلك التاريخ دور في التسريع بالحصول على موافقة سلطات الانتداب على إصدارها. إذ كان رودنسون في ذلك التاريخ يخدم في صفوف الجيش الفرنسي، وكان ينتمي إلى الحزب الشيوعي الفرنسي.

توقُّف "الطريق" عن الصدور في ذلك التاريخ أثار موجة من الاحتجاج في أوساط المثقفين اللبنانيين والعرب. وجرت إتصالات بي من عدد منهم طالبين مني العمل، من موقعي في قيادة الحزب، لإعادة إصدارها. وكتب الأديب الفلسطيني فيصل دراج مقالاً في مجلة "النداء" يلح على ضرورة إعادة إصدارها. وتلبية لنداء المثقفين العرب وضعت مذكرة طرحت فيها بعض أفكاري حول الدور الذي يمكن للمجلة أن تقوم به في حال تمكنّا من إعادة إصدارها، أرسلتها إلى عدد من المثقفين العرب. وقد أثارت المذكرة نقاشات واسعة بين المثقفين ما زلت أحتفظ بها في أرشيفي، الأمر الذي شجّعني على اقتحام مغامرة إعادة إصدارها. فتقدمت إلى قيادة الحزب بطلب السماح لي بذلك. وصدر قرار من المكتب السياسي بتكليفي بالمهمة وفق شروطي. وكان محمد دكروب في ذلك الحين يكتب في الصحف بمكافآت هزيلة لا تكفي الحد الأدنى من شروط الحياة الكريمة. اقترحت عليه أن يشاركني في المغامرة فوافق. وعرضت عليه مبلغاً يساوي ضعف ما كان يتلقاه من مكافآت، كبداية في العمل، رغم أنني لم أكن قد أمّنت المال الضروري لإصدار

المجلة. وطلبت منه الانتظار. واستدنت من الصديق والرفيق أسامة العارف مبلغ خمسة آلاف دولار للبدء بإصدار ثلاثة أعداد في عام 1993. فاستجاب أسامة من دون تردد كعادته في مثل هذه الحالات. فهو، إلى جانب كونه محامياً ممارساً، مثقف واسع الثقافة وكاتب مسرحي وشيوعي مهموم مثلي بمجلة "الطريق". ما أطيبك يا أسامة وما أرقى الصداقة التي تربط بيننا منذ سنوات عديدة. تابعت على الفور بعد صدور المجلة، في الشروط الجديدة المشار إليها، سلسلة اتصالات مع بعض الأصدقاء لتأمين اشتراكات تشجيعية بمبالغ كبيرة. ولم يمض وقت قصير حتى بدأت تتكون المبالغ الضرورية لإصدارها. وبدأ المثقفون العرب بإرسال مساهماتهم فيها من دون مكافآت مالية. وكان ذلك مصدر سعادة بالنسبة لي ولدكروب.

كانت البداية رائعة. إذ تحولت المجلة في صيغتها الجديدة إلى منبر للنقاش بين التيارات الفكرية والثقافية والسياسية المختلفة، وفي داخل كل منها. كانت السنوات الخمس الأولى غنية مفرحة ثقافياً ومالياً. ووصلت مبيعاتها إلى ما يقرب من خمسة آلاف عنسخة. لكنها بدأت بعد ذلك في المراوحة. كان دكروب رئيساً للتحرير. وكنت أنا المسؤول عن إصدار المجلة. لكن الادارة لم تكن في مستوى المهمة الصعبة. أما منظمات الحزب فقد نأت بنفسها عن الاهتمام بتوزيع المجلة باستثناء بعض المسؤولين في بعض المنظمات. وكان عليَّ في تلك الظروف الصعبة المشار إليها أن أهتم بالاتصال بمؤسسات عربية للتوزيع في مصر وسوريا والمغرب والأردن والعراق واليمن، استناداً إلى صداقاتي القديمة والجديدة، مستفيداً من سفراتي المتعددة إلى تلك البلدان. وتابعت في الآن ذاته اتصالاتي بالكتّاب في هذه البلدان وفي سواها، بما في ذلك في أوروبا حيث يقيم ويعمل العديد منهم. وأقمت شبكة واسعة من الاتصالات مع الذين كانوا يقدمون الدعم المالي للمجلة من خلالي شخصياً، بإصرار منهم، ولا أريد هنا أن أشير إلى الأسباب الخاصة التي أسرّوا بها إليَّ كل منهم على طريقته في حصر مساهماتهم المالية باسمي الشخصي.

تولى دكروب مسؤولية رئاسة التحرير بكفاءة. لكنه كان لا يحب سماع الاقتراحات التي كانت تأتي من المثقفين ومن المتبرعين بالمال. وبدأت تتراجع المجلة. وبدأت أقلق على مستقبلها. وأنا الآن في ذروة هذا القلق.

والشيء بالشيء يذكر. أتذكر في سياق هذا الحديث عن مجلة "الطريق"، أن علاقتي القديمة بهذه المجلة تعود إلى عام 1948 عندما كنت أتابع دراستي في العراق. لكن علاقتي الحقيقية بالمجلة بدأت في مطالع الخمسينات. وأذكر باعتزاز عدداً من رفاقي وأصدقائي الذين تسلموا إدارة تحريرها منذ ذلك التاريخ وصولاً إلى لحظة توقفها عن الصدور في عام

1991. أذكـر بدايـة الأديب الأرمني الحلبي الرائع بيار شـدرفيان الذي مات تحت التعذيب في عام 1959 في سـجون الجمهورية العربية المتحدة. وأذكر الشـاعر ميشال سليمان الذي اختلف مع الحزب في أواسـط السـتينات وخرج من إدارة تحريرها. وأذكر محمد دكروب الـذي تعددت مراحل تسـلمه إدارة تحرير المجلة. وأذكر الياس شـاكر في رئاسـة تحريرها على امتداد السـبعينات. لكنني أحب أن أتذكر على وجه الخصوص في مرحلة الثمانينات، فـي أعقاب عودتي من مهمتي الباريسـية، علاقتي مع طوني فرنسـيس الـذي حاولت معه أن نُدْخِل في هيئة تحرير المجلة مثقفين غير شيوعيين، اخترنا منهم الياس خوري وروجيه نبعة ليشـاركا عدداً من مثقفي الحزب في هيئـة التحرير. وكانت تلك لحظة جميلة لم تدم طويلاً مـع الأسـف لأن حزبنـا كان فـي الحرب الأهلية قـد بدأ يفقد مـا كان من سـماته في أعقاب المؤتمرين الثاني والثالث. لم يلق وجود هذين المثقفين المختلفين ترحيباً لدى الشيوعيين فـي القيـادة وفي القاعدة على حد سـواء. فخرجا مـن تلقاء ذاتهما من هيئـة تحرير المجلة. لكنني مع طوني قررنا أن نعطي للمجلة دوراً في مواكبة نشـاط جبهـة المقاومة الوطنية ضد الاحتـلال الاسـرائيلي، تمثـل في جزء منه بالكتابـة عن المقاومة، وتمثل في جزء آخر بنشـر أخبـار عمليـات أبطالهـا. وأذكر مـن الرفاق الذيـن تسـلموا إدارة تحرير المجلة فـي ما بعد كلاً من سـناء أبو شـقرا ونزار مروّة وأديب نعمه الذين تعاقبوا علـى تلك المهمة في الأعوام الأخيـرة التي سـبقت توقـف المجلة عن الصدور. وكيف لي أن أنسـى في السـياق ذاته من هذه التداعيات التاريخية الشـاعر والفنان التشـكيلي رضوان الشـهال، الذي كان إلى جانب اهتمامـه بمجلـة "الطريـق" يقيم ندوة أدبية أسـبوعية فـي منزله في بيروت الكائـن في منطقة الطريـق الجديـدة بمشـاركة عدد مـن أدباء تلـك الحقبة. وهـي واحدة من أجمـل الندوات وأكثرها غنى بالنقاشـات وبقراءة الشـعر وبالاستماع إلى الغناء لا سيما صوت أم كلثوم التي كانت معبودة رضوان. وكيف لي أن أنسى صديقي الروائي محمد عيتاني أحد كتاب مجلتَيّ "الطريق" و"الثقافة الوطنية" وصاحب "الابتسامة" التي كان يطل من خلالها على قراء جريدة "النداء" على امتداد عقدين من الزمن في السبعينات والثمانينات. وإذ أتذكر هذين الأديبين مع تلك الكوكبة من الرفاق الذين تسلموا إدارة تحرير مجلة "الطريق"، فإنني أتذكر في الآن ذاته أسـماء عـدد كبير ممن كانـوا أعضاء في هيئة تحريرهـا وكانوا من رمـوز الثقافة الوطنية الديمقراطيـة في لبنـان. وكانت تربطني بهم جميعهم علاقة صداقة فكرية وإنسـانية أعتز بها وبما قدمته لي من غنى في ثقافتي في الميادين المختلفة.

لقائـي مـع صديقي الروائي حنا مينه اليوم كان كلقاءاتي الدائمـة معه مفيداً وممتعاً. فحنّا هـو أكثـر مـن روائي، وأكثر من شـيوعي. هـو مزيج من مشـاعر وأفكار وأمزجـة مثقف حر

وملتزم في آن. نصف اللقاء مع حنّا كان فَكِهاً وممتعاً، ونصفه الثاني كان كثير الجدية تناولنا فيه قضايا سياسية وفكرية ذات صلة بالواقع في بلدينا وفي حزبينا. حنا الروائي الكبير هو صديق حميم. وأنا من قراء رواياته منذ مطالع الخمسينات. ألتقي مع حنا كلما زرت دمشق، في منزله أحياناً وفي مكتبه في وزارة الثقافة أحياناً أخرى. ويقوم حنا في وزارة الثقافة بدور المستشار لصديقتنا المشتركة الوزيرة نجاح العطار. في تلك الجلسات نبحث في أمور تتجاوز المواضيع الثقافية لتشمل الأوضاع في بلداننا. نتفق ونختلف. وفي بعض الأحيان يهمس لي ببعض المعلومات التي تأتيه من هنا وهناك بحكم موقعه، تشير إلى بعض القلق الذي يساوره حول مستقبل سوريا. إلا أن أطرف الأحاديث التي يحرص على الدخول في تفاصيلها معي تدور حول علاقاته النسائية. فهو يريد أن يقول لي بأنه رغم تقدمه في العمر لايزال قادراً على جذب الكثير من المعجبات.

لماذا هذا الاصرار عليَّ من قبل عدد من الرفاق لكي أبقى في المسؤولية في الحزب؟ غريب هذا الأمر. ولو أنني بقيت ماذا كان سيقول لي المستغربون المستهجنون لقراري بالخروج من المسؤولية؟ بعضهم كان سيقرّ ويؤيد، وبعضهم كان سينتقد قائلاً: ألا يشبع هؤلاء من السلطة؟ لذلك قررت أن أحقق حريتي برغم كثرة المطالبين من رفاقي بالعودة إلى مواقع قيادية في الحزب. فمن موقعي هذا خارج الأطر التنظيمية وخارج المسؤولية سأكون أكثر قدرة على المساهمة في ما أعتبره ضرورياً لإخراج الحزب من أزمته وإدخاله في عملية التجديد المنشودة في الفكر والسياسة والتنظيم. هذا إذا كانت الشروط متوافرة لهذا النوع من الطموح!

## واقعة "تحرير أرنون" على يد الشباب
## أسئلة جديدة عن المقاومة وعن الاحتلال

**الأربعاء 24 شباط - فبراير**

ماذا تريد منا وماذا تريد لنا إسرائيل؟

واقعة تحرير أرنون، البلدة الواقعة تحت الاحتلال في محيط قلعة الشقيف التاريخية، تشير إلى بعض الإرتباك في الموقف الإسرائيلي من احتلال هذا الجزء من جنوب لبنان. أقول ذلك لأن القوات الاسرائيلية لم تقاوم عملية اقتحام الشباب للأسلاك الشائكة. فقد اجتاز الشباب بشجاعة تلك الاسلاك الشائكة وحرّروا البلدة من دون مقاومة ومن دون شهداء. هل تكون هذه الواقعة جزءاً من خطة يجري الاعداد لها لإخراج القوات الاسرائيلية من لبنان من دون تضحيات؟! ستكون مفارقة تاريخية كبيرة، إذا صحت توقعاتي، أن يشكل

لبنان، في واقعه السياسـي الراهن، مصدر تغيير إجباري في سياسـة إسـرائيل تجاه المنطقة. وهي مفارقة تشير إلى مكامن الضعف الحقيقية في سياسة إسرائيل، لا سيما تلك التي يتبناها اليمين المتطرف، واليمين الديني على وجه الخصوص. وفي ظني لا مستقبل لليمين الديني في إسـرائيل، برغم كل ما نشـهده من مظاهر تشير إلى قوته. يبدو أن لبنان، برغم كل عناصر ضعفه وتفككه، هو الأكثر ثباتاً من سـواه من الدول العربية في مواجهة الغطرسـة الاسرائيلية وعنصرية حكامها من كل الاتجاهات والمكونات السياسية.

هنـا تبـرز أهمية أن يصبح العامل الوطنـي اللبناني بمكوّناته المتعددة، خلافاً لانقسـاماته الراهنة السياسـية والطائفية المتبقية من زمن الحرب الأهلية، الأساس الحقيقي لبناء الوطن. فهـذا هـو المبدأ والمنطلـق في بناء الأوطـان. لكن الشـرط الضروري لتحقيـق ذلك هو أن تتمتع مكوّنات هذا العامل الوطني بالوعي وبالارادة وبالثبات في الطريق لبناء مستقبل جديد مختلف لهذا اللبنان المعذب من داخله ومن خارجه، من أهله وأشقائه، ومن أعدائه القدامى والجدد من كل الجهات والاتجاهات.

واقعة تحرير أرنون التي اجترحها الشباب هي حدث تاريخي من نوع مختلف غير مسبوق في النضال الوطني التحرري باسـم المقاومة. هل سـتتاح لهذه الواقعة أن تتكرر وأن تصبح شكلاً من أشكال المقاومة قليل الكلفة عظيم النتائج؟!

**الخميس 25 شباط - فبراير**

عيد ميلاد هانية اليوم، وعيد ميلاد غسان بعد ثمانية أيام. هذان العيدان ليسا ككل الأعياد. لهما عندي نكهة خاصة لا مثيل لها. ما أجمل أن يرى الأهل أولادهم يكبرون، وهم لايزالون يشـعرون بطعم الشـباب من دون مكابرة. يتملكني شـعور جميل بأن هانية وغسـان، ومعهما نجوى وأنا، أصدقاء ورفاق حياة لا أولاد وأم وأب وزوجة وزوج، وحسـب. شـعور جميل مفرح هذا الذي يستولي على كياني في هذه اللحظات.

متعـة أن يكبـر الأولاد متعة لا مثيل لها بين متع الحياة الأخرى. أشـعر بسـعادة تغمرني. سـعادة لا توصف. صرختُ، قبّلت، أكلت، شـربت، تحدثت، صمتّ، ثم عدت إلى غرفتي لأكتـب هـذه الكلمـات. ما أجمل أن يكون الانسـان أبـاً أو أماً. وما أجمـل أن يكون الأبناء أولاداً حتى وهم يكبرون. ما أجمل أن يكون الاختلاف في الأسرة قائماً على وحدتها. عن أية وحدة أتحدث؟ لا يهم. لكنني سـعيد بأنني أب لهذين الولدين، هانية وغسـان، وسـعيد في أن نجوى هي شريكتي ورفيقتي الرائعة في عائلتنا الجميلة.

## مات الانسان الرائع فؤاد زحيل
## رفيقي السابق في مهمات صعبة

**الجمعة 26 شباط-فبراير**

مات فؤاد زحيل فأجهشت في البكاء. ما الذي حصل لي. لماذا هذا الاجهاش في البكاء على غير عادتي؟ أنا حزين جداً. مات الانسان الرائع، المثقف الواسع المعرفة، المناضل بتواضع، النموذج المميز في العطاء والتضحية. حزني عظيم لغيابه. فؤاد ابن العائلة الثرية ترك عائلته واختار المكان الذي يتفق مع أفكاره ويعطيه حريته. سبقه إلى ذلك الفعل إنسان رائع مثله هو جورج البطل. غامر كلاهما بإيمان كبير في الانخراط بكل طاقاتهما وقدراتهما وكفاءاتهما، وهي كثيرة، في الحزب الشيوعي من دون حساب لأي أمر من الأمور التي كانا يعرفان أنها ستقودهما إلى صعوبات كبيرة. ولفؤاد زحيل وجورج البطل نماذج تشبههما في خياراتهما في لبنان وفي أكثر من بلد عربي. كان فؤاد شريكي في مهمات عديدة في الثقافة، وفي العمل الذي كلّفنا به لتأمين موارد مالية للحزب. كان فؤاد نموذجاً رائعاً في العطاء وفي اجتراح ما يشبه المعجزات في الميدانين المشار إليهما. مات فقيراً ومريضاً ومثقلاً بالهموم وبالديون. افترقنا فؤاد وأنا في المهمات الحزبية المشتركة، إبتداءً من مطالع الثمانينات. وإذ بقي هو يتابع العمل في الميدان الاقتصادي مع رفيقنا وصديقنا المشترك نوبار مارتايان. تخليت أنا عن مسؤولياتي تلك لآخرين من رفاقي في قيادة الحزب، وشغلت نفسي بأمور أخرى، باسم الحزب وباسمي الشخصي. أما فؤاد فبقي يمارس دوره في بعض ما كنا مشتركَيْن فيه في ميدان العمل لتأمين مداخيل مالية للحزب. وكنا قد نجحنا في بعض تلك المهمات وأدخلنا إلى مالية الحزب مبالغ مالية كبيرة. وقد فشلنا أحياناً بأخطاء ارتكبناها بالمفرد وبالجمع، وأحياناً، يا للأسف، بسبب الموقف الذي لم نفهمه من قبل مؤسسات البلدان الاشتراكية التي عرقلت في شكل متعمد العديد من المشاريع التي اقترحناها عليها لمصلحة البلدان الاشتراكية ذاتها، ولمصلحة حزبنا. كان لذلك الموقف المتعسِّف في التعامل معنا من قبل تلك المؤسسات في البلدان الاشتراكية سببان. يعود السبب الأول إلى أن القيادة السياسية في الاتحاد السوفياتي أساساً وفي البلدان الاشتراكية الأخرى قد بدأت ترى في مواقف حزبنا المستقلة ما يثير عندها المخاوف، لذلك كان لا بد من حصارنا اقتصادياً للحيلولة دون تأمين استقلالية حزبنا في الشأن المالي، التي كانت تشكل دعامة أساسية لإستقلاليتنا في تقرير سياسات حزبنا. وهي الاستقلالية التي كنا قد سلكنا الطريق في اتجاهها منذ المؤتمر الثاني للحزب في عام 1968. وكانت المساعدات المالية والعينية

التي يقدمها لنا الاتحاد السوفياتي وبعض البلدان الاشتراكية قليلة لا تفي بالموجبات التي كانت تكبر مع اتساع نشاط الحزب، لا سيما بعد أن استعاد شرعيته بقرار من وزير الداخلية كمال جنبلاط في عام 1970. كان قرارنا في ذلك الحين العمل بكل الوسائل لكي نتحرر من العبء السياسي لتلك المساعدة من الدول الاشتراكية، من دون أن نقلل من رمزيتها الأممية. أما السبب الثاني لذلك الموقف الآنف الذكر للمؤسسات الاقتصادية في الدول الاشتراكية في التعامل معنا إنما يعود إلى ما أعتبره بوضوح تفشّي الفساد في تلك المؤسسات. ولديّ من الأمثلة على ما أقول الكثير مما يُفْجِع ويحبط. وهي أمثلة عانيت منها في الفترة التي كنت فيها مكلَّفاً بالعمل في الميدانين المالي والاقتصادي الذي كان لي شرف وضع الأسس لتكوينهما منذ مطالع السبعينات. وأنا سعيد بما حققته خلال السنوات العشر من تسلمي تلك المسؤولية الصعبة غير المسبوقة في حياة حزبنا.

كثرت الأعباء على فؤاد، وكثرت معها الأخطاء من جانب فؤاد ومن جانب من كان يتعامل معهم في لبنان وفي الخارج. وبدأت تترافق تلك الصعوبات مع مشاكل صحية أرهقته وأرهقتني وأرهقت أصدقاءه.

سأكتب عن فؤاد. سأقول كل شيء عنه. سأعطيه حقه. فؤاد زحيل هو مثقف ماركسي عميق المعرفة. لكنه في تعريفي له مثقف شفوي بمعنى أنه، برغم عمق وسعة ثقافته، لم يترك آثاراً مكتوبة تشير إلى هذه الثقافة وهذه المعرفة إلا ما قلّ من هذه الكتابات. فقدت في غيابه صديقاً ورفيقاً من النوع الذي لا يأتي بسهولة ولا يوصف بسهولة.

تحررت أرنون في شكل لا سابق ولا مثيل له في المقاومة. اجترح المعجزة الذين من عادتهم أن يجترحوا المعجزات من دون مقابل في الدنيا وفي الآخرة. من هو أقدر على هذا العمل من شباب لبنان وطلابه، يساريو المستقبل من كل الاتجاهات وفي مقدمتهم الشيوعيون. دخلوا القرية عنوة وحطموا أسلاكها الشائكة وعانقوا أهلها، وفي أيديهم أعلام لبنان وأعلامهم التي تحدد هوياتهم الحزبية ونظراتهم الخاصة بهم إلى المستقبل.

المعجزات تتكرر في المنعطفات. ويؤكد صانعوها أن للمقاومة أشكالاً وأساليب لا تحصى. ولا يحصرها ويحدد أشكالها وأساليب عملها قانون من نوع معين أو هدف معين غير هدف التحرير وما يتصل به من استعادة البلاد حريتها وسيادتها على أرضها واستعادة الدولة دورها ومسؤوليتها.

لا بد من التوقف عند دلالة الحدث.

يبدو لي، من خلال قراءتي للأحداث، قديمها وحديثها، أن إسرائيل التي عانت من احتلالها للأراضي اللبنانية، لا سيما في الجنوب بفعل الدور العظيم للمقاومة في مراحلها المختلفة وبالأخص في المرحلة التي أصبح فيها حزب الله، لأسباب لم تعد خافية على

أحد، التنظيم الوحيد الذي يحتكر المقاومة، إسرائيل ربما تكون قد باتت بيمينها وبما يسمى يسارها مقتنعة بعدم جدوى بقاء قواتها في لبنان نظراً للكلفة العالية للاحتلال التي تفرضها عليها المقاومة. إنه مجرد تصور يحتاج إلى أدلة مقنعة، وهي غير متوفرة لديّ الآن بما فيه الكفاية. لكنني أرى ضرورة التفكير في احتمال صحته وواقعيته، برغم ما نعرفه من غطرسة وعنصرية عند الاسرائيليين تذكرني بما ارتبط بالنازية والفاشية أيام زمان.

**السبت 27 شباط – فبراير**

سألني صديقي ماهر الشريف، ونحن نودع فؤاد زحيل إلى مثواه الأخير: ما هي مشاريعك بعد أن تحررت من المسؤولية؟ لا علاقة للسؤال بالمناسبة إطلاقاً. أجبته: لا أزال أبحث عن برنامجي للسنوات الباقية من العمر. وهي لن تكون قليلة. لكنني سأحاول أن أكون في بعض جوانب حياتي مزاجياً بعد أن حُرِمت من هذا الحق أكثر من نصف قرن من عمري. علّق ماهر على جوابي بابتسامة.

اكتشفت منذ مدة أنني أصبحت ميالاً إلى المزاح. وهو ما لم يكن من طباعي. هل هي البداية في استخدام حقي، أن أحرر مزاجي من قيوده؟ لكنني أستدرك، كلما تعلق الأمر بالحرية، فأعلن أن المسؤولية ستظل تخيم بظلالها على كل حرية، أعني حريتي أنا، ما دمت أتحدث عن نفسي.

سيكون لي برنامج عمل. لكنه سيكون ممتعاً بالنسبة إليّ. فهل سيكون مفيداً وممتعاً بالنسبة إلى سواي؟

**الأحد 28 شباط – فبراير**

الصراع حول المقاومة، داخل المقاومة وخارجها، يحوّل لبنان إلى نقطة ارتكاز ومصدر اهتمام إقليمي ودولي. عملية حزب الله، بعد تحرير أرنون، أثارت همجية إسرائيلية من نفس النوع الذي تعوَّدنا عليه، كما أثارت ارتباكاً سياسياً وشعبياً في إسرائيل. من سينتصر في إسرائيل داخل الأزمة، أو ما اصطلح على تسميته بالأزمة؟ ومن سينتصر في لبنان في الصراع حول مستقبل لبنان الوطن، ومن سينتصر في المعركة حول مفهوم المقاومة وحول دورها وأشكال نضالها؟

حاولت أن أجيب اليوم عن هذه الأسئلة في حديثي المقتضب على قناة الجزيرة. أتمنى أن تكون الوطنية اللبنانية المتحررة من العصبيات هي التي ستنتصر. أما في إسرائيل فلا أدري من سينتصر على من وحول ماذا!! يبدو لي أن الشرخ سيكبر بين المكوِّنات السياسية

في إسرائيل، لكن من دون أوهام. أكرر من دون بناء أوهام حول ما أسميه شرخاً في المكونات السياسية في إسرائيل.

سأسمح لنفسي بأن أقول في هذه اليوميات ما لم أقله في العلن. يجب أن نكون صريحين، يجب أن نصارح بعضنا بمسؤولية حول ما يجري عندنا وحولنا وفي داخلنا. طرحت البارحة فكرة للنقاش والتفكير مفادها أن إسرائيل بانسحابها السريع من أرنون ربما كانت تشير إلى احتمال صدور أمر الخروج من النفق اللبناني. لكنني أود أن أطرح هنا سؤالاً يؤرقني تكوّن عندي مما حدث بعد تحرير أرنون وقبل ذلك في مواقف مثيرة للتساؤل اتخذتها بعض القوى التي تعتبر نفسها معنية بالصراع مع العدو الاسرائيلي. لديّ شعور بأن النظام السوري لا يريد لإسرائيل أن تخرج من لبنان. يريدها أن تبقى لكي يبقى لهذا النظام مبرراً للبقاء في لبنان باسم الوصاية على هذا البلد، وباسم ما صار يُعرف بقوى الممانعة. الفكرة غريبة. لكن إذا تمعّنا في قراءة مفاصل وأهداف السياسة السورية الرسمية سنجد أن الجولان المحتل لا يشكل بالنسبة لأهل النظام قضية تستوجب المقاومة لتحريره. هذا على الأقل ما يشير إليه الموقف الرسمي إزاء هذا الوضع. إذ يبدو أن بقاء الاحتلال في الجولان بات يشكل بالنسبة للنظام السوري مصدراً لتعزيز قبضته الحديدية على البلاد وأهلها ومستقبلها، وأن التعويض عن العمل لتحرير الجولان يتمثّل بدعم المقاومة في لبنان. قضية غريبة لكن الواقع يفرض علينا الاقرار من دون مواربة بوجودها كواقع. هذا ما يتعلق بموقف القيادة السورية وبدورها في لبنان كوصية عليه. يبقى السؤال الذي لا بد من إجابة صريحة عنه: لماذا أصرّ مقاومو حزب الله أن يقوموا بعملياتهم انطلاقاً من أرنون بعد تحريرها؟ سؤال لم يطرح في العلن. لكنه كان يهدر في الكثير من اللقاءات خلف الكواليس.

لقائي مع الوزير السابق نصري المعلوف خلال التعزية بفؤاد زحيل يطرح أمامي بعض الأسئلة حول مهمات أهل اليسار في المرحلة المقبلة. كيف علينا أن نقيم علاقة طبيعية وضرورية مع أنماط سياسية مختلفة عنا. نصري المعلوف سياسي قديم معروف بوطنيته اللبنانية وبعروبته. وقد فتح هذا اللقاء معه أساساً لعلاقة أظنها ستكون علاقة صداقة. إنني أحترم هذا الرجل قبل أن أعرفه.

## معروف سعد ومحيي الدين حشيشو
## تاريخ جميل يربطني بمدينة صيدا

**الاثنين 1 آذار – مارس**

لا يعادل الشعور بالأبوة أي شعور آخر. هذا ما يبدو لي أنا على الأقل.

سهرنا ليلة البارحة لكي نذهب مع ابننا غسان إلى المطار في طريق عودته إلى تولوز. لا أنا ولا نجوى عرفنا النوم بانتظار أول اتصال منه. كان الاتصال الأول من بروكسل محطته الأولى. لكن رسالته الهاتفية من تولوز تأخرت، ربما لأننا لم نبق في البيت في انتظارها.

حبّ وقلق وأحلام، جميعها بلا حدود.

شاركت البارحة في محكمة المطبوعات. ما أبأس روتين العمل القضائي في بلادنا. هل هو هكذا في كل البلدان؟ أخيراً أقفل الملف الذي يعود عمره إلى 25 عاماً. والطريف في القضية أن خصمي فيها هو الرئيس أمين الجميل الذي قال لي وقال للمحكمة إنه تخلى عن الدعوى، لكن المحكمة تابعت عملها من دون أن تأخذ برأي صاحب الدعوى.

كنت في تكريم رفيقي الصيداوي فهد الكردي. تكلمت في التكريم عن تاريخ يكاد يُنسى. لكنني أحسست بحزن عميق. ذلك أن رفاق ذلك الزمان مضوا: معروف سعد ومحيي الدين حشيشو وآخرون. معروف سعد كان أول نائب شعبي في البرلمان، نائب شعبي بكل المعاني، ديمقراطي وصاحب تاريخ وطني لبناني وعربي ومجاهد في فلسطين. أما محيي الدين حشيشو فكان نموذجاً رائعاً للمناضل الشيوعي. كلاهما، معروف سعد ومحيي الدين حشيشو، كانا شهيدين عشية الحرب الأهلية وخلالها. وكان لكل منهما شكل مختلف للاستشهاد. بقي فهد من رفاق الزمن الماضي. لكنه بدا لي في التكريم شخصاً آخر تلاشت حيويته المعهودة، ربما بسبب العمر أو بسبب النكبات. ومع ذلك يبقى فهد أحد رموز زمن جميل مضى.

حضرت مسرحية فلسطينية غنائية. مسكين شعب فلسطين. مكافح وشجاع، لكنه من دون قيادة موحدة واضحة الهدف والبرنامج. وهو لذلك، ربما، يمارس التعبير عن أحلامه بسذاجة وبطولة في آن.

أنا فلسطيني بمعنى ما. ولدت فلسطين في وجداني منذ الطفولة من خلال العلاقة المتعددة الجوانب التي نشأت وتطورت بين أهل بلدتنا حاريص والمدن الفلسطينية المجاورة. لذلك فحين أتحدث عن فلسطين اليوم بمرارة فلأنني أتذكر عقوداً من الزمن رافقتني قضيتها في عقلي وفي وجداني وفي نشاطي السياسي في لبنان، وفي المحافل العربية والدولية التي أتيح لي أن أشارك فيها. أنا حزين لأجل فلسطين مثلما أنا حزين لأجل لبنان الذي تدمّر حياته الانقسامات والصراعات بين قواه السياسية، وتلعب به القوى الخارجية من كل الجهات والاتجاهات. متى سنتحرر من الانقسامات والصراعات لكي نتحرر من هذا التدخّل المدمر للخارج في شؤوننا؟

الثلاثاء 2 آذار – مارس

بعض أصدقائي من المثقفين والسياسيين، من داخل الحزب الشيوعي ومن أطراف أخرى في اليسار ومن خارجهما، يحيرونني في موقفهم من قراري الذي اخذته في الخروج من مسؤولية العمل القيادي في الحزب. بعضهم يريدني أن أبقى في موقع أساسي في الحزب، لأسباب يتعلق بعضها بي وبهم، ويتعلّق بعضها بهم وبسواهم. بعض آخر يعترض على بقائي في أي موقع مسؤول، حتى في المجلس الوطني الذي انتخبت لعضويته من دون قرار مني. وبين هؤلاء وأولئك تواجهني آراء متعددة تتعلق بالدور الذي عليّ، الآن وغداً، أن أقوم به في القضايا الوطنية العامة وفي الشأن الثقافي.

يفرحني هذا الاهتمام بي، لكنه يحيرني ويقلقني. أنا أعلم أن كثيراً من هذا الذي يقال لي ينبع من صدق ومن محبة. وقد تكون لبعضه أغراض أخرى. والأغراض الأخرى لا تهمني. ما يهمني، على وجه التحديد، هو ما يمكن أن أقوم به في المرحلة المقبلة في الشؤون التي أشرت إليها. أنا حائر في أمر أصدقائي. لكنني لست حائراً في أمري.

## المثقفون الديمقراطيون
## والتغيير الديمقراطي

الأربعاء 3 آذار – مارس

لن يكون سهلاً إنتاج فيلم عن الحرب الأهلية، روائياً كان أو وثائقياً، أو مزيجاً منهما. ومع ذلك فقد انخرطت في المهمة. ولا بد من متابعة العمل لإكمالها. غير أن أكثر الصعوبات التي واجهتنا جاءت من المثقفين الذين قررنا إشراكهم معنا في النقاش حول الفيلم. وهو أمر طبيعي. فالمثقف، أياً كان التزامه، هو مبدع فرد. وفرديته جزء أساسي من طبيعته ومن إبداعه. ولا بد لنا من أخذ ذلك في الاعتبار. هذا ما استنتجته حتى الآن من أحاديثي مع جميع من أشركناهم في البحث حول الفيلم والذين اخترناهم بوعي لهذه المهمة. إلا أن بعض ما يقلقني هو أن الشباب من هؤلاء هم أقل تواضعاً ممن هم في سن الرشد. هل هي طبيعة الأشياء أن يتصور الشاب نفسه، قبل الأوان، أكثر مما هو في الواقع؟ لا بد من مساعدة الشباب، ولا بد من فهم هواجسهم. وقد خفف من شعور القلق عندي أن ابنتي هانية تفهمت هواجسي، رغم أنها صعبة مثل جيلها.

بيروت عاصمة الثقافة من دون ثقافة. كيف يمكن لبيروت أن تعود مركزاً لإنتاج الثقافة وتعميمها في ظل الأوضاع السائدة في البلاد وفي ظل سلطة الوصاية السورية وسياساتها وسياسات حلفائها من اللبنانيين؟ لا بد من عمل لتغيير هذا الواقع القائم. هل نستطيع أن

نفعل شيئاً؟ هل أستطيع مع آخرين أن أساعد في شيء من ذلك؟ لا سبيل أمامنا سوى الانتظار مرفقاً بالعمل.

ثمة مسؤولية كبيرة على المثقفين أن يتحملوها في هذه المرحلة من تاريخ لبنان، التي تكاد تشبه المنعطف بمعنى من المعاني. لكن المشكلة مع المثقفين هي أنهم، بسبب فرديتهم، وبسبب توزعهم وتنوع وتعدد اهتماماتهم، يتعاملون مع الأمور بترف ثقافي، وبترف فكري، وبمزاجية فردية، وبأحكام برجعاجية في بعض الأحيان. لا أعمم. ولا يحق لي أن أعمم. لكن المسؤولية عن هذه الحالة العامة عند المثقفين تعود إلى غياب الحركات الديمقراطية ذات البرامج التغييرية. اليسار بكل مكوناته تراجع حتى يكاد يصبح هامشياً. كذلك الحال بالنسبة للحركات والأحزاب الأخرى. لا يوجد مشروع وطني وديمقراطي حقيقي مقنع يمكن أن يشكل إطاراً عاماً يهيئ الشروط لانخراط المثقفين فيه. مرة ثانية وعاشرة نتذكر الحرب الأهلية ونتذكر جريمتنا فيها، جميعنا من دون استثناء، يساراً ويميناً ووسطاً ومن كل الاتجاهات والمواقع. انتهت تلك الحرب وتوقف فيها القتل والتدمير. لكنها لا تزال تعيش في المجتمع اللبناني على شكل انقسامات وصراعات سياسية طائفية الطابع، تشجعها الوصاية السورية إلى الحدود القصوى لأغراض لم تعد تخفى على وطني عاقل.

لا أقول ذلك للتخفيف من مسؤولية المثقفين ومن الدور الذي يعود لهم. لكن لا بد "للطليعيين" منهم أن يلعبوا دوراً في إحداث التغيير المنشود. أقول "الطليعيين" وأعني بهم أولئك الذين يدلنا التاريخ على أدوار لعبوها، وهم من كبار النماذج الذين يشيرون إلى ذلك المثقف "الطليعي"، أو "العضوي" بحسب تعريف غرامشي له.

**الخميس 4 آذار – مارس**

حفل الاستقبال الذي أقامه الحزب الشيوعي بمناسبة انتهاء أعمال المؤتمر الثامن يؤكد بالحضور الكثيف السياسي والاجتماعي للمرة الألف أن المشكلة ليست في موقف الناس من الحزب ومن اسمه، بل تكمن أساساً في موقف الحزب من ذاته، ومن قضايا الناس، ومن الدور الذي التزم به حين تأسس في زمن ازدهار الحركة الشيوعية بعد انتصار ثورة أوكتوبر، ارتباطاً بمشروع ماركس لتغيير العالم. هل سنستخلص الدروس الضرورية بعد كل تلك التجارب؟ لكن من هو المعني باستخلاص تلك الدروس؟! تلك هي المسألة!

في حفل غداء مع بعض الأصدقاء تذكّرنا روسيا القديمة، ودخلنا في نقاشات متعددة الجوانب والاتجاهات حول روسيا الحديثة. أنا لست ممن يحنّون إلى ذلك التاريخ الذي كان فيه الاتحاد السوفياتي دولة عظمى، وكانت المنظومة الاشتراكية تساوي نصف العالم. ولي في ذلك التاريخ تجارب مؤلمة، ولي أيضاً لحظات جميلة لا تنسى. وأعترف أنني، إذا

كنت أعتز بالجوانب الجميلة في ذلك التاريخ، فإنني أتحمل قسطي من المسؤولية في عدم رفع الصوت احتجاجاً على الجوانب السلبية فيه.

لكن مستقبل روسيا، في ظروف اليوم، مليء بالاحتمالات. الاحتمال الذي أجدني مشدوداً إليه في ما يشبه التمني، هو أن ينشأ في روسيا نظام جديد يجمع بين الاشتراكية الجديدة والرأسمالية الرشيدة! هل هذا ممكن؟ أو هو أضغاث أحلام فتى في السبعين من العمر؟ رأسمالية رشيدة في ظل سيادة المافيات في المجتمع وفي الاقتصاد على وجه الخصوص! أعتذر عما قلت.

الجمعة 5 آذار – مارس

تكريم المفكرين والباحثين هو نوع من الوفاء لعطاءاتهم. لكن كيف يتم التكريم في أيامنا؟ اجتماع يحضره عدد من المثقفين، تلقى فيه كلمات إشادة تذكر أعمال المكرّم، ثم يتحدث المكرّم بتواضع أحياناً ومن دون تواضع أحياناً أخرى. وبالرغم من أهمية هذا التكريم واستحقاق المكرَّمين له والدور المشكور للذين يقومون به، فهو تكريم يبدو لي بالنسبة لبعض المكرمين عمل غير كاف. ويهمني في هذا السياق أن أشير إلى الدور المميز للحركة الثقافية في إنطلياس بالتكريم السنوي الذي تقيمه لبعض من يستحقون التكريم في بلادنا. وقد شهدت أمس نموذجاً من هذا التكريم في الحركة. وسوف أقوم شخصياً على طريقتي بتكريم عدد من رموز الفكر والثقافة في تاريخ لبنان الحديث ممن عرفتهم وتأثّرت بهم وممن أعجبت بإبداعاتهم في مجالات الفكر والأدب والشعر والفن. سأستحضر سيرهم ومواقفهم ونماذج من إبداعاتهم في مقالات مكثفة لأنشرها في الصحف والمجلات ثم أعدّها لكي تصدر في كتب. وقد بدأت بجمع المراجع إعداداً للبدء بالكتابة عندما تتوافر لي كامل شروطها. خاصة وأنني أنجزت بعضاً من تلك المقالات في الأعوام السابقة.

## شعار أطلقه محمود أمين العالم:
## يا شباب العالم العربي تأرننوا!

السبت 6 آذار – مارس

قال لي صديقي المفكر الماركسي محمود أمين العالم، الذي أطلق أمس شعار "يا شباب العالم العربي تأرننوا"، قال لي إنه سمع من يقول بأن حركة شباب أرنون كانت وراءها مخابرات لبنانية وسورية، وحتى أميركية وإسرائيلية. لكنه لم يصغ إلى تلك الأقوال وأطلق شعاره. لم يكن يعرف صديقي العالم أن الشباب الذين ذهبوا إلى أرَنون هم من أهل اليسار،

وأنهم تجمعوا في مبادرة من اتحاد الشباب الديمقراطي اللبناني للقيام بتلك المهمة الوطنية الجليلة. فأكد، استناداً إلى هذه المعلومة التي قدمتها له، إصراره على طرح شعاره. لكنه شاركني في طرح تساؤلات حول معنى هذا التشويه لحَدَث فريد من هذا النوع. غريب أمر هؤلاء الناس الذين يحملون شعار الدفاع عن الحرية، ويشوِّهون الأحداث المتصلة بالدفاع عنها، عندما لا يكونون هم في صدر الأحداث. احتكار الحقيقة واحتكار النضال من أجل الحرية هو، في جوهره، احتكار يشبه الاحتكار الذي هو من صفات وسمات الرأسمال والرأسماليين. هل أنا متعسِّف في هذا التشبيه؟

دخلنا في فيلم الحرب الأهلية في منعطف أساسي. وبدأنا العمل. الأسبوع القادم هو أسبوع البدء بالكتابة. فالنص هو قاعدة العمل. سيكون لي دور في مواكبة العمل. وكنت قد بدأت المشاركة في العمل خلال عشرات الساعات من اللقاءات حول الفيلم مع شريكيّ فيه برهان علوية ومحمد العبد الله ومع العديد من المثقفين. ستكون مشاركتي في إعداد هذا الفيلم أولى ممارساتي في عمل حر، بعد أن أصبحت سيد قراراتي، أمارس حريتي في اختيار القضايا التي تهمّني واختيار أشكال وصيغ مساهمتي في النشاط حولها وباسمها.

**الأحد 7 آذار - مارس**

يوم الأحد هو يوم راحتي الأسبوعية. أقعد في المنزل. أقرأ. أكتب. أتمدد على المقعد العريض من دون هموم. لكن الهموم اللعينة لا تذهب. إنها الصديق الصعب الذي يرافقني في حِلّي وفي ترحالي وحتى في يوم راحتي. غير أنني استأنفت في يوم الراحة هذا عملي في إعداد كتابي الجديد، الذي ينبغي أن يصدر في مطلع الصيف القادم. الفصل الذي أنا بصدد إنهائه يتعلّق بجردة حساب عن الحقبة الماضية في موضوع بالغ الدقة، يتعلّق بتعاملنا نحن الشيوعيين وجميع أهل اليسار مع المسألة الوطنية. كيف تعاملنا معها في الماضي، وكيف نتعامل معها اليوم، وكيف يتعامل معها من يعتبرون أنفسهم، من مواقعهم المختلفة، أصحابها الحقيقيين؟!

دعتني الفضائية السورية لندوة حول الانتخابات الاسرائيلية وقبلها قناة "الجزيرة"، ودَعَتني قبلهما مجلتا "الكفاح العربي" و"الوطن العربي" لحوار حول قضايا راهنة متعددة. لقد خرجت من موقعي القيادي، فلماذا هذا الإقبال على استجوابي في هذه القضايا السياسية والفكرية؟!

أظن أن عليَّ أن أكون حذراً، وأن أفكر جيداً كيف ومتى وحول أي موضوع يمكن أن أنخرط في الحديث عنه، وأن أعتذر ولا أغرق في كلام مكرَّر.

الاثنين 8 آذار – مارس

هذا اليوم هو يوم ميلادي. صار عمري 69 عاماً على وجه الدقة، وفق ما كتبه الوالد على هامش نسخة قديمة من القرآن الكريم. لا أشعر بالفارق بين هذا العام والعام الذي مضى. ربما هناك فارق وحيد هو أنني أحتفل من دون ضجة بهذا العام الجديد من عمري الذي يمضي، وأنا حرّ من مسؤولية لا أتنكر لها ودور أعتز به. لكن الحرية تعطي للمرء في مثل حالتي سعادة لا مثيل لها. يقول البعض إن كل عام يمر من عمر الانسان هو زيادة ونقصان في آن. أنا لا أشعر بأي نقص من أعوام عمري. بل أشعر بالزيادة، زيادة في المعرفة وفي التجربة وفي النشاط. هل في هذا ما يدعو إلى الاستهجان؟

في هذا العام سأحقق بعض ما كنت أنتظر الوقت المناسب لكي أحققه. ما هو هذا الأمر؟ الزمن الآتي سيبيّن ما هو. لكن سعادة كبيرة تغمرني كلما فكرت في أنني سأتمكن من تحقيق هذا الأمر. قد يكون الشعور أحياناً بتحقيق أمر ما أهم من الحقيقة، أي أهم من القدرة الحقيقية على تحقيق هذا الأمر. لا بأس. أنا أشعر بأن العمر لا يزال مفتوحاً أمامي لسنوات طويلة. فلماذا الاستعجال؟ هنا بالذات يتخذ الشعور أهميته كحافز للعمل.

## أزمتان في الصراع العربي - الاسرائيلي
## هل الحل هو في دولة ثنائية القومية؟!

الثلاثاء 9 آذار – مارس

ذهبت إلى دمشق لأشارك في ندوة تلفزيونية حول الانتخابات الاسرائيلية. طرحت عدة أفكار للنقاش تتعلّق بجوهر المشروع الصهيوني الذي صار يحمل اسم دولة إسرائيل. أين أصبح هذا المشروع، وما هي التعبيرات الحقيقية الراهنة عن أزمته في قراءتي لعناصرها، وكيف يتعامل الاسرائيليون بمكوِّناتهم المختلفة مع هذه الأزمة اليوم وفي المستقبل؟ أقول أزمة المشروع الصهيوني وأعني ما أقول. فأزمة هذا المشروع، الذي تشكل دولة إسرائيل التعبير الراهن عنه، هي أزمة حقيقية حتى ولو لم تظهر عناصرها اليوم بوضوح، وحتى لو لم يعترف بها الاسرائيليون. لا يمكن لإسرائيل أن تعيش في المنطقة في الصيغة التي اختارها لها عنصريو الحركة الصهيونية، دولة يهودية عنصرية معادية لجيرانها ومغتصبة لحقوق الشعب الفلسطيني.

طرحت موضوع الأزمة التي تواجه المشروع الصهيوني لكي أطرح معها أزمة وعينا العربي المتخلّف، العاجز عن إنتاج خطة لحاضرنا ولمستقبلنا. نحن في الحقيقة أمام أزمتين، واحدة منها راهنة، هي أزمتنا نحن العرب، ليس في فلسطين وحسب، بل في بلداننا

جميعها التي لم تعرف حتى الآن طريقها للدخول في العصر وفي تحولاته الكبرى. أما الأزمة الأخرى المؤجلة فهي أزمة المشروع الصهيوني، المتمثلة بدولة إسرائيل المدجَّجة بالسلاح خوفاً على مستقبلها من الديموغرافيا المحيطة بها ومما يمكن أن تأتي به المتغيرات في العالم العربي. أقول المتغيرات لأنني لا أستطيع إلا أن أحلم بنهضة عربية قادمة قريباً، تطيح بالأنظمة الاستبدادية في بلداننا وتفتح الطريق أمام مستقبلٍ مختلف.

حالتنا الراهنة كلها في المنطقة تدعو إلى اليأس، اليأس موقتاً، سواء في السياسات، أم في الأفكار والبرامج لدى من يعلنون أنهم معنيون بالتغيير، باسم اليسار وبأسماء أخرى. لم أنجح في جعل النقاش يدور حول هذه القضية. سنحتاج إلى زمن طويل لكي نخرج من أزمة الوعي التي نعيش فيها مطمئنين ونكابر! نحن العرب، في نظري، شركاء لليهود في نوع الأزمة التي يعانون منها ولا يعترفون بها. ثمة، في الحقيقة، مشكلتان بحاجة إلى حل: مشكلة اليهود الاسرائيليين في التعامل مع الصراع العربي - الاسرائيلي، ومشكلة العرب في التعامل مع هذا الصراع. ينبغي التفتيش عن حل لكلٍ منهما. ولا بد من الوصول إلى هذا الحل. ربما يكون الحل في ذات زمان قد يكون بعيداً. هل يقوم ذلك الحل على دولة ثنائية القومية؟ لماذا الاستعجال والتسرّع في تحديد شكل الحل لهذه الأزمة المزدوجة المستعصية على الحل؟! فما زال البعض يحلم بقيام دولة فلسطينية "مستقلّة" بجوار دولة إسرائيلية!

يريد صديقي خير الدين حسيب أن أكون شريكاً له في المؤتمر القومي وفي قيادته. قلت له إنني لا أستطيع أن أنسجم مع العقل السائد في جو المؤتمر القومي، الشبيه بالعقل الشيوعي أيام زمان الذي يستمر أصحابه مسَمَّرين فيه من دون وعي بمسار حركة التاريخ وبطبيعة هذا المسار. غريب كيف تتشابه الأمور، وكيف تتشابه الأحداث وكيف يتشابه الرجال، وكيف تتكرر التواريخ!

**الأربعاء 10 آذار - مارس**

الندوة التي دعا إليها خير الدين حسيب حول الصراع العربي - الاسرائيلي والخطط المقترحة لمواجهة المستقبل هي استمرار لما عانيت منه أمس في دمشق في الندوة التلفزيونية حول الانتخابات الاسرائيلية. العقل العربي معطّل. فكيف يمكن أن نتقدم؟ لقد سئمت من كل هذه اللغة، سئمت من الفكر الذي تحمله هذه اللغة في التعامل مع القضايا الكبيرة. ومع ذلك يصر عليَّ صديقي خير الدين أن أشارك في المؤتمر القومي العربي، وحتى في قيادته. كلا. لن أكون جزءاً من هذا النمط المحافظ في الفكر وفي التفكير وفي السياسة إزاء قضايانا الكبرى. ومع ذلك فإنني أحترم خيارات صديقي خير الدين وأختلف معه فيها.

حضر الندوة عدد كبير من المثقفين العرب . مهرجان مارسوا فيه الخطابة أمام بعضهم

البعض في ما يشبه المباراة في الطرب السياسي! نحن العرب نحب الخطابة الطربية! كان المشاركون في الندوة من تيارات مختلفة لا تتقاطع في ما بينها لشدة ما بين الواحدة والأخرى من مسافة في الفكر وفي التفكير وفي نمط المعالجة. ولجميع المشاركين في الندوة من المثقفين العرب مساهمات مهمة في ميادين اختصاصهم. ولي بينهم عدد كبير من أصدقائي. لكنهم في الندوة كانوا في معظمهم خطباء طرب فكري وسياسي!

ثمة ما يشبه اليأس، اليأس الذي لا أحب تكرار الحديث عنه، بل حتى مجرد التفكير فيه. لأنه عندما يحتل هذا اليأس موقعاً حقيقياً في الوجدان فإنه يقود إلى الانتحار أو ما يشبهه. وأنا لا أؤمن بالانتحار، لأنه استقالة مجانية من الحياة التي تستحق منا أن نعيشها كما نحب ونرغب، حتى وسط الصعوبات. وصعوبات الحياة هي الرفيق الدائم للبشر في كل الأزمنة. يذكرني هذا الحديث عن حب الحياة برواية ناظم حكمت الجميلة "الرومانطيقيون" التي أعطيت في الترجمة العربية من دون افتعال عنوان "الحياة جميلة يا صاحبي".

## الفوائد الجسدية والذهنية للمشي على كورنيش المنارة

**الخميس 11 آذار - مارس**

متعة المشي في الصباح الباكر على كورنيش المنارة في بيروت تستقر عندي وتأخذ معاني عديدة:

إنها أولاً متعة الجهد الجسدي الذي تزداد أهميته كلما أفرز هذا الجهد مزيداً من العرق من قمة الرأس إلى أخمص القدمين، مروراً بكل أعضاء الجسم.

وهي ثانياً متعة الحلم في أن هذا الجهد الجسدي والعرق الذي يتصبب بسببه، ولو ببطء، سيؤديان إلى تخفيف الوزن، أو تخفيف حدة النتوء في البطن (الكرش)، أو على الأقل في إبقاء وضع الجسد وشكله في نفس الحالة من دون زيادة تسهم في تشويهه.

وهي ثالثاً متعة التفكير من دون توتر في الشؤون التي تشغل المرء في حياته اليومية. تدقيق في بعض هذه الأفكار أو تصحيح، أو زيادة، أو ما يشبه الابداع في تقديم أفكار جديدة.

وهي رابعاً متعة النظر في البحر، وفي امتداداته، ولا نهائيته، تجاوزاً لذلك المشهد الذي يثير مشاعر القرف، ابتداءً من تلك الزيادات النافرة التي تتكدس على جانب الكورنيش وتمنع الرؤية وتشوهها، مروراً بالأقذار التي تتلاعب بها الأمواج، فتعطل الجمال الذي تثيره حركة هذه الأمواج الأزلية.

وهي خامساً متعة النظر بالعين وبالبصيرة ومتعة التأمل في هذه الأنواع والأنماط المتعددة

من الناس الذين يأتون في الصباح لممارسة هذه الرياضة، كل بهدف معين، ليس بالضرورة صحياً، بل لأسباب شتى. وتعقد صداقات بالنظر فقط من دون كلام أو سلام بين هؤلاء، أو بين بعضهم. وصداقاتي صارت متعددة في مجتمع المشاة هذا. إنها متع ستخلق لي معها متعاً أخرى.

## دولة فؤاد شهاب الفريدة
## من المسؤول عن انهيارها؟!

**الجمعة 12 آذار - مارس**

تأجل إقرار الميزانية العامة للدولة، وتأرجح الحديث عن الضرائب بين المباشر منها وغير المباشر، وتراجع الحديث عن أملاك الدولة البحرية والبرية. كل ذلك وسط تفاعل موضوع السرقات الكبرى لأموال الدولة، الأمر الذي بدأ يثير جدلاً مبكراً حول العهد. هل سينجح؟ هل سيسير في الاتجاه الصحيح؟ لكن المؤسف، كما يبدو لي، أن هذا النجاح الذي نحلم به بمعزل عن دور الرئيس ممنوع في بلدنا لسببين. السبب الأول هو أن سلطة الوصاية السورية هي صاحبة الدور الأساسي في قيادة البلد، وفق أهداف تتصل بالنظام السوري وبسياساته، ولا مكان في هذه السياسة للبنان ولمستقبله ولحياة شعبه. السبب الثاني هو أن الرئيس إميل لحود، للأسف، ليس هو الرجل المؤهَّل في موقعه في رئاسة البلاد لمثل ذلك النجاح الذي نحلم به. أقول ذلك لا للتجريح، بل إقرار بواقع قائم وبقدرات بشرية لها حدودها.

هنا أهمية أن يكون لليسار دور، وأن يكون لحزب اليسار الأول، الحزب الشيوعي، دور. فمن شأن ذلك الدور، لو كان أبطاله موجودين، أن يحقق نوعاً من التوازن بين سلبية التحولات في مجرى الأحداث، وبين المطامح المشروعة لدى الجمهور الواسع من الناس بتغيير أوضاع حياتهم.

أجدني هنا مسوقاً بشكل عفوي للعودة إلى ذلك الزمن الذي كانت لنا فيه دولة من نوع جديد في عهد الرئيس فؤاد شهاب. هل يتذكر اللبنانيون ذلك العهد وإنجازاته؟ هل تتساءل القوى السياسية، يسارها ويمينها على حد سواء، عن مسؤولية كل منها في إنهيار ذلك المشروع الذي جاء به فؤاد شهاب لأول مرة في تاريخ لبنان، مشروع بناء دولة حديثة فيه؟ لا أحد يتكلم اليوم عن ذلك العهد، ربما خوفاً من انكشاف مسؤولية تلك القوى عن الخراب الذي أصاب لبنان بعد انهيار عهد فؤاد شهاب، الخراب الذي تمثَّل في الحرب الأهلية التي أصفها من دون تردد بالجريمة الكبرى التي ارتكبها اللبنانيون وارتكبتها قياداتهم من كل الجهات والاتجاهات بحق بلدنا وشعبنا، وانتهت إلى هذا الواقع الذي يعيش فيه

بلدنـا تحت وصاية تقرر بالنيابـة عنا مصائرنا الكبيرة والصغيرة، وتمنـع قيام الدولة حتى في أبسط أشكال وجودها.

أتذكـر فؤاد شـهاب وعهده وأنا أرى إلى عهـد الرئيس لحود الذي تنقصـه، برغم النيات التـي قد تكون طيبة، العناصر الأساسـية التي تمكنِ المراهنـة عليها لتحقيق إصلاح، ولو في الحالة الدنيا، في اتجاه بناء دولة حديثة في لبنان تذكّر بتجربة فؤاد شهاب وتسترشد بها. وإذ أتذكر فؤاد شـهاب فإنني أتذكر أنه يتحمل هو شـخصياً قسـطاً كبيراً من المسـؤولية عما آلت إليـه تجربته الفريدة في بنـاء الدولة. لقد اعتمد في بناء الدولـة الحديثة، المفترض أنها دولة مدنيـة، على العسـكر وعلى جهـاز المكتب الثاني بالتحديد الذي أسـاء إلـى التجربة وخلق ردود فعـل كان بعضها محقاً وكانت لبعضها خلفيات سياسـية وأهداف لا تتصل بالمصلحة الوطنية. وأتذكر في الآن ذاته الشعار الذي أطلقه كمال جنبلاط في عهد الرئيس شمعون ثم في عهد الرئيس شـهاب شـعار "من أين لك هذا" الذي لم يجرؤ أحد من القيادات السياسـية في السـلطة وخارجها في جعله أساسـاً لمحاسبة الفسـاد في الدولة وفي مؤسساتها وتحديد أسـماء الفاسدين وإيقاف الهدر والتبديد للمال العام. من يجرؤ اليوم على طرح هذا الشعار والدعـوة للعمل بموجبه في محاسـبة سـارقي أموال الدولة الذين أصبحـوا من مواقعهم في مؤسسـاتها ينافسون رجال الأعمال الكبار في أموالهم الطائلة؟ سؤال في غير محله في هذه الظروف التي نحن فيها! كذلك السـؤال حول الدولة المدنية الحديثة وحول اسـتعادة تجربة فؤاد شهاب في بنائها في شروط جديدة!

أراني هنا أحلم مثلما يحلم الأطفال. كيف يمكن التفكير، مجرد التفكير، بمثل هذه الدولة الحديثة في ظل الوصاية وهذا الانقسـام العمودي على أساس طائفي ومذهبي ورهانات من هنا ورهانات من هناك، وتدخّل خارجي من شـتى الجهات والاتجاهات تسـتقوي به القوى السياسية ضد بعضها، وغياب فاضح لقوى التغيير الديمقراطية؟!

**السبت 13 آذار – مارس**

أحسست اليوم أنني أخطئ في أمرين مختلفين. الأمر الأول هو أنني، بعد أن تحررت من المسؤولية، وخلافاً لهدفي من هذا التحرر، بدأت أشغل نفسي في ما ليس ضرورياً ولا يدخل في أساسـيات مشـاغلي واهتماماتي. الأمر الثاني هو أنني أصغي أكثـر من اللازم للتعليقات علـى وضعـي التي تصلني من شـتى الجهات إيجاباً وسـلباً. هذا دليل ضعـف. وخطره أنه يمكن أن يجعلني أشـعر، من دون أسـاس حقيقي، بأهمية فائقة! ليس كل الكلام الذي يساق بالضرورة صادق، أو هو يشـكل تعبيراً حقيقياً عن قدراتي. لا أقول ذلك من قبيل التواضع. فأنـا أعـرف قدراتي وأعرف أنني أمتلك إمكانات ينبغي أن أوظفها في البرنامج الذي وضعته

للمرحلة القادمة من حياتي، والذي يجب عليّ الانخراط جدياً في تحقيقه. هكذا أكون أميناً لما كنت قد اتخذته من قرار في جعل الحرية أساساً لحياتي ولخياراتي فيها ما بعد السبعين.

**الأحد 14 آذار - مارس**

مررت اليوم بحالة ضجر لا أعرف مصدرها. ربما لأنني التقيت في الأيام الأخيرة بعدد كبير من المثقفين والسياسيين العرب، الذين يجتمعون للبحث في مستقبل الأمة من دون أن يحددوا أسباب أزمتها الراهنة ومن دون أن يحددوا أسباب استمرار هذه الأزمة، ومن دون أن يتمكّنوا من رسم صورة ولو أولية للمستقبل، ورسم الخطوط الأولية لولوج الطريق إلى ذلك المستقبل. لكن الضجر لم يمنعني من بعض القراءات ومن بعض الكتابات، لا سيما ما يتصل أولاً بالإعداد للفيلم، وثانياً بالإعداد للكتاب الذي يشغلني.

في المساء قالت لي ابنتي هانية بأنها كانت، في اليوم ذاته، تشعر بالضجر. فضحكنا لحالنا ولهذا التوارد في المشاعر. ومما زاد الأمر غرابة أن نجوى هي الأخرى كانت في الحالة ذاتها. فذهبت إلى النوم مبكراً. وفاتني أن أتصل بابني غسان الموجود في تولوز، لكي أسأله عما إذا كان هو الآخر يعاني، في نفس اليوم، من الحالة ذاتها.

الضجر حالة إنسانية من دونها تكون الأمور غير طبيعية!

## عراق الثقافة وحسين مروة
## الذي تكونت فيه شخصيتي

**الاثنين 15 آذار - مارس**

تكلمت بالهاتف ظهر اليوم مع صديقي العراقي القديم ناجي جواد. وتعود صداقتنا إلى اثنين وخمسين عاماً مضت في بغداد في عام 1947. ذكّرني ناجي بصديق آخر جميل فقدناه هو الشهيد عزيز أبو التمن، نجل القائد التاريخي في ثورة العشرين العراقية جعفر أبو التمن. كما يذكرني بصديقينا الآخرين مهدي أبو التمن وبالشاعر والفنان التشكيلي نوري الراوي. ما أجمل تلك الأيام، رغم صعوباتها، وما أجمل صفاء العلاقات وطيبها. كنت ألتقي بهؤلاء الأصدقاء في منزليّ عزيز وناجي الكائنين في شارع أبو نواس، وفي منازل أخرى. أتذكر هؤلاء الأصدقاء وأتذكر معهم شعراء العراق الكبار، متنبي العصر محمد مهدي الجواهري الذي تعرفت إليه من خلال قصائده التي كانت تتردد على ألسنة العراقيين من كل الأجيال. ثم تعرفت إليه شخصياً بعد أن كنت قد أرسلت له بالبريد بعض مقالاتي التي نشرها في جريدته "الرأي العام". وكان أول تلك المقالات بعنوان "لا بد من ثورة" نشره في صدر الصفحة

الأولى في أواخر شهر كانون الأول من عام 1947. ثم عرفني إليه صديقه حسين مروة في مكاتب الجريدة التي عملت فيها في ما بعد لفترة قصيرة مصححاً ثم مندوباً برلمانيًا. وأذكر إلى جانب الجواهري شعراء الحداثة. كان أولهم بلند الحيدري الذي تعرفت إليه برفقة نزار مروة في مقهى جزيرة "الواق واق". كان ذلك المقهى ملتقى لمجموعة من المثقفين الوجوديين، شعراء وأدباء وفنانين تشكيليين، أذكر منهم إلى جانب بلند شقيقه الشاعر صفاء الحيدري والشاعر والفنان نزار سليم شقيق الفنان التشكيلي والنحات جواد سليم والنحات خالد الرحال، وإبراهيم اليتيّم الأديب الذي كان قد عاد لتوّه من باريس حاملاً معه أفكار الحداثة في الأدب. أما الشاعران بدر شاكر السياب ولميعة عباس عمارة فقد تعرفت إليهما في منزل محمد شرارة صديق عمر حسين مروة الكائن في الكرادة الشرقية جنوب مدينة بغداد. وكان منزل شرارة في ذلك التاريخ ملتقى الأدباء والشعراء وأهل السياسة من اليساريين. في حين تعرفت إلى الشاعرة نازك الملائكة برفقة آل مروة وآل شرارة في منزل والديها. وكنا نلتقي مع الشاعر أكرم الوتري في منزله.

تابعت ذكريات العراق، فتذكّرت صديقين آخرين من أدباء العراق في ذلك التاريخ. الأول هو الروائي والقاص عبد الملك نوري الذي أطلقت عليه لقب تشيخوف العراق. كنت ألتقي به في مقهى "الزهاوي" في شارع المتنبي. الثاني هو الأديب عبد القادر البراك الذي كنت ألتقيه في مقهى "حسن عجمي" في منطقة الحيدر خانة. كان البراك يثير معي العديد من القضايا الثقافية في ما يشبه دور المعلم. وكيف لي أن أنسى جعفر الخليلي ومجلته "الهاتف" ومحمد حسن الصوري ومجلته "الحضارة" اللذين تعرفت إليهما في منزل حسين مروة الكائن في مدينة الكاظمية شمال مدينة بغداد؟ وثمة أشياء راسخة في الذاكرة تستعصي على النسيان، لا سيما حسين مروة ومنزل حسين مروة في مدينة الكاظمية الذي كنت فيه جزءاً من العائلة؟ كان المنزل يضج بالحركة مستقبلاً المثقفين الكبار من شتى الاتجاهات. كان نزار الابن البكر لحسين مروة رفيقي الدائم في الكثير من اهتماماتنا المشتركة وفي الكثير من اللقاءات مع الأدباء. وكان أبو نزار مرشدنا. ذكريات حاشدة حافلة بالأحداث من كل الأنواع. ما أجمل وما أرقى تلك الأيام التي مرت كلمح البصر، وترسّخت في أعماق وجداني. وإذ أتذكر اليوم كل هذا الحشد من الأشخاص والأحداث والأشياء، فإنني أتذكر بشكل خاص أن تلك الأيام بالذات هي التي كوّنت شخصيتي ورسّخت قيمي وجعلتني ملتزماً بعمق بجملة من المعايير لا أزال وسأبقى ملتزماً بها ما دام ينبض فيّ عرق، متذكراً على الدوام الدور التأسيسي لبناء شخصيتي في عراق ذلك الزمان.

لا شك أن العصر قد تغيّر، وتغيّرت معه مفاهيم ومعايير كثيرة، وتغيّرت، أو هي تتغيّر،

مضامين وأشكال القيم التي توارثتها البشرية. لكنني أرى، ليس من قبيل المكابرة، أنني أنتمي إلى حقبة سابقة عظيمة في تاريخ البشرية، ما زلت أشعر أن عليَّ الدفاع عن قيمها من دون أن أدعو إلى استعادتها كما يحلم بعض أبناء التجربة الاشتراكية التي انهارت. ولا أظنني مخطئاً في ذلك.

**الثلاثاء 16 آذار – مارس**

لا أدري ما الذي أصاب ساقي اليمنى وأنا أمارس رياضة المشي صباح اليوم على كورنيش المنارة. قال لي رفيقي وصديقي الدكتور رفيق بدورة إن ما أصابني هو بعض إشارات الأعوام السبعين. أما أنا فقد قدّرت أنها ربما تكون إشارة إلى ما يشبه "الذبحة" في الرجل. فاستعنت بجرعة من الويسكي. وأخذت حبة "أسكربتين". وقضي الأمر بانتظار ما ستأتيني به الأيام القادمة.

سأحرم خلال أسبوعين من هذه المتعة التي بدأت أعتاد على ممارستها كل يوم. وغداً سنعرف، بعد إجراء التصوير على الأشعة، ما القصة. لكنني أجزم أن هذا الحادث لن يخلق عندي أي نوع من الجزع من نهاية العالم أمامي، ومن نهاية الحياة، ومن نهاية مشاريعي فيها.

## إنما الأمم الأخلاق...
## تلك هي حكمة هذا اليوم!

**الخميس 18 آذار – مارس**

إنما الأمم الأخلاق...

كنا نتغنى بهذه الحكمة في الزمن القديم، لكن بقليل من الاهتمام بمعناها. اليوم أجد نفسي مشدوداً إليها، كما لو أنها كلام أنبياء! الأخلاق، في نظري، هي جوهر العلاقات بين البشر، جوهر الحرية وجوهر التقدم. كلما افتقر الفرد إلى الأخلاق افتقدت أفكاره ومعارفه وأحلامه إلى الجوهري فيها، أعني القيمة الانسانية للسلوك. وهذه قيمة فوق الأديان والعقائد. إن ارتفعت مكانتها في أمّة ازدادت هذه الأمة تحضّراً، وإن انحطّت الأخلاق أدى ذلك إلى انحطاط الأمّة.

إنما الأمم الأخلاق.

**الجمعة 19 آذار – مارس**

الحياة تستمر بكل صعوباتها وتعرجاتها، وقيادة الحزب الشيوعي مشغولة بالنقاش حول جنس الملائكة. مأساة الشيوعيين المعاصرين، في بلادنا وفي البلدان الأخرى كلها

أو معظمهـا، هـي أنهم يكادون يصبحـون من دون قضية. لذلك تبرز إلـى الواجهة قضاياهم الشخصية.

مـا أصعب وأعقد وأشـرس الخـلاف والصراع بين الأخـوة. إنه الأكثر وحشـية بين كل أنواع الصراعات. إذ تتوحد في الشخص، من دون تمييز، القضايا العامة بالقضايا الشخصية. لذلك فعندما يشعر الشخص المعيّن أنه موضع نقد أو جدل يطال موقفه أو سلوكه يرفع راية الدفـاع عن القضية. إذ هي، بحسـب مشـاعره وبحسـب تصنيفه للقضية، القضيـة ذاتها التي تمس وتصاب بالأذى عندما يصاب شخصه بشيء من ذلك.

يا إلهي، كم تغيرت الأمور! أو يا ترى هي كانت هكذا وأنا لم أكن أعرف أو أنتبه ! ربما، ولكن أياً يكن الأمر فأنا مصرّ على أن القضية العامة شـيء والقضية الخاصة شـيء آخر، رغم كل ما يمكن أن يكون بينهما من صلة وصل.

السبت 20 آذار – مارس

تفاصيـل كثيـرة تحـدث كل يوم. وأمـس كان مثل الأيـام العادية بكثـرة تفاصيله. لذلك أختـار مـن بين أحداث هـذا اليوم لقائي مـع صديقين مغربيين هما كمال عبـد اللطيف وعبد الإله بلقزيز. وهما مثقفان يسـاريان ينتميان إلى الفكر الماركسي يختلفان في تكوينهما وفي طريقة فهمهما للأحداث وفي تفسيرها. ذلك أن أفكار ماركس حمّالة أوجه عدة واجتهادات عـدة. وهو مـا ينطبق على كل من كمال وعبـد الإله في قراءتهما للأحداث وفي اسـتناد كل منهما إلى ماركس في تلك القراءة.

كانـت السـهرة جميلـة. وكان معنا صديقنا المشـترك جـورج البطل. الموضـوع المثير للجـدل الذي كان محور نقاشـاتنا خلال السـهرة يتعلّـق بالتجربة المغربيـة الجديدة، تجربة وجـود المعارضـة الاشـتراكية في الحكومـة التي يترأسـها القائد الاشـتراكي عبـد الرحمن اليوسـفي ويشـارك فيها حـزب التقدم والاشـتراكية. هناك تفسـيران متناقضـان عند كل من كمـال وعبد الإله. وقد كنت في مدينـة الرباط في المغرب، خلال إلقاء محاضرتي في العام الماضـي، نصيراً للتجربة مع كل مـا فيها من صعوبات ومخاطر. وما زلت مع تلك التجربة. لكـن لا بـد من نقدهـا على الدوام، مـن أجل ترشـيدها، وإلا يصبح الوجود في السـلطة هو الهدف، وليس الوجود فيها كوسيلة. وهذا هو الخطر الذي لا بد من مواجهة احتمال الوقوع فيه. وقد أشرت إلى تلك الأمور في الحديث المطول الذي أجراه معي في باريس قبل ذهابي إلى المغرب أحد محرري جريدة "الاتحاد الاشتراكي" الصادرة في الرباط.

**الأحد 21 آذار - مارس**

كان هذا اليوم يوماً "مجعلكاً" باللهجة العامية اللبنانية، أي مضطرباً. تغيرت فيه أولوياتي الصباحية كلها بالصدفة. وانتهت بارتكاب أخطاء. مع ذلك تمكنت من المشاركة متأخراً في احتفال أقيم تكريماً لذكرى الشاعر أحمد أبو سعد. لا أدري هل هو تكريم للأديب الراحل، أو أنه أقيم لأغراض سياسية محلية في إقليم الخروب؟ لم أجد أحداً بين الحضور ممن أعتبرهم أصدقاء ورفاق مشتركين لي ولأحمد أبو سعد.

ألغيت بسبب الطقس زيارة لدمشق كانت ضرورية. وألغيت محاضرة لي في دير الزور بسبب ألم جانبي في ساقي اليمنى. ماذا تريد مني هذه الساق؟!

## حوادث تذكّرني ببعض أساتذتي الأوائل

**الاثنين 22 آذار - مارس**

فقدت اليوم صديقاً من أصدقاء الطفولة هو محمود ناصر من أبناء قريتنا حاريص. نشأنا معاً في كتّاب الشيخ خليل العتريسي، وختمنا القرآن معاً، ودخلنا معاً المدرسة التي أسستها الجمعية العاملية برئاسة رشيد بيضون في عام 1939. ثم افترقنا بعد ذلك في أول الأربعينات، إلى أن التقينا بعد أن كنا قد أصبحنا رجالاً راشدين، كل منا في ميدان عمله، وفي اتجاهه السياسي. أنا شيوعي وهو قومي سوري اجتماعي وماسوني. كان محمود يجاهر بماسونيته ويدافع عنها ويبشر بأفكارها.

مات محمود أمس بحادث سير، وهو يشارك في تشييع رئيس بلدية القرية. حزنت عليه وعلى ذكرياتنا المشتركة. وذهبت إلى بلدتنا حاريص لأعبّر عن حزني أمام أشقائه وأولاده وبعض أصدقاء ذلك الزمن.

اليوم، أيضاً، ذهبت إلى صور للتعزية بمصطفى شرف الدين، حفيد المرجع الديني السيد عبد الحسين وابن صدر الدين صاحب جريدة "الساعة" في العراق وصاحب مجلة "ألواح" في صور. التقيت خلال التعزية حسين شرف الدين رفيق العمر، وجعفر شرف الدين الوزير السابق. ذكريات تداعت من أيام الأربعينات في صور عندما كنت أتابع دراستي في الكلية الجعفرية التي أسسها المرجع الديني السيد عبد الحسين شرف الدين. وهي كانت من أرقى المؤسسات التعليمية في الجنوب. وللجعفرية فضل كبير عليّ لا أنساه. ولا أنسى فضل بعض الأساتذة في أربع مراحل من دراستي فيها. لكنني أذكر في المرحلة الابتدائية الأولى باعتزاز فضل أستاذي السيد جعفر الأمين عليّ، إذ كان أول من أوصلني إلى عالم المعرفة في مدرسة بلدتنا حاريص في السنة الأولى من إنشائها من قِبَل الجمعية العاملية التي كان

يرأسها رشيد بيضون. وأذكر باعتزاز في المرحلة الابتدائية الثانية في المدرسة الجعفرية في صور أستاذي متري حلاج الذي علّمني اللغة الفرنسية وأصولها وقواعدها. وكان عضواً في الحزب الشيوعي. ونشأت لي علاقة صداقة في ما بعد مع ابنه حنا حلاج، الشيوعي الذي عرّفني "بالمعلم" رفله أبو جمرة أحد الرموز الجميلة من شيوعيي ذلك الزمان الذين عرفتهم. وأذكر في المرحلة المتوسطة على وجه الخصوص أستاذَيَّ إنعام الجندي وسليمان أبو زيد. الأول كان قومياً عربياً ثم صار أحد قادة حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا. والثاني كان شيوعياً. وأذكر في المرحلة الثانوية بعد عودتي من العراق أستاذ الأدب العربي جورج كنعان الذي كان عميق المعرفة بالتراث الأدبي العربي في عهوده القديمة. وثمة ذكريات أخرى لي في الأربعينات والخمسينات أولاً في مدينة صور، ولاحقاً في العراق، ثم في شمسطار البقاعية مدرساً، وأخيراً في بيروت بعد العودة من العراق وبعد انتسابي إلى الجامعة اللبنانية. ما أجمل الذكريات، وما أكثرها مدعاة للفرح حيناً وللحزن حيناً آخر.

## مشاريع وأفكار... ولكن!

**الثلاثاء 23 آذار - مارس**

غادرت عند ظهر اليوم إلى دمشق للقاء الدكتور جورج حبش. كلانا طلب اللقاء مع الآخر، هو ليقنعني بمشروعه بتأسيس مركز للأبحاث، وأنا لإقناعه بإصدار مجلة أسبوعية أو شهرية يسارية الاتجاه. كان اللقاء شديد الوضوح في ما يتعلق برأي كل منا بمشروع الآخر. لم يقنع أحدنا الآخر بمشروعه. إلا أننا اتفقنا أن المشروعين يكمّل أحدهما الآخر. لكن من أين نبدأ؟ بأيهما نبدأ، ولأي منهما الأولوية؟ اتفقنا على متابعة البحث في الموضوع. همّي وهمّه في المنطلق واحد. لكن سؤالاً كان يراودني وأنا ذاهب للقاء الدكتور حبش من أجل البحث في مشروعه: لماذا هُزمنا وكيف ننهض من الهزيمة ومن آثارها؟! والهزيمة لا تنحصر في فلسطين، بل هي تشمل واقعنا العربي برمته. لم يكن لدى الدكتور جورج أو لديّ جواب واضح وجاهز حول هذا السؤال وحول المواضيع المتصلة به. دخلنا في نقاش طويل في ما بيننا حول هذا الموضوع وحول مواضيع أخرى. واتفقنا على مواصلة النقاش. كان الدكتور جورج يعلق آمالاً على مشروعه. وهي، في نظري، آمال أقرب إلى الأحلام. وكنت أنا بدوري أعلّق على مشروعي آمالاً كانت هي الأخرى أقرب إلى الأحلام. للهزيمة التي نعيش آثارها وتداعياتها أسباب ذاتية في الدرجة الأولى، وأسباب خارجة عن إرادتنا. لكن الميل السائد عند معظمنا هو الوقوف أساساً عند دور الخارج الامبريالي والصهيوني. وفي ذلك محاولة للهروب من البحث الحقيقي عن الأسباب الحقيقية للهزيمة.

وللحقيقة أقول بأن الدكتور جورج، الذي كان قد خرج أو كان يتهيأ للخروج، من تلقاء ذاته من موقع الأمين العام للجبهة الشعبية، يتميز بصدقية وبأخلاق رفيعة. لذلك فهو، بهذه السمات في شخصيته، يحظى عندي بالاحترام. ورغم أننا كنا مختلفين في المواقف وفي التقديرات على امتداد الأعوام الثلاثين من العلاقة التي تربط بيننا، فإن الصداقة ظلت تتوطد وتتعمق بيننا على الدوام. وتقييمي لنائبه أبو علي مصطفى المرشح للأمانة العامة للجبهة الشعبية هو أنه من طينة حبش في الأخلاق وفي الوطنية وفي الرومانسية. أقول ذلك عن معرفة به من خلال صداقة أعتز بها.

ما أصعب حياتنا نحن العرب. وما أصعب حياتنا نحن اليساريين العرب. وما أكثر الأوهامَ التي قادتنا وتقودنا إلى الهزائم والخيبات المتواصلة.

**الأربعاء 24 آذار - مارس**

قضية كوسوفو! هل هي القضية النموذجية لحق تقرير المصير، كما يقول الأميركيون والأوروبيون وبعض العرب؟! القضية معقدة ويزيدها تعقيداً التدخل الأميركي والأوروبي في الحرب ضد يوغوسلافيا. لكن ما يثير استغرابي هو أن الشعوب تفقد في بعض الفترات التاريخية من حياتها منطقها وعقلها ووعيها، وتسير وراء خطط خارجية معادية لمصالحها. هذا ما أراه الآن في الانسياق الأوروبي وراء مخطط أميركي واضح يهدف إلى تمزيق القارة وضرب وحدتها. وأستغرب في هذا السياق كيف أن أهل كوسوفو يصرون على أن يكونوا، مثل الأفغان وسواهم، حطب الحرب التي تشنها أميركا بدمائهم ضد خصومها ومن أجل فرض هيمنتها على العالم!

هل صارت أميركا هي المقياس وصاحبة الرأي والمرجع في تحديد معنى حق تقرير المصير؟ أتساءل، في ضوء ما يجري في يوغوسلافيا، لماذا لا تجري معاقبة تركيا من قِبَل أميركا وأوروبا "الحريصين" على حق تقرير المصير، معاقبتها على قتل عشرات ألوف الأكراد من أبناء تركيا لمجرد كونهم يطالبون ببعض حقوقهم الأولية كشعب وكقومية؟ لماذا لا تجري معاقبة الأفغانيين على قتل بعضهم بعضاً في صراع بعضه في خدمة الخارج وبعضه الآخر في خدمة مشاريع يريد أصحابها إبقاء هذا البلد في كهوف التاريخ؟ لماذا هذا الاستمرار من أجل الضغط على الشعوب لجعلها أدوات طيعة في خدمة أميركا الساعية إلى بسط هيمنتها لعقود جديدة على العالم كله؟ إنها أسئلة من جملة أسئلة أخرى يفتتح بها القرن الجديد أعوامه ومشكلاته القادمة!

**الجمعة 26 آذار - مارس**

كانت جلسة المصارحة مع خير الدين حسيب بداية جيدة لنقاش سأتابعه باهتمام. استمع خير الدين إلى كل ملاحظاتي وتصوراتي حول العمل الفكري والسياسي بالاستفادة من التجربة الماضية. هل المؤتمر القومي العربي هو إطار حقيقي لعلاقة صحيحة بين تيارات الفكر العربي المختلفة المناضلة من أجل التغيير؟ لديّ شكوك كبيرة في ذلك، نظراً للطابع الشعبوي والرومانسي الذي يتحكم بالمواقف الآنية، والمواقف ذات الصلة بالمستقبل. أعلّق أهمية كبيرة على جلستنا القادمة. سأقدم لخير الدين بحثي حول المسألة الوطنية وحول الطريقة التي تعاملت معها قوى اليسار العربي، وسأرى إذا كان سينشره في مجلة "المستقبل العربي". سأقدم له في الجلسة القادمة تصوري حول صيغة المؤتمر القومي كما أفهمها، لكي أرى إذا كان بإمكاني أن أتعاون معه في المؤتمر في المرحلة القادمة. وسأطلع صديقنا المشترك إسماعيل صبري عبدالله على محادثاتنا. وسأتابع في الوقت ذاته نقاشي مع جورج حبش حول مركز الأبحاث الذي يقترحه. سأكون إيجابياً، هنا وهناك. لكنني سأضع شروطي من أجل عمل حقيقي غير فولكلوري. هل سننجح؟

**الأحد 28 آذار - مارس**

قضيت نهاري في المنزل، من دون الرغبة في الخروج إلى أي مكان، ومن دون الرغبة في لقاء أحد. قرأت قليلاً ثم عدت إلى متابعة العمل على كتابي الجديد.

مثل كل يوم أحد ينتابني شيء من الضجر. لكنه الضجر الذي يحتاج إليه المرء، حتى وهو يكرهه وينزعج منه. الضجر هو شكل من أشكال الراحة الذهنية والجسدية. غير أنني كنت مهموماً بحرب كوسوفو غصباً عني. أرى كل شيء في هذه الحرب غلط من جميع الاتجاهات: غلط من ناحية أميركا، وغلط من ناحية أوروبا، وغلط من ناحية صربيا، وغلط من ناحية أهل كوسوفو بالذات، وغلط من ناحية الأمم المتحدة، وغلط من ناحية أحزاب الاشتراكية الديمقراطية، وغلط من ناحية ما خلفته لنا أحداث هذا القرن الذي نودعه ونودع فيه أحلاماً جميلة تحطمت، ومآسي ستظل آثارها تلاحق القرن القادم، وتترك بصماتها على أحداثه.

رغم كل ما أشهده من غلط هنا وهناك وهنالك ثمة بريق من أمل لا أجرؤ على الجهر به وبمصادره خوفاً منه وخوفاً عليه!

**الاثنين 29 آذار - مارس**

لقائي مع صديقي دكروب حول وضع المجلة كان صريحاً. لكن انطباعي أنه لم يفهم

الرسالة. ماذا عليَّ أن أفعل؟ تحدثت كثيراً معه في قضايا كثيرة ومن ضمنها قضية "الطريق". لكنه انزعج من صراحتي وثارت ثائرته. حزنت لذلك، وتراجعت أمامه حباً له وخوفاً عليه. لكن لا بد من النضال معه.

يبدو أن البشرية ستظل تُساق إلى حتفها مثل النعاج. تلك هي حكمة هذا النهار، اليوم الثالث من أيام العيد السعيد!!

**الثلاثاء 30 آذار - مارس**

كان لقائي مع جورج حبش صعباً، إذ حاولت إقناعه بالعدول موقتاً عن مركز للأبحاث والشروع معي في البحث عن إمكانية إصدار مجلة أسبوعية أو شهرية لليسار العربي. حاولت صادقاً أن أقنعه بأن من الخطأ استهلاك اسمه في ظروف التراجع التي نحن فيها، لا سيما في موضوع ليس من السهل إقناع أحد به. وحاولت أن أقنعه، حرصاً عليه، بعدم الذهاب وراء حماسة بعض الشباب من دون تأمين العدة الحقيقية للعمل، لأن ذلك يتعارض مع كل منطقه ومع حيثيات إنشاء المركز.

لست أدري ماذا يمكن أن يكون عليه موقف الدكتور جورج بعد لقائنا. لكنني قمت بما يجب عليَّ القيام به. ومع ذلك سأكون إلى جانبه من دون مسؤولية محددة، إذا قرر الاستمرار في العمل لإنشاء المركز. فأنا أحترمه، وأعتزّ بإصراره عليَّ في أن أكون شريكاً له في مشروعه الذي لم يقنعني به وبجدواه وبإمكانية تحقيقه على النحو الذي يتصوره.

## نهاية مأساوية لبعض مشاريعي
## التي كانت جميلة مثل الحلم!

**الأربعاء 31 آذار - مارس**

كان اليوم يوم سفر بين دمشق وبيروت، ثم حضور مأتم الرفيق سامي أبو شقرا الشاعر والمؤرخ (والد سناء) في عماطور، ثم حضور عابر لاجتماع المجلس الوطني للحزب الشيوعي من قبيل الوفاء لمن انتخبوني ليس أكثر، ثم الانغماس في تصحيح البحث الذي أعددته حول اليسار والمسألة الوطنية.

اليوم أعلنت لبرهان علوية تخليَّ عن العمل في الفيلم عن الحرب الأهلية. فقد أخبرني الصديق مصطفى شباني صاحب المبادرة في إنتاج الفيلم صادقاً أن الأمور غير متيسرة لإنتاج الفيلم كما كان يتصور. واعتذر منا شاكراً لنا الجهد الذي بذلناه لإعداد الفيلم. وكان الشاعر محمد العبد الله شريكنا في إعداد الفيلم قد وضع السيناريو وناقشناه واتفقنا عليه كأساس للفيلم.

أصبت بحالة كمد، كلما حاولت أن أتخلّص منها وجدتني مشدوداً إليها. لماذا هذا العذاب؟!

اليوم أزداد اقتناعاً بأنني ارتكبت خطأ حين قررت، من موقعي في قيادة الحزب ومن مسؤوليتي عن الاعلام، المباشرة في تأسيس الشركة العربية للإعلام والنشر، الشركة المساهمة التي تجتمع فيها جميع مطبوعات الحزب، والتي كنت رئيس مجلس إدارتها وحامل القسم الأعظم من الأسهم فيها. تأسست الشركة في عام 1992 باقتراح مني استناداً إلى مشروع إعلامي جديد غير مسبوق كنت قد أعددته للمرحلة المقبلة، ووافق عليه المكتب السياسي يومذاك. كان يتطلب المشروع جذب مساهمين غير حزبيين من رجال مال وأعمال من أصدقائنا ممن يغريهم العمل في ميدان الاعلام ويؤمّنون التمويل الضروري له، ويؤمّنون الاعلانات التي تجعله قادراً على الاستمرار. وانطلاقاً من هذه الفكرة حوّلنا جريدة "الأخبار" إلى يومية وحوّلنا جريدة "النداء" إلى أسبوعية، على أن تكون "النداء" أكثر حزبية وأن تكون "الأخبار" عندما نعيد إصدارها أكثر استقلالية عن الحزب. والجدير بالذكر أنني كنت أشرف على جريدة "النداء" بدءاً من أواخر عام 1990 حتى أواسط عام 1992. ولأول مرة في تاريخ صحافتنا الشيوعية، استناداً إلى علاقة صداقة كانت قد نشأت بيني وبين وجيه العجوز وبواسطته مع رئيس مجلس إدارة "طيران الشرق الأوسط" سليم سلام والمدير العام يوسف لحود، تمكنت من إدخال جريدة "النداء" في جميع رحلات طائرات الشرق الأوسط. الخطأ الذي أشعر به الآن هو أنني قمت بعمل لم يكن الحزب يومذاك، قيادة وكوادر وقاعدة، مهيئاً لمثل تلك القفزة النوعية في الدور الجديد للإعلام كما كنت أتصوره. كانت الفكرة التي استندت إليها في المشروع تقوم على أن الإعلام الحزبي فقد جاذبيته وفقد فائدته بالنسبة للحزب وبالنسبة للجماهير التي يفترض بالحزب أنه يتوجه إليها. وأعلنت موقفي هذا بصراحة في الندوة التي نظمها وزير الاعلام في مطلع التسعينات ألبير منصور. تملكتني هذه الفكرة. وكنت شديد الاقتناع بها. لم يعترض أحد في قيادة الحزب على ما قمت به. وبدأت اتصالاتي في هذا الاتجاه. لكن ما أن تأسست الشركة حتى صرت لوحدي مسؤولاً عنها وعن الالتزامات المالية المتصلة بها. وابتعد الرفاق عن الفكرة من أساسها. فتوقفت عن العمل وعن متابعة اتصالاتي. فقد تعطل مفعول المشروع وصارت الشركة عبئاً عليَّ في موجباتها المالية على وجه الخصوص. أتعبتني كثيراً. وها أنا اليوم أبحث عن حل لوضع الشركة. وصارت الاستقالة من المسؤولية عن الشركة هي هاجسي. وبات عليَّ أن أختار الوقت للخروج من هذه المسؤولية. كان عليَّ أن أدرك

خطأي هذا في وقت مبكر عندما فشلت في إقناع قيادة الحزب بجذب مستثمرين ومساهمين في تلفزيون "الجديد"، الأمر الذي جعلنا نسعى لبيع أسهمنا فيه. وهو ما حصل بعد جهد وعناء.

**الخميس 1 نيسان – أبريل**

لا بد لي من أن أخفف الحمل عن كاهلي. لا بد من الاعتراف بالواقع الذي تتغيّر فيه القيم والمعايير والأخلاق وآداب المعاملة، وإلا فإنني سأختنق. ولا أجد مبرراً في أن أضحّي بما تبقى لي من العمر في البذل حيث لا جدوى من البذل. هذا لا يعني مطلقاً التخلّي عن قيمي وعن أفكاري وعن التزامي بها. المطلوب فقط تخفيف الحمل عن كاهلي وعن أعصابي لا أكثر ولا أقل، والاستمرار في عملي الممتع في مجال القراءة والكتابة بحريتي الكاملة.

أوروبا تنهار، أو تكاد، وروسيا سابقة عليها في هذا الاتجاه نحو الانهيار ولاحقة عليه. حرب كوسوفو نظمها الأميركيون لكي يؤكدوا سيطرتهم من دون سواهم على العالم في القرن القادم بعد أن غادر الشركاء القدامى دورهم في القرن الذي يمضي. المعايير التي يريد لها الأميركيون أن تستقر هي معايير النفاق والعسف والاعتباط والقهر والتسلط. لكن الأمور لن تكون سهلة والطريق لن يكون معبّداً أمامهم. إن تحولات جديدة قادمة ستكون أعظم من شبح ماركس، يستلهم أبطالها مشروعه ويتجاوزونه. وهذه تحولات، في تصوري لها، ستتحقق في زمن قد لا يكون بعيداً، لكن في شروط مختلفة عن الزمن السابق. هكذا تبدو لي الأمور في الأفق خلف الضباب الكثيف. هل أنا أسير أحلامي؟!

لكن علينا أن نقرّ بأن الوعي لا يأتي من تلقاء ذاته، وإلا فإنه سيأتي عفوياً ومتخلفاً ومليئاً بردود الفعل. لا بد من حركة جديدة تسهم في توليد هذا الوعي وترشيده. لا بد من فكر جديد. لا بد من العمل. تلك حاجة لا غنى لنا عنها. فمن أين نبدأ، وإلى أين نسير، وفي أي اتجاه؟ تلك هي المسألة.

**الجمعة 2 نيسان – أبريل**

الصراع مع اليأس هو شعاري وشعار نديم عبد الصمد، اليأس مما نحن فيه، والخوف مما نحن ذاهبون رغماً عنا في اتجاهه. إنه اليأس من السياسة ومن السياسيين وممن هم أقرب الناس إلينا. لكن اليأس لن يتغلب علينا. سنحاول المستحيل حتى لا يتغلب اليأس علينا.

الطابع العام للعالم اليوم هو الأكثر مأساوية. والمصدر الأساسي لما نحن فيه من قلق ومن شعور بالخوف من المستقبل إنما يعود إلى هزيمة الانسان أمام شرور أخيه الانسان،

الشـرور التي تتجـاوز المعقول. ما جرى وما يجري في أفغانسـتان من قبـل الأفغانيين، وما جرى وما يجري في إسـرائيل ضد العرب في فلسـطين وضدنا في لبنان، وما يجري في لبنان من قبل القيمين على شـؤونه من أهل السياسـة في الدولة، إن كل ذلك هو جزء من هذا الذي يجري في العالم.

السبت 3 نيسان - أبريل

القلق مسـتمر من جراء مـا يجري في الحرب القذرة في يوغوسـلافيا التي تقودها أميركا بواسـطة أوروبـا لتفتيت هذه الدولـة الاتحادية لصالح خصومها. الأسـاس في قلقي هو في الآن ذاته وطني وإنسـاني وشـخصي. وإذ أشـير إلى الجانب الشـخصي هنا فلكي أقول بأن كل ما يحدث في العالم من قهر وإذلال للشعوب يعنيني في الصميم كإنسان. ومن حقي أن أتسـاءل بهذا المعنى: هل يجوز أن يكون للعالم حاكم واحد من نوع هذا الوحش الكاسـر؟ وإلا فإن الحكام المسـتبدين بشـعوبهم سيتابعون استبدادهم آخذين من هذا الذي يجري في العالـم نموذجـاً يحولونه إلى قانون لهم ويسـعون لكي يكون معترفاً به عالميـاً. إنها الكارثة الكبرى بعينها!

لا يمكن لهذا الوضع في العالم أن يستمر.

"نعاج" أوروبا تستسلم من تلقاء ذاتها لذبحها على يد أميركا. أما شعوبنا فهي مستسلمة لطغيـان المسـتبدين فـي بلدانـنـا. متى سـيتغير هـذا الوضع في العالم؟ متى سـتوافر شـروط النهضة عندنا للخلاص من أنظمة الاستبداد بصيغها المختلفة التي تتحكم بمصائر بلداننا؟

لكـن علينـا أن نعتـرف، وفق ما تقدمه لنـا الوقائع والمعطيات، إن الاسـتبداد السـائد في بلدانـنـا بصيغـه المختلفـة قـد ولّد اسـتبداداً من نوع آخر هو الاسـتبداد باسـم الديـن. وهما إسـتبدادان يلتقيان، برغم ما بينهما من اختلاف في المصالح، عند نتيجة واحدة هي استمرار الاسـتبداد وما يسـتتبعه ذلك من تشـويه للوعي الشـعبي وتدمير للإرادة الشعبية. ويضاعف من هذه الحالة، التي تؤمّن للاسـتبداد استمراره واسـتقراره في نموذجيه، غياب قوى التغيير الديمقراطـي أو ضعفهـا، والخلل في برامجها وفي طرائق عملها ونضالها وفي نوع علاقاتها بالفئات الشعبية بصيغتيها الشعبوية والرومانسية اللتين برغم ما بينهما من اختلاف لا تملكان القدرة على تغيير المطلوب تغييره في أوطاننا.

نحن إذن حتى إشعار آخر، غصباً عنا وعن إرادتنا وعن طموحاتنا، في حالة انتظار. لكن أي انتظـار هـذا الذي نحن فيه، وماذا ولماذا وإلى متى؟ هل نحن بانتظار غودو؟! أشـير هنا للسخرية إلى عنوان مسرحية الكاتب الإيرلندي صموئيل بيكيت!

## مطلوب إعلام تنويري
## في مواجهة إعلام العولمة

**الأحد 4 نيسان - أبريل**

كان اليوم يوم قراءة وكتابة من الصباح حتى المساء. بدأت بإعداد كتاب جديد يتضمن كتابات قديمة لي حول قضايا فكرية وسياسية، تبيّن لي أنها لا تزال راهنة مع بعض الإضافات والتدقيقات. الكتاب سيحمل أحد ثلاثة عناوين: نقد الفكر السياسي العربي، أو وجهات نظر في الفكر والسياسة، أو بحوث في قضايا فكرية وسياسية.

ما أكثر ما يضم أرشيفي المشتت من كتابات لي. إن ذلك يجعلني أفكر في جدوى هذا الكم من الكتابات، كتاباتي وكتابات الآخرين. ما قيمة الكتابة إذا لم تحمل في طياتها ما يمكن أن يشكل إسهاماً ولو متواضعاً في بث الوعي لدى ناس بلداننا الطيبين المقهورين الصامتين على قهرهم، ربما بانتظار معجزة! وكثرة الكتابة، إذا لم تكن تهدف إلى إنتاج فكر جديد وثقافة جديدة وتساهم في التنوير، وإذا لم تكن قادرة على الاسهام في رفع مستوى الوعي الشعبي، قد تؤدي إلى التشويش أو التشويه ولو عن غير قصد. يقودني الحديث عن الكتابة وعن دورها التنويري إلى الحديث عن الاعلام المكتوب والمسموع والمرئي في العالم المعاصر. لهذا الاعلام اليوم أدوار مختلفة عما كانت عليه في السابق، أي عندما كان ذلك الاعلام مرتبطاً بأحزاب وبأيديولوجيا. لنتذكر هنا دور جريدة "الشرارة" في عصر وعهد وزمن لينين واللينينية. انتهى ذلك الزمان وانتهت الأدوار السابقة للإعلام الحزبي حتى قبل انهيار التجربة الاشتراكية. ما هو إذًا دور الإعلام المعاصر، أو ما يمكن تسميته إعلام العولمة بالمعنى التقني وبالمعنى الطبقي لكلمة عولمة؟

كانت لي في مطلع هذا العقد التسعيني وجهة نظر في هذا الموضوع، عندما كنت لا أزال عضواً في قيادة الحزب الشيوعي مسؤولاً عن الإعلام. وهي وجهة نظر معاصرة لم تلق تجاوباً من قبل قيادة الحزب. خسرنا الرهان وأضعنا مكاسب كنا قد بدأنا بتحقيقها. قلت يومها بوضوح بأن الاعلام الحزبي انتهى دوره، وصار من الضروري أن يتوجه الاعلام إلى جمهور القراء والمثقفين والمشاهدين محترماً حريتهم في اختيار مواقفهم إزاء ما ينقل إليهم من وقائع. اليوم وبعد عشرة أعوام على موقفي المشار إليه حصلت قفزة مذهلة في دور الإعلام بشقيه، الشق المتمثل خصوصاً بقنوات التلفزة، والشق المتمثل بالانترنت. في الشق الأول الدور الأول والأخير هو للمال ولأصحاب المال من جهة، ولأصحاب الأيدَيولوجيات المتطرفة من جهة ثانية. أما في الشق الثاني الذي لا يزال في

بداياته، وأنا غريب عن عالمه، فعلينا أن ننتظر لمن سيكون الدور الأساسي فيه، لأصحاب المال والأيديولوجيا المتصلة به، أو لمن سيستخدمونه من الأفراد والمجموعات المتعددة أهواؤها واتجاهاتها وأفكارها؟ لا أدري! مع ذلك وبرغم كل ما أشرت إليه من جديد في عالم الاعلام فلا خيار أمامنا، نحن أصحاب مشاريع التغيير الديمقراطي في بلدنا لبنان، غير البحث عن إعلام مكتوب وإعلام مسموع وإعلام مرئي بعد أن فقدنا الفرصة التاريخية التي توفرت لحزبنا الشيوعي عندما كانت قناة "الجديد" في حوزتنا. وكنا نحن الذين أسسناها. وكان جورج حاوي صاحب الفكرة وصاحب القرار في إنشائها وفي إنشاء إذاعة "صوت الشعب" قبلها. لكن هيهات أن نتمكن من ذلك في ظل هذا الكم من التراجع والتخلف وما يتصل بهما من وقائع مفجعة على الأرض. أتحدث هنا عن اليسار وعن حزبنا الشيوعي وعن القوى الديمقراطية في شكل عام. لا بد من عمل، ولو اتخذ ذلك العمل زمناً طويلاً. ولا خيار أمامنا سوى العمل. إنها مهمة الحاضر والمستقبل ومهمة كل الأزمنة. للإعلام المعاصر، في صيغه المختلفة- بما في ذلك الآتي بسرعة الصاروخ - الإعلام الالكتروني، دور بالغ الأهمية. فإما يساهم في التنوير أو يساهم في تشويه الوعي والمعرفة.

**الاثنين 5 نيسان - أبريل**

عقدنا جلسة ظريفة في منزلي، عبد الرحمن منيف ومحمد دكروب وأنا، كان فيها الحديث متنوعاً. لكنه تركز في الأساس على الكتابة في ميدان اتفقنا على أنه مهم، وهو إعادة إحياء الذاكرة من خلال كتابات هي نوع أقرب إلى السيرة الذاتية وسير لآخرين تتناول أسماء كبيرة في تاريخنا الحديث في ميادين الفكر والأدب والفن والسياسة والدين. وهو ما أنا منغمس فيه حالياً، وكذلك عبد الرحمن ودكروب. سأصدر ابتداء من العام القادم سلسلة من هذه الكتب. المجموعة الأولى منها شبه جاهزة، والأخرى ستكون بحاجة إلى إعداد. إنه عمل سيأخذ مني وقتاً. لكنه عمل ممتع، بالنسبة إليَّ على الأقل.

أما لقائي مع صديقي المهندس رهيف فياض فكان طابعه مختلفاً بعض الشيء عما دار بيني وبين عبد الرحمن ودكروب، رغم أنه تناول موضوع الكتابة في ما هو ممتع ومفيد في ميدانيّ الفكر والسياسة. رهيف يصدر كتابه الجديد الأول في فن العمارة، وأنا أعد لإصدار كتاب في هذا العام في الفكر السياسي دفاعاً عن الماركسية، وإسهاماً في تجديدها، "التفكير إشتراكياً في زمن مختلف".

## "مرض" الشيوعية في روسيا
## قبل وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي!

**الثلاثاء 6 نيسان – أبريل**

أتناول دواء مضادًا للرشح منذ أيام. ومع ذلك أشعر بأنني أوغل في الرشح. ما دلالة ذلك؟ طب وأيديولوجيا! هل الدواء لأي داء يحتاج لكي يفعل فعله أن يرافق الداء إلى نهاياته؟!

يذكّرني ذلك بما قاله غورباتشوف مرة وهو في عز مجده، دفاعاً عن البريسترويكا، بأنه لا بد "لمرض" الشيوعية أن يصل إلى نهاياته من أجل أن يكون لمداواة ذلك "المرض" فعالية. هـل يصح هذا الأمر في مداواة الأمراض الأخرى؟ بالنسـبة إلـّي أنا أنتظر بضعة أيام للتأكد. أما بالنسـبة للشعوب فالأمر مختلف. لننتظر ماذا سيحصل في روسيا. هل عودة الشيوعيين مـع بريماكوف تشـير إلى أن "مرض" الشـيوعية بلغ نهاياتـه، وأن الدواء للإنقـاذ بدأ يحدث مفعوله؟! غورباتشـوف دمَّر الشيوعية باسـم إعادة بنائها. إذ هو استنفر المجتمع السوفياتي والدولة السـوفياتية ضد الحزب باعتباره، من وجهة نظره، كان قد تحوّل إلى حزب محافظ، حـزب يخـاف مـن التجديد. وأذكر فـي هذا السـياق أن الصراع بين الاتجاهيـن في الحزب وفـي الدولة وفي مؤسسـاتهما كان قد بلـغ ذروته في عام 1988. وكنت شـاهداً على ذلك، إذ كنت أقيم في موسـكو ضيفاً على اللجنة المركزية للحزب الشـيوعي السـوفياتي. وكنت ألتقـي فـي مقر إقامتي بممثليـن للاتجاهين، كل منهمـا يتوعد الآخر بالانتقـام عند انتصاره. وقد شـاهدت على شاشـات التلفزة كيف احتدم ذلك الصراع في الكونفرانس التاسـع عشر للحزب بين غورباتشـوف ونائبه وخصمه ليغاتشوف، وبين غورباتشوف ويلتسين الذي كان في المكتب السياسـي مسـؤولاً عن منظمة الحزب في موسـكو، وبين يلتسين وليغاتشوف. استمر ذلـك الصـراع بصيغه وأشـكاله المختلفـة إلى أن قـاد الاتحاد السـوفياتي في صيف عـام 1991 إلى السـقوط. أمـا بريماكوف فيبدو أنه يمـارس هوايته وأحلامـه بانتظار النهاية المأساوية التي تسير في اتجاهها روسيا ما بعد الشيوعية. وبالمناسبة فإن صداقة قديمة تربط بيني وبين بريماكوف تعود إلى أواسـط الخمسـينات عندما كان يعمل في القسـم العربي في إذاعة موسكو. عاش بريماكوف تحولات كبيرة في اتجاهات مختلفة. وشاركه في تحولاته العديد من أصدقائنا المشـتركين ممن كانوا على تخوم القيادة في الحزب وفي الدولة وممن كانوا يعملون في المؤسسات الاعلامية والثقافية في المرحلة السوفياتية. وكانت لكل منهم طريقته في الدخول في تلك التحولات.

المعضلـة كبيرة بالنسـبة للشـعوب الباحثـة عن حريتها مـن دون برنامج ومـن دون قيادة

صالحة. لكن المعضلة أكبر بالنسبة للحركات التي تحمل مشروعاً للتغيير الديمقراطي باسم الاشتراكية أو بأسماء أخرى، وهي فاقدة للبوصلة ومضطربة، كما تشير إلى ذلك أوضاع هذه العقول في بلداننا.

ربما كان من الأجدى بالنسبة إليَّ أن أترك الرشح يأخذ مداه ثم يذهب من تلقاء ذاته من دون تدخل مني. أعتقد أن ذلك كان أفضل. أما بالنسبة لروسيا وللبنان ولنا جميعاً فالمسألة تحتاج إلى نقاش مختلف. إنها تحتاج إلى تدخل من أصحاب المصلحة في التغيير.

## لماذا كل تلك الهزائم والانهيارات التي رافقتنا على امتداد القرن؟!

**الأربعاء 7 نيسان – أبريل**

أشعر في بعض الأيام بأن الزمن يمر من دون أن يكون للحياة طعم ولون ومذاق. أشعر بتفاهة الأشياء وتفاهة بعض الناس. إذ تكثر أمامي مشاهد الزيف. ذلك الزيف الذي يمارس في تكوين البشر، من خلال غسل للدماغ من خارجه، ومن خارج الجسم والروح اللذين يحملانه ويستخدمانه.

أشعر بالقرف من كل هذا الزيف، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً. أسمع من يحاضر في العفة وهو أبعد ما يكون عنها. وأسمع من يحاضر في الأخلاق وهو من النوع الذي لا أخلاق عنده. وأستمع إلى بعض من يحدثني عن ديمقراطيته وهو يشتم المختلفين معه ويتهمهم باللاديمقراطية ويهددهم بما لا أدري من عقاب!

في أربعينية فؤاد زحيل شاهدت وسمعت ولذت بالصمت. فالصمت في بعض الأحيان أفضل المواقف. إنه من ذهب كما يقولون.

قادتني هذه الحالة التي أنا فيها إلى كثرة من الأسئلة تحت عنوان "لماذا". سأعدد هذه "اللماذا" من دون الإجابة عن أي من الأسئلة. وتعدد الأسئلة في صيغها المختلفة يشير بذاته إلى الأزمة التي عشناها ونعيشها، والتي علينا أن نبحث عن السبل الضرورية والممكنة للخروج منها في بلداننا ولخروج البلدان الأخرى منها، كمهمة تاريخية تعود إلى جميع قوى التغيير بأسمائها وبمشاريعها المختلفة في بلداننا وفي العالم.

تتمحور الأسئلة من الناحية التاريخية حول:

لماذا أنتجت التجربة الاشتراكية في مهدها بعد وفاة لينين ظاهرة ستالين الذي ارتبطت باسمه جرائم ذهب ضحيتها الملايين من أفراد الشعب السوفياتي، ومن ضمنهم أعضاء مؤسسون في قيادة الحزب الشيوعي؟ رفض ستالين مشروع لينين المتمثل بالسياسة

الاقتصادية الجديدة (النيب) الذي كان ينوي لينين باسمها تطوير الاتحاد السوفياتي بواقعية، وتجنب القفز فوق المراحل. رفض ستالين مشروع لينين ذاك واختار طريق التسريع القسري لتطوير الاتحاد السوفياتي على حساب المصالح العامة للشعب. واستطاع بذلك أن يحوّل الاتحاد السوفياتي إلى دولة كبرى لا سيما في أعقاب الحرب العالمية الثانية التي لعب فيها الجيش الأحمر السوفياتي دورًاأساسيًا وحاسمًا في الانتصار على الفاشية. وساهم ستالين من موقعه في قيادة الدولة والحزب في تأسيس منظومة الدول الاشتراكية. وأصبح العالم بفعل ذلك الواقع الجديد مقسوماً إلى نظامين عالميين. لكن ستالين تحوّل إلى قيصر جديد وخلّف نمطاً في الاشتراكية، سلطات وأحزاباً، اتخذ صفة الستالينية، ظل يتفاقم إلى أن قاد التجربة الاشتراكية برمتها إلى الانهيار. لماذا أنتجت الاشتراكية بشخص ستالين وأمثاله من الستالينيين نقيضها؟

لماذا انحرف خروتشوف عن القرارات التاريخية للمؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي (1956)، القرارات التي أعادت الاعتبار للشرعية الاشتراكية ولقيمها، نقداً للستالينية ونقضاً لها وتجاوزاً. لماذا انحرف خروتشوف عن تلك القرارات وهيّأ بانحرافاته تلك الشروط للقوى المحافظة في الحزب والدولة للانقضاض عليه وعلى مشروعه الديمقراطي الذي لم تكن الشروط التاريخية، كما يبدو، مهيأة لتحقيقه في الاتحاد السوفياتي، وكان على خروتشوف أن يعمل لتهيئة تلك الشروط ولم يفعل؟

لماذا انفجر الصراع الصيني - السوفياتي، بعد انتصار الثورة الصينية، وفي أعقاب المؤتمر العشرين للحزب السوفياتي وفي أعقاب مؤتمريّ الأحزاب الشيوعية اللذين عقدا في موسكو، الأول في عام 1957 والثاني في عام 1960؟ ما هو دور كل من ماو تسي تونغ وخروتشوف ورفاقهما في تأجيج ذلك الصراع المدمِّر؟

لماذا قامت حركات احتجاجية في كل البلدان الاشتراكية في أوروبا الشرقية ضد حكامها وضد الدور السوفياتي المباشر فيها؟ لماذا اتخذت تلك الاحتجاجات في المجر طابع "ثورة" ضد النظام الاشتراكي، ولماذا كان الشكل الوحيد لمواجهتها هو التدخل العسكري السوفياتي؟

لماذا تحوّلت الأممية الشيوعية منذ البدايات، لا سيما بعد وفاة لينين، نقيضاً للأهداف والقيم التي قامت لأجلها إلى أداة في خدمة السياسة السوفياتية، وإلى أداة تدخّل مباشر بصيغ شتى باسم الدولة السوفياتية وحزبها الشيوعي في شؤون الأحزاب الشيوعية لدى تأسيسها، ثم في المراحل اللاحقة على التأسيس؟

لماذا دعمت الدول الاشتراكية الأنظمة الشمولية وقادتها في بلداننا وفي بلدان العالم

الثالث على حساب الأحزاب الشيوعية وسائر الأحزاب الوطنية والديمقراطية فيها، باسم المقولة البائسة التي حملت اسم التطور اللارأسمالي وأعطت قادة تلك الدول اسم وصفة "الثوريين الديمقراطيين"؟

لماذا حارب الاتحاد السوفياتي الشيوعية الأوروبية التي كانت قد بدأت تتكوّن في أواخر الستينات، ولماذا اختار بالتحديد الحزب الشيوعي الاسباني كهدف ودمّره في المرحلة التي كان يستعيد فيها هذا الحزب دوره في أعقاب وفاة الجنرال فرانكو؟ ولماذا عمل الاتحاد السوفياتي على تقسيم بعض الأحزاب الشيوعية؟

لماذا تدخل الاتحاد السوفياتي عسكرياً لقمع محاولة ألكسندر دوبتشيك تحويل تشيكوسلوفاكيا في اتجاه الطريق الديمقراطي لتطور الاشتراكية في ما أطلق عليه "ربيع براغ" (1968)؟

لماذا تحكّمت السياسة السوفياتية بالمنظمات الديمقراطية العالمية، ولماذا تدخّلت الصين في ظل صراعها مع الاتحاد السوفياتي في تلك المنظمات وساهمت في انهيارها التدريجي، بعد أن كانت قد لعبت أدواراً عظيمة في المراحل الأولى لتأسيسها؟

لماذا لم تستكمل ولم تنجح "المساومة التاريخية" بين مكونات المجتمع الايطالي تحقيقاً لنهضة إيطاليا التي أطلقها الأمين العام للحزب الشيوعي الايطالي أنريكو برلنغوير؟ وهي المساومة التي كان قد دعا إليها الأمين العام الأسبق للحزب بالميرو تولياتي في عام 1954 في اجتماع اللجنة المركزية تحت عنوان "من أجل اتفاق بين الشيوعيين والكاثوليك لإنقاذ الحضارة الانسانية". لماذا لم يستكمل ولم ينجح ذلك المشروع التاريخي في حياة كل من هذين الزعيمين الشيوعيين، ثم بعد وفاتهما؟

لماذا نجح الانقلاب الفاشي في إيران ضد حكومة مصدق في عام 1953، ولماذا لم يقم حزب توده الواسع النفوذ في المؤسسة العسكرية لمواجهة ذلك الانقلاب، ودفع الحزب وكل الديمقراطيين وإيران والشعب الإيراني الثمن الباهظ لذلك الانقلاب؟

لماذا استطاعت الطغمة العسكرية في إندونيسيا أن تقوم بانقلاب على النظام الديمقراطي في البلاد في أواسط الستينات، ولماذا فوجئ الحزب الشيوعي بذلك الانقلاب، وكان حزباً كبيراً واسع النفوذ في البلاد بما في ذلك في القوات المسلحة، من دون أن يكون قادراً على مواجهته والتغلب عليه، ودفع هو والألوف من الديمقراطيين الإندونيسيين وإندونيسيا الثمن الباهظ لذلك الانقلاب؟

لماذا تمكّنت الرجعية التشيلية أن تغلب الجمهورية الناشئة التي تأسست في أواسط السبعينات بتحالف الشيوعيين والاشتراكيين برئاسة الاشتراكي أللندي، ولماذا كان الحزبان

يقللان من خطر احتمال وقوع ذلك الانقلاب الفاشي ولم يتخذا التدابير الضرورية لمواجهة احتمال قيامه؟

لماذا لم يكن قادة الدول العربية في المستوى الذي يجعلهم يدركون أخطاء ومخاطر الموقف الذي اتخذوه في عام 1947 ضد موقف الاتحاد السوفياتي الذي كان يرمي إلى إنشاء دولة ثنائية القومية من العرب واليهود في فلسطين، ووضعوا أنفسهم في موضع التابع للدول الغربية من دون أن يحاسبوها على موقفها في تعطيل المشروع السوفياتي؟ لماذا لم يكن لهم رأي موحد حول القضية الفلسطينية كما يؤكد ذلك كميل شمعون في مذكراته عندما كان سفيراً للبنان في لندن وعضواً في المجموعة العربية إياها، رأي يقدمونه إلى الجمعية العامة في اجتماعها لبحث القضية الفلسطينية؟ لماذا اتخذوا موقفاً ضد قرار التقسيم بعد إقراره ووجهوا سهامهم ضد الاتحاد السوفياتي لوحده واعتبروه العدو الأساسي للعرب ونأوا بأنفسهم عن محاسبة الدول الغربية على موقفها من القرار وإصرارها على إتخاذه؟ لماذا دخلوا في تلك الحرب الهوجاء (1948) لمنع تنفيذ قرار تقسيم فلسطين (القرار رقم 181) من دون أن يكونوا مهيئين لتلك الحرب، وانهزموا فيها أمام العصابات الصهيونية، وهيأوا بهزيمتهم تلك الشروط لإقامة دولة إسرائيل على القسم الأكبر من الأرض الفلسطينية وهجّروا بالقسر مواطني بلدانهم من اليهود باتجاه إسرائيل هدية مجانية ثمينة لها في مرحلة بناء دولتها وبناء مجتمعها الجديدين؟ لماذا منعت تلك القيادات العربية الشعب الفلسطيني بعد الهزيمة في الحرب من إقامة دولة له على أرضه بموجب قرار التقسيم الذي فشلوا في منع تنفيذه، وأدخلوا هذا الشعب المعذّب في الشتات والضياع، وألحقوا الضفة الغربية بالأردن وقطاع غزة بمصر؟ لماذا سارت القوى السياسية العربية جميعها أحزاباً وتنظيمات وزعامات في الاتجاه ذاته، حتى وهي تنتقد حكوماتها وتحملها مسؤولية الهزيمة في الحرب الخاسرة؟ لماذا اختارت الأحزاب الشيوعية العربية ذلك الوقت الصعب بالذات لإعلان موقفها المؤيد لقرار التقسيم ارتباطاً بموقف الاتحاد السوفياتي المؤيد للقرار نقيضاً لمواقفها السابقة المعادية لقرار تقسيم فلسطين؟ ولماذا لم تعرف هذه الأحزاب كيف تسوّق موقفها المؤيد لقرار التقسيم، الأمر الذي أدى إلى انعزالها عن محيطها وعن جماهيرها؟

لماذا أصر عفيف البزري، رئيس أركان الجيش السوري، وهو اليساري الاتجاه وصديق للحزب الشيوعي، ومعه كبار ضباط الجيش السوري، على تسليم سوريا طوعاً إلى الرئيس جمال عبد الناصر في إطار وحدة قسرية غير متوفرة شروط النجاح فيها على قاعدة الديمقراطية واحترام خصوصيات كل من البلدين؟ ولماذا دخل الرئيس عبد الناصر في

تلك المغامرة وفي مغامرات لاحقة في اليمن لتحقيق وحدة عربية لا تتوافر شروطها، لا سيما في الطريقة القسرية التي اختارها لتحقيق ذلك الحلم، ودفع الشعب السوري والشعب اليمني والشعب المصري ثمناً باهظاً لتلك المغامرات؟

لماذا حصلت الهزيمة العربية في عام 1967 في حرب الأيام الستة ضد إسرائيل، ولماذا لم تسقط الأنظمة المسؤولة عن تلك الهزيمة، وظلت تحمل برغم هزيمتها صفة الأنظمة التقدمية، الصفة التي شاركت الأحزاب الشيوعية بإطلاقها على تلك الأنظمة استناداً إلى أوهام وتبريرات سرعان ما دفعت شعوبنا والأحزاب الشيوعية واليسارية ثمنها الباهظ في ظل استبداد تلك الأنظمة؟

لماذا تمكن حزب البعث في العراق من النجاح في الانقلاب الدموي وأسقط جمهورية الرابع عشر من تموز في شهر شباط من عام 1963، ولم يقم الحزب الشيوعي وحلفاؤه لمواجهته من داخل المؤسسة العسكرية التي كانت للحزب مواقع أساسية فيها، ودفع الشعب العراقي ولا يزال يدفع الثمن الباهظ لذلك الانقلاب الفاشي؟

لماذا أقدم عبد الخالق محجوب الأمين العام للحزب الشيوعي السوداني في عام 1971على انقلاب عسكري لم تكن متوافرة شروط النجاح فيه، في وقت كان الحزب الشيوعي يعاني من أزمة انقسامه الحاد، ودفع الحزب الشيوعي وقادته ودفع الشعب السوداني الثمن باهظاً من جراء ذلك الانقلاب؟

لماذا حصل ذلك الصراع الخطير في دولة اليمن الديمقراطية في عام 1986 بين قادة الحزب الاشتراكي، وانتهى بمجزرة أدت إلى انهيار تلك التجربة الرائدة؟

لماذا ظهرت في النصف الثاني من القرن، وفي الثلث الأخير منه على وجه الخصوص، بعض الحركات التكفيرية المتطرفة التي حملت بشكل متعسف اسم الاسلام نقيضاً لقيمه الروحية من نوع "القاعدة" ثم "طالبان" في أفغانستان وحركات مشابهة لهما في باكستان ومصر والجزائر والسودان وفي بلدان أخرى؟ وهي جميعها ارتكبت وما زالت ترتكب جرائم قتل فردية وجماعية. ما هو دور المخابرات الأميركية ومخابرات بعض الدول العربية في تأمين التغطية السياسية والمالية لتلك الحركات تحت شعار محاربة الشيوعية؟ هل انهيار مشاريع التغيير باسم الاشتراكية وبأسماء أخرى هو الذي جعل كل تلك القوى المتطرفة تملأ الفراغ وتشد إليها اليائسين المقهورين الفاقدي الأمل بالتغيير؟

لماذا دخلنا نحن الشيوعيين اللبنانيين ومعنا الحركة الوطنية اللبنانية بكل مكوناتها ومعنا المقاومة الفلسطينية بكل مكوناتها في الحرب الأهلية في عام 1975، ولم نفكر في النتائج الخطيرة للحرب ولدخولنا فيها على لبنان وعلى الشعب اللبناني وعلى مستقبل حركة

اليسار؟ لماذا تسامحنا، بوعي أو من دون وعي، مع المقاومة الفلسطينية بإقامة دولة فلسطينية تدريجياً داخل الدولة اللبنانية وضدها من دون أن ندرك جميعنا، لبنانيين وفلسطينيين، مخاطر ذلك على القضية الفلسطينية وعلى لبنان؟ لماذا لم تحاول القيادات الفلسطينية أن تأخذ الدروس من تجربتها المأساوية في الأردن؟ ولماذا استعجلت واستسهلت الأحزاب المسيحية التي التقت وتحالفت في ما بينها في "الجبهة اللبنانية" ومعها سلطة الدولة القديمة، لماذا استعجلت واستسهلت الدخول في الحرب الأهلية، أسوة بأحزاب الحركة الوطنية، وتحالفت مع إسرائيل رداً على تحالف الحركة الوطنية مع المنظمات الفلسطينية، ولم تفكر هي الأخرى بالمخاطر التي سرعان ما جاءت الحرب في نهايتها بعد خمسة عشر عاماً لتثبت مدى فظاعة وهول تلك الأخطار التي تمثلت بالدمار المادي والدمار السياسي للبنان؟ ولماذا غرق الجميع في أوهام مشاريعهم، وفي أوهام استقواءاتهم بالقوى الخارجية من كل الجهات والاتجاهات؟

لماذا يستمر الشعب الفلسطيني مقهوراً وممنوعاً عليه ممارسة حقه في تقرير مصيره وإقامة دولته الوطنية المستقلة على أرض وطنه فلسطين؟ وما هي مسؤولية القوى الفلسطينية صاحبة القضية، وما هي مسؤولية العرب، أنظمة حكم وأحزاباً ومؤسسات مجتمع مدني، في هذه الانقسامات والصراعات المدمرة، وما هي مسؤولية المجتمع الدولي إزاء الغطرسة الاسرائيلية التي بلغت الذروة في توحشها وفي عنصريتها؟

لماذا لم ننجح نحن الشيوعيين اللبنانيين خصوصاً واليسار عموماً والحركة الوطنية مجتمعة في الاستثمار الصحيح والهادف للحركة الشعبية التي انفجرت في النصف الأول من السبعينات بدور مباشر من هذه القوى جميعها، وشملت جميع الفئات عمالاً ومزارعين وحرفيين وطلاباً ومثقفين ونساء، ولماذا لم ندرك، نحن الشيوعيين خصوصاً وسائر أحزاب الحركة الوطنية، مخاطر الدمج المتعسف الذي مارسناه بين تلك الحركة الشعبية وبين المهمات المرتبطة بالقضية الفلسطينية كما لو أنهما قضية واحدة؟ لماذا لم ندرك في الآن ذاته أن من شأن تلك السياسة أن تقود إلى الالتباس الخطير في النضال الوطني والشعبي اللبناني من أجل التغيير، الالتباس الذي سرعان ما أدى إلى دخول اللبنانيين في الحرب، وإلى تحوّل الحرب بالتدريج من صراع سياسي إلى حرب طائفية عبثية ومدمرة؟ لماذا لم تستطع الحركة الوطنية اللبنانية، أن تسوّق سياسياً وجماهيرياً برنامجها المرحلي للتغيير الذي وضعته في أواخر عام 1975 ودخلت في الحرب الأهلية بكل فظائعها وفجائعها، وقادها دخولها في الحرب إلى ضياع وتدمير برنامجها الديمقراطي؟

لماذا تعذر تحقيق ذلك الاتفاق الذي سعى الحزب الشيوعي اللبناني لعقده مع حزب

الله من أجل التعاون معه في المقاومة وتأسيس جبهة تضم جميع الراغبين والقادرين على الإسهام في المقاومة؟ لماذا فشلت ثلاثة اتفاقات بهذا الشأن كنت شريكاً في صوغها برفقة جورج حاوي مع الأمين العام الأول للحزب الشيخ صبحي الطفيلي، ثم برفقة فاروق دحروج مع الأمين العام الثاني للحزب الشهيد عباس الموسوي، وأخيراً مع الأمين العام الحالي للحزب السيد حسن نصرالله؟ ما هي الأسباب والظروف الداخلية والاقليمية التي حالت دون تحقيق ذلك الاتفاق الذي كان بالغ الأهمية بالنسبة لمستقبل لبنان لو كان تم تحقيقه؟

لماذا لم نستكمل نحن الشيوعيين خصوصاً مشروعنا للتغيير الديمقراطي الذي أطلقناه في المؤتمر الثالث للحزب (1972)، وكانت احتفالات الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب (1974) ذروته؟ لماذا انجرفنا جميعنا مع التيار الشعبوي في تجيير كل تلك الحركة الرائدة في الاتجاه الذي سرعان ما أدخل البلاد في صراع اختلط فيه الحابل بالنابل، في ظل الوجود الفلسطيني الكاسح سياسياً وعسكرياً، وانتهى ذلك الصراع إلى حرب أهلية انقسمت فيها البلاد طائفياً، بخلاف أوهامنا الثوروية، وانتهت بتدمير لبنان مادياً وبشرياً، وبخروج مذل للفلسطينيين إلى شتات جديد، ووقوع لبنان باسم اتفاق الطائف تحت الوصاية السورية التي ما زلنا أسرى تحكمها بمصائر بلدنا وشعبنا وبمستقبلنا؟

لماذا تمكنت القوات الاسرائيلية التي غزت لبنان في عام 1982 من احتلال الجنوب كله ووصلت إلى مشارف العاصمة بيروت من دون أن تلقى مقاومة، باستثناء المعركة المشرّفة التي واجهتها في منطقة خلدة من قبل مقاتلي الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية والقوات السورية وحركة أمل؟ لماذا تعطلت تلك المقاومة عند المنظمات الفلسطينية التي كانت قواتها منتشرة في كل مناطق الجنوب؟ ولماذا تعطلت المقاومة عند الشيوعيين أبطال "الحرس الشعبي" الذين كان الحزب قد أمن لهم كل مستلزمات المقاومة، انطلاقاً من تقدير الحزب ومن المعطيات التي كانت سائدة حول احتمال وقوع ذلك الغزو الاسرائيلي للجنوب؟ ما هي مسؤولية حركة أمل التي اختار متطرفون فيها افتعال صراع مسلح مع الشيوعيين عشية ذلك العدوان (1980) وذهب ضحيته عشرات الشهداء من الطرفين؟ لماذا كان الجنوبيون في حالة تشبه الحياد إزاء ذلك العدوان، وما هي مسؤولية المنظمات الفلسطينية وأحزاب الحركة الوطنية وحركة أمل عن ذلك الوضع الذي كان عليه الجنوبيون؟

لماذا أعطي النظام السوري بقرار عربي ودولي في اتفاق الطائف (1989) مهمة الوصاية على لبنان في إنهاء الحرب وفي إعادة السلم الأهلي إلى البلاد، وما هي مسؤولية القوى اللبنانية، بكل أطيافها، عن ذلك، وماذا كان الهدف المبتغى من تلك الوصاية، وهل انتهى

ذلـك التكليـف وهل حقق أغراضه، وهل باسـتطاعة تلك القوى التـي فرضت تلك الوصاية أن تطلـب من القوات السـورية الخروج من لبنان من دون صعوبات، وما هي الوسـائل التي بمقدور تلك القوى اسـتخدامها لإنهاء تلك الوصاية، وبأية شـروط، وبأية أثمان، وهل حان الوقت لذلك؟

لماذا يسـتمر هذا الحصار الأميركي الظالم لكوبا الاشـتراكية، ولمـاذا لا يبتدع قادة كوبا الأفكار والسياسـات والاصلاحات التي من شـأنها أن تخفف من عبء هذا الحصار الظالم علـى الشـعب الكوبي الذي يعيش فـي المعاناة صابـراً على امتداد نصف قـرن من دون أمل واضح في مستقبل أفضل يستحقه؟

تلـك هـي نمـاذج من الأسـئلة التي تملكتني واسـتولت عليَّ فـي ما يشبه محاكمة لقرن بكامله، كانت مطالعه تبشـر بمسـتقبل زاهر للبشرية باسم المشـروع الاشتراكي، وانتهت فيه التجـارب جميعها بأسـمائها وبعناوينهـا المختلفـة بانهيارها وانهيار كل تلـك الأحلام التي ارتبطت بالتجربة الاشتراكية وبمشروعها الكبير لتغيير العالم.

تعيدنـي هذه الأسـئلة، لا سـيما ما يتعلق منهـا بأزمة الاشـتراكية، إلى كتابـي "حوارات" الذي صدر في مطلع عام 1990، أي قبل عام ونصف من سـقوط الاتحاد السـوفياتي وانهيار التجربـة الاشـتراكية. ففـي هذا الكتاب الذي ناقـش أفكاري فيه أربعون مثقفـاً عربياً من كل الاتجاهـات، بما في ذلك الاتجاه الديني، إشـارات إلى جوهر الأزمة في الاشـتراكية، وإلى بعـض محـاولات قراءتها قبـل الانهيار. وأستشـهد هنا ببعـض الفقرات مـن التعقيب على مساهمات أصدقائي المثقفين الذي احتل القسم الأخير من الكتاب:

"... ثمـة ملاحظـة من ضمن الملاحظات تتعلّق بجملة من المفاهيم أصبحت تحتاج، في ظل أزمة الاشـتراكية، إلى إعـادة بحث على قاعدة الفهم الصحيـح لقوانين الديالكتيك، ولأشـكال تجلياتها فـي الحياة الاجتماعية، وفـي حركة التطور التاريخـي. فالثورة والدولة وأشـكال الانتقال وتعاقب التشـكيلات الاقتصادية - الاجتماعية وعلاقـات الانتاج وتطور القـوى المنتجة والطبقات والصراع الطبقي والعلاقات الاجتماعية، في ظل الرأسـمالية وما قبل الرأسـمالية وفي ظل الاشـتراكية والملكية الخاصة والملكية الاجتماعية ودور الانسـان الفرد وحقوقه والحرية، الحرية الشخصية والحرية العامة وحرية الإبداع وحرية العمل ودور العوامل الروحية في تطور وعي الانسـان ووعي المجتمع الخ، كلها وسـواها مفاهيم بحاجة إلـى إعـادة بحث وإعادة تقييم، وبحاجة إلى الاغناء على أسـاس العلـم والتجربة ومنجزات الحضارة ووقائع الحياة والقضايا التي يدفعها التطور باتجاهاته المختلفة إلى المقدمة كقضايا أكثر إلحاحاً. ومن شـأن هذا البحث أن يغني النظرية ويعمقها ويعمق أساسـها العلمي. ولا

شك أن أي بحث نظري لا بد أن يستند إلى ما قدمه كلاسيكيو الماركسية من إنجازات، وهي كبيرة ومتعددة الجوانب. لكن الوقت الضروري قد حان، بنظري، لكي تتحرر الاشتراكية في تطورها كنظرية علمية من ربطها بالأشخاص العظام، ماركس وإنجلز ولينين وسواهم، مع التأكيد على دورهم. فإن من شأن ذلك أن يحرر النظرية من خطر الصنمية والدوغمائية الذي بلغ الذروة في نتائجه التدميرية على النظرية وعلى التجربة في آن. فالنظرية العلمية للاشتراكية تحتفظ لماركس وإنجلز ولينين ولآخرين من كبار من أسهموا في إغنائها بدور كبير في التأسيس والتطوير. لكنها تبقى علماً مستقلاً مثل سائر العلوم، قابلاً للبحث الدائم وللتجربة وللإغناء وللتطوير في ضوء كل ما تقدمه الاكتشافات العلمية والتطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والروحي من إنجازات".

لكن الاستشهاد بالماضي وببعض مواقفنا فيه لا يقدم حلولاً تتصل بالمستقبل. المهم هو أن نعرف ونعترف بأن صناعة المستقبل في الشروط التاريخية التي نحن فيها تتطلب عملاً دؤوباً وجهوداً يشارك فيها أهل الرأي ممن ينتمون إلى مشاريع التغيير الديمقراطي بأسمائها ومرجعياتها الفكرية المختلفة، وفي مقدمتها المشروع الاشتراكي مجدداً ومطوراً ومتحرراً من كل أثر للدوغمائية.

**الخميس 8 نيسان – أبريل**

قضيت النهار والليل في المنزل، غارقاً في نوع مزعج من الرشح الذي لا يتيح القراءة أو حتى المشاهدة المركزة. نمت بعض الوقت. ثم استمعت إلى الموسيقى الكلاسيكية. وكان قد مضى وقت لم أستمع فيه إلى الموسيقى. استمعت أولاً إلى السمفونية التاسعة لبتهوفن، ثم إلى مقطوعات كلاسيكية متفرقة مسجلة على شريط كاسيت كان قد أهداني إياه رفيقي محمود الواوي.

بقيت أربع ساعات بكاملها أستمع من دون ملل. ما أجمل متعة الاستماع إلى الموسيقى.

ثم لما جاء الليل شاهدت مع نجوى حواراً بين عزيز العظمة ورجل دين أردني من قادة الاخوان المسلمين حول العرب واليهود في فلسطين. كان عزيز جريئاً في مواجهته لموقف الشيخ. لكن الحوار، بشكل عام، لم يكن منظماً، ولم تظهر فيه الفائدة المرجوة منه كما كنت أتوقع. مثل هذا الحوار يحتاج إلى إعداد أكثر دقة لكي ينجح في وظيفته التنويرية.

**الجمعة 9 نيسان – أبريل**

كان يوم طعام طويل. غداء عندنا في المنزل مع عدد من الأصدقاء ومن ذوي القربى. وعشاء عند صديق قديم مع عدد من الأصدقاء. وكان الفاصل بين الوجبتين نشاط ثقافي

هو المشاركة في توقيع كتاب لصديقي اليمني أحمد الصياد، أحد أركان منظمة الأونيسكو. يتناول الكتاب أحوال العالم في القرن الحادي والعشرين في صيغة تأملات.

**السبت 10 نيسان - أبريل**

أبحث عن هواية أداوي بها ضجراً محتملاً. ما هي هذه الهواية؟ هل يمكن أن تكون نجوى شريكتي فيها؟

بدأت اليوم بقراءة كتاب عن العولمة بعنوان "فخ العولمة". كتاب يحاول أن يعطي صورة شعبية مبسطة للدور الجديد للرأسمال، الذي بدأ يتحرر من كل رقابة عليه ومن كل قيد، بما في ذلك رقابة وقيد الدولة. مفيدة هذه القراءة في الوقت الذي أعمل فيه على إعداد كتابي الجديد.

## تذكّرت اليوم مكسيم رودنسون
## المستعرب المميّز صاحب كتاب "محمد"

**الأحد 11 نيسان - أبريل**

قرأت كتاباً لصديقي فيصل جلول عن مكسيم رودنسون، حمله لي فيصل مع إهداء من رودنسون لي. يتضمن الكتاب ذكريات لهذا المستعرب الفرنسي الماركسي حول وجوده في لبنان وسوريا خلال سبع سنوات في أول الأربعينات جندياً في الجيش الفرنسي. والحديث عن رودنسون يثير عندي ذكريات عديدة. أولها لقائي به في أول الثمانينات في منزله في باريس، وقراءتي لبعض كتبه، وأهمها كتابه عن محمد نبي الاسلام. وهو من أهم ما كتب عن الاسلام وعن النبي محمد. دخل رودنسون في هذا الكتاب بعمق في شخصية النبي وفي جوهر رسالته. وتذكرت البحث الطويل الذي كتبه رودنسون في أول الخمسينات بعنوان "الصهيونية والشيوعية" نشرته مجلة Nouvelle Critique حدد فيه بوضوح موقف الحركة الشيوعية من الصهيونية بصفتها حركة عنصرية. وما زلت أحتفظ بالعدد وبالبحث الذي يدين فيه هذا الماركسي الفرنسي اليهودي الأصل مطامع الحركة الصهيونية المعادية للعرب في فلسطين. رودنسون هو، في قراءتي لكتبه وكتاباته، من أهم المستعربين الغربيين. وهو يتحلى بالجدية وبالصدقية أكثر من سواه ممن قرأت لهم في موضوع الاستشراق والاستعراب. وهو ما تدل عليه كتبه العديدة التي يقرأ فيها بشغف وحب الحضارة العربية في مختلف جوانبها.

## في ذكرى "ثورة" 1958 في لبنان
## التمرين الأول للحرب الأهلية (1975):

**الثلاثاء 13 نيسان - أبريل**

أتذكر في هذا اليوم، رغم أنفي وغصباً عن إرادتي، الثالث عشر من شهر نيسان، ذلك اليوم المشؤوم الذي دخلت فيه البلاد، أو على الأصح، الذي أدخلنا فيه البلاد، لبنانيين وفلسطينيين ومن ورائنا أشقاءنا العرب والكثير من بلدان العالم، في الحرب الأهلية. كلما حاولنا أن نهرب من هذا التاريخ تأتي الظروف، من داخلنا ومن خارجنا، فتذكرنا به كما لو أننا على موعد مع حرب أهلية جديدة، نعلن جميعنا رفضنا لها واستعدادنا لمقاومة احتمال عودتها. لكنها لكثرة ما نشهده من انقسامات بين القيادات السياسية وبين جماهيرها تبدو هذه الحرب كأنها تطرق أبواب بلدنا من جديد.

عادت بي الذاكرة، وأنا أستحضر مأساتنا في الحرب الأهلية، إلى عام 1958 الذي انفجرت فيه الحرب الأهلية الأولى التي أعطيناها باسم وطنيتنا صفة الثورة. كان عهد الرئيس كميل شمعون يسير في ذلك التاريخ في الاتجاه المناقض للنهج الذي كان قد بدأ يصبح في مستوى الثقافة العامة في الحياة السياسية في البلاد، ابتداءً من الفترة التي كانت فيها الحرب الباردة في أوجها. وهو النهج الذي كان يقوم على العداء للأحلاف السياسية والعسكرية التي كانت الدول الغربية تريد إدخال لبنان فيها أسوة بما كان قد حصل في العراق الملكي. وهي "حلف بغداد" و"حلف السنتو" و"حلف تركيا - الباكستان" و"النقطة الرابعة". قامت في لبنان حركات عديدة معارضة لتلك الأحلاف دعت إليها ونظمتها الأحزاب العلمانية ذات الاتجاه اليساري والقومي، ومن ضمنها الحزب الشيوعي. اشتد الصراع بين الحركة المعادية للأحلاف وعهد الرئيس شمعون، لا سيما في المرحلة التي أعقبت قيام الوحدة بين مصر وسوريا في مطالع عام 1958. وتفاقم ذلك الصراع بعد انتصار ثورة الرابع عشر من تموز في العراق في صيف ذلك العام. إلا أن قيام الوحدة المصرية-السورية كان الأكثر تأثيراً في مجرى الأحداث. كثرت التدخلات السورية بصيغ مختلفة في لبنان. وكان الهدف المباشر لتلك التدخلات إدخال لبنان في محور تلك الوحدة من خلال خلق الشروط لذلك ولو بالقسر. كان الرئيس شمعون في المقابل يستخدم كل الوسائل لمواجهة ذلك التدخل والاستمرار في موقفه لإدخال لبنان في الأحلاف المشار إليها. فزوّر الانتخابات النيابية التي أجريت في عام 1957 من أجل أن يأتي ببرلمان يساعده في تعديل الدستور لتمديد ولايته، ناسياً أو متناسياً أنه كان من أركان الحركة التي أطاحت حكم الشيخ بشارة الخوري في عام

1952 الـذي كان قـد زوَّر انتخابات عـام 1947 ليأتي بالبرلمان الذي عدل الدسـتور وجدَّد لـه لولايـة ثانية. في شـهر أيار من عام 1958 اغتيل الصحافي نسـيب المتني صاحب جريدة "التلغراف" الواسـعة الانتشـار. وكان ينتمي إلى الحزب التقدمي الاشـتراكي. فكان ذلك الاغتيـال القشـة التي قصمت ظهر البعير. إذ قامـت على الفور كردة فعل على ذلك الاغتيال حركة عصيان اتخذت صيغة مقاومة مسـلحة ضد العهد باسـم "جبهة الاتحاد الوطني" التي تشـكلت من شـخصيات متعددة الاتجاهات، وانتخبت رئيسـاً لها صائب سـلام. وكان من أركانهـا كمـال جنبلاط وشـخصيات يسـارية صديقـة للحزب الشـيوعي. لم يكـن الحزب الشـيوعي ممثلاً رسـمياً فيها لكنه كان مؤيداً لها وفاعلاً في المقاومة المسـلحة باسـمها في مختلف مناطق لبنان. وهكذا أعلنت الثورة التي سرعان ما تحولت إلى حرب أهلية اتخذت طابع صراع طائفي ذهب ضحيته العديد من المواطنين اللبنانيين على الهوية الطائفية.

أتسـاءل اليوم، وأنا أسـتحضر ذلك التاريخ، هل كان ضرورياً أن يقوم ذلك الصراع الذي أعطيناه اسـم وصفة الثورة في ذلك الشـكل الذي قاد البلاد، خارج إرادة الذين أطلقوه، إلى تلـك الحـرب الأهلية الدموية؟ وأتسـاءل في الآن ذاته لماذا لم نسـتخلص من تلك الحرب الأهليـة الأولى الـدروس الضرورية من أجل ألا ندخل البلاد مـن جديد في الحرب الأهلية الثانيـة التي دمرت البلاد بشـراً وحجراً ودمـرت الوعي ولاتزال نتائجهـا ظاهرة للعيان حتى هذه الأيام؟

أكثـر ما يشـغلني في هذا اليوم التفكيـر ببعض كتاباتي اللاحقة. فكـرت في كتاب جديد بـدأت الإعـداد لـه، ولـم أفلح فـي اختيـار عنوانه. فكـرت في المـادة التـي يتضمنها، وهي بمعظمهـا من كتاباتي السـابقة. ولد التفكير فـي هذا الكتاب عندي أفـكاراً عديدة، من بينها فكرة إعادة إصدار كتاب لي عن ذاكرتي الفلسـطينية نشـر قسـم كبير منه في مجلة "الطريق" بمناسـبة مرور خمسـين عاماً على النكبة. لكنني ما زلت متحفظاً. وخطرت لي فكرة ثانية: لمـاذا لا أكتـب ذاكرتـي عن الحرب الأهلية؟ لكنه مشـروع صعب وكبيـر. خطرت لي هذه الفكرة بعد لقائي مع برهان علوية الذي أعلنا فيه فشـلنا في إنتاج الفيلم عن الحرب الأهلية. لماذا لا أكتب ما أحتفظ به في ذاكرتي عن الحرب الأهلية في صيغة رواية شـخصية، أبطالها موجـودون، وبعضهـم من أفراد عائلتـي وبعضهم من أصدقائي ورفاقي؟! الفكرة تشـغلني. سأفكر بها خلال الأيام القادمة. وأعتقد أن علينا نحن الذين عشنا هذه الحرب أن نكتب عنها بأمانة، ولكن بنظرة نقدية وبنظرة مستقبلية نقدمها لأجيالنا الشابة.

وإني لأعترف هنا بكلمات قليلة أننا، نحن الشـيوعيين وسـائر رفاقنا في الحركة الوطنية، قد أخطأنا بحق بلدنا لبنان، وأخطأ معنا رفاقنا الفلسـطينيون بحق القضية الفلسـطينية، عندما

وافقنا على قرار القيادة الفلسطينية بإقامة دولة فلسطينية داخل الدولة اللبنانية وضدها، وحين دخلنا معهم في الحرب الأهلية من دون حساب للنتائج الكارثية التي قادت إليها الحرب، وأخطأ خصومنا في ذلك التاريخ في الجبهة اللبنانية في الانجرار معنا في الحرب. فقد دمرنا لبنان ودمرنا مع بلدنا القضية الفلسطينية. وأعترف بأننا، نحن الشيوعيين على وجه التحديد، دخلنا في الحرب الأهلية من منطق الشعبوية التي كنا ندينها، وخرجنا من الحرب أكثر خسارة من كل الأطراف التي شاركت فيها. اعتراف متأخر. لكن أن يأتي هذا الاعتراف متأخراً خير من ألا يأتي أبداً.

اعترافاتي هذه بالخطيئة التي ارتكبها حزبنا وارتكبتها الحركة الوطنية في تحالفها مع المقاومة الفلسطينية بدخولنا في الحرب الأهلية، تدعوني إلى الطلب من جميع الذين شاركوا في الحرب من كل الأطراف أن يقوموا بمراجعة نقدية لمواقفهم في الحرب، قبل قيامها وخلالها وبعد توقفها بقرار خارجي. لقد قمنا نحن في الحزب الشيوعي بهذه المراجعة في المؤتمر السادس للحزب في عام 1992، رغم أن الحزب قيادة وكوادر وأعضاء قد نسوا تلك المراجعة. لا بأس. يمكن استعادتها وتطويرها عندما يستعيد الحزب عافيته ويخرج من أزمته. لكن على أحزاب الحركة الوطنية، أو بقايا هذه الحركة، وعلى أحزاب الجبهة اللبنانية أو بقاياها أن يقوموا بهذه المراجعة لكي يكون بالامكان مواجهة الحاضر والمستقبل سلمياً وديمقراطياً في شروط أفضل، حتى ولو اختلفت مشاريع القوى السياسية حول هذين الحاضر والمستقبل لوطننا المشترك. يمكن وينبغي أن يحصل ذلك في ظل الوصاية السورية، التي لن تعيش في بلدنا مدى الدهر. لكن شرط الانتهاء من وجود هذه الوصاية، الشرط الضروري، هو سعي اللبنانيين الجدي والصادق إلى استعادة وتعزيز وحدتهم في الارتباط بوطنهم وفي الولاء له وفي الانتماء إليه إنتماء وطنياً يعلو على أي إنتماء آخر من أي نوع، وفي الدفاع عنه وعن استقلاله وعن سيادته ضد كل من يحاول المس بهما من أية جهة أتى. ففي ظل هذه الوحدة الوطنية حول الوطن اللبناني وحول بناء دولته المدنية، يتأمن الشرط لتقصير مدة هذه الوصاية، والعمل مع الأشقاء السوريين لصوغ علاقات أخوية صحيحة وضرورية بين البلدين والشعبين الشقيقين، على قاعدة احترام سيادة وخصوصية وخيارات كل بلد من قبل البلد الآخر، والعمل على تعظيم المصالح المشتركة وتحقيق التكامل بينهما في شتى الميادين التي تخدم تطورهما. إن جوهر المراجعة النقدية يقوم، في نظري، على الاعتراف بالأوهام التي كانت جميع أطراف الصراع في الحرب الأهلية أسيرة لها. هذا أولاً. أما الأهم فهو الاعتراف بأننا جميعنا قد استقوينا في صراعنا بقوى خارجية من كل الجهات والاتجاهات. وهي خطيئتنا الكبرى التي قادتنا إلى تدمير بلدنا وقتل شعبنا لصالح أجندات خارجية.

الأربعاء 14 نيسان - أبريل

بدأت مجلة "الطريق" تفقد بريقها. وفي هذا الوضع ما يبعث على الأسى والمرارة ويعذبني. لكن ما حيلتي؟ لقد حاولت كثيراً أن أقنع صديقي محمد دكروب بأنه لا مجال للاستمرار في المراوحة، لأن المراوحة شكل من أشكال التراجع. لكنه تعوّد على وضع لا يستطيع التخلي عنه. فهو يراهن على تاريخه الجميل في الصحافة الثقافية. وهو بالفعل تاريخ جميل. لكنه صار جزءًا من الماضي. ونحن نبحث في "الطريق" عن الطريق إلى المستقبل المختلف.

عقليتي، التي لم أتخل عنها برغم العمر، هي التي تدعوني للنظر بضرورة تجديد الحياة وتجديد الخلايا وتجديد شكل الوجود. كنت دائماً أعمل بكل طاقتي في أية مهمة توكل لي، ولا أهتم بالموقع ولا بالمظهر. وكلما كنت أصطدم بعقبات كنت أتراجع لأحدد خياراتي من جديد. وها أنا اليوم، في حالة تشبه اليأس من إمكانية أن تستمر "الطريق" كما كنت أريد لها أن تكون، في الوظيفة وفي الشكل وفي المضمون، عندما دخلت في مغامرة إعادة إصدارها. لذلك سأحاول التخفيف من إهتمامي بها من دون التخلي عنها، والانصراف إلى إعداد مشروع جديد. ما هو هذا المشروع؟ لا أدري. لكن جزءاً من هذا المشروع يتمثل بإعداد بعض الكتب. أما الجزء الأهم فهو الاعداد بنفس طويل لإصدار مجلة من نوع جديد، أنطلق فيه من تجربة مجلة "الطريق" وأتجاوزها. لكن هذا المشروع يحتاج إلى مثقفين من كل الأجيال والاهتمامات والاختصاصات، وإلى ممولين يقتنعون بأهميته وبجدواه.

إنها مهمة لن أتخلى عنها. وستأخذ قسطاً مهماً من وقتي. والمشروع هو حلم حياتي ولن أتخلى عنه، حتى ولو جاء ذلك في اللحظات الأخيرة التي تسبق مغادرة الحياة.

## أتساءل بعد أربع زيارات إلى يوغوسلافيا: ماذا تريد أميركا من حرب البلقان؟!

الخميس 15 نيسان - أبريل

حلف الأطلسي بقيادة أميركا يحاول خلق نمط جديد من العلاقات لا بد من مواجهته في شكل مختلف عن السابق. لم يعد العالم مقسوماً إلى نظامين. النظام السائد اليوم هو النظام الرأسمالي. والذي يتحكم بهذا النظام، ولزمن لا نستطيع التكهن به، هو الولايات المتحدة الأميركية. علينا إذًا في بلدنا لبنان وفي سائر البلدان العربية أن نفكر في مستقبلنا انطلاقاً من هذا الواقع الجديد. لكننا لسنا وحدنا نحن العرب المعنيين بهذا الأمر. لنا شركاء

فـي هـذا الهم في كل بلدان العالـم. لا أشير هنا إلى ما يمكن أن يخطـر بالبال من "ضرورة" للبحـث فـي تأسـيس أممية جديـدة. فالزمن مختلف في عالـم اليوم عمـا كان عليه في زمن سابق. لكن مع ذلك لا بد من التفكير في مواجهة هذا الجبار المدجج بالسلاح، والمهيأ لكل ما يمكن أن يقود العالم إلى مزيد من الاستبداد والقهر والعدوان والتحكم بمصائر الشعوب وبمصائـر البشـرية. تقودني إلى هذه التداعيـات الحرب على يوغوسـلافيا التي دمرت هذا البلد وأضعفت أوروبا وخلقت هذه الحالة المضطربة التي تسود العالم اليوم.

الوضع الذي تعيش فيه يوغوسـلافيا اليوم يذكرني بأربع زيارات قمت بها إلى هذا البلد. كانت الزيارة الأولى منها في عام 1978 لحضور مؤتمر اتحاد الشيوعيين اليوغوسلاف، آخر مؤتمر في عهد الزعيم التاريخي تيتو. لكن ما يهمني من هذه الزيارات الأربع الزيارة الأخيرة التي كان لي فيها شريكان هما رفيقاي طوني فرنسيس وعلي منعم. كان ذلك في عام 1982. زرنا العاصمة بلغراد ومدناً أخرى في جمهوريات أخرى من الاتحاد اليوغوسـلافي، بما في ذلك جمهورية البوسنة وعاصمتها الجميلة سارايڤو. التقينا خلال الزيارة بكبار المسؤولين فـي الحـزب وفـي الدولـة. والطريف في تلـك الزيـارة أن جميع المسـؤولين مـن مختلف المواقـع الذيـن التقينا بهم تكلموا معنـا باللغة ذاتها موجهين لنا اللـوم، نحن اللبنانيين، على دخولنا في حرب أهلية دمرنا فيها بلدنا الجميل. وقد أتيح لي في ما بعد أن ألتقي مع السفير اليوغوسـلافي في لبنان خلال الحرب على يوغوسـلافيا. ذكرته بما سمعناه من المسؤولين فـي بلـده عن الجريمة التـي ارتكبناها بحق بلدنا. غريب كيف تتكـرر الأحداث الكارثية في مختلف البلدان من دون وعي من شعوبها ومن قادتها. أما لهذه الحروب العبثية التي يقودها الكبار لمصالحهم ضد مصالح الآخرين من نهاية؟!

أذكر من طرائف زيارتنا الأخيرة تلك إلى يوغوسـلافيا أننا وقفنا في سـارايڤو عند الممر الـذي تم فيه اغتيال الدوق فرانسـوا فردينان في عام 1914، هذا الاغتيال الذي كان الشـرارة التي قادت إلى الحرب العالمية الأولى.

وقفت اليوم عند هذه التواريخ المأساوية وتساءلت: ترى هل ستتمكن البشرية ذات زمان من وضع حد للحروب وللمآسـي التي تولّدها للانسـان الفرد وللانسـان الجماعة؟! لكنني سرعان ما أدركت أن الشروط غير متوافرة لطرح مثل هذا التساؤل، فكيف بالاجابة عنه! لكنه مع ذلك سؤال مشروع.

## إعادة إسرائيل احتلال أرنون
## أمر غريب يطرح أسئلة تشبهه!

**الجمعة 16 نيسان - أبريل**

استعادت إسرائيل أرنون بعد أن كان قد حررها الشباب. ويبدو لي أن تحرير أرنون، في الشكل الذي تم فيه، لم يرض أطرافاً عديدة داخلية وإقليمية ودولية. إذ إن التحرير، بواسطة طلاب يساريين من كل الجامعات ومن كل المناطق ومن كل الطوائف وبمبادرة وبدور أساسي من اتحاد الشباب الديمقراطي وبتلك الطريقة السلمية، يبدو أنه كان ممنوعاً من جهات متعددة، كل منها لسبب يخصها! وأغامر بالقول إن ذلك كان ممنوعاً من الداخل اللبناني وممنوعاً من المحيط وممنوعاً من الوصاية السورية على وجه التحديد!!

ماذا حصل؟ لنعترف بالحقائق وبالوقائع. تقول الوقائع بأن المقاومة الاسلامية التي كانت قد قللت من أهمية تحرير أرنون سلمياً سارعت بعد تحرير البلدة إلى القيام بعمليات حول البلدة ومن داخلها ضد قوات الاحتلال. إذ يبدو بالنسبة للمقاومة الاسلامية أن التحرير يجب أن يتمّ بواسطتها وبأسلوبها الوحيد! وهكذا يصبح أي تحرير خارج هذا الأسلوب وخارج هذه القوى في موضع الشك. وكان قد جرى مثل هذا التشكيك بتلك العملية الرائدة التي قادت إلى تحرير أرنون. وقيل ببساطة ومن دون تدقيق بالقول إن وراء الشباب مخابرات من هنا وهناك وهنالك! هل يعقل؟ لكن هذا ما حصل! لذلك ظلت أرنون مسرحاً للعمل المقاوم بعد تحريرها الى أن أعادت إسرائيل احتلالها. ما هو تفسير هذا النوع من الوطنية في عصر العولمة؟ أنا لا أشكك هنا ببطولات المقاومة الاسلامية، وتحديداً بطولات مقاومي حزب الله. فهي ملء السمع والبصر. لكنني أبدي استغرابي لذلك الموقف العجيب من تحرير أرنون، واستغرابي لما حصل مثل ذلك في السابق، ولما تكرر حصوله في موضوع الاستئثار بالمقاومة وحصريتها بحزب الله!

أنا أعترف بالعولمة كواقع. لكنني أقاوم التوحش الرأسمالي باسم هذه العولمة. أقاومها دفاعاً عن القيم الانسانية، ودفاعاً عن الحرية، ودفاعاً عن حق الانسان في الحياة، أولاً وقبل كل شيء، وفي الحياة الحرة الكريمة في شكل أكثر تحديداً. الانسان هو، بالنسبة إليّ، أصل الوجود على الكوكب. وكل عمل يتم في الاتجاه الذي يحقق التغيير في حياة البشر نحو الأفضل هو الحقيقة الوحيدة التي لا تقبل الجدل. ذلك هو موقفي المبدئي. قناعاتي هذه هي ما يجعلني أرفض العمليات الانتحارية، كما أرفض المغامرة، وأقف ضد كل سياسة

تقوم على الاستهتار بحياة الانسان تحت شعارات طنانة، باسم الشعبوية التي يدل تاريخها القديم والحديث على الطابع العبثي فيها.

السبت 17 نيسان - أبريل

حضرت اليوم مع نجوى ندوة في الجامعة اليسوعية حول ستة فلاسفة لبنانيين بينهم مهدي عامل. ما كان يهمني في هذه الندوة هو محاضرة فؤاد نهرا حول فكر مهدي عامل. كان فؤاد في مداخلته أميناً لأفكار مهدي الأساسية ولمنهجه وللمصادر التي استند إليها في صوغ هذه الأفكار. ذكّرتني هذه المحاضرة بمهدي وبما تميز به في فكره وفي صوغ هذا الفكر، وفي دفاعه عنه. وذكرني بسلوك مهدي السياسي الحزبي والانساني.

لم يعد مهدي اليوم بأفكاره مجال اهتمام أهل الفكر اليساري كالسابق. لم تعد أفكاره تستقطب النقاش. والأمر لا يعود فقط للانهيارات التي حصلت، بل هو يعود كذلك إلى مجمل التطورات التي يشهدها العصر، منذ العقد التاسع من هذا القرن، لا سيما في العقد العاشر منه. ومع ذلك لا بد أن نعطي لهذا المفكر الماركسي المبدع حقه. هذا الأمر يذكّرني بواجبي إزاء مهدي صديقي الرائع، وواجبي إزاء حسين مروة، أبي الروحي والأب الرائع لأجيال قديمة وجديدة، وصاحب الفضل الأساسي في تكوين شخصيتي.

## جورج حاوي من جديد في القيادة
## هل وقع في الخطأ مرة ثانية؟!

الأحد 18 نيسان - أبريل

حديث جورج حاوي في إذاعة "صوت الشعب" عن ميزانية الدولة، نقداً لها واقتراحات بدائل، مهم جداً. وهو حديث يحمل صفة شخصية. إنه نمط جديد في الديمقراطية الحزبية والسياسية. لا أدري إلى أين سيصل هذا التحول الجديد بالحزب وبجورج. لكنه أمر مهم في أي حال.

لقد التقيت بجورج حاوي بعد أن انتخب رئيساً للمجلس الوطني، وناقشنا أموراً كثيرة. لكنني لا أخفي قلقي على جورج في هذا الموقع الذي اختاره لنفسه بعد أن قرر متأخراً الاعتراف بخطأ استقالته من الأمانة العامة للحزب في عام 1992. إلا أن لديّ إحساساً بأن قرار جورج بالدخول في هذا الموقع وفي هذا الوضع المضطرب الذي يعيش فيه الحزب ليس قراراً صائباً. وأغامر بالقول بأن هذا القرار يكاد يشبه، في الشروط الجديدة، قرار الاستقالة من الأمانة العامة في عام 1992. العودة إلى مواقع المسؤولية في الزمن الخطأ

مثل الخروج من مواقع المسؤولية في الزمن الخطأ! في أي حال لا أحد يقرر عن أحد ماذا يريد أن يفعل!

الوضع الجديد الذي دعا فيه جورج حاوي، بقرار مضطرب منه، للدخول من جديد في موقع قيادي في الحزب يقودني إلى تذكر ما وضع نفسه فيه صديق جورج وصديقي التاريخي محسن إبراهيم ابتداءً من أواسط الثمانينات. انكفأ محسن عن العمل السياسي المباشر. لكنه ظل يحمل صفة الأمين العام لمنظمة العمل الشيوعي. فهو، بعكس جورج، لم يستقل من موقعه في قيادة المنظمة. لكن المنظمة ذاتها استقالت عملياً من العمل السياسي المباشر. الاضطراب في مواقع القيادات التاريخية في زمن الاضطرابات الكبرى هو حق إنساني. لكن لمثل هذا الاضطراب مفاعيله في الحياة السياسية في البلاد. لقد استشهد كمال جنبلاط فضعفت بعد استشهاده الحركة الوطنية وتخلخلت. لقد انتهت الحرب الأهلية لكن شيئاً منها لا يزال يقيم فينا. انتهى شكل منها وهو يستمر في شكل آخر مختلف في ظل الوصاية السورية في الزمن السابق. وفي حين كان من الضروري أن تستعيد الحركة الوطنية في صيغة جديدة وجودها ونشاطها، وفي حين كان من الضروري أن يكون لليسار دور أساسي فيها، فقد انتكست. إذ ضَعُف اليسار الذي كان حجر الزاوية فيها. جرى تهميشه، وساهم هو في تهميش نفسه. وتركت الساحة السياسية لمن لا تتوافر الشروط لديهم لاستلام راية النضال من أجل التغيير. فإلى متى سيظل الوضع على هذا النحو؟ لا أدري. لكنني أعلن بكل حب اعتزازي بهذين الرفيقين الكبيرين جورج حاوي ومحسن إبراهيم، واعتزازي بتاريخهما النضالي، واعتزازي بتاريخ الحركة الوطنية في مرحلتها الأولى بقيادة كبيرنا الشهيد كمال جنبلاط.

استقالة الياس أبو رزق من رئاسة الاتحاد العمالي العام حدث نقابي وسياسي خطير. لكنه يشير إلى شجاعة هذا الرجل من جهة، وإلى بعض الأوهام عنده من جهة ثانية، الأوهام التي يبدو أنها بدأت تسقط، وأنه بدأ يأخذ منها دروساً في عمله. وأعتقد أن استقالته هي رد فعل على المؤامرة التي تعرّض لها هو شخصياً، وتعرّض لها الاتحاد العمالي في الضمان. علماً بأنني أعتقد أن الياس قد أخطأ في الترشح لرئاسة الضمان. فهذا الموقع لم يصل بعد، في عالمنا المعاصر، لأن يكون للعمال دور أساسي في قيادة مؤسسة من هذا النوع. لا يزال الأمر مبكراً.

أشرفت على النهاية في إعداد كتابي الجديد: "الثقافة والديمقراطية وتحديات النهضة". هل هو عنوان معقول؟ لعله الأفضل بين العناوين التي فكرت بها حتى الآن. ثمة عنوان آخر من نوع "تحديات النهضة في زمن العولمة". المهم أن الكتاب أشرف على الانتهاء. هل

سأنشره؟ هل هذا هو الوقت المناسب لنشره؟ أسئلة تحتاج مني إلى التفكير ملياً لإيجاد الأجوبة الملائمة عنها.

**الاثنين 19 نيسان - أبريل**

كنت اليوم عند صديقي القديم خليل خوري، المهندس المعماري والفنان صاحب مؤسسة "أنتردزاين" للمفروشات. الجميل الدائم عند خليل هو بساطته الانسانية وثقافته ورهافته الفنية وذوقه الرفيع ووفاؤه لتاريخه. أعرفه منذ عام 1953، عندما كان لا يزال طالباً في اليسوعية، أو الألبا، لم أعد أذكر. واليوم روى لي قصة لم أكن أعرفها عن حياته عندما كان لا يزال في أول الشباب. وهي قصة هروبه من الجيش وعلاقته مع فؤاد شهاب قبل أن يصبح الجنرال رئيساً للجمهورية، ثم بعد أن أصبح رئيساً. قدمت لخليل بعض كتاباتي ليقرأها. وقدم لي هو نماذج من تصاميمه الفنية لمكاتب وكراس. ورغم أنه مثلي يشارف على السبعين إلا أنه يتابع عمله الابداعي من دون كلل وبمتعة فائقة. وتصاميمه آيات في الروعة والجمال. استلمت الهدية منه لتبقى عندي نماذج من إبداع فنان كنت أحبه ولا أزال، كإنسان وكفنان.

**الثلاثاء 20 نيسان - أبريل**

مات أبو حاتم. حزنت عليه كثيراً. إنه رفيق وصديق قديم. وهو يتمتع بشخصية ذات نكهة خاصة. طموح ومثابر ومناضل شيوعي على طريقته. لقد توالت عملية توديع الشيوعيين المناضلين إلى مثواهم الأخير. الله يستر!

سلمت اليوم رسالتي إلى الرفيق فاروق حول التزاماتي السياسية والمالية والادارية السابقة، وحول عدد من المؤسسات التي كنت قد تطوعت لها اختياراً، ثم تبيّن لي أنني لوحدي المسؤول عنها والمعني بها من دون صاحبها الأول والأخير، الحزب. هل يعقل؟ حرصت في الرسالة على أن أقدم جردة حساب عن عقد من الزمن، هو العقد الأخير من القرن بالصدفة. لست أبتغي من جردة الحساب هذه سوى شيء واحد هو التحرر من كل مسؤولية تتعلق بمرحلة مسؤوليتي في الحزب. حاولت في الرسالة أن أقدم بعض الأفكار حول العمل الذي أعتبره ضرورياً بالنسبة إلى من هم في موقع المسؤولية لكي يتحمّلوا مسؤولياتهم بشكل طبيعي ومن دون مبالغات. وهي أفكار تكونت عندي من خلال تجربتي الطويلة في موقع المسؤولية. لقد ولّى زمن التضحيات والمبادرات ذات الطابع الرومانسي من النوع الذي كان سائداً عندنا وعند سوانا في الماضي الذي مضى. هل هذه هي سمة العصر الجديد؟ في أي حال يكفي ما قمت به. وأنا غير نادم على ما قمت به.

حضرت مساء اليوم ندوة في الاسكوا حول الخصخصة في لبنان. كان المحاضر نجيب عيسى جيداً في عرضه وفي التوجه الذي اقترحه. ليس عندي موقف مبدئي قاطع ضد الخصخصة. لكن لا يجوز لنا أن ننتقل من أيديولوجية وهمية إلى أيديولوجية مدمِّرة. كان ذلك موقف أكثر المتداخلين. لا بد من عقل يتحكم بالقرارات، بديلاً من الهياج العشوائي الشعبوي. القطاع العام، حتى في البلدان الاشتراكية السابقة، كان عنواناً للهدر وللسرقات ولاستشراء الفساد. لا بد من سياسة تعطي لهذا القطاع العام دوره الحقيقي وتحرره من الفساد. وحتى ذلك الحين لا بأس من الخصخصة ومن الرقابة الصارمة على القطاعات التي تتم خصخصتها، وتحديد الزمن الذي يجب أن تنتهي فيه خصخصة بعض القطاعات المتصلة بحياة المواطنين الأولية وإعادتها إلى حضن الدولة.

## "حلم" التغيير في بلداننا
## مشروع أجيال غير مهيأة له!

**الأربعاء 21 نيسان - أبريل**

كثرة الشيوعيين وقلتهم، في الوقت ذاته، تحيرانني. كثرة في لحظة الحنين، عندما يستنفر الذاكرة حدث ما من نوع ما شهدته في مأتم الرفيق والصديق أبو حاتم، وقلة عندما يتعلّق الأمر بمهمة من المهمات الراهنة أو المستقبلية، مثلما شهدنا اليوم في التظاهرة العمالية.

ثمة خلل كبير في صورة الشيوعية اليوم، خلل في الفكر وفي المشروع، وخلل في الأداء. ورغم أن للانهيارات دوراً كبيراً في تخلخل الثقة وتخلخل الوعي لدى الجميع، كباراً وصغاراً، مثقفين ونخباً سياسية وأناساً عاديين، فإنني أزعم بأن الخلل هو خلل ذاتي في الأساس، وليس خللاً مصدره فقط واقع موضوعي حتى ولو كان في مستوى انهيار المشروع الاشتراكي. فالناس لا يتخلون عن حقهم في الطموح وفي الحلم وفي الرغبة في أن يعيشوا الحرية وينعموا بالسعادة وبالتقدم. لكن الحلم والطموح والرغبة في التغيير لا يمكن أن تتحقق أو أن تسير على درب التحقق إذا لم تقترن بعمل دؤوب. المهم هو البداية والسير في الاتجاه الصحيح. والخطوة الأولى في هذا الاتجاه لم تبدأ عندنا.

علينا أن نعترف بأن التغيير في بلداننا هو مهمة تاريخية كبرى ستصنعها أجيال لا تزال غير مهيأة لها.

**الخميس 22 نيسان - أبريل**

شاركت اليوم في حدثين مختلفين بالكامل في موضوعهما. الأول كان ندوة حول

يوغوسلافيا في المركز الثقافي الروسي ذكرتني بأيام زمان. توحّدت في الندوة مواقف المختلفين دينياً وسياسياً حول استنكار العدوان الأميركي الذي لا يستهدف اليوغوسلاف وحدهم، بل يستهدف روسيا الغارقة في مأزقها والباحثة عشوائياً عن دورها في العصر الجديد، ويستهدف أوروبا المستسلمة بإرادتها لغطرسة أميركا باسم الشراكة في الحلف الأطلسي، وأية شراكة! المطران جورج خضر والسيد محمد حسن الأمين وياسين سويد وفريد الياس الخازن وراجح الخوري والسفير الروسي والسفير اليوغوسلافي ورئيس المركز، كلهم، بأساليب ووجهات نظر مختلفة، توحدوا في الموقف من الحدث اليوغوسلافي، وفي فهم الأسباب التي قادت إليه. تحدثوا جميعهم بوضوح عن المأساة. لكن ما لفت نظري في حديث المطران جورج خضر هو استحضاره لتاريخ إقليم كوسوفو باعتباره كان مركز الأرثوذكسية وكان جزءاً أساسياً من صربيا!

الحدث الثاني كان فنياً. ندوة لوليد حوراني على تلفزيون MTV حول سيرته الموسيقية التي بدأت من موسكو، وكان لي دور في إرساله إليها وهو في أول شبابه، بحكم صداقتي مع والده رجا حوراني. كان حديثه ظريفاً وجميلاً وفيه ثقافة موسيقية ونكهة إنسانية وبراءة أطفال هي سمة وليد الذي لا يكبر مهما كبر عمره. وكان زياد الرحباني، في حديثه عن وليد، غنياً بمعلوماته الموسيقية كعادته عندما يتحدث عن الموسيقى.

يذكرني وليد حوراني بوالده رجا حوراني. وهو أديب ومناضل شيوعي قديم. كُلِّف في عام 1936 بإدارة تحرير مجلة "الطليعة" التي كانت قد تأسست بقرار من مؤتمر المثقفين اليساريين والديمقراطيين في سوريا ولبنان الذي عقد في عام 1934 في زحلة في منزل النائب والوزير الأسبق يوسف الهراوي.

## قسطنطين زريق
## وجيل رائع من الرواد

**الجمعة 23 نيسان - أبريل**

حضرت مساء اليوم الاحتفال الذي أجري في الأونيسكو تكريماً لقسطنطين زريق. وهو تكريم لمفكر عربي كبير بلغ منذ أيام عامه التسعين. لم يكن التكريم بمبادرة من وزارة الثقافة اللبنانية، حتى ولو تكلم في الاحتفال وزير الثقافة، وحتى لو كان الاحتفال برعاية رئيس الحكومة، وحتى لو حمل الرئيس الحص وساماً باسم رئيس الجمهورية إلى المحتفى به. المبادرة لم تأت من بيروت العاصمة الثقافية لهذا العام. المبادرة جاءت من اللجنة

العربية للعلوم والتربية والثقافة التي هي واحدة من المؤسسات التابعة للأونيسكو، كما أظن، أو المتصلة بهذه المنظمة الأممية.

قسطنطين زريق عَلَم كبير في حياتنا العربية الثقافية والفكرية. هو واحد من العقلانيين النادرين في مرحلة ما بعد هزيمة 1948. تميّز بكتاباته المبكرة في معالجة النتائج الكارثية للمحن التي مرت بالوطن العربي. سمعت باسمه منذ أول الخمسينات، من خلال كتابيه "الوعي القومي" و"معنى النكبة". ولا يزال أثر هذين الكتابين حاضراً في وعيي وفي وجداني. وقد تميز زريق في السنوات الأخيرة من حياته بعقلانية المفكر الحر المسؤول. وكان كتابه "ما العمل" عنوان تلك المرحلة من حياته، تخطى فيه تجربته السابقة كمفكر قومي عربي من الطراز القديم. قدّم في الكتاب أفكاراً جديدة وطرح أسئلة جديدة داعياً الأجيال الشابة للتفكير في كيفية الاجابة عنها من أجل الإعداد للنهضة التي طال انتظارها في بلداننا. كنت أحاول، منذ ذلك التاريخ، معرفة أصول زريق، أهو فلسطيني أو لبناني. وإذا بي اليوم أعرف أنه سوري. وكان زريق من المؤسسين الأوائل لجمعية "العروة الوثقى" في الجامعة الأميركية التي لعبت أدواراً مهمة في النشاط الوطني وفي إعداد كوادر وطنية من مختلف البلدان العربية.

أوحى إليّ موقف قسطنطين زريق في حفل تكريمه بفكرة الإعداد لكتاب أستحضر فيه سير وتراث عدد من كبار مفكرينا النهضويين بدءاً من مطالع القرن. وقد اخترت المفكرين الآتية أسماؤهم لكي يضمهم الكتاب، تاركاً الباب مفتوحاً لإضافة أسماء أخرى من القامات ذاتها. وهؤلاء هم: شبلي الشميّل وقسطنطين زريق وشفيق جحا وكامل عيّاد وحسين مروة وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وطه حسين ولطفي السيد وعلي عبد الرازق وفرح أنطون وأمين الريحاني وعمر فاخوري ورئيف خوري وسلامة موسى وعبد الله العلايلي وأمين الخولي وبندلي جوزي وساطع الحصري ومعروف الرصافي وإسماعيل أدهم ومحمد مندور وفؤاد مرسي وإسماعيل صبري عبد الله وإميل توما ولويس عوض وعبد الله العروي والياس مرقص وهادي العلوي وياسين الحافظ ومهدي عامل ومحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس وأحمد بهاء الدين. سيحتاج الكتاب مني إلى عامين أو ثلاثة من العمل والتفتيش والقراءة لإنجازه. لقد أصبح هذا الكتاب بالنسبة إليّ مهمة جميلة وممتعة مثل الحلم.

**السبت 24 نيسان – أبريل**

أجمل ما في هذا اليوم السهرة التي أمضيناها نجوى وأنا مع صديقي القديم والدائم خليل خوري. خليل شخص قريب في أخلاقه ومعاييره وقيمه مني. لعله من أقرب الناس إليَّ بهذا

المعنى. هو فنان مبدع، ليس فقط كمهندس معماري وكمصمم للمفروشات وكرسام. بل هو فنان في اختيار نمط حياته. إنه إنسان من نوع الذين نحلم بأن يسودوا العالم. هو يائس من قرب خلاص البشرية، لأن وعي البشر لا يزال أدنى مما هو مطلوب لكي يتم تحقيق هذا الخلاص. لا يحب خليل المال، إلى حدود الاحتقار له، رغم ثروته. ومن طرائف هذه السهرة أننا التقينا بفرنسي يقول إنه ماركسي من الدرجة الأولى. لكنني وجدته ماركسياً خيالياً، يصفه خليل بأنه لا يقف على الأرض لكثرة ما تتملكه الأوهام. وكان معنا في السهرة رفيق جميل وعزيز من نوع خليل هو جوزيف أبو نادر. ما أطيب روحك وعقلك يا جوزيف.

الأحد 25 نيسان - أبريل

كان هذا اليوم يوماً روتينياً. ذهبت فيه من بيروت صباحاً إلى البقاع عند نجاح واكيم. وكان قد سبقني إلى هناك نديم عبد الصمد وأمين قمورية. أكلنا حتى كدنا ننفلج. ثم نمنا. وذهبنا بعد ذلك إلى حمص لزيارة رياض الترك بعد عملية القلب المفتوح. فلم نجده. فزرنا، نديم وأنا، واصل فيصل بدلاً من رياض صهره. واصل هو صديق ورفيق قديم لكلينا منذ أيام الشباب. تكونت تلك الصداقة خلال وجودي في بودابست في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي الذي كان قد سبقني إلى تحمل مسؤوليته فيه، ووجود نديم في براغ في اتحاد الطلاب العالمي. أما علاقة الصداقة التي ربطتنا، نديم وأنا، برياض الترك فتعود إلى أواسط الستينات. وهي الفترة التي شهدت صراعاً بين اتجاهين، مجدد ومحافظ، في الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان، انتهت بانفصال الحزب اللبناني عن الحزب السوري وبداية صراع ثم انقسام داخل الحزب السوري قاد فيه رياض الاتجاه المجدِّد في الحزب. ولم يمض وقت على ذلك الانقسام ومفاعيله حتى دخل رياض السجن وبقي فيه ثمانية عشر عاماً محتفظاً بمواقفه المعارضة للنظام والمعارِضة في الآن ذاته للاتجاه الذي كان قد أصبح نهجاً ثابتاً للحزب الشيوعي السوري بجناحيه في التحالف مع النظام. كان لقاؤنا مع واصل فيصل مثيراً لذكريات لم ندخل في بحثها، لكنها كانت تتفاعل عند كل منا منفرداً. ثم تابعنا طريقنا إلى دمشق. وكان لكل منا برنامجه. أما أنا فقد ذهبت لزيارة ماهر الشريف وماري الياس. جلسنا كالعادة نناقش في أمور مختلفة. وفي المساء شهدنا جزءاً من حوار العمر مع المخرج المسرحي العراقي جواد الأسدي. لم يكن جواد في حواره مثل فنه. وقد أكون مخطئاً. فهو في فنه، كما أعرفه كمخرج مسرحي كبير، أقوى من حديثه عن هذا الفن وعن دوره فيه. هذه التجربة تكررت أمامي عدة مرات مع آخرين. وأنا صريح في ما أقول ما دمت أكتب يومياتي لنفسي.

**الاثنين 26 نيسان - أبريل**

شاهدت اليوم فيلماً يوغوسلافياً اسمه "القطة السوداء والقطة البيضاء". وكنت قد شاهدت قبل ذلك فيلماً اسمه: "تحت الأرض". الأساسي في فيلم "القطة السوداء والقطة البيضاء" هو الصخب، صخب الحياة وصخب الموسيقى وصخب الاخراج، والمرور السريع من حالة إلى حالة أخرى. حركة دائمة. ومن سمات هذين الفيلمين إعطاء صورة عن شعب معين، وعن فئة معينة من المجتمع. لكن، أياً كان التركيز على فئة من المجتمع في فيلم يتحدث عن تعاقب أجيالها، فإن الفيلم يعطي صورة واقعية للشعب اليوغوسلافي في جوانب متعددة من حياته. وهو شعب، كما بدا لي وكما عرفته خلال زياراتي المتكررة إلى يوغوسلافيا، عنيف ومتعلّق بتقاليده ومحب للحياة.

سهرنا في منزلي بعد الفيلم مع بعض الرفاق والأصدقاء. دار الحديث في السهرة حول حزبنا الشيوعي، وحول وضعه الحالي، وحول مستقبله، وحول بؤس السياسة في بلدنا في شكل عام. كان عليَّ أن أجادل في أمور كانت تبدو في السابق بديهية وصارت اليوم بحاجة إلى جهد لإقناع الآخرين بها. السياسة فن الممكن. وشرط النضال هو احترام المراحل. فمن غير الممكن تجاوز مرحلة ما إرادياً. لا بد من إخضاع الشعارات للممكن الذي توفره الظروف والشروط والامكانات. من هنا أهمية المرحلية في النضال. لا أدري إذا كنت قد أقنعت الرفاق والأصدقاء بهذه المسألة البديهية.

## ما أعظم فرحي بإبنتي هانية النجمة الساطعة في فرقة كركلا

**الثلاثاء 27 نيسان - أبريل**

قرأت لي ابنتي هانية مشاهد من مسرحية غنائية لإيفان كركلا ستقدَّم في بعلبك. وإيفان هو ابن عبد الحليم وتلميذه في هذا الفن الجميل الذي يمتزج فيه الرقص بالموسيقى والغناء. نص إيفان هو نص فني قريب بمعنى ما من الأوبريت العربية التي بدأت مع سيد درويش، ثم مع محمد عبد الوهاب، ثم مع الرحابنة. لكن المهم الآن، في نظري، هو الارتقاء في تجاوز هذه التجارب على أهميتها وريادتها. وإنني، في الحقيقة، آمل أن يتمكن هذا الشاب الفنان المبدع من أن يُحْدِثَ جديداً. لكن عليه أن تكون له شخصية مستقلة عن أبيه عبد الحليم كركلا، الرائد في الباليه الشرقي. الجديد في مشروع إيفان مختلف عن التجارب السابقة، وإن كان ينطلق منها كتراث. غير أنه بحاجة إلى جهد أكبر من أجل إبداع جديد في هذا الفن

الراقـي. لكن عليَّ أن أعترف بأنني شـديد الاعجاب بفن عبـد الحليم كركلا. إنه فنان مبدع بكل المعاني.

أكثـر ما يسـعدني أن ابنتي هانية قـد أصبحت نجمة مميزة في فرقة كـركلا. فرحي بابنتي هانيـة مصـدره فرحها هي فـي دورها وفي موقعها فـي فرقة كركلا. ورغـم أنها كانت تحب الاقتصـاد كمادة اختصاص في دراسـتها الجامعية، وتخرجت في الجامعة اليسـوعية بنجاح في هذه المادة، فإنها تعلّقت بالباليه منذ طفولتها. وقد هيأنا لها فرصة تعلم الباليه في مدرسة خاصـة. وعندمـا أصبحت في وضع يؤهلها للدخـول في ميدان الرقص أرسـلناها إلى فرقة كركلا. ولـم يمض وقت قصير حتى أصبحت نجمة من نجوم الفرقة، وتخلت عن الاقتصاد. وهي الآن تستعد للدخول في عالم السينما. مبروك لك يا عزيزتي هذا الطريق الذي اخترته لحياتـك الآن وغـداً وفي كل عام من أعوام حياتـك الجميلة. لك مني حب الأب الذي يعتز بابنته. وهل في الدنيا حب يعادل حب الآباء لأولادهم؟

يؤرقنـي وضـع مجلة "الطريـق". يؤرقنـي مصيرها كمنبـر للثقافة الديمقراطيـة، وللفكر العقلاني. السـبب في مخاوفي يعود إلى أمور عدة: هيئة تحريرها، كتّابها، مواضيعها، خطة محاورها، ثم إدارتها البائسـة وإخراجها العتيق، ومواردها المالية التي بدأت تتراجع بسـبب تراجـع المجلـة. لا أكاد أجد مـن بين أصدقائي، بمن فيهم دكروب، مـن يفهم همومي ومن يشـاركني هذه المخاوف. المسـألة أعمق مما أسـمع من أقوال ومن أفكار ومن ملاحظات حـول وضـع المجلة. ومعظم الملاحظات جاءتني ممن هم أكثـر الداعمين لها مالياً. فضلاً عـن ملاحظات بعـض كتابها وبعض قرائها. إنني مهموم بوضـع المجلة، مهموم بكل معنى الكلمة.

**الأربعاء 28 نيسان – أبريل**

تجربتي الطويلة في العمل العام، من خلال الحزب الشيوعي ومن خارجه، بدأت تحدث ردود الفعـل عندي في شـكل سـلبي، أي في شـكل انكفاء ولـو تدريجي عن هـذا النوع من العمل. مرارة التجربة تتلخّص في الاحسـاس الذي بدأ يتولّد عندي من أن الذين ينخرطون فـي العمـل العام هم وحدهـم الذين تجري محاسـبتهم. أما الذين لا يعملـون فهم وحدهم الذين يحاسبون من يعمل. أمس هزّتني مكالمة هاتفية تتعلّق بموضوع لا علاقة لي شخصياً بـه، بـل هو يعـود بكامله للمؤسسـة التابعة للحزب. وكنـت أنا الواجهة فـي الموضوع وفي المؤسسـة. فهـل أعود إلـى ذلك بعـد الآن؟ أقول كلا بالفـم الملآن. التوبة. وهي ليسـت التجربة الوحيدة. لا أحد يسـتأهل أن تبذل من أعصابك في الرد عليه. فليتحمل المسـؤولية من هم في موقع المسؤولية. وليحصـل ما يحصـل. فالتطور لا يتم غصباً عن الوقائع وغصباً

عـن الوعـي والارادة. بل هو يتم فقط بالترابط بين هذه العناصـر جميعها، وليس خارج هذا الترابط.

غريب أمر قادة دولتنا. يتحدثون عن التقدم والاصلاح ولا يفكرون بالتعليم. كيف يمكن للتقـدم أن يحصل من دون أن يكون هنـاك إصلاح حقيقي للتعليم؟ وكيف يمكن للاصلاح أن يتم من دون أن تتوافر شـروطه؟ وأول شـروط الاصلاح هو تأهيل الهيئة التعليمية وتوفير الشـروط الماديـة وغير الماديـة لكي تقـوم بدورها المفترض. يسـتحيل أن ينتـج "الزعيق" تطوراً!

## يوم فني وأدبي ممتع
## مع الشعر والموسيقى والطرب

**الخميس 29 نيسان - أبريل**

يـوم أدبـي وفني جميل، بدأتـه مع جودت فخر الدين الشـاعر الجميل الذي قدمه شـاعر جميل آخر هو شـوقي بزيع. بعد سـماعي جودت ازددت ثقة وأملاً بمسـتقبل الشعر العربي الحديث وبدور شـعرائنا اللبنانيين فيه. كانت الأمسـية ممتعة وغنية بجو الشـعر والشـعراء. ذكرتني تلك الأمسـية وذكرت الحضور فيها بتلك الظاهرة التي تشـكلت من شعراء الجنوب الذين استكملوا في ظروف لبنان ظاهرة شعراء المقاومة في فلسطين.

في المسـاء حضرت حفلة موسـيقية، حفلة جاز، يقودها الفتى العبقـري رامي خليفة ابن مارسيل، ومعه رفاق في أول الشباب، وبينهم شقيقه بشار. ما أجمل أن تتفجر العبقريات في الصبا. فهي هنا تكون أصيلة من غير افتعال. شـعرنا نجوى وأنا بسـعادة كبيرة لرؤية وسماع هـؤلاء الفتيـان يبدعون فـي الصوت والأداء وفي الموسـيقى أجمل ما يمكـن أن تكون عليه هكذا حفلات موسيقية.

بعد الحفلة الموسـيقية ذهبت مع نجوى لحضور حفلة "صوت الشـعب". وقد كانت لنا هناك متعة الاسـتماع إلى خالد العبد الله، وإلى عبد الكريم الشعار ومطربة لا أعرف اسمها. يوم فني وأدبي وموسيقي جميل. ما أحلى أن تتكرر هذه الأمسيات.

## روسيا ما بعد الشيوعية
## أي واقع وأي دور وأي مستقبل؟!

الجمعة 30 نيسان - أبريل

حسمت موضوع الكتاب الأول. إنه الكتاب الذي أعطيته منذ البداية عنوان "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف". يجب أن أستكمل فصوله في هذا الشهر من دون تأخير. بقي فصل واحد هو الفصل الخاص بالعولمة. وهو فصل صعب عليّ، بسبب نقص المعرفة عندي في هذا الميدان. لكن عليَّ أن أجتهد قراءة وبحثاً وتفتيشاً، لكي يكون هذا الفصل في مستوى موضوع الكتاب.

روسيا على كف عفريت. إنه منعطف بالغ الخطورة في هذا البلد الذي كان كبيراً وبدأ ينحدر بسرعة على يد المافيات. الصراع يحتدم داخل روسيا وخارجها وحولها على مستقبل هذا البلد الكبير. لمن ستكون الغلبة؟ ذلك هو السؤال. وعندما تحسم المعركة سيتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود. سيتبين، بقدر كبير، في أي اتجاه ستسير روسيا وفي أي اتجاه سيسير العالم بعد انهيار التجربة الاشتراكية! المسألة لا تتعلق بروسيا وبمستقبلها وحسب. المسألة تتعلّق بالدور المفترض لروسيا في العالم الجديد. هل سيكون لها دور؟ وإذا كان لها دور فما هو هذا الدور؟ وهو دور إذا توافرت شروطه فإما أن يكون إيجابياً، وهو أمر لا يمكن الجزم به كما يشير إليه المشهد الحالي في روسيا، وإما أن يكون سلبياً كما يشير إلى ذلك الوضع السائد في البلاد، وهو الأمر الأكثر احتمالاً. مع ذلك فأنا متفائل. قررت أن أكون متفائلاً. بعض تفاؤلي المفترض هذا مبنيّ على قراءتي للوضع العالمي الذي سيفرض على روسيا دوراً ما، ومبنيّ أيضاً على قراءتي لدور آسيا الناهضة، ولدور أوروبا المحتمل نهوضها من جديد في ضوء دروس حرب البلقان. لكن الأساسي في هذا التفاؤل هو الحدس أو ما يشبه ذلك. هل يمكن البناء على الحدس في مثل هذه الأمور؟ بالطبع لا. لكن بعض التفاؤل في زمن الصعوبات، حتى لو كان قائماً على الحدس أو ما يشبهه من أمل يتصل بالمستقبل، يبقى ضرورياً من أجل الاستمرار في الحياة. المهم، بالنسبة إليَّ من بعيد، ألا تبقى روسيا دولة هامشية. فهو أمر مستحيل. أقول مستحيل من حيث المبدأ لأنه خطير. لكن الأمر منوط أساساً بالقوى الروسية المعنية بإنقاذ روسيا من الكارثة القائمة والداهمة. فهل هذه القوى موجودة في المجتمع الروسي، وهل هي قادرة، إذا ما وُجدت، على إنقاذ روسيا مما يحيط بها ومما ينتظرها من أخطار؟!

زرت صديقي النائب السابق جعفر شرف الدين في صور لأعزيه بابن شقيقه الذي قتل

في أميركا على يد لصوص الحضارة التي يريدونها أن تسود العالم. حدثني السيد جعفر عن موسوعاته التي انتهى منها، وهي موزعة على 120 مجلداً، استمر عمله فيها عشرين عاماً. استعدنا ذكريات المدرسة الجعفرية ومدينة صور، وأيام ذلك الزمان في كليهما. والتقيت الصديق الوزير والنائب السابق محمد صفي الدين. تحدثنا معاً في أمور الحاضر والمستقبل. شرف الدين وصفي الدين هما أكبر مني سناً. لكن جزءاً من ذكرياتهما هو جزء من ذكرياتي.

## إلى أين تسير البشرية
## هل من أمل في الخلاص؟!

**السبت 1 أيار - مايو**

في أحد مقالات لينين عن الوضع الثوروي في آسيا يقول: آسيا المتقدمة وأوروبا المتخلفة. في عالم اليوم اختلط الحابل بالنابل. إذ لم نعد نعرف أين هو التخلف وأين هو التقدم. كل الوقائع الراهنة تفيد بأن العالم كله، بدءاً بأميركا مروراً بأوروبا وصولاً إلى البلدان المتخلفة أصلاً، العالم كله أصبح متخلفاً ومتوحشاً، ووعي البشر يزداد تخلفاً وتوحشاً بصورة متواصلة ومرعبة. إلى أين هي ذاهبة البشرية في نهاية قرن الثورات؟!

ما يجري في البلقان أمر يفوق القدرة على الفهم. تقتل الطائرات المتوحشة الناس باسم حلف الأطلسي الذي تقوده أميركا، وتدمّر في قصفها العشوائي الحضارة وتهجّر من تدعي الدفاع عنهم، وتقتلهم بالغلط، ويسمى كل ذلك دفاعاً عن حقوق الانسان! في أي عصر نحن، وإلى أي عصر نحن سائرون؟!

مقابل ما نشهده في أوروبا وفي البلقان تحديداً، أعني في الجهة الأخرى من العالم، تشارك آسيا وأفريقيا، وبلداننا العربية جزء منهما، أميركا وأوروبا تخلفهما وتوحشهما في النزاعات والصراعات والحروب، وفي التطرف المتوحش باسم الدين (القاعدة نموذجاً)، وباسم القبلية التي تستنفر الغرائز في أبشع الأشكال ويغيب عنها العقل تماماً. وما أكثر النماذج على هذا التوحش في كل جهات العالم. الظلم في أشكاله المختلفة هو الظاهرة الأبرز في عالم اليوم، العالم الذي توحده أوتوسترادات المعرفة وأوتوسترادات الاتصالات، وتوحده، في الآن ذاته، شريعة الغاب بصورها المختلفة بين مكان وآخر. لم يعد للإنسان قيمة، حتى في فهم وفي ممارسة بعض من يدعون أنهم يقاومون الظلم دفاعاً عن هذا الانسان وعن حقه في الحياة الحرة الكريمة. يتساوى الظالم مع من يدعي الدفاع عن المظلومين، يتساويان في التوحّش هنا، وفي الظلامية هناك، وفي أمور أخرى أشد وأدهى هنالك. هل

هذا ما ينتظرنا في الألفية الثالثة القادمة إلينا بسرعة الصواريخ الباليستية؟

تدعوني هذه الصواريخ، التي هي واحدة من الإشارات الباهرة في تقدم المعارف والاكتشافات العلمية، إلى طرح سؤال كبير بات يستولي عليَّ منذ فترة: ما الغاية من كل هذا الكم من الإكتشافات العلمية الباهرة، في الفضاء الكوني وفي جوف الأرض، وفي جينات البشر؟ هل هو ترف المعرفة؟ أين هي قضية الانسان في هذه الاكتشافات، الانسان الذي هو أساس وجوهر الوجود على هذا الكوكب؟

مفارقة عجيبة وغريبة ومذهلة، مفارقة تضغط على الروح، أن يترافق تقدم العلوم في شتى ميادين المعرفة مع تفاقم ظاهرات وأشكال الظلم للإنسان الذي يتحدث باسمه وباسم حقوقه جميع الذين يظلمونه ويقتلونه ويُفقدونه المصادر الأساسية للحياة! شاركت اليوم في حفل افتتاح مكتب الحزب الشيوعي في رأس المتن تلبية لدعوة الصديق عادل مكارم. في الطريق إلى البلدة، من جهة مونتيفردي، طالعتنا جبال شاهقة ووديان سحيقة وغابات مكتظة بالأشجار ومشاهد رائعة. ما أجملك يا لبنان. لكن هل هذا الجمال الطبيعي وحده يكفي؟ وهذا الجمال ذاته مشوّه اليوم ويزداد الإمعان في تشويهه بشتى الوسائل. فالانسان الذي يفترض أنه هو الذي سيتمتع بهذا الجمال مسحوق ومقهور، ولا وقت عنده للتمتع بالجمال. هذا أولاً. أما الطبيعة الجميلة هذه فهي مهددة بدمار من جراء التلوث البيئي فوق الأرض وتحت الأرض وفي السماء العليا. مسكين هذا الجمال الذي نحبه ويحبنا ونقهره ونقهر أنفسنا بكل الوسائل، لا سيما بالمقالع والكسارات المتوحشة التي صارت تحتل أجزاء واسعة من جبالنا. هل يعقل؟! حرام، والله حرام، أن يبقى الوضع هكذا في بلد الجمال لبنان، كما لو أنه قدر لا راد له.

**الأحد 2 أيار – مايو**

يوم موسيقي طويل وجميل. لقد استمعت إلى فيفالدي وشوبان وباخ على مدى ساعتين ونصف الساعة. ما أجمل هذه المتعة الروحية. كنت في السابق أخاف من الجلوس طويلاً للاستماع إلى الموسيقى الكلاسيكية. لكنني اكتشفت بعد تكرار التجربة أن استمتاعي بالموسيقى من دون جهد في معرفة اسم المقطوعة الموسيقية، هو استمتاع حقيقي. لذلك قررت أن أخصّص قدر الامكان وبانتظام ساعة في كل يوم للموسيقى. في البداية هكذا، ثم تدريجياً أدخل في عالم الموسيقى بأنواعها المختلفة، من أجل أن تتكون عندي ذاكرة موسيقية. أقول ذاكرة ومتعة وحسب، لأنني لا أدعي القدرة على امتلاك ثقافة موسيقية. لا أعتقد أن الاستماع إلى الموسيقى سيكون هوايتي التي أبحث عنها. لكنها ستكون بالتأكيد واحدة من متعي الجميلة، أغذّي بها روحي الظمأى إلى مثل هذه المتع الفنية الراقية.

سأحاول أن أفعل الشيء ذاته في كل الفنون الأخرى، التشكيل والسينما والمسرح والباليه والرقص والغناء والتعرف إلى أسماء الفنانين الكبار وإلى أعمالهم الفنية.

## صورتي المتغيرة في المرآة
## انعكاس لتحولات أوضاعي النفسية؟!

**الاثنين 3 أيار - مايو**

غريبة هذه الظاهرة، أو هي طبيعية؟! أحس، أحياناً، وأرى بالعين المجردة كلما نظرت في المرآة، وأنا في حالات إرهاق نفسي أو في حالات أرق من فكرة أو من قضية معينة، أحس وأرى أن هذا التعب وهذا الأرق ينعكسان بشكل جليّ وواضح على ملامح وجهي، فأبدو عجوزاً. أقول أبدو عجوزاً لأنني في حالات نقيضة أحس وأرى في المرآة عكس ذلك تماماً، أي أحس وأرى نضارة وجهي ربما انعكاساً لجو الفرح والاطمئنان والراحة في نفسي وروحي، فأبدو أكثر شباباً أو أقل شيخوخة.

ظاهرة غريبة هذه الظاهرة أو هي ظاهرة طبيعية؟! إنها، في نظري، تعبير عن الصدق في حياتي إزاء الأشياء والناس والأحداث. لم أجد تفسيراً آخر لهذه الظاهرة. لذلك أراني في هذه الأيام أكثر شيخوخة مني في أيام سابقة. مصدر هذه الشيخوخة هو قلقي على نفسي، وقلقي على الأقربين، وقلقي على القضية التي أنتمي إليها وعلى الأداة السياسية التي تحملها، وقلقي على مصير العالم من جراء هذا التوحش الذي نشهده ولا نرى رادعاً له في المدى القريب والمنظور، بل حتى في المدى البعيد.

تذكرني هذه الظاهرة برواية "صورة دوريان غراي" للروائي الاسكتلندي أوسكار وايلد، مع الاختلاف بين حالة بطل الرواية وحالتي. وهذه الرواية هي في تقييمي لها من روائع الأدب العالمي ومن روائع أدب أوسكار وايلد.

## احتفال في جامعة الكسليك
## بعباقرة الموسيقى والغناء

**الثلاثاء 4 أيار - مايو**

النصف الأول من النهار كان صعباً عليّ، إذ كان مصدر إحساس عندي بالقهر المعنوي. ذلك أنني شعرت بأنني أغرّد خارج السرب الذي انتميت إليه في العقل وفي الوعي وفي الفكر وفي طرق تناول الأشياء وطرق قراءة الأحداث وطرق التعامل مع الناس. وهذا ما جعلني أفكر كثيراً في الحالة التي أنا فيها.

النصف الثاني من هذا اليوم كان أفضل قليلاً. في الشطر الأول منه حضرت حفل تكريم للشاعر الراحل ميشال طراد. لكن المؤسف أن الخطباء لم يقولوا كل ما كان يجب أن يقال عن هذا الشاعر الكبير. وقفوا عند باب عبقريته ولم يدخلوا إليها بكامل جوانبها. دخلوا إليها من بعض الزوايا فيها وليس من بابها العريض. فالشاعر ميشال طراد كان، إلى جانب عبقريته الشعرية، صاحب فكر تقدمي. كان صديقاً للحزب الشيوعي باسم الفكر الذي كان يحمله. وكنت من موقعي في الحزب على علاقة جميلة معه. لماذا هذا الانتقاء الأيديولوجي في قراءة سير المبدعين في بلادنا؟

الشطر الأخير من اليوم كان أجمل. ففي جامعة الكسليك كان يُعقد المؤتمر المكرّس للموسيقى العربية. وفي آخر أيام المؤتمر جرى تكريم للكبار من الموسيقيين الذين رحلوا، وللكبار الذين هم على قيد الحياة. وأسماء هؤلاء وأولئك أثارت عندي ذكريات جميلة. وقد فرحت للتصفيق الطويل الذي استُقبل به اسم عاصي الرحباني خصوصاً. ثم انتهت السهرة بحفلة موسيقية لمارسيل خليفة الذي استُقبل بحفاوة بالغة. وفي الختام غنى وديع الصافي بصوته الرائع الذي لم تترك عليه بصماتها السنوات الست والسبعون. وكنت أجلس في القاعة إلى جانب الياس الرحباني أحد الرموز الكبيرة في عالم الموسيقى.

## "قصور النهاية" في أنظمة الاستبداد
## أما لهذا الليل من الظلم والظلام من آخر؟

**الأربعاء 5 أيار – مايو**

لفت نظري، وأنا أبحث في أحد رفوف مكتبتي عن كتاب أنا بحاجة إليه، كتاب بعنوان "جذور الاستبداد، قراءة في أدب قديم" يطل عليَّ من مكان وجوده كما لو كان يطلب مني الانتباه إليه والاهتمام به. انتزعته على الفور من مكانه، وأجّلت التفتيش عن الكتاب الذي كنت أبحث عنه. الكتاب صادر في سلسلة عالم المعرفة، وصاحبه هو الباحث الكويتي عبد القادر مكاوي. تصفحته من جديد وقرأت بعض فصوله وتوقفت عند خلاصة ما أراده منه مؤلفه. يشير الكتاب بتاريخ صدوره (1990) إلى ما سماه المؤلف زمن المحنة، التي تمثلت بغزو القوات العراقية بقرار غاشم من الطاغية صدام حسين أرض الكويت لأسباب وتبريرات كان أخطرها في أدبيات الاستبداد العربي توحيد الأمة العربية على الطريقة البسماركية، نسبة إلى الألماني بسمارك الذي وحّد ألمانيا في القرن التاسع عشر. يقول الكاتب في خلاصة بحثه الطريف عن جذور الاستبداد والأدب المتصل به: "ليست حضاراتنا القديمة هي حضارات الموت والظلام التي انقضت، إنما هي تراث عريق وثقيل لا تزال جوانبه السلبية

فعالـة في تكويننا وسـلوكنا الحاضـر. ويتوقف علينا نحن أن نسـتوعبه وننقده لكي نتجاوزه بإبداع تراث جديد أكثر حرية وعدلاً وأملاً وأقل بؤساً وظلماً واستبداداً".

ذكّرني هذا الكتاب وذكرتني الخلاصة التي توصل إليها كاتبه بواقعنا المأسـاوي الراهن، الـذي تعيـش فيـه بلداننا في ظـل أنظمة اسـتبدادية أكثرها بشـاعة وظلماً تلـك التي يتحدث قادتهـا، بوقاحـة لا مثيل لها، عـن انتمائهم إلى أفـكار الحرية والاشـتراكية والوحدة القومية والتنميـة والعدالـة الاجتماعية، وسـوى ذلك من أفـكار قلّدوا فيها قادة البلدان الاشـتراكية، واسـتخدموها غطاء لاسـتبدادهم البشع. رمز الاسـتبداد في العراق هو "قصر النهاية" الذي كان ولا يزال رمزاً لأفظع أشـكال العسـف والظلم والتعذيب والقتـل. والحكايات عن هذا "القصـر" لا تنتهـي. ولـه فـي كل بلد نموذج تتنوع فيـه صنوف التعذيـب والظلم والقتل. تختلف الأنظمة الاسـتبدادية في أشكال ممارستها للاستبداد، وتلتقي على جوهر الاستبداد في فظاعاته.

لقد زرت في منتصف سـبعينات القرن معتقل "أوشـفيز" الشـهير في بولونيا. وإذ أتذكر اليـوم مـا رأيت فيه مـن بقايا فظائع النازية فإننـي لا أرى فارقاً بين "قصـور النهاية" في أنظمة الاسـتبداد عندنا، ولا أرى فارقاً بين شـعارات قادة هذه الأنظمة، الحرية والاشـتراكية، وبين الشعارات وسلوكيات حزب هتلر الذي كان يحمل اسم "الحزب القومي الاجتماعي"!

لـم يعـد ممكناً السكوت عما نعاني منه فـي بلداننا في ظل أنظمة الاسـتبداد. لكن كيف وبأية قوى وبأية برامج وبأية وسائل؟ تلك هي المسألة!

**الخميس 6 أيار – مايو**

عقدنا في الصباح اجتماعاً للجنة "الطريق" بكامل أعضائها الثلاثة. طرحت الأمور على حقيقتها في الاجتماع. كيف نتابع إصدار المجلة من دون أن أكون أنا المسؤول عنها، ولكن بمسـاعدتي قدر الامكان. إذ لم أعد قادراً على الاسـتمرار في مشروع بدأ يختلف عما كنت أتصوره له. لم تعد المجلة تتفق مع ما كنت أخطط لها عندما اقتحمت مغامرة إعادة إصدارها. بحثت مع الرفاق في شؤون الاستمرار. المهمة صعبة، لا سيما عندما لا يكون الانسجام في الآراء والمواقـف والتوجهات موجوداً. المهم أن يسـتمر إصدار المجلة، بكل ما نملك من جهـد في كل الاتجاهات، حتى وإن لم تعد في شـكلها ومضمونها مثلما كنت أحب. بدأت أخرج من المشروع بالتدريج، وبدأ المشروع يخرج من مسؤوليتي. استسلمت للواقع.

اتصـل بي الشـاعر جوزيف حرب مقترحاً عليَّ التعاون لتكريـم مجلة "الطريق"، وتكريم أدباء تقدميين مثل عمر فاخوري ورئيف خوري وعبد الله العلايلي. جميل هذا الأمر. اتفقنا على أن نلتقي ونبحث في تفاصيل الاقتراح في كيفية تحقيقه.

أمضيت في المساء فترة جميلة مع صديقي المؤرخ حسن الأمين. استمتعت بأحاديث تاريخية ينقب عنها هذا المؤرخ الكبير بدقة وبعناية فائقة. وقد أخبرني عن بعض ما يتصل بعلاقاتنا العائلية، وبأخبار عن والدي الشيخ أحمد أثلجت صدري. وهي أخبار كنت أعرف بعضها وأجهل بعضها الآخر. قلت له، انسجاماً مع ما أخبرني به عن والدي، إن القيم التي ألتزم بها اليوم هي قيم والدي التي حملتها معي من بيت العائلة إلى رحاب الحزب الشيوعي. أي أن زوادتي كانت معي من قيم البيت والوالد عندما انتسبت إلى الشيوعية. سرّ السيد حسن بما قلته له وسررت لسروره.

## ما أشبه دروب عاصمتنا بدروب حياتنا!

**الجمعة 7 أيار - مايو**

ما زالت هموم الآخرين تلاحقني، الأقربين منهم والأبعدين. ترى هل لأنني لا أرد طلباً لأحد، أو لأن الجميع يعرفون بالتجربة الطويلة أن موقفي الانساني وتعاملي مع الآخرين هو في أساس قناعاتي الفكرية؟ لن أتخلى عن هذا الدور، حتى ولو كنت سأجد كالعادة قلة وفاء، وحتى ما هو أبعد من ذلك، قلة الأخلاق، حتى لا أقول أكثر من ذلك. كان هذا الأمر يشكل لي مرارات، ولا يزال يشكّل، وسوف يظل يشكل لي مرارات. وهو يستدعي احياناً، وبشكل عفوي، استنتاجات ذات طابع فلسفي أجادلها أحياناً وتجادلني، فأغلبها أحياناً وتغلبني أحياناً. تقودني هذه الحالة إلى طرح سؤال خطير أكرهه: هل الشر هو "الأصيل" عند البشر أكثر من الخير؟ ما زال أمامي زمن طويل لكي أجيب عن هذا السؤال، رغم أنني أميل منذ الآن إلى رفض منطق السؤال!

زارني صديقان عزيزان هما الموسيقي مارسيل خليفة والمخرج المسرحي جواد الأسدي. ولكل منهما حكاية عندي من الناحيتين الانسانية والفنية. بحثنا في أمور عديدة من نوع ما يمكن أن يكون مجال بحث عندما يلتقي المثقفون، حتى وإن اختلفت ميادين عملهم. لكن سؤالاً طرحه جواد عليَّ وعلى نفسه: كيف يمكن لمثلي أن يبتعد عن المسؤولية المباشرة بعد كل هذا العمر من العمل المسؤول. وجوابي كان بسيطاً. أنا سياسي ومثقف وإنسان. ولكل من هذه الجوانب مكانه في حياتي، ولا غلبة لأي منها على الآخر، حتى ولو طال الزمن. لقد خدمت طويلاً في موقع المسؤولية وجاء زمن الأجيال الجديدة لتحمل هذه المسؤولية. أما أنا فسأتابع دوري في المسؤولية بحريتي وعلى طريقتي خارج أي انتظام في أي حزب وفي أية مؤسسة. أليس هذا هو منطق الأشياء؟

غريب أمر نظري الذي بدأ يشيخ قبل أن أشيخ أنا صاحبه! أراعي هذا النظر المتعب قدر

الامكان، ليس فقط من أجل القراءة والكتابة، بل من أجل ألا أقع في الطريق عندما أضطر للسير وسط الزحام على الأرصفة، وعلى السلالم، وفي الأماكن العامة. لقد وقعت عدة مرات ونهضت وتابعت سيري كما لو أن شيئاً لم يحصل لي. لكن بعض الوقعات تركت آثارها على جسدي وأقعدتني في المنزل لعدة أيام في ما يشبه العقاب.

قررت، في ضوء تجاربي، أن أسير في الطريق منتصب القامة، حتى لا أقع من جراء اصطدام بحاجز ما، أو بإنسان ما. ومع ذلك فقد وقعت أكثر من مرة لأنني لم ألتفت إلى النتوءات التي تكثر في أرصفة عاصمتنا الجميلة بيروت. أعدت النظر بقراري الأول وأخذت أهتم بالنظر أمامي تجنباً للوقوع في فخ تلك النتوءات وسواها من العوائق التي تكثر في الطرق. لكن تركيز نظري في الدروب قادني ذات يوم إلى اصطدام جبهتي بحاجز حديد يصل بين عمودين للكهرباء. مر الحادث بسلام. ما العمل؟ هل أتوقف عن السير على الأرصفة أو أصطحب دليلاً كلما قررت السير على دروب مدينتنا، كما يفعل فاقدو النظر، أو ضعيفو النظر من أمثالي؟ استنتجت بعد تفكير طويل أن بعض الغباء يمكن أن يحتل مكاناً في عقل وبصر وبصيرة من يعتبرون أنفسهم أذكياء بما فيه الكفاية. اكتشفت أن دروب مدينتنا هي مثل دروب حياتنا، دروب مليئة بالتعرجات والنتوءات والعقد، وأن عليَّ أن أخرج من بعض غبائي وأتعامل مع دروب مدينتنا مثلما تعاملت على امتداد حياتي مع دروب الحياة. اكتشاف عبقري يستحق التقدير!!

السبت 8 أيار - مايو

مأساة العراق ومأساة العالم العربي حالة تطالعك في كل لحظة وفي كل حركة أينما اتجهت بنظرك، وحيثما كنت، وأي مجال من النشاط كنت تمارس. اليوم أحسست بمرارة عميقة عندما التقيت بشاب عراقي هو ابن أحد أصدقائي القدامى سجين قصر النهاية الأستاذ الجامعي صفاء الحافظ. حدثني عن آلام العائلة بسبب غياب كبيرها الذي كان كبيراً في علمه وفي نضاله وفي أخلاقه وفي علاقاته بالناس. إن إذلال الناس، لا سيما الذين لم يتعودوا على الذل، هو سمة الوضع الراهن في العراق البعث والطاغية صدام حسين، وسمة الوضع في العالم العربي. ويبدو أن هذا الوضع هو سمة العالم المعاصر. لكن مأساة الشعب العراقي هي الأكثر والأصعب من كل ما نراه في العالم المعاصر. لا بد من عمل، لا بد من مقاومة لهذا الواقع الأليم المتمادي في هذا البلد العربي العريق. لكن كيف؟ تلك هي المسألة!

في المساء كان بيننا لقاء، دكروب وأنا، مع صديقنا الشاعر جوزيف حرب أمين عام اتحاد الكتاب اللبنانيين. عنوان اللقاء هو تكريم مجلتيّ "الطريق" و"الآداب"، وتكريم عدد

مـن مثقفـي لبنان المعاصرين الذين غادرونا منذ مطالع الخمسـينات، ويغادروننا الواحد تلو الآخـر. لكـن الحديث عن اتحـاد الكتّاب وعن حال الكتـاب وعن حال الثقافـة والمثقفين وعـن دورهـم في الدفاع عن الحرية والثقافة كان هو الموضوع الأسـاس في لقائنا. وأياً كان الاحسـاس المباشـر بأزمة اتحـاد الكتّاب هو حقيقة مرة، فقد اتفقنـا على أن ما هو أهم ليس الاتحاد بذاته، بل هو الثقافة والمثقفون. لذلك لا بد من مشـروع ثقافي يكون منطلقاً لإعادة صـوغ الأدوات الثقافيـة، سـواء كان عبر الاتحاد ذاته أو كان عبر سـواه مما وممن لا أعرف، إعادة صوغها لكي تكون مؤهلة لفعل ثقافي تنويري جديد.

**الأحد 9 أيار – مايو**

تابعـت فـي الصبـاح مهمتـي فـي الكتابـة. بعد الظهر اسـتمعت إلى سـمفونية شـهرزاد لريمسـكي كورسـاكوف. وهـذه السـمفونية هـي من أوائـل ما اسـتمعت إليه من موسـيقى كلاسـيكية في أواخر الأربعينات في العراق بمسـاعدة نزار مروة. وقد انتشر الاهتمام بها في أوساط عائلتنا بتأثير من نزار في الخمسينات. وكنت قد حضرتها في شكل باليه في موسكو أكثر من مرة.

في المسـاء خرجـت مع نجوى إلـى مقهى "دبيبـو"، المطل على "صخرة الروشـة" التي تنتصب في عرض البحر تحدثنا عن تاريخ بيروت القديم، لنشرب البيرة في المقهى ونستمتع بالبحر وبما يحيط به في الأبعاد اللانهائية من متع منظورة وغير منظورة. وهي جلسـات مع نجوى نتحدث فيها عادة في أمور الدنيا من الأقصى إلى الأقصى. نجوى هي شريكة الحياة والهموم والاهتمامات.

في الليل حضرنا حوار العمر على شاشة قناة LBC التي أجرته جيزيل خوري مع صديقي السـينمائي عمـر أميرالاي. كان عمـر متألقاً رغم تردده في بعض الأحيـان في اختيار أفكاره وفي عرض فلسـفته في الحياة. وكانت جيزِيل جميلة ومتألقة كعادتها. وكان محمد سـويد يثيـر بعـض القضايـا التي لم يكن عمـر مهيأ للدخول فيهـا بقوة ووضوح كعادتـه. وعمر هو صديق قديم. تعود صداقتنا إلى مطالع السبعينات.

**الاثنين 10 أيار – مايو**

يكثـر النقاش وتتعدد اتجاهاته في أوسـاط المثقفين حول مسـتقبل حرب البلقان وحول مسـتقبل العالم ارتباطاً بها وبنهاياتها، وحول مستقبل اليسار كرد فعل على همجية الرأسمال المتوحش في صيغته الراهنة التي تحمل اسم العولمة. هذا النقاش طبيعي وضروري. لكنه بحاجـة إلى الحذر من الأوهام التي غالباً ما تتولّد لدى المقهورين، فئات اجتماعية وشـعوباً

وأممـاً ونخباً سياسـية وثقافية. لكن الأكيد، ولو إحتاج الأمر لزمـن طويل، هو أن هذا الذي نشهد نماذج منه اليوم لن يستمر كقاعدة في العلاقات الدولية. غير أن تغيير هذا الواقع لا يتم تلقائياً. لا بد من قوى جديدة في كل بلد وعلى الصعيد العالمي تتوافر فيها الشروط لتحقيق هذا التغيير.

موقـف الصين أفضل من الموقف الروسـي وأكثر عقلانيـة وواقعية. لكن يجب ألا نبالغ فـي التقييم. فالصين بحاجة إلى زمن لكـي تمارس قوتها الحقيقية القادمة. وأظن أن البداية لمواجهة الغطرسـة الأميركية ربما تكون بتحالف متضررين منها هم الصين والهند وروسيا، واسـتطراداً اليابـان. فأوروبا أصبحت ضعيفـة، كما بينت أحداث البلقـان. هل يجوز هذا؟ أم أن أوروبـا بدأت تصبـح القارة العجوز كما يصفها البعض احتجاجـاً على مواقف قادتها. أما مسـتقبل روسـيا فلا يزال على كف عفريت. ويبدو أن يلتسـين وزمرة المافيا التي يشكل اليهود العنصر الأساسي فيها لن يتركوا روسيا تتطور في اتجاه استعادة دورها كدولة عظمى. سيحاولون مع أميركا تدميرها، وسيبحثون من أجل تحقيق هدفهم عن الفرص وعن الوسائل والصيـغ لتحقيق هدفهم. أظن أن مهمتهم لن تكون سـهلة برغم مـا حققوه حتى الآن. فهل تمكن المراهنة على الشـيوعيين والقوميين وبريماكوف وأمثاله لمنع تدمير روسيا، وإعادتها إلى موقعها كدولة عظمى؟!

## ذكريات طالب جامعي سابق

**الثلاثاء 11 أيار – مايو**

كانت السـهرة عند صديقي وزميلي في الجامعة فؤاد الترك مثيرة للذكريات. وكانت لها دلالات مهمة بالنسـبة إليَّ. كنا زملاء دراسـة لعام واحد هو العام 1952–1953 في الجامعة اللبنانيـة، العـام الثاني لتأسيسـها. تركت الجامعـة بعد عام من الدراسـة والنضال إلى ميدان آخر هو الذي صرت أسـيره مدى العمر. رفاق السـهرة من الزملاء القدامى هم صادر يونس وجـورج طعمـة ونايـف معلوف وشـفيق المعلـم وعبد الرزاق رحـم وجورج يونـس ونزيه الخطيـب. وكانـت معنـا زميلتنـا فرقد ذوق زوجة ميشـال عاصـي الغائب الحاضـر. وكان يفترض أن يكون معنا ميخائيل الضاهر، لكنه اعتذر عن الحضور لانشغالاته.

معظـم هـؤلاء الأصدقـاء أصبحوا سـابقين. وبعضهم انتقـل إلى مهمـات راهنة من نوع مختلـف. وهـم جميعهم كـوادر ممن أعدّتهـم الجامعـة اللبنانية لمهمات كبيـرة في ميادين مختلفة كانوا أهلاً لها.

فؤاد الترك كان سفيراً ثم أميناً عاماً للخارجية. جورج طعمة كان رئيساً للجامعة اللبنانية.

جورج يونس كان مديراً عاماً لوزارة التربية. نايف معلوف كان محافظاً لمدينة بيروت. صادر يونس كان رئيساً لرابطة الأساتذة المتفرغين في الجامعة اللبنانية. عبد الرزاق رحم كان مستشاراً لرئيس الحكومة سابقاً، ثم صار مستشاراً لرئيس الحكومة الجديد. شفيق المعلم كان مستشاراً ولا يزال لوزير التربية. نزيه الخطيب كان مسؤولاً في المركز التربوي. أما ميشال عاصي الغائب الحاضر كان رئيساً بالوكالة للجامعة اللبنانية. وكانت فرقد ولا تزال تمارس عملها أستاذة في الجامعة. يبقى مخائيل الضاهر فهو نائب دائم ووزير سابق وربما لاحق. أما أنا فمعروف أنني كنت أحد قادة الحزب الشيوعي ثم تقاعدت وصرت مثل زملائي واحداً من السابقين!

جميع الحضور، والغائب الحاضر ميشال عاصي، كانوا من مواقعهم المختلفة أمناء للجامعة ولدورها. وبالنسبة إليَّ فإن ذلك العام الجميل من حياتي في الجامعة هو جزء عزيز من تاريخي أعتز به. انتقلت إلى الجامعة بعد عامين من التدريس في مدرسة شمسطار البقاعية، ثم في المدرسة الرسمية في محلة برج البراجنة في الضاحية الجنوبية للعاصمة. لكنني كنت، قبل انتقالي من التدريس إلى الجامعة، أتابع نضالات الطلاب اللبنانيين من أجل إنشائها وسط صعوبات وضغوطات كانت تمارسها الجامعتان الأميركية واليسوعية لمنع قيامها. وكان للطلاب في الجامعتين دور أساسي في النضال لتأسيس الجامعة الوطنية. وأذكر أن الطالب الشيوعي فرج الله حنين الذي كان من طلاب الجامعة اليسوعية قد اعتقل في إحدى التظاهرات الطالبية التي كانت تطالب بتأسيس الجامعة، وخرج من السجن إلى القبر متأثراً بالتعذيب الذي مورس ضده. وقد حضرت مأتمه الذي كان حاشداً في محلة حارة حريك في الضاحية الجنوبية لبيروت. كان ذلك في عام 1951، العام الذي سبق القرار بتأسيس الجامعة. ويعتبر فرج الله حنين في الجامعة اللبنانية، أساتذة وطلاباً، شهيداً ورمزاً تاريخياً للجامعة.

**الأربعاء 12 أيار – مايو**

انهارت روسيا من جديد، أو هي على طريق الانهيار بقيادة يلتسين وشركائه من المافيات. هل من منقذ لروسيا قبل فوات الأوان، أي قبل أن يصل الانهيار إلى نهاياته الكارثية؟ هل هم الشيوعيون؟ هل هي النزعة القومية عند الروس؟ هل هو رد الفعل على الجوع. هل هو الجيش الأحمر، وما أدراك ما الجيش الأحمر وما تبقى منه ومن تاريخه المجيد؟ هل هي حالة ثوروية شبيهة بما جرى في أواخر القرن الماضي ومطالع القرن الحالي الذي دشنته ثورة أوكتوبر بقيادة البلاشفة وعلى رأسهم لينين؟ هل هو أمل لا شفاء منه، كما يقولون، أم أننا سننتظر الوصول إلى قعر الهاوية لكي يبدأ النهوض من جديد على قواعد جديدة؟ أم أن

ثمة معجزة ستحصل؟ لكن هل نحن في زمن المعجزات، وأي معجزات؟!

**الخميس 13 أيار - مايو**

حضرت اليوم مع نجوى مسرحية في BUC بعنوان: "منمنمات جزائرية". كانت المسرحية جيدة في إخراجها وفي التمثيل وفي عرض الواقع الحالي للجزائر. كان التركيز في المسرحية على التكفيريين الاسلاميين أكلة لحوم البشر وحوش هذا القرن. ماذا يريد هؤلاء الوحوش من هذا البلد العريق في النضال من أجل الحرية؟ مسؤولية السلطة الحالية والسلطات السابقة واضحة في كل ما آلت إليه الأوضاع في الجزائر. لكن لا شيء مطلقاً يبرر هذه الوحشية، لا سيما باسم الاسلام. مسكين هذا الاسلام الذي تداس باسمه قيمه الروحية ومبادؤه وحقوق الانسان في الحياة، مجرد الحياة، ولا نسمع من أي من المؤسسات الدينية الاسلامية ومن ينطق باسمها أو من يدعي النطق باسم الاسلام في دنيا العرب، أصواتاً تحتج وتستنكر وتدافع عن الاسلام ضد وحوش الغاب القتلة هؤلاء. كل من يسكت عن هذه الجرائم يتحمّل قسطه من المسؤولية عنها، لا سيما من يدعي الانتماء إلى الاسلام!

في الصباح شاركت في تشييع الشهيد الشيوعي الذي استشهد في طريقه للقيام بعملية من جملة عمليات بطولية كان يقوم بها الشيوعيون باسم جبهة المقاومة. قلت لرفاقي في الحزب إن انخراط الشيوعيين في المقاومة لم يعد ممكناً بسبب الظروف الراهنة. ألم تصلهم الرسالة بعد كل ما عاناه الحزب باسم سلطة الوصاية السورية وحلفائها؟ لماذا المكابرة؟ لقد قمنا بواجبنا على أفضل وجه عندما كانت الظروف ملائمة. يجب أن نكون واقعيين، ولا نلقي برفاقنا الأبطال في التهلكة في شكل مجاني. لا بد أن تتغير الظروف، ولا بد من العمل من أجل توفير الشروط لتحقيق هذا التغيير. هل لحزبنا، في وضعه الحالي، دور في هذا التغيير عندما تنضج شروطه؟! هنا المسألة!

**الجمعة 14 أيار - مايو**

أشعر اليوم بعد هذه الأشهر التي أنهيت فيها مسؤولياتي في الحزب وبعد أن قدمت رسالتي إلى الأمين العام للحزب، أشعر بارتياح كما لو أنني كنت أعاني مخاض ولادة، ثم ولد من كان في أحشائي في شكل طبيعي من دون اللجوء إلى عملية قيصرية! لكن بعضاً مما كنت أريد قوله في الرسالة لم أقله بالصراحة الضرورية رغم كثرة ما قدمت فيها من ملاحظات نقدية غاية في الصراحة، استناداً إلى ما استخلصته من تجربتي الطويلة في موقع المسؤولية. أجّلت ذلك إلى وقت آخر. قدمت جردة حساب متكاملة في عدة ميادين تتصل بحياة الحزب وبنشاطه، وارتحت! هل ارتحت؟!

سأعود ذات يوم في المستقبل إلى هذه الرسالة. وقد تكون المواضيع فيها جزءاً من مادة لكتاب جديد حول الحزب إذا سمحت بذلك الظروف، وإذا ارتأيت أن ذلك مفيد بالنسبة للحزب. لن يكون ذلك الكتاب كتاب تاريخ، بل كتاب مسار تاريخي أذكّر فيه بجوانب جميلة فيه، وبجوانب تستوجب النقد الصريح. سأفكر ملياً في الصيغة الملائمة لهذا الكتاب إذا اقتنعت بجدواه.

الأخلاق الشيوعية موضوع يؤرقني. سأظل أبحث عن زملاء لي في هذا الهمّ أفراداً ومجموعات إلى أن أجدهم، وهم كثر بالتأكيد.

## نحن أمة عربية واحدة
## وإلى المشكّكين البرهان!

السبت 15 أيار - مايو

قضيت النهار كله في الطريق بين بيروت ودمشق وعمان، فاقتنعت بأننا أمة واحدة، حدودها مفتوحة لنا، مقفلة في وجه أعدائنا! وصادف أن هذا اليوم بالذات هو ذكرى يوم النكبة التي صار لها من العمر 51 عاماً. ما الذي حصل؟ دخلت بسيارتي إلى دمشق وهي مسجلة في جواز السفر على اسمي. وخرجت من دمشق في اتجاه عمان من دون السيارة. إذن يجب عليّ بموجب القوانين أن أعود إلى حيث توجد سيارتي. فأنا سجين سيارتي. تلك هي القوانين، ولا مفر من احترامها عندما يتعلّق الأمر بشؤون الناس وبحياتهم. إلا أن صدفة غريبة جمعتني بعقيد في الأمن العام السوري استقبلني بحفاوة ولطف عند سماع اسمي. عرف من أنا وما أمثل وأموراً أخرى. حاول مساعدتي فلم يفلح. فأرسلني إلى دمشق مع سائق سيارته معتبراً إياي ضيفاً عليه. فقدمت له عربون وفاء نسخة من كتابي الجديد "حوار الأيديولوجيات" مع إهداء حددت فيه مكان الإهداء نقطة الحدود وزمان الإهداء ذكرى النكبة. وضحكنا. وهكذا وصلت إلى عمان بعد أن عدت إلى دمشق ومنها إلى لبنان ثم إلى دمشق من جديد، ثم إلى عمان. أمة عربية واحدة! من لا يصدق الخبر عليه أن يسألني لأؤكد له تلك الحقيقة الخالدة!

نجح يلتسين في إفشال مخطط عزله في الدوما. وأصبح الشيوعيون هدف حملته المقبلة. الأمور مفتوحة على مصراعيها على احتمالات لا يعرف حتى يلتسين إلى أين ستصل. لكن الذي يمكن أن يعرف ذلك هو أميركا التي نجحت حتى الآن في تهميش روسيا وفي وضعها في نفق صراع قد يتحوّل إلى حرب أهلية. آمل ألا يخطئ الشيوعيون في حساباتهم، وآمل أن يفيق الروس من غفوتهم ويعطلوا على يلتسين وأميركا خطتهما في تدمير هذا البلد الكبير،

ويعيدونهـا إلى دورها التاريخي الذي تأسـس في زمن الشـيوعية، يعيدونهـا متحررة من كل عناصـر الخلل التي سـادت في ذلك الزمن الشـيوعي ومكملاً إنجازاتـه الكبيرة! إنني أحلم بالنيابة عن الشعب الروسي. فللحلم في زمن الصعوبات والآفاق المغلقة فعل المخدر!

## لقاءات وذكريات جميلة
## في العاصمة الأردنية عمان

**الأحد 16 أيار – مايو**

كان هذا اليوم في عمان يوماً عراقياً طويلاً. استعدت فيه ذكريات عزيزة قديمة وحديثة. التقيـت بعـدد من الأصدقـاء القدامى: ناجي جـواد صديقي منذ عام 1947 وعائلته، وباسـم مشـتاق وعائلته وشـقيقه حازم الذي كان نقيضه في السياسـة ثم صار بفعل الأحداث أقرب إلى موقع باسم الأكثر عقلانية، والشاعر سعدي يوسف وزوجته الأردنية، ويونس السماوي رجـل الأعمـال الـذي ذكرنـي بصديقي الشـاعر كاظم السـماوي. لقـاء جميل مـع أصدقاء حميميـن وذكريـات عراقيـة جميلة قديمـة وحديثة لا تنسـى. حصل اللقاء قبـل الظهر وفي المسـاء. القضيـة هنـا لا تتوقّف على مجـرد الذكريات. بل هي تسـتدعي الكثيـر من قضايا الحاضر والمستقبل، وتطرح سؤالاً كبيراً: العراق إلى أين؟

عنـد الظهـر كنـت مع صديقـي فيصـل دراج في منزلـه مع عائلتـه. تكلمت مـع محمود درويـش لكـي نلتقي، فإذا هو مشـغول بلجنة التحكيم لجائزة لها علاقـة بأمور لا أعرفها ولا تعنيني. واعتذر عن الحضور للغداء. اتفقنا على أن نلتقي في وقت آخر. كانت الجلسة مع فيصل وزوجته غادة غنية كعادتها. ناقشـنا أمورًا عديدة تتصل بعالم الثقافة وعالم السياسـة. وتوقفنا ملياً حول مستقبل أجيالنا وحول مستقبل عالمنا العربي. وكان وضع مجلة "الطريق" واحداً من الهموم المشـتركة بيننا. كانت أفكارنا متقاربة حول مجمل هذه القضايا. وسـوف نعود لمتابعة النقاش. وأعددنا للقاء الغد مع مؤسسـة شـومان حـول صيغ التعاون مع مجلة "الطريق".

**الاثنين 17 أيار – مايو**

كان لقائي مع ابراهيم عز الدين، مدير مؤسسـة شـومان الثقافية، جيـداً. كان لقاء تعارف بين المؤسسة من جهة، وبيني بصفتي الشخصية وباسم مجلة "الطريق" من جهة ثانية. تركّز البحـث فـي اللقاء على التعاون في الميادـين الثقافية بصيغها المختلفـة. لكن التعاون حول مجلة "الطريق" احتل القسم الأكبر من النقاش.

في المساء التقيت مع محمود درويش بحضور الياس خوري وغانم زريقات. وكان النقاش مفيداً لي حول الداخل الاسرائيلي، بما في ذلك الشق العربي منه في اللحظة التي كانت قد انتهت فيها الانتخابات وبدأ الفرز. وقد عرفت من محمود ما لم أكن أعرفه عن عزمي بشارة الذي كان شيوعياً وتغيّر، وعن الحزب الشيوعي الاسرائيلي، وعن الحركة السياسية في أوساط عرب 1948. ولمحمود عندي تقدير كبير كشاعر ومحبة كبيرة له كصديق.

في المساء لبيت دعوة الرفيق منير حمارنة الأمين العام للحزب الشيوعي الأردني إلى حفل عشاء في منزله. وكان بين الحضور عدد من قادة الحزب. تبادلنا المعلومات عن الحزبين والبلدين. وانتهى اللقاء بتحليل، أو محاولة تحليل، لنتائج انتخابات إسرائيل، داخلياً وعربياً ودولياً.

حضور أمال نفاع رفيق العمر في حفل العشاء أثار عندي ذكريات تعود إلى مطلع الخمسينات عندما كان أمال يتابع دراسته في الجامعة الأميركية. كان أمال في ذلك التاريخ مكلفاً من قبل قيادة الحزب الشيوعي اللبناني بالمسؤولية عن منظمة الطلاب الشيوعيين في الجامعة. وكانت المنظمة تضم، إلى جانب الطلاب اللبنانيين، عدداً من الطلاب العرب أردنيين وفلسطينيين وعراقيين وسودانيين. وعندما كلفت في عام 1953 بالمسؤولية عن المنظمة الطالبية في الحزب بديلاً من نديم عبد الصمد الذي أرسل إلى براغ مندوباً عربياً في قيادة اتحاد الطلاب العالمي، شاركني آمال نفاع المسؤولية. ذكريات تلك المرحلة من حياتي لا تفارقني لكثرة ما يتصل بها من أحداث غيّرت مجرى حياتي.

**الثلاثاء 18 أيار – مايو**

كان يوماً طويلاً على الطرقات من عمان إلى دمشق، ومن دمشق إلى بيروت. كنت مستمعاً، في السيارات التي أقلتني من هناك إلى هنا، إلى كل ما في العالم من أخبار حول إسرائيل. فقد كان انتخاب إيهودا باراك، أو على الأصح سقوط نتنياهو، الحدث الأول في كل الإذاعات. وهو أمر صحيح وواقعي. فقد كان نتنياهو نموذجاً فظاً لرئيس حكومة إسرائيل، في ظروف المرحلة الراهنة في الشرق الأوسط. كان يريد نتنياهو أن يقلّد أميركا في البلقان وفي العراق. إنها لعنة التاريخ!

سقوط نتنياهو هو الحدث، أكثر مما هو نجاح باراك، علماً بأن نجاح باراك قد يقود للعودة إلى مؤتمر مدريد كحاجة عالمية وإسرائيلية وعربية في آن. وهو واقع جديد لا بد للعرب أن يدرسوه بعناية للحاضر وللمستقبل لكن من دون أوهام. أكرر من دون أوهام. كفانا أوهاماً. لقد حان الوقت لقراءة الواقع والتعامل معه كما هو، والعمل لتغييره بالطرق

الواقعية التي يمكن أن تقود إلى هذا التغيير، وليس بالشعارات وبالأوهام المتصلة بها.

**الأربعاء 19 أيار – مايو**

عدت من دمشق وعمان لأرى أن ثمة مشكلة في حزبنا الشيوعي لا علاقة لها بالهم السياسي. إنها مشكلة تعبّر عن الحالة الراهنة المتمادية في الحزب، حالة العصبيات الشخصية الحاملة أشباه قضايا سياسية وفكرية. كلا، لست من هذا النمط في ممارسة العمل السياسي وفي العمل في ميدان البحث الفكري. أفضل ألا أكون في حزب، بل أفضل أن أعتزل العمل السياسي، إذا كان هذا الذي أراه في حزبنا هو منطق العمل الحزبي والعمل السياسي. في البلاد ألف قضية وقضية، وفي المنطقة، بعد الانتخابات الاسرائيلية، ألف قضية وقضية، والعالم كله يشهد اضطرابات وتحولات كبرى، وبعضنا يتلهى بعصبيات وأحقاد شخصية داخل حزب يفترض به أن يحمل أفكاراً تدعو لإحداث تغيير جوهري في بلادنا باسم الاشتراكية. إنها مهزلة التاريخ!

كلا، لست من هذا النمط من "المناضلين". وسوف أتابع، في الأعوام المتبقية من عمري، ما أزعم أنه ربما يكون مفيداً للأجيال القادمة. وهو عبارة عن خلاصة تجربة غنية في العمل السياسي عمرها أكثر من نصف قرن حتى الآن.

## علاقتي بعالم الروايات

**الخميس 20 أيار – مايو**

لم أعد أستمتع بقراءة الروايات. فالحديث منها، باستثناءات قليلة عربية وأجنبية، لم تعد تغريني قراءتها. حاولت أن أذهب إلى الروايات القديمة فوجدت الكثير منها قد أصبح خارج الزمن، برغم الأهمية التي كانت تتصف بها في زمانها. فرحت لهذا الشعور واستنتجت منه أنني، وأنا على أبواب السبعين، قد خرجت من الماضي، وأنني ربما بدأت أتهيأ، بحدود معينة، للدخول في العصر الجديد من باب الرواية ومعها بعض أفكار تتصل بالأدب الجديد! وبدأت أطرح على نفسي السؤال التالي: هل يصح اعتبار أن الأدب بعامة والرواية والشعر بخاصة، الأدب الذي تمتلئ به في هذه الأيام المكتبات ومعارض الكتب، هو الأدب الذي يعبّر تعبيراً صادقاً وأميناً عن هذا المنعطف الجديد الكبير الذي يمر فيه العالم وتمر فيه بلداننا ويمر فيه إنسان بلداننا والانسان بعامة؟ يخامرني شك في ذلك. لذلك سأنتظر اللحظة التي نكون قد دخلنا فيها في الألفية الجديدة، ليس بالضرورة في سنواتها الأولى، بل ربما بعد

عقد أو عقدين، لنرى ما هي الشروط الجديدة التي تؤسس لأدب جديد معاصر، أدب الألفية الثالثة في بلداننا وفي العالم.

لكن عليّ أن أعترف بأن بعض الروايات الحديثة التي انبهرت بها، وهي استثناءات، قد فرضت نفسها عليَّ وأدخلتني في عالمها البديع. أذكر من بين هذه الروايات رواية "الجسر" للروائي إسماعيل كاداريه. أدهشني هذا الروائي الألباني. قرأت روايته هذه وروايات أخرى له بمتعة وشغف، ولم ألتفت إلى ما سُرّب عنه من معلومات تاريخية في وسائل الاعلام تعود إلى زمن الشيوعية في بلده، لا سيما في المرحلة الأخيرة من ذلك الزمن وفي ما بعد. فرواياته هي التي تهمّني، ولست معنياً بتاريخه. ومن بين الروايات الحديثة التي استمتعت بقراءتها بعض روايات ماركيز بدءاً من روايته "مئة عام من العزلة". لكن عليّ أن أعترف في الوقت عينه بأن نجيب محفوظ الذي بات على أبواب التسعين من عمره، وقد شاخ فعلاً، لا تزال رواياته تتمتع بشبابها. وأنا من المدمنين على قراءتها. هذه الاستثناءات التي أشير إليها من الروايات والروائيين في الزمن الحديث لها ولهم فيها شركاء في بلداننا وفي البلدان الأخرى لن أسترسل في ذكرها والتوقف عندها.

ملاحظة: لماذا هذا الادعاء من قبلي بأن مزاجي وذوقي الأدبي هما المقياس في الحكم على الأدب، شعراً ورواية وأجناساً أدبية أخرى؟!

## الهويّات وإشكالياتها
## في عالمنا العربي!

**الجمعة 21 أيار – مايو**

يكثر الحديث في بلداننا في هذه الأيام عن الهوية القومية مترافقاً مع الحديث عن مشروع قومي نهضوي. وقد شاركت في بعض الندوات التي تمحورت النقاشات فيها حول هذين الموضوعين. وفي اعتقادي أن الدفاع عن الهوية القومية في أي بلد من البلدان هو أمر طبيعي. لكن الإشكالية في بلداننا العربية تكمن في أن الهوية القومية التي يجري الحديث عنها هي الهوية العربية التي يطمس فيها القوميون العرب هويات المكوّنات الأخرى لمجتمعاتنا بالمفرد وبالجمع. يدافعون عن هذه الهوية باعتبارها هوية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ولا تتأثر بمجرى التطور التاريخي في بلداننا وفي العالم. لقد حرصت في مداخلاتي في الندوات التي شاركت فيها حول موضوع الهوية ربطاً بموضوع النهضة، أن أذكّر بأن مجتمعاتنا هي مجتمعات متعددة مكوناتها قومياً وإثنياً ودينياً وثقافياً وفي اللغة وفي التقاليد وفي أنماط الحياة. بهذا المعنى فإن هويتنا هي هوية مركبة. وعلينا أن ندافع عنها بصيغتها

المركبة، وإلا أدخلنا بلداننا في صراعات ستقود إلى تفككها. وهو ما قدم لنا تاريخنا القديم نماذج منها، ولايزال يقدم لنا تاريخنا الحديث نماذج منها مفجعة ومدمرة. وليس الصراع مع الأكراد في العراق هو المثل الوحيد على ما أقول. بل هناك مثل السودان الغارق في حرب لم تنته بين الجنوب والشمال، ومثل الأمازيغ في الجزائر، وسوى ذلك من أمثلة. ويصيبني خجل حين أتذكر حربنا الأهلية وواقعنا الراهن في ظل الوصاية السورية وانقساماتنا الطائفية التي تتفاقم إلى الحدود القصوى. لقد حرصت في مداخلاتي، إلى جانب ما أشرت إليه، أن أؤكد بأن الهويات لا يمكن أن تكون ثابتة. بل هي تخضع دائماً للمتغيرات التي يفرضها عليها مجرى التطور التاريخي في كل بلد من بلداننا، وفي العالم، لا سيما في هذه الحقبة التاريخية بالذات. الهوية تتجدد وتغتني وترتقي مع التطورات الجارية من دون أن تفقد الأساسي من العناصر المكونة لها. وإذا لم نأخذ ذلك في الاعتبار نصبح خارج التاريخ. والأمثلة على الذين خرجوا من التاريخ في العالم المعاصر كثيرة. فحذار أن نكون نحن العرب في عداد هؤلاء.

بهذا المعنى الذي أشير إليه في موضوع الهوية يصبح للحديث عن مشروع قومي نهضوي معنى مختلف عما هو سائد. نحن بالطبع بحاجة إلى نهضة. لكن ما هو المشروع الحقيقي الذي يمكن أن يكون رافعة لهذا النهوض الذي تحتاج إليه بلداننا؟

لا بد من إعادة صوغ لمثل هذا المشروع النهضوي. لكن كيف وبأية قوى وفي أي إتجاه، ومن هي الجهة المؤهلة الآن، في هذا الظرف الصعب الذي تعيش فيه بلداننا، للقيام بالمبادرة؟

ما زلنا، مع الأسف، أسرى التراجع بعد انهيار المشروع الاشتراكي، وانهيار المشاريع القومية الرومانسية التي تحوّلت جميعها بصيغ وبمستويات مختلفة إلى أساس لإقامة نظم استبدادية تحكّمت ولا تزال تتحكم بمصائر بلداننا وبمصائر شعوبنا.

ليلى في العراق مريضة! هذا ما قاله الشاعر العربي ذات عام. ليلى المريضة هذه هي اليوم العراق برمته. عهود متواصلة من الظلم والاستبداد قطعتها لمدة خمسة أعوام ثورة الرابع عشر من تموز (1958)، ثم انهارت هذه الثورة بفعل الانقلاب الفاشي الذي قام به قادة حزب البعث. وعاد زمن الظلم في أفظع أشكاله وأكثرها وحشية في ظل نظام البعث وحكم الطاغية صدام حسين. مسكين هذا البعث، اسماً وتاريخاً ومشروعاً قومياً للنهضة! الشعب العراقي مصاب منذ عقود بمرض الطغاة الذين أدخلوه في حروب متواصلة، حرب ضد الأكراد في الداخل، وحرب ضد الجيران الإيرانيين، وتدخل فظ ضد الأشقاء الكويتيين. أما الآن فللظلم عنوان آخر هو الحصار الذي فرضته الدول الكبرى على العراق لمعاقبة نظام

صدام حسين، فعاقبت الشعب العراقي وتركت الطاغية يمارس طغيانه ووحشيته في ظلم الشعب. أما لهذا الليل العراقي من المعاناة والعذابات في ظل الاستبداد من آخر؟

يخيّل إليَّ أنني سمعت نبأ وفاة المفكر العراقي علي الوردي بعد أن باع مكتبته الثمينة بثمن بخس لكي يؤمن شروط حياته المتواضعة ولكي يؤمن الدواء الذي كان بحاجة إليه. فظيع هذا الزمن الذي نحن فيه!

السبت 22 أيار – مايو

سافرت إلى دمشق كعادتي من أجل مهمة شخصية من السابعة صباحاً حتى الرابعة بعد الظهر. قالت لي نجوى، وقال آخرون: يخزي العين، ما هذا الشباب؟ تسع ساعات من السفر والعمل في يوم واحد. أعتقد أن قوة الارادة هي القوة الأكبر عند الانسان التي تجتمع فيها كل العناصر المادية والروحية. تلك هي، في أي حال، سمات طبعت سلوكي في التعامل مع القضايا التي أقتنع بها وأندمج فيها. لذلك فمراهنتي الحقيقية، في ما يتصل بالتحولات العاصفة في العالم المعاصر، إنما تستند على الدوام إلى الوعي والارادة عندي في وحدتهما. لكن مرارتي، في الحقيقة، منذ أن انتسبت إلى الاشتراكية وصرت شيوعياً، هي في أنني لم أجد إلا قليلاً نماذج تشير إلى الترابط والاندماج الضروريين بين الوعي والارادة. فإما إرادة من دون وعي، أي إرادة ممزوجة بالأوهام وبالتخيلات وبالاستتباع، وإما وعي من دون إرادة، أي وعي أرستقراطي نظري لا يقترن بالممارسة. وتلك هي، في نظري، الكارثة التي تمثّلت بالانهيارات في الحركة الاشتراكية، وبالهزائم التي تعاني منها بلداننا وبلدان العالم الثالث.

الأحد 23 أيار – مايو

حصة هذا اليوم من الاستماع إلى الموسيقى تركزت على مقطوعات لشتراوس، بما في ذلك "الدانوب الأزرق". ولهذه المقطوعة الموسيقية عندي ذكريات قديمة عزيزة عليَّ.

بدأت محاولة أولية لترتيب مجموعة المقالات والدراسات المتعددة المواضيع التي كنت قد اقتطعتها من المجلات التي تصلني، ومن المجلات التي أشترك فيها، وذلك من أجل أن تكون في متناول يدي عند الحاجة إليها كمراجع. المهمة صعبة، ولا بد من الدخول فيها حتى لا تكون هذه المقالات مجرد أوراق ميتة. جمعت المراجع التي سأستند إليها في استكمال بحثي حول العولمة بشكل عام، وحول العولمة في تجلياتها في بلداننا. وستكون بداية العمل في الأسبوعين القادمين في هذا الاتجاه استكمالاً لفصول كتابي "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف".

التقيت في المساء بصديقي القديم جان غيراز، أحد مسؤولي قسم الشرق الأوسط في جريدة "الموند". وهو في زيارة سياحية إلى بيروت. فاجأني صوته على الهاتف، فتركت أعمالي وذهبت إليه فوراً. وقضينا سهرة جميلة استعدنا فيها بعض ذكرياتنا في باريس. وذكرياتي في عاصمة الثقافة والثورة تمتد من عام 1956 ولا تنتهي. كان رفيقنا في السهرة، في الذاكرة، صديقنا المشترك إريك رولو الذي كان قد عرّفني على جان غيراز في مطلع السبعينات.

**الاثنين 24 أيار – مايو**

ثمة أشياء تستعصي على الفهم، حتى بالنسبة لأكثر الناس ذكاء، ولو إلى حين. وفي هذه الأيام تدور أحداث أشعر أنني مقصر عن فهمها. المشكلة بالطبع هي مشكلتي. فأحداث الحياة ليست مضطرة لأن تنتظر استيعابي لها لكي تحدث. أقول ذلك تمايزاً عمن يضعون أنفسهم في موقع القدرة الدائمة والحاسمة على تحديد معنى ومجرى الأحداث. لذلك أجدني أقترب من اتخاذ موقف يبدو لي الآن خطيراً، لكنه سيبدو عادياً في زمن قريب. جوهر هذا الموقف هو ما أكثرت الحديث عنه بصورة غير مباشرة في الكثير من كتاباتي. وهو يتعلّق بأن الأفكار العظيمة قلّما تجد الناس الذين يستوعبونها بشكل صحيح، ويتعاملون معها بمعزل عن أغراضهم وأهوائهم الشخصية. والاستنتاج الخطير الذي تقودني إليه هذه الفكرة هو أن الحركة التي حملت اسم الاشتراكية، أحزاباً ودولاً ومشاريع، لم تعد صالحة اليوم لكي تتابع مهمتها تحت هذا العنوان وعلى قاعدة هذا الطموح. إذ اختلفت أهواء الذين يرتبطون بها كثيراً، وابتعدت هذه الحركات عن جوهر الفكرة، إلى الحد الذي يجعلني أستنتج بأنها أصبحت أقرب إلى موقع التناقض مع الفكرة، بدلاً من أن تكون متلائمة معها وعاملة على تجديدها وتطويرها في الطريق إلى تحقيق ما ترمي إليه وتعد به. أليس في هذا الاستنتاج حول واقع حركتنا الاشتراكية ما يستحق الاهتمام نقاشاً جاداً وبحثاً متواصلاً عن البدائل الضرورية، قوى ومؤسسات وبرامج ترمي إلى متابعة النضال من أجل تحقيق التغيير الذي وضعنا ماركس على سكته في مشروعه العظيم لتغيير العالم باسم الاشتراكية؟! لكن شرط ذلك، الشرط الضروري، هو أن يكون هذا البحث، إذا ما توافرت قواه، ملتصقاً بالعصر وبالتحولات الجارية فيه، بالايجابي فيها والسلبي، وليس خارج هذه التحولات.

## تذكرت عمر فاخوري
## أديباً ومفكراً نهضوياً

الثلاثاء 25 أيار - مايو

تذكرت اليوم عمر فاخوري، لأن ابراهيم عز الدين مدير مؤسسة شومان طلب مني أن أرسل له صورة عن عدد خاص من مجلة "الثقافة الوطنية" كان مكرساً لذكراه. تذكرت عمر وتذكرت أدبه وفكره كأحد رواد النهضة في مطالع القرن في كتابه الرائد "كيف ينهض العرب؟". كنت في مطلع شبابي شديد الإعجاب بأدب رئيف خوري رفيق درب عمر، ودليلي إلى فكر وأدب عمر. قرأت كتب عمر جميعها، وهي قليلة. وكتابات عمر، رغم قدمها تظل راهنة. وإذا كان كتابه الأول "كيف ينهض العرب" الذي أصدره في مطلع شبابه يدل على عبقريته المبكرة، فإن كتابه الأخير "الحقيقة اللبنانية" هو، في موضوعه وفي آراء عمر فيه، يستحق أن يكون مادة للتدريس في مدارسنا الرسمية. ففي هذا الكتاب يحدد عمر عناصر الشخصية اللبنانية في تعددها وفي وحدتها، ويقرأ بدقة موقع لبنان في المنطقة، ودوره كصلة وصل بين الشرق والغرب. ويشير إلى موقع عمر المميز في العالم العربي ما جاء في كلمة عنه لطه حسين في أحد مقالاته الافتتاحية لمجلة "الكاتب المصري" يقول فيها:

"... وقد أنفقنا في بيروت يومين لقينا فيهما من أهل لبنان ما تعوّدنا أن نلقى من هذه الضيافة الحلوة المرحة الخصبة التي تشعر الضيف بأنه ليس ضيفاً، وإنما هو رجل يعيش في وطنه وبين أهله، لا يجد في ذلك مشقة ولا جهداً، ذلك إلى هذا المتاع العقلي الذي يجده المصري المثقف حين يلقى اللبنانيين المثقفين. وقد كادت هذه الزيارة تكون صفواً كلها، لولا أنني سألت عن صديق لبناني أديب كانت له في نفسي كما كانت له في نفوس الأدباء الشرقيين جميعاً مكانة ممتازة. سألت عنه لأني كنت أريد أن أسعى إليه. قلت لصاحبي: كيف حال الأستاذ عمر فاخوري؟ فقال في هدوء حزين: لقد دفنّاه أمس يا أستاذ. عنا في حالة وجوم طويل لم نقل في أثنائه شيئاً، وإنما قالت قلوبنا في أثنائه كل شيء. وما عسى كنا نستطيع أن نقول، وقضاء الله أقوى وأمضى وأصرم من أن نملك أمامه شيئاً غير السكوت والإذعان. وهذا الحزن هو الذي يفني القلوب، ويضاعف ثروة العقول. ولم أقل شيئاً ولم يقل أصحابي شيئاً، وإنما اتخذت لهذا الأديب اللبناني العظيم قبراً في ناحية من نواحي قلبي، كما اتخذ اللبنانيون له قبوراً في قلوبهم، وكما احتفروا له قبراً في مكان ما من أرض لبنان".

يذكرني عمر برفيق دربه رئيف خوري وبجيل ذلك الزمان من الأدباء والمفكرين اللبنانيين والعرب. وكم أسفت لأنني لم أكن في عمري قادراً على التعرف إلى عمر. لكن صديقي الشاعر عبد المطلب الأمين قادني ذات ليلة من لياليه البوهيمية المعروفة في أواسط الخمسينات التي كنت شريكاً له فيها إلى بار كانت صديقة عمر المجرية تديره. تعرفت إليها وتحدثت معها عن عمر. وكانت لا تزال تحبه. والغريب أن ذكرياتي ذهبت إلى أبعد من ذلك، أي إلى ما بعد عمر ورئيف، إلى عبد المطلب الأمين بالذات. وكان قد طلب مني أحد الأصدقاء أن أبحث له عن صورة لعبد المطلب في أرشيف صوري لكي تزين الطبعة الجديدة من ديوانه الناقص. وقد وجدت الصورة التي أعادت لي ذكرياتي مع عبد المطلب، وما أجملها، وما أكثر الجوانب الانسانية الحقيقية فيها. عبد المطلب شاعر ساخر وصاحب رأي وصاحب تجربة في العمل الدبلوماسي وفي المحاماة وفي القضاء. لكنه كان بوهيمياً، وكانت بوهيميته جميلة. وكنت رفيقاً له في الكثير من السهرات الليلية في مقاهي وبارات ساحة البرج وشارع الزيتونة القريب من فندق السان جورج، الفندق التاريخي وأحد منارات إبداع المهندس المعماري أنطون ثابت.

تقودني الاشارة إلى اسم أنطون ثابت إلى الدور الكبير الذي لعبه هذا المثقف الاشتراكي في الميادين الثقافية والسياسية والمهنية. شارك في تأسيس حركة السلم العالمية في مؤتمر باريس (1949). وأسس في لبنان حركة أنصار السلم اللبنانية وترأسها. وانتخب نقيباً للمهندسين في دورتين. وأذكر أنني في عام 1965 عندما قرر الحزب الشيوعي إقامة احتفال تكريمي له بعد مرور عام على وفاته ذهبت إلى السفارة الفرنسية للقاء الشاعر اللبناني باللغة الفرنسية جورج شحادة الذي كان أحد الأصدقاء التاريخيين لأنطون ثابت مقترحاً عليه المشاركة في الاحتفال. كان شحادة في ذلك التاريخ يعمل في قسم العلاقات الثقافية في السفارة الفرنسية. اعتذر شحادة عن المشاركة في الاحتفال خطيباً. فهو لا يعرف اللغة العربية ولا يعرف الوقوف على المنابر. وطلب مني أن أتفهم موقفه. وأعرب لي عن حبه وتقديره لصديقه أنطون ثابت. إلا أن علاقة جميلة نشأت بيني وبين شحادة استمرت عامين. ثم انقطعت بعد سفره إلى فرنسا. وكنت قد قرأت باستمتاع بعض مسرحياته باللغتين العربية والفرنسية.

**الأربعاء 26 أيار - مايو**

حزنت كثيراً عندما أخبرني برهان علوية أن ابنة شقيقته ريم الجندي، الفنانة الموهوبة والانسانة الطيبة في خطر، بسبب مرض مجهول أصابها. وسرعان ما أفرحني والدها الصديق عاصم الجندي عندما أخبرني بأنها بدأت تتحسّن وتعود إلى حياتها الطبيعية. أهلاً

بريم، أهلاً بها تعود إلى عملها الراقي في الفن التشكيلي.

أجريت نقاشاً ممتعاً مع شقيقي مصطفى العالم الجيولوجي خريج الاتحاد السوفياتي. تمحور النقاش حول واقع حياتنا وحول مستقبلنا وحول مصير القيم التي هي جزء من تطور تعصف به قوانين ومعايير تتعارض مع كل ما هو إنساني. وتساءلنا معاً: ألم يحن الوقت لكي يخرج المتضررون من وحشية الرأسمال المعولم من سباتهم، ويشكلوا نواة حركة جديدة للتغيير؟ وتوقفنا عند الاسم الذي يمكن أن تتخذه هذه الحركة، كما لو أن الاسم هو نقطة الارتكاز في قيام هذه الحركة! واكتشفنا على الفور أن البعض قد بدأ يعطي لهذه الحركة قبل أن تتهيأ الشروط لولادتها أسماء تحاكي الماضي الذي مضى: أممية جديدة لعصر جديد، تستكمل ما انقطع في تاريخ الأمميات السابقة، الاشتراكية والشيوعية وتتجاوزهما. ولم نجرؤ في نقاشنا، شقيقي مصطفى وأنا، رغم الأعوام العشرين التي تفصل بيننا، وهو أصغر أولاد الشيخ أحمد، لم نجرؤ على تقديم جواب عن السؤال الذي طرحناه. فلهذا الجواب في رأي كلينا شروطه التي يحددها مستوى الوعي لدى إنسان عالم اليوم، بما في ذلك شيوعيو اليوم وشتراكيو اليوم ويساريو اليوم وديمقراطيو اليوم، وكل من هم أصحاب المصلحة في التغيير بأسمائهم المختلفة.

**الخميس 27 أيار – مايو**

عملية السلام على الطريقة الأميركية تتسارع. ويبدو أن لا سبيل سواها، برغم احتجاج الرافضين لهذا السلم، وأنا منهم. ذلك أن السلام، ولو كان ناقصاً، ولو كان أميركياً، هو، في نظري إذا ما جرى العمل على صوغه بالحد الأقصى من الحذر، الأفضل من اللاسلام الذي صودرت في ظله كل قضايانا وكل حرياتنا وكل وسائل تقدمنا وتحررنا. وإنه لمن العيب، أياً كانت الظروف، أن نتردد في استقبال مبادرة، مهما تكن خلفياتها، يفرض بموجبها على إسرائيل الخروج من أي جزء من الأرض العربية التي تحتلها. إنه موقف مبدئي وواقعي في آن. لكن للقضية الفلسطينية وللصراع العربي-الاسرائيلي قادة من نوع مختلف عما أتصوره من موقعي المتواضع للقادة. يقرأون على طريقتهم ووفق مصالحهم ضرورات المرحلة. لكل منهم، فلسطينيين وعرباً وإسرائيليين وأوروبيين وأميركيين، أهداف ومصالح وارتباطات وحسابات غير ذات صلة بما أفكر أنا فيه وبما قد يكون بالنسبة للشعب الفلسطيني وللشعب اليهودي، من وجهة نظري، ضرورة للحاضر وللمستقبل.

أصدرت محكمة العدل الدولية حكماً على ميلوسوفيتش بصفته مجرم حرب. ترى أيهما مجرم الحرب الحقيقي، هذا الرجل الذي كان يدافع عن أرضه وعن حرية بلاده، أوحلف الأطلسي بزعامة أميركا الذي دمر بلغراد بوحشية لم يشهد التاريخ المعاصر لها مثيلاً؟

ميلوسوفيتش متهم بأنه ستاليني. وهذا صحيح. لكنه ستاليني معاصر. بمعنى أنه، برغم الطابع الفردي لقيادته يوغوسلافيا، فإنه كان "ديمقراطياً" بالتزامه بإجراء الانتخابات الرئاسية والنيابية والمناطقية. ومعروف أنه نال في الانتخابات الرئاسية التي كثر فيها منافسوه 60٪ من الأصوات، وخسر حزبه عدداً من البلديات في تلك الانتخابات الديمقراطية. لكنني لا أتوقف هنا عند الطابع الستاليني لميلوسوفيتش. فالمهم الآن هو أنه يدافع عن بلاده، يدافع عنها، من موقعه كرئيس ليوغوسلافيا، ضد العدوان الأميركي والأطلسي الذي تتعرض له بلاده. أما مستقبل يوغوسلافيا ما بعد انهيارالتجربة الاشتراكية فالشعب اليوغوسلافي هو صاحب القرار فيه، مثله في ذلك مثل العديد من البلدان التي كانت تحمل الأنظمة فيها صفة الاشتراكية.

**الجمعة 28 أيار – مايو**

كنت مع صديقي المحامي إيلي بخاش نتذكر أحداثاً سابقة في لبنان وفي المنطقة، ونتحدث في أحوال الدنيا. اتفقنا على أن العالم ذاهب في الاتجاه الغلط، وأن علينا في بلدانا أن نسير في الاتجاه الصحيح المختلف، لكن من دون أوهام. طريقنا طويل وشاق. وليس أمامنا سوى سلوكه مهما كانت الصعوبات التي تواجهنا فيه. إلا أننا سنكون بحاجة إلى نمط جديد مختلف من التفكير، مختلف أساساً عن نمط تفكيرنا في الحقبة التي عمرها من عمر هذا القرن الذي نودع. وإذا ما سئلت عن هذا النمط من التفكير ما هو، أجبت بأنني أبحث عنه. وإذا ما سئلت كيف سيكون هذا النمط، أجبت بأن هذا أمر خاضع للاجتهاد وللإبداع. وإذا ما سئلت عن التغيير الذي كان اسمه الاشتراكية، هل لا يزال قائماً، أجبت بأن للمفهوم القديم لهذا المشروع الاشتراكي جوهراً لا يتغير. لكن للجوهر، دائماً، شكلاً وإطاراً ووعاء وأداة وطريقة وأسلوباً، وسوى ذلك من أمور تتصل بالعناصر التي تؤمن الحفاظ على جوهر هذا الجوهر في كل عصر وفق شروطه. هذه العناوين تتغير جميعها مع تغير الشروط التاريخية. المسألة الحقيقية هي هنا بالذات. وهي ليست مسألة شكلية، بل هي أساسية بالمعنى الدقيق للكلمة.

**السبت 29 أيار – مايو**

كانت لديّ مهمات شخصية في سوريا. أنجزتها وأجريت كعادتي لقاءات مع أصدقائي من المثقفين السوريين. وكان لي في شكل خاص نقاش مع اثنين منهم. ناقشت مع الصديق الأول كيف سنتعامل مع القضايا العامة من خلال علاقتنا الشخصية بها، من دون أن نعطيها طابعاً شخصياً. وكانت وجهات نظر كلينا متفقة. وتناولت مع الصديق الآخر واقع العالم

اليـوم وواقـع بلداننـا وكيفية صوغ مشـروعنا الاشـتراكي بعقل جديد ووعـي جديد وخطط للنضـال جديـدة ونمط تفكير جديد بالكامـل. وأكدت للصديقين، في ضوء مـا اتفقنا عليه، بأننـا إذا لـم نفعل ذلك غرقنا فـي وحل الصعوبات، حتـى ونحن نعمل لكـي لا نتلوث بهذا الوحل.

مسـاكين نحن في هذا الزمن الصعب، نحن العرب بالمفرد وبالجمع من كل الاتجاهات الفكرية والسياسـية، يسـاراً ويميناً ووسـطاً على حد سـواء. أحلامنا أكبر منا بكثير، أكبر من أفكارنا، وأكبر من طرائقنا في التفكير بها. مساكين نحن!

## أحداث وذكريات ربطتني مع صديق العمر ميشال إده

الأحد 30 أيار – مايو

أكتـب يومياتـي، إما في آخـر الليل قبل أن أذهب إلـى النوم، أو صبيحة اليـوم التالي فور اسـتيقاظي من النوم، وقبل أن أدخل في جوّ النشـاط. غايتي من اختيار هذا الوقت للتدوين أن تكـون يومياتـي مأخـوذة من أحداث وتأمـلات يوم بكامله. فـي هذا اليوم لـم أعن كثيراً بالأحداث، محلياً وإقليمياً ودولياً. فهي أحداث روتينية لا جديد فيها يختلف عن يوم أمس. لذلك استسلمت لتأملاتي، ودخلت في نوع من الكسل، أي في حالة من اللامبالاة. وللكسل في هذه الحالة تجليات معينة عندي. صمت بلا تفكير، وهي حالة نادرة، نظراً لأنني تعودت ألا أضيـع لحظـة واحدة من دون تفكير، وصمت وتفكيـر أحياناً، وهو الأكثر. ونوم من دون نعاس، نوم هو أقرب إلى الاسترخاء. واستماع هادئ إلى الموسيقى. ثم انتقال إلى التفتيش في الأوراق من دون هدف معين أو قراءة أشـياء غير ذات أهمية، مما يقع أمامي بالصدفة من أوراق أو مجـلات أو كتـب، ولا يبقـى من القراءة في الرأس شـيء، لأن القراءة في مثل هذه الحالات ليست قراءة بل هي تضييع للوقت ليس أكثر.

إلا أن التأمـلات كثيـراً مـا تؤدي إلى توتر. تنطلـق التأملات عادة من الواقـع القائم ومن أحداثـه. فكيـف لهـذا الواقع أن ينتج غير ما يؤدي إلى المزيد مـن التوترات؟ ومع ذلك فإن التأمل هو من أجمل عادات الذين يستخدمون الفكر والتفكير من أجل إراحة النفس من آلام الحاضر بانتظار المستقبل الذي يحلمون بقدومه.

لكـن من أجمل ما قادتنـي إليه تأملاتي في هذا اليوم هو اسـتذكار صديق قديم ودائم هو ميشال إده. وميشال صديق قديم لي شخصياً وصديق قديم للحزب الشيوعي. تعود علاقته بالحـزب إلى أواخـر الأربعينات. وتعود علاقتي به إلى عام 1966 عندما كان وزيراً للاعلام

في حكومة عبد الله اليافي التي تشكلت في أعقاب أزمة إنترا. كان ميشال يحضر منذ أواخر الأربعينات لقاءات مع بعض قادة الحزب بصفة صديق. وكان يشاركه في تلك اللقاءات عدد من المثقفين كان بينهم الدكتور علي سعد الطبيب البيطري والأديب المميز. كان ميشال صديقاً وفياً لي وللحزب على امتداد ذلك التاريخ. وظل يحمل هذه الصفة، حتى بعد أن بدأ يصبح مارونياً أكثر منه يسارياً. وظللت أعتز به وبصداقته من دون أن أتوقف عند تحولاته. فتلك هي خياراته وهو حرّ فيها ولا شأن لصداقتنا بها. كنا في السابق وما زلنا حتى الآن عندما نلتقي نخوض في نقاشات حول قضايا قديمة وحول قضايا راهنة، فنتفق ونختلف. وهو أمر طبيعي. ويتميز ميشال بكرمه وبنبله. ويتميز بذاكرة خارقة. ميشال واسع الثقافة وبالغ الدقة في معرفته بالتاريخ القديم والحديث للبنان والمنطقة، فضلاً عن معرفته الواسعة بتاريخ العالم. لكن أهم ما تميزت به معارفه التي كتب حولها وتحدث في وسائل الاعلام ما يتصل أولاً بالحركة الصهيونية منذ القدم حتى اليوم، وما يتصل بالحركة البولشفية التي يعرف تفاصيل نشاطها ويعرف رموزها الأساسية مع لينين وقبله وبعده. وقد أهداني كتاباً يضم سير عدد من زعماء البلاشفة من رفاق لينين ما زلت أحتفظ به.

وأذكر أنني ذهبت إليه عندما أصبح أول وزير للثقافة في حكومة رفيق الحريري الأولى وناقشته في برنامج وزارته. وقرأت له ما كنت قد قلته في الاستفتاء الذي طرحته جريدة "السفير" عليَّ وعلى عدد من المثقفين حول أهمية وزارة الثقافة. وأكدت في جوابي عن السؤال أنني أعوّل كثيراً على ميشال إده كأول وزير للثقافة. اقترحت عليه وأنا أهنئه أن أقدم له مشروعاً متكاملاً للوزارة. وسألته إذا كان يقبل مني تقديم مستشار له في الوزارة فأجاب بالايجاب. فعدت إليه في اليوم التالي ومعي سمير مراد، الذي كان عضواً في قيادة الحزب الشيوعي، وعرفته على سمير وعلى ما يتمتع به من ثقافة وسعة أفق. وقلت له أمام سمع سمير بأن سمير، إذا كان ميشال يوافق على اعتماده مستشاراً له بمستوى نائب وزير، فإنه سيترك قيادة الحزب ويأتي إليه متحرراً من التزاماته الحزبية. فوافق. وأعددنا، سمير وأنا، في ضوء ذلك اللقاء مشروعاً كاملاً مفصلاً لوزارة الثقافة يفتح به ميشال إده تقليداً جديداً شبيهاً بما كانت عليه وزارة الثقافة الفرنسية في عصر أندريه مالرو في فرنسا الستينات. أعددنا المشروع واقترحت على سمير أن يوقعه باسمه ليكون أول مدخل له للعمل مع الوزير ميشال إده. وهكذا كان. وصار سمير مراد أول مستشار لأول وزير للثقافة هو ميشال إده. لكن ميشال سرعان ما بدأ يسعى للوصول إلى رئاسة الجمهورية من دون أن يتخلى عما يتصل بهموم وزارة الثقافة التي كلّف بها سمير. وأذكر أنه عندما انتهى عهد الرئيس الياس الهراوي ذهبت مع فاروق دحروج وآخرين من قيادة الحزب إلى دمشق لزيارة خدام. كان هدف

الزيارة البحث في بعض الأمور ومن ضمنها رئاسة الجمهورية. سألت خدام بمن يفكرون لهذا الموقع، فأجابني إجابات عامة. فطلبت منه جواباً محدداً، فقال لي: أنت تريد صديقك ميشال إده لهذا الموقع. فأجبته: لم لا، وهل عندكم من هو أفضل منه؟ وأردفت متسائلاً: لماذا تكثرون من الاستقبالات للسياسيين اللبنانيين والدخول معهم في البحث في الكبيرة والصغيرة؟ أجابني: هم يأتون إلينا ويدخلوننا في شؤونهم الخاصة جداً جداً. فعلّقت على قوله: وأنتم لا تعترضون! وكنت أشير إلى أنهم يرحبون بمثل تلك الاستقبالات للتأكيد بأنهم هم أهل البلد وهم وحدهم الذين يقررون في شؤونه الكبيرة والصغيرة. وهذا هو المعنى الحقيقي لسلطة الوصاية السورية على لبنان.

يذكرني الحديث عن صديقي ميشال إده بصديقنا المشترك بيار الحلو الذي كنا نلتقي معه ومع صديقنا الآخر رينيه معوّض في منازلنا وفي المقاهي والمطاعم. والشيء بالشيء يذكر. أتذكر أننا كنا ذات يوم في شهر تشرين الأول من عام 1973 إلى مائدة غداء في منزل بيار الحلو، ميشال إده والشيخ خليل الخوري وأنا. كنا جالسين نتحدث في شؤون عدة بعد انتهاء الغداء عندما جرى الاتصال بي من مكتب الحزب الشيوعي يعلمني فيه الرفاق بأن الحرب قد اندلعت بين العرب وإسرائيل. فوجئنا جميعنا بالخبر. وقبل أن أسرع بالعودة إلى مكتب الحزب أخبرت الأصدقاء الثلاثة بأنني كنت قد استقبلت قبل أيام مسؤول حزب البعث، الجناح السوري، علي نادي بناءً لطلبه أعلمني فيه بطلب من قيادة الحزب من دمشق بأن الحرب لتحرير الأراضي المحتلة ستبدأ في الأيام القادمة. وقلت للأصدقاء بأنني لم أكن واثقاً مما سمعت، لكننا اتخذنا في قيادة الحزب تدابير احترازية لمواجهة احتمال وقوع الحرب. وأضفت قائلاً لهم، وسط استغرابهم واستغرابي، أن المسؤول البعثي قد أكد لي أن اختيار حزبنا لإعلامه بالحدث كان تعبيراً من قبلهم عن الثقة والتقدير لحزبنا. أروي ما حصل آنذاك كما هو من دون زيادة أو نقصان، ومن دون أن أقحم نفسي بتفسير الحدث، ومن دون أن أدخل في قراءة راهنة لتلك الحرب ولتداعياتها ولنهاياتها وبعض سلبياتها على الوضع العربي. لكنني أذكر أنني كتبت بحثاً مطولاً حول تلك الحرب وما بعدها نشرته لي مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" التي كانت تصدر ببراغ باسم الحركة الشيوعية العالمية. وكان ذلك في عام 1974. ثم صدر البحث ذاته مع بحث آخر حول الوضع الفلسطيني في كتيّب بعنوان "ماذا بعد حرب تشرين".

**الاثنين 31 أيار – مايو**

مصير اليسار اللبناني والعربي يشغلني في ظل استمرار الانهيارات من جهة، وتفاقم نزعة التوحش الرأسمالي من جهة ثانية. بل إن ما يشغلني أكثر من أي أمر آخر هو مصير شبابنا.

فهم سيكونون أكثر فأكثر، إذا لم تتكون حالة جديدة داخل اليسار، معرّضين لأحد احتمالين: المغامرة أو المقامرة في حالة أولى، أو اللامبالاة وصولاً ربما إلى المخدرات وإلى كل ما يتصل بالانحلال، في الحالة الثانية. لا بد إذًا من قضية جديدة تشدهم إليها وتعطيهم أملاً بمستقبل أفضل لهم ولبلدهم. لا بد من مشروع جديد، حتى ولو كان طوباوياً في البداية، يعيد الأمل للشباب ويعطيهم قوة صمود وعزيمة وثقة بالمستقبل. من هنا كانت لي بالأمس مناقشات مع بعض المثقفين اليساريين حول محور صدر في مجلة "الطريق" عن اليسار في ندوة يشارك فيها بعضهم حول الموضوع ذاته. واتفقنا على أن نتابع العمل في ضوء ذلك لعقد مؤتمر لليسار بكل مكوِّناته وأن نبذل أقصى جهدنا لإنجاحه.

لم أفهم، ولن أستطيع أن أفهم كمواطن لبناني، كل هذه المناورات التي لا أجد لها مبرراً، لا اليوم ولا بالأمس، التي ترافقت مع إعلان الانسحاب الاسرائيلي من جزين. انسحبت إسرائيل من جزين ولم يسمح للبنانيين الدخول إليها إلا بشروط. فجزين وامتداداتها في منطق دولتنا العجيب لاتزال مفتوحة على المناطق التي تقيم فيها القوات الاسرائيلية المحتلة في الشريط الحدودي. غريب هذا الأمر وغير قابل للفهم ممن لديهم عقل. بل هو مخالف حتى للمعنى البسيط للانتماء إلى الوطن ولدور الدولة ولوظيفتها الأساسية في الوطن. لتنسحب إسرائيل من أي شبر من الأرض ولتملأ الدولة الفراغ. فهذا هو دورها. وتلك هي وظيفتها الأمنية والسياسية والاجتماعية. فانسحاب إسرائيل هو تحقيق للهدف الذي ناضلنا من أجله وقدمنا تضحيات جساماً، وحققنا انتصارات كبيرة في نضالنا. ما أقبح السياسة في بعض عناوينها وفي بعض محطاتها وفي بعض أشكالها في بلادنا. أكاد أرى في الأفق وما وراءه أن بعض القوى من داخل لبنان ومن خارجه لا تريد لإسرائيل أن تنسحب لكي يبقى للمقاومة دور، دور لبناني ودور سوري خصوصاً باسم الوصاية السورية بديلاً من النضال لتحرير الجولان. وإني لأتساءل هنا، ارتباطاً بهذه السياسة العبثية التي تتحكم ببلدنا، ألم يحن الوقت لكي تنتهي هذه الوصاية السورية على بلدنا، لتحل محلها علاقة أخوية ندّية بين البلدين؟

إننا اليوم على مفترق طرق في لبنان. وقد حان الوقت لكي يتسلم اللبنانيون المسؤولية عن مصير بلدهم وشعبهم. ألم يبلغوا سن الرشد بعد هذه الأعوام التي انقضت على جريمة الحرب الأهلية التي وفّرت الشروط في طريقة إنهائها لهذه الوصاية عليهم وعلى وطنهم؟! هل يعقل هذا الذي نشاهده في بلدنا؟ هل يعقل أن تنسحب إسرائيل ولا تقوم الدولة بملء الفراغ، وبدعوة اللبنانيين للعودة إلى المناطق المحررة وممارسة حياتهم ونشاطهم فيها تمسكاً بأرضهم وتأكيداً للانتصار الذي تحقق، بالمقاومة وبسواها، بتحرير الأرض من الاحتلال؟!

"العلاقات الخَطِرَة" هو عنوان رواية لـLaclos حوّلتها السينما الأميركية إلى فيلم معاصر وأحداث معاصرة. الفيلم، برأيي، ناجح. إلا أن القضية التي أثارت جدلاً عندي وعند نجوى تتمحور حول هذه المبالغات في جعل الجنس محور الاهتمام. لست ضد الجنس. وهل يمكن أن يكون إنسان سويّ ضد الجنس؟ ما أرمي إليه هنا هو مجرد سؤال حول المبالغة في الحديث عنه. هل يعود ذلك إلى انهيار مشاريع التغيير، أو أن العصر هو عصر ما زلت أنا وأمثالي عاجزين عن فهمه وعاجزين عن إدراك عناصره المختلفة في زماننا؟!

## قصّة الزعيم الكردي أوجلان في سجنه
## وقصّة الروائي الكردي التركي يشار كمال

الثلاثاء 1 حزيران - يونيو

قضية أوجلان بدأت تثير، من خلال موقفه في المحكمة، أسئلة كثيرة ومهمة. لم أعتبر، شخصياً، موقفه السياسي خلال محاكمته تخاذلاً، بل هو موقف سياسي في شأن قضية ستكون مربكة لتركيا الساعية منذ زمن للدخول في الاتحاد الأوروبي.

ستدفع تركيا الحديثة ثمناً باهظاً إذا لم يجد حكامها الجدد الحل الصحيح للمسألة الكردية في صيغة تؤمن للشعب الكردي حقوقه القومية المشروعة. وإني لأرى، منذ اليوم، أن أوجلان سيتحول إلى رمز حقيقي للشعب الكردي في تركيا وخارج تركيا.

يذكرني أوجلان بالروائي التركي الكردي الأصل يشار كمال. يذكرني بروايته التي قرأتها بالفرنسية وترجمت إلى العربية بعنوان "مميد الناحل". وهي من الروايات التي تحتفظ الذاكرة بها وبالأحداث وبالأبطال فيها. وقد حصل كاتبها في عام 1956 في تركيا على جائزة الرواية باسم روايته تلك تحديداً. وهي قصة راع تحوّل إلى قاطع طرق بعد معاناة طويلة مع الآغا. وجدير بالذكر بأن يشار كمال ذاته كانَ راعياً قبل أن يصبح بجهوده الخاصة واحداً من كبار كتّاب الرواية في تركيا وعلى الصعيد العالمي.

جلست مع شقيقي مصطفى، بناء لطلبه. بحثنا في أمور عديدة. ووصلنا بالحديث إلى موضوع علمي واجتماعي يتعلق بالمياه على أرض الكوكب بعامة، وفي بلداننا بخاصة. عناوين البحث مثيرة جداً ومهمة جداً وراهنة. وقد اتفقنا كلانا على أن وعي الناس لا يزال قاصراً عن إدراك معنى هذه القضية. فالمياه ليست ماء للشرب أو للزرع أو لتنظيف حياتنا اليومية وحسب. إنها، كما يقول القرآن: "وجعلنا من الماء كل شيء حي". ولهذا المعنى دلالات ووظائف وطرق تعامل لا يمكن أن تثمر إلا إذا اقترنت بوعي الناس لحياتهم ولمحيطهم ولحاجاتهم في آن معاً.

**الأربعاء 2 حزيران - يونيو**

أفقت متوتراً، فأكثرت من التدخين خارج مراقبة ابنتي هانية التي تسعى بكل إمكاناتها لإلغاء التدخين في المنزل، ولمنع والدتها من الاستمرار في هذه العادة السامة. ولو كانت تستطيع للاحقتنا في أماكن عملنا. يا لها من ابنة رائعة.

أفقت متوتراً، إذ تراكمت عندي، في هذه اللحظة، كل المشاكل التي تواجهني، لا سيما منها المشاكل المادية. كيف يمكن لهذه المشكلة أن تجد طريقها إلى الحل؟

الحياة الخاصة تحتاج إلى مال. العمل الفكري والثقافي والسياسي الخاص والعام بحاجة إلى مال. فما السبيل إلى جعل هذه المسألة أقل تعقيداً وأقل تأثيراً على مجرى حياتنا؟

هذيان امتد إلى معظم النهار. لكنني قمعته وأنا في الطريق إلى عمّان. ستكون عمّان فرصة لتغيير المناخ، ولتأخير أفكار لصالح أفكار أخرى، وهموم لصالح هموم أخرى. وهكذا نتعاون على مواساة ذواتنا بالتي هي أحسن وأقل ضرراً!

## بين مؤسسة شومان الثقافية
## وجائزة الإماراتي سلطان العويس

**الخميس 3 حزيران - يونيو**

كان اليوم في عمّان يوم عمل. تحدثت مع إبراهيم عز الدين حول مشروع التعاون بين مؤسسة شومان ومجلة "الطريق" للمرة الثانية بعد أن قدمت له مجموعة كتب عمر فاخوري وأعدادًا خاصة عن عمر من مجلتيّ "الطريق" و"الثقافة الوطنية". قلت له بوضوح بأنه إذا كانت مؤسسة شومان أكبر من "الطريق" مالياً، فإن تاريخ "الطريق" هو أكبر مما يمثله الحجم المالي لمؤسسة شومان. وفي تقديري فإن شومان الأب يمثل نموذجاً مهماً، من حيث اهتمامه بالثقافة أساساً، من دون أن تكون لديه مطامح سياسية معينة. فهو يشبه في ذلك الشاعر الإماراتي سلطان العويس، مؤسس جائزة "العويس". هذه النماذج فريدة في عالمنا العربي، وربما في العالم. من هنا أهمية المبادرة التي قمت بها من أجل الاتفاق على التعاون بين المؤسسة والمجلة. قيل لي إن المهمة صعبة. وقد تكون كذلك. لكنني عازم على الذهاب بها إلى النهاية. فمشروع "الطريق" هو مشروع ثقافي ديمقراطي عام، لا منفعة لي خاصة منه على الاطلاق.

بالمناسبة أذكر أنني أرسلت في مطلع عام 1990 إلى صديقي عبد الحميد أحمد، أحد أركان جائزة سلطان العويس، بعض الاقتراحات التي تعطي للجائزة صدى أوسع. واقترحت

أن يكون لها فرع في لبنان يساهم في توسيع صداها في العالم العربي وفي العالم. كان همي هو أن نجعل هذه الجائزة تتطور لتصبح الجائزة الأكبر والأكثر مصداقية من كل الجوائز العربية التي كانت قد بدأت تبرز لأغراض ليست كلها ذات صلة بتعزيز الثقافة وتعزيز دور المثقفين في بلداننا. لم أتلق جواباً على رسالتي التي كانت شاملة، فحزنت. كررت اتصالاتي بأركان الجائزة وبصاحبها سلطان العويس من طريق صديقين كانا صديقين أيضاً للعويس ولعبد الحميد أحمد، هما أحمد أبو سعد وناجي بيضون. لم تلق اقتراحاتي اهتماماً من أركان الجائزة. وحين تكلمت مع سلطان العويس في تلك السهرة التي أقامها صديقي المحامي ناجي بيضون على شرفه في لبنان قال لي بأن أحداً لم يحدثه عن اقتراحي الآنف الذكر الخاص بالجائزة، فأبدى اهتماماً كبيراً بالاقتراح، ووعدني بأن يتابع البحث بشأنه لدى عودته إلى دبي. لكنه، يا للأسف، غادر الحياة في أعقاب تلك السهرة. فأقفلت الموضوع. ولم أعد أتحدث مع أحد بشأنه خلال لقاءاتي المتكررة مع أصدقائي القيمين على الجائزة. لكنني كنت سعيداً بأن الذين قُدمت لهم الجائزة كانوا جميعهم أهلاً لها. بوركت الجائزة وألف سلام على مؤسسها وممولها الشاعر الراحل سلطان العويس. أما اقتراحاتي فهي لاتزال تحتل مكاناً في أرشيفي كجزء من الذاكرة.

**الجمعة 4 حزيران – يونيو**

تناولت الغداء مع محمود درويش. وكانت لنا أحاديث متنوعة. معظمها سياسي حول مستقبل السلام في المنطقة ومفاعيله وآلياته وقواه وأهدافه القريبة والبعيدة، لا سيما نتائجه المحتملة على المنطقة، عربياً وإسرائيلياً. إنها قضية الساعة. وقد اتفقنا على أن الانتصار، إذا صح التعبير، في الانتخابات الاسرائيلية هو سلبي، بمعنى أنه يتمثل بسقوط الليكود وليس بنجاح العمل، بسقوط نتنياهو وليس بنجاح باراك. فالنزاع العربي – الاسرائيلي لا يحلّه مثل هذا السلام في مثل هذه الموازين للقوى، إقليمياً ودولياً. ومع ذلك فإن السلام إذا ما تحقق في مدى منظور، وهو أمر غير مؤكد، قد تكون له نتائج إيجابية تتمثل أساساً بتحريرنا من سيطرة القوى المهزومة على مقدراتنا وعلى مصائرنا وتحكمها بحرياتنا وحقوقنا باسم "القضية". وكانت لي مع محمود درويش أحاديث أخرى. تذكرنا معاً أحداثاً وأشخاصاً. وأعلنا حزننا على فؤاد زحيل وعلى نزار مروة وأحمد أبو سعد. وتذكرنا الرابع من حزيران في عام 1982، عام الغزو الاسرائيلي للبنان. تذكرنا ذلك الاجتماع الذي عقد في منزلي بحضور محمود وعدد من المثقفين العرب من أجل تشكيل جبهة ثقافية تقدمية. وفوجئنا قبل أن يكتمل نصاب الحضور بالعدوان الاسرائيلي على المدينة الرياضية في قلب بيروت. فأجّلنا الاجتماع إلى اليوم الثاني. وهو اليوم الذي لم يأت، بفعل الغزو الاسرائيلي للبنان.

**السبت 5 حزيران - يونيو**

كان نهاري كله تعب وتوتر. والأسباب عديدة. بعضها يعود إلى السفر، وبعضها يعود إلى السهر. وبعضها يعود إلى الفشل في بعض المشاريع المتعلقة بـ"الطريق"، التي بات مصيرها يقلقني. لا أفكر بنفسي وبعائلتي بمقدار ما أفكر بـ"الطريق". يبدو أن بعض الناس يصبحون في لحظات معينة، أو في محطات معينة في تاريخهم، نماذج غريبة يندمج في حياتهم الخاص بالعام، فلا تكاد ترى فواصل بين هذا وذاك. بالنسبة للبعض يتحوّل العام إلى الخاص في شكل دراماتيكي. أما بالنسبة إليَّ فإن الخاص هو جزء من العام، هو الجزء الأصغر شأناً وموقعاً. وتلك سمة تكوّنت عندي عبر عقود طويلة من الزمن. بداياتها كانت أيام الصبا والشباب. لم يحدث أي تغيير في حياتي من هذه الناحية. لكنني أشعر، بعد أن خرجت من قيادة الحزب ومن العمل السياسي المباشر، أنني أصبحت أكثر حرية في تحديد علاقتي بالشأن العام. وهي علاقة من الطبيعة ذاتها التي أعطي للعام فيها المقام الأول على حساب الجانب الشخصي.

مشاريعي الثقافية والسياسية وطريقة تعاملي معها هي القضية التي سأظل ملتزماً بها، على طريقتي الخاصة، إلى آخر لحظة من حياتي.

**الأحد 6 حزيران - يونيو**

لدي إحساس كبير بالقهر يقبض على الروح ويكاد يقطع الأنفاس. فما العمل؟ هل علينا أن ننتظر للألفين، كما ينصح زياد الرحباني في إحدى أغنياته، لكي نتنفس، أو أن ثمة علاجاً آخر للقهر ولانقطاع النفس!

أعلنت عن هذا الاحساس لبعض أصدقائي. فسألني أحدهم عن مصدر هذا القهر. فقلت له، من دون تفكير، إنه الفقر. فقال صديق آخر: أليس ثمة مصدر آخر لهذا القهر؟ قلت: وما أكثر هذه المصادر في أيامنا، لكن الفقر هو أصعبها وأعقدها وأكثرها استعصاء على العلاج. فما العمل؟ ولن يأتي الحل إلا بالعمل الذي يحفظ لي كرامتي وحريتي واستقلاليتي.

أهرب أحياناً إلى الموسيقى، وأهرب أحياناً إلى القراءة. لكن القراءة للمتعة لم تعد متوفرة كثيراً بالنسبة إليَّ في هذه الأيام. الموسيقى هي أكثر تأثيراً على الأعصاب وعلى تهدئتها. سأحاول التفتيش عن مصادر أخرى للعلاج. لكن القهر سيظل يضغط على الروح ويقبض على الأنفاس إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً!!

**الاثنين 7 حزيران - يونيو**

وقعت في خطأين مع صديقين، حين التقيت بهما ولم أعرفهما. وكان ذلك مجال

تعليقات شتى معهما ومع نجوى وهانية. هل هي ظاهرة خرف؟ أو هي ظاهرة قلق؟ أو هي ظاهرة افتراق يزداد اتساعاً بين البصر والبصيرة؟!

تابعت في المساء حواراً على التلفزيون مع زوجة يوسف بيدس حول قصة هذا المصرفي الكبير صاحب بنك "إنترا" الذي كبر إلى حدود لم يكن مسموحاً بها لبنانياً ودولياً، فجرى إفلاسه. لقد أعاد هذا الحديث إلى ذاكرتي حقبة بكاملها عمرها أكثر من ثلث قرن. وهي حقبة ما بعد الشهابية التي تعددت وتشابكت فيها القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكان الفساد سيد الموقف. وكان كذلك التدخل الفظ من قبل "المكتب الثاني" في كل أمور البلاد، خارج سلطة شهاب أحياناً، وبقرار منه في أحيان أخرى. وقد فضحت السيدة بيدس بعض الأسماء المسؤولة عن تلك الأزمة، أزمة بنك "إنترا" التي هزت لبنان في الأعماق. وأذكر أن حكومة رشيد كرامي سقطت تحت صدمة تلك الأزمة، وجاءت حكومة عبد الله اليافي بديلاً منها، وكان الجنرال جميل لحود، والد الرئيس إميل لحود، يمثل فيها جبهة الأحزاب الوطنية في حقيبة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية.

## حادثة قصر العدل في صيدا
## تعبير فظ عن أزمة وطن!

**الثلاثاء 8 حزيران - يونيو**

حادث قصر العدل في صيدا، الذي أدى إلى مصرع أربعة قضاة، أثار عندي وعند كل اللبنانيين أسئلة عديدة لا تتعلّق بالأمن وبالقضاء وحدهما، بل تتعلق بمصير لبنان اليوم وغداً ولمدى زمني طويل. الأسئلة محيرة لأنها ليست بالضرورة هي الأسئلة الحقيقية. وحين يجهل المرء الوقائع وخلفياتها فإنه يستسلم للتكهنات. وبعض هذه التكهنات له أساس في واقع الحياة في بلدنا اللبناني المعذب. لكنني لن أغامر في طرح الأسئلة، ما دامت كل الدولة منشغلة في البحث عن حقيقة ما جرى. علماً أنني لا أملك أن أقول بأن الدولة استطاعت في السابق أن تجلو كل الحقائق أو نصفها أو أقل من ذلك حول أحداث مماثلة. ومع ذلك لا بد من أن نركن إلى أمل ما. ومن دون فسحة الأمل هذه نكون قد وقعنا في اليأس. واليأس ممنوع. لكن بعضاً من الأسئلة، التي أؤجلها إلى وقت آخر، تتناول دور الوصاية السورية في لبنان ودور المخيمات الفلسطينية التي تأوي أفراداً ومجموعات ذات أجندات غريبة لا صلة لها مطلقاً بالقضية الفلسطينية. فمن هي القوى التي تحرك هذه المجموعات وأفرادها؟

أشعر بالخوف على مستقبل لبنان بعد هذا الحادث.

استمتعنا، نجوى وأنا، اليوم بمعرض لوحات يسار نعمة صفي الدين التي تجمع بين

إبداع تشكيلي جميل بالخط الكوفي وبين رباعيات الخيام. يسار نعمة تتجدد شباباً وإبداعاً فنياً.

**الأربعاء 9 حزيران - يونيو**

الوجوم والقلق يسيطران على الحياة كلها بعد جريمة صيدا. والكل ينتظر ويده على قلبه. ثم ماذا بعد جزين المحررة والمحاصرة، وبعد مجزرة القضاة، وبعد خطاب القسم للرئيس إميل لحود، وبعد الكثير مما ينتظرنا في هذا البلد المعذب تحت الوصاية السورية؟

هل وضعت الحرب أوزارها في البلقان؟ ربما. لكن أوروبا سقطت في الفخ الأميركي ولزمن طويل. وسقط معها العالم كله في هذا الفخ، إلى متى يا ترى، وكيف، وفي أية شروط؟ سيدفع الذين ساهموا في حرب البلقان والذين سكتوا عنها ثمناً كبيراً جداً، ولزمن طويل. وأول من سيدفع الثمن هم روسيا وأوروبا. أما المستضعفون في الأرض فالثمن قد دفعوه مقدماً. لكنهم سيدفعون مع ذلك مزيداً منه اليوم وغداً وإلى زمن لاحق ولمدة طويلة، يا للأسف!

## ظاهرات جديدة في حياتي

**الخميس 10 حزيران - يونيو**

ألاحظ منذ بضع سنوات، ومنذ السنتين الأخيرتين بشكل خاص، بعض الظاهرات الجديدة في حياتي. أولاً، النوم بمعدل ثلث ساعات اليوم، مضافة إليها ساعة أو ساعتان في القيلولة. وهي مُدد غير قليلة من النوم اليومي بالمقارنة مع ما كان عليه الحال في السابق من العمر عندما كنت في موقع المسؤولية في الحزب. ثانياً، شرب الماء بكثرة خلافاً للسابق. ثالثاً، الضحك لبرهات كثيرة، خلافاً للعبوس السابق، ومحاولات غالباً ما تكون فاشلة لرواية نكات وطرائف. لذلك فالضحك يكون، عادة، من روايتي للنكتة وليس من النكتة ذاتها، وأنا أول الضاحكين. رابعاً، النشاط المتزايد والرغبة في المزيد منه، ذهنياً وجسدياً. وهو أمر غير جديد. لكنه تواصل لعادة سابقة لم يضعفها امتداد العمر. خامساً، التفكير في المستقبل كما لو أنني في مقتبل العمر. وهو تفكير لا يترافق مع أي إحساس عندي بالأعوام على عتبة السبعين، ولا يترافق مع الخوف من الموت. وهو كذلك أمر قديم يتجدد ويتواصل. سادساً، الاحساس بالحاجة إلى الحرية أكثر من الحاجة إلى الالتزام الصارم بأي أمر. معادلة جديدة لصالح الحرية بين الحرية والالتزام. هذا الأمر بالذات هو الجديد الذي يدخل بقوة ومن الباب العريض في ما أسميه ظاهرات جديدة في حياتي. ما هو تفسير كل

ذلك؟ من جهتي لا أشغل نفسي بالبحث عن سبب هذه الظاهرات. أعيشها وأتفاعل معها وأرتاح لكونها تشكل مكونات متعددة لحياتي. أحس بأنني أجدد شبابي. أنا إذًا شاب في السبعين من العمر!

**الجمعة 11 حزيران - يونيو**

أزمة مالية خانقة تعصف بي شخصياً وتعصف بالمشاريع الثقافية والسياسية التي تشغلني في مرحلة ما بعد خروجي من قيادة الحزب. ما العمل؟ لا أدري! لكن لا بد من إيجاد حل، رغم الصعوبة القصوى في ذلك، نظراً للأزمة الاقتصادية العامة، ولفقدان الحماسة عند من يملكون المال من ذوي الاتجاهات اليسارية بقضية اليسار وبجدوى حركته. مع ذلك لا بد من إيجاد حل.

لكن ما هو اليسار اليوم؟ سؤال كبير يؤرقني ويشغلني ويضعني في ورشة بحث ذهنية وميدانية، الذهني مجرد والميداني صعب. إن اختلاط الأوراق والقضايا والهموم والأفكار يجعل من البحث، في الوقت الراهن في موضوع اليسار أقرب إلى البحث في جنس الملائكة. لكن لا بد من هذا البحث مهما كانت الصعوبات. ولا بد من إيجاد جواب عن التساؤلات التي يطرحها هذا الوضع اليائس لليسار في بلداننا بالمفرد وبالجمع.

توضيح لا بد منه. أنا لا أطلب المال لي شخصياً. أطلبه تحديداً وحصراً للمشاريع الثقافية ومن دون شروط. أما قضيتي الشخصية فأنا وحدي المسؤول عن إيجاد حل لها، ولا علاقة للآخرين بها.

## في رحاب الموسيقى والغناء
## مع رموزهما القديمة والجديدة

**السبت 12 حزيران - يونيو**

باشرت هذا اليوم في ترتيب عناوين أصدقائي في لبنان وفي العالم، لكي تكون سهلة الاستخدام. وستتبعها عملية تنظيم شاملة تطال أرشيفي بكل مكوناته، وتطال مكتبتي، وتطال برنامج قراءاتي وبرنامج كتاباتي وبرنامج مشاريعي الثقافية والفكرية والسياسية، وتطال تنظيم عملية تأمين موارد لهذه المشاريع ومعها تأمين حقي في الحياة الكريمة.

أجريت عند الظهر اتصالات بعدد من أصدقائي من رجال الأعمال الديمقراطيين واليساريين العرب، لكي يجتمعوا في بيروت بحضوري، من أجل أن يكون في تعاونهم فائدة للمشاريع الثقافية والسياسية التي أجهد كي ترى النور، ولكي يتطور منها ما هو قائم.

محاولة أرجو أن تنجح ولو جزئياً في الاتجاه الذي أرمي إليه من ورائها. لكنني أكاد أرى في محاولتي هذه ما يشبه الاستحالة. وأكاد أستنتج من إقدامي على هذه المحاولة بأنني، برغم تجربتي الطويلة وبرغم عمري المتقدم، ساذج وحالم أكثر من اللازم. لكنني مع ذلك أشعر أنني قمت بواجبي. والزمن لا ينتهي، وعليّ أن أنتظر توافر الشروط لمتابعة النضال والعمل.

قبل أن أذهب إلى النوم، وللمرة التي لا أعرف رقمها، استمعت إلى أغنية فيروز من تلحين زياد "سلملي عليه". إنها تحفة موسيقية وغنائية رائعة. وأعترف أن فيروز تحتل عندي المقام الأول في استماعي إلى الغناء، تشاركها أسمهان التي غادرت الحياة قبل الأوان. أستمع إلى أغانيهما في كل وقت. وقد اخترتهما رفيقتي سفر في رحلاتي إلى الخارج. أستمع إلى أغانيهما خلال السفر في الطائرة وفي القطار، وعندما أكون في فترات الاستراحة من عمل ما. أما في الطرب فلمحمد عبد المطلب المكان الأول عندي. لكنه لا يحتكر هذا المكان. فلصباح فخري مكان محبب إليَّ في ميدان الطرب. وثمة في عالم الطرب كبار أعترف أنني لا أعرفهم إلا عندما أحضر بعض تلك الحفلات التي بدأت تتكرر في مناسبات معينة في لبنان. أما الشيخ إمام وزملاؤه في الأغنية السياسية كزياد الرحباني ومارسيل خليفة فلهم نكهة خاصة يغلب فيها المعنى السياسي مقترناً بالموسيقى والطرب. وفي تقديري لهم أنهم رواد مميزون في الأغنية السياسية التي بدأ يبهت دورها في هذه الأيام. هل من ضرورة لإعادة إحيائها في صورة مختلفة؟ وفي مصر وفي سوريا والعراق نماذج من الأغنية السياسية تستحق الاهتمام بأصحابها والتقدير لهم.

وأذكر أن أول لقاء لي مع الشيخ إمام كان في القاهرة في صيف عام 1974. كنت يومذاك ألبي دعوة صديقي خالد محيي الدين احتفاء بزواجي المتأخر. وكانت معي نجوى. قادني أحمد فؤاد نجم إلى الشقة التي كان يقيم فيها الشيخ إمام في زواريب محلة السيدة زينب. وجهت للشيخ إمام ولأحمد نجم الدعوة للمشاركة في احتفال الذكرى الخمسين لحزبنا. فاعتذرا لأسباب أقنعتني. وأقام لطفي الخولي في منزله سهرة غنائية احتفاء بي شارك فيها عدد كبير من المثقفين المصريين، أمتعنا فيها الشيخ إمام بأجمل أغنياته. وعندما قررنا الاحتفال بالذكرى الستين لتأسيس الحزب في عام 1984 وجهت للشيخ إمام الدعوة للمشاركة في الاحتفالات فلبّى الدعوة وحيداً، لأنه كان في ذلك الحين على خلاف مع أحمد فؤاد نجم. وكانت مشاركته في الاحتفالات حدثاً مميزاً، ليس فقط في مركز الاحتفالات في بيروت، بل كذلك في قصر بيت الدين بدعوة من وليد جنبلاط وبحضوره. وإذ كنت أجلس إلى جانب جنبلاط في الاحتفال التفت إليَّ وليد هامساً في أذني: هل كنت تتصور يا كريم أن تقام حفلة في قصر الأمير الشهابي مكرسة للحزب الشيوعي يدوّي فيها صوت الشيخ إمام

بأغانيه الثوروية! كما شارك الشيخ إمام في احتفال كبير أقيم في قلعة بعلبك برفقة مارسيل خليفة. ودعي إلى سهرات غنائية في منازل عدد من الأصدقاء، كان من أجملها تلك التي أقيمت في منزل الوزير السابق الدكتور عبد الرحمن اللبان صديق الأدباء والفنانين. اغتنمت فرصة وجود الشيخ إمام في بيروت فذهبت معه برفقة نزار مروة للقاء زياد الرحباني مقترحاً عليهما تنظيم عمل غنائي مشترك. لكنهما لم يتفقا لأن كلاً منهما كان يريد أن يكون هو الأساسي في التلحين. ثم رافقته مع نزار وزياد إلى منزل فيروز حيث غنّى تحية لها، وجرى نقاش ممتع بينهما. الشيخ إمام يشكل مع رفيق دربه الشاعر أحمد فؤاد نجم ظاهرة فريدة في تاريخ الغناء السياسي الساخر في مصر وفي العالم العربي.

الدنيا أذواق. ولا يحق لأحد أن يفرض ذوقه على الآخرين. كم كنت أتمنى لو أن أسمهان عاشت عمراً أطول. مشكلة أسمهان أنها أغرقت نفسها في متاهات عمل غريب وعجيب لم يكن يليق بها سرعان ما قادها إلى حتفها وهي في ريعان شبابها. أما فيروز فلا تعرف الشيخوخة. ولصباح ولسعاد محمد أغان جميلة فرحة. لكنني لست من هواة الاستماع إلى أم كلثوم، باستثناء بعض أغنياتها القديمة والجميلة. أما محمد عبد الوهاب فأغانيه القديمة تطغى عندي على أغانيه الأخيرة. وفي لبنان يشكل صوت وديع الصافي في الأغاني اللبنانية خصوصاً ظاهرة فريدة. أما صديقي وأستاذي في أربعينات القرن نصري شمس الدين فتختلط في حبي لأغانيه متعة الموسيقى والصوت برنين الذاكرة. ولسيد درويش عندي قصة تتجاوز دوره الرائع والريادي في الغناء، أعني دوره في التعاون مع نجيب الريحاني في العمل المسرحي، ودوره السياسي في المسرح وفي الغناء.

ما أقوله هو أشبه بهذيان. وللهذيان ظروف تستدعيه. وأنا واحد ممن يستهويهم الهذيان في بعض الأحيان. لم لا؟

لم أحضر حفل بافاروتي في المدينة الرياضية. هل ارتكبت خطأ أندم عليه؟ ربما. لكنني كنت أفضل أن أحضر الحفل في مناخ آخر.

**الأحد 13 حزيران - يونيو**

كان يوماً لما سمّي خطة أو برنامجاً أو رؤى خمسية اقتصادية يفترض أن تعرض غداً على اجتماع مجلس الوزراء. قرأت الملخص في جريدة "النهار"، واستمعت إلى عرض مفصل عنه من أحد واضعي هذه الخطة، صديقي ورفيقي شربل نحاس في مكاتب مؤسسة الدراسات بحضور صديقيّ ورفيقيّ حسين وكمال حمدان. من القراءة الأولى ومن الاستماع إلى الشرح أستنتج أمرين أساسيين: الأمر الأول هو أن الوضع الاقتصادي عندنا خطير إلى الحدود القصوى. البلد كله على كف عفريت. والتشخيص في البرنامج المقترح يشير إلى ذلك، وإلى بعض الأسباب التي يكاد يقول التقرير إنها تعود إلى النظام ذاته منذ الاستقلال

حتى اليوم. الأمر الثاني هو أن الاجراءات المقترحة لا تتطابق كثيراً مع التشخيص. وفي ذلك إشارة واضحة إلى عمق الأزمة من جهة، وإشارة من جهة ثانية إلى أن الطبقة السياسية وأركان النظام القديم يقاومون أي تعديل في الاتجاه السائد، حتى ولو أدى ترك الأمور على حالها إلى الخراب الكامل. ومع ذلك فإنني أرى أن هذا البرنامج يكشف الصورة الراهنة للوضع الاقتصادي في البلاد. وعلينا أن نتعامل معه ومع إجراءاته بواقعية من أجل المستقبل. لكن علينا في الوقت عينه أن نظل محكومين بالعمل الجاد من أجل التغيير.

**الاثنين 14 حزيران - يونيو**

اليوم تفاقم عندي الشعور بالقرف، ممزوجاً بالحزن. مصدر القرف أسماء وأحداث ومواقف وأوضاع. واليوم أيضاً تفاقم عندي الشعور بالقلق، القلق على الذات، والقلق على من هم في الموقع الأقرب للذات، الذات الفردية والذات الجماعية. مصدر القلق أن كل شيء أصبح، مثل حال بعض الناس المرضى، من دون مناعة. أصبح كل شيء معرضاً للتلف. الحياة ذاتها والقيم والأخلاق والبلد والبشرية بأسرها. هل بقي مكان للفرح؟ نعم بالتأكيد. لكن المساحة لهذا الفرح باتت قليلة. لذلك أجد المصدر الأساسي للفرح بالنسبة إليّ، الفرح الحقيقي، هو عائلتي الصغيرة التي هي مصدر أملي ومصدر الكثير من الاطمئنان ومصدر الالهام ومصدر غنى الروح. وللفرح مصادر عدة أخرى أجدها في القراءة والكتابة والمشاهدة، سينما ومسرح وباليه ورقص وفنون تشكيلية، فضلاً عن الاستماع إلى الموسيقى والغناء، واكتشاف العناصر الانسانية في ما تبقى من قيم عند بعض الناس. هذا القليل من الفرح هو كبير وعميق يحفز على الاستمرار في التمتع بالحياة مع موقف حازم ضد اليأس.

**الثلاثاء 15 حزيران - يونيو**

يحيرني مثقفو بلادنا. لا نعرف ماذا يريدون، ولا نعرف إلى أين تتجه خلافاتهم وتناقضاتهم، ومن أين تبدأ، وحول ماذا ولماذا! ربما يكون السبب، إلى جانب ما يتصف به المثقف من نزعة فردية، هو ما تشهده بلداننا من انهيار للسياسة وللمشاريع السياسية، وما يشهده العالم من انهيار في القيم وفي انتشار نزعة الهيمنة من الأقوياء على الضعفاء.

يكاد يشعر المثقف العربي أنه يتيم، لا أب له ولا أم، أي أنه بلا مرجعية سياسية، وبلا مشروع سياسي يتحصن بهما في ممارسة إبداعه وحريته واستقلاليته في هذا الابداع. لا بد، إذاً، من حل يبدأ في إعادة الاعتبار إلى المشاريع المستقبلية وفي مقدمتها، بالنسبة لكثرة من المثقفين، الاشتراكية في زمن مختلف، أي الاشتراكية مجددة منظمة متطورة ديمقراطية متطابقة مع حاجات بلداننا وشروط تطورها وشروط العصر بكل المعاني. ربما يشكل ذلك الجديد، إذا ما تمت ولادته، مصدراً للتقليل من عاهات الثقافة الراهنة ومن بعض النزعات

الفردية، ومن بعض النزعات الانتهازية عند الكثير من المثقفين.

**الأربعاء 16 حزيران - يونيو**

اعتقال الصحافي والكاتب السعودي إسحاق الشيخ يعقوب وتعرضه للتعذيب أقلقني وحيرني وأشعرني بالعجز عن القدرة في العمل لإنقاذه. البارحة خطر لي أن أتدخل مع الرئيس الحريري لإنقاذه. لكنني فوجئت هذا الصباح بأنه تم الافراج عنه، فشعرت بالسعادة مرتين: مرة لأنه أفرج عنه، ومرة لأنني خرجت من قلقي وحيرتي وعجزي.

حادثة طريق الدامور، سلب أموال على الطريق العام وبالسلاح وسط النهار، أمر مقلق. ويزيد من مخاطره أن من قاموا به هم فلسطينيون من مخيم عين الحلوة. ما المقصود من هذا التركيز على الفلسطينيين وعلى مخيم عين الحلوة بالذات؟ ثمة مؤامرة متعددة الأطراف ترمي إلى إغراق لبنان في بحر من الصراعات وإغراق الفلسطينيين في بحر من الدماء. هل هذا هو الثمن لانسحاب إسرائيل من لبنان، أو أن ثمة سيناريوات أخرى وراء هذه الأحداث؟ المهم أن ما حصل يثير القلق عندي على مصير لبنان، إضافة إلى أمور أخرى عديدة سياسية وأمنية واقتصادية واجتماعية. رعى الله لبنان وحمى الفلسطينيين في لبنان من كثرة القوى الداخلية والخارجية التي تعمل على استخدامهم أدوات في خدمة مشاريع موجهة ضد لبنان وضد فلسطين في الآن معاً.

## حول زيارة البابا التاريخية إلى كوبا وحواري مع المطران الراعي في تقييمها

**الخميس 17 حزيران - يونيو**

تذكرت اليوم الزيارة التي قام بها في العام الماضي قداسة البابا يوحنا بولس الثاني إلى كوبا. كانت الزيارة حدثاً سياسياً ذا دلالة في التوقيت، وفي الاتجاه، وفي الهدف المبتغى من الزيارة. وأذكر أن صديقي الاعلامي كمال طربيه أجرى مع المطران بشارة الراعي ومعي حواراً في إذاعة "مونت كارلو" حول الزيارة وحول فهم كل منا لها ولدلالاتها. استمر الحوار ساعة كاملة. وكان كل منا صريحاً وجريئاً في إعلان موقفه. دخلنا في الحوار، ونحن نقيّم إيجابياً تلك الزيارة التاريخية، في مواضيع تتصل بالعلاقة بين الشيوعية كفكر وكمشروع سياسي للتغيير، وبين الأديان كفكر إيماني وكعلاقة إنسانية بين البشر. دافعتُ عن الماركسية وعن مشروع ماركس، واعترفت بالأخطاء التي ارتكبتها الدول الشيوعية والأحزاب الشيوعية ومنها أحزابنا. واعترف المطران الراعي بأخطاء ارتكبتها الكنيسة. واتفقنا كلانا، كل منا على طريقته، على أن الانسان هو الأساس في الوجود على الكوكب

وفي كل الشروط، سواء بالنسبة للأديان أم بالنسبة للحركات العلمانية، وأن على الجميع أن ينطلقوا كل منهم من موقعه من هذه المسلمة في نشاطهم الانساني. وقد سجلت الحوار وأرسلته للمطران الراعي لكي يطلع عليه. وإذ وافق على النص فقد ترجمته إلى اللغة الاسبانية وأرسلته عبر سفارتي كوبا في بيروت ودمشق إلى قيادة الحزب الشيوعي الكوبي وقيادة الدولة. وطلبت إيصال النص إلى الرفيق كاسترو شخصياً. وما زلت أحتفظ في أرشيفي بنص الحوار باللغتين العربية والاسبانية.

## محاولة تحديثية فاشلة
## بين عام 1988 وعام 1991:

**الجمعة 18 حزيران - يونيو**

خطر لي اليوم، وأنا في غمرة التشاؤم حول المستقبل، أن أدخل في عالم أرشيفي الشخصي والحزبي لأرى كيف كنت وكيف كنا في الحزب الشيوعي نحاول خرق جدار المراوحة والتخلف في حركتنا الاشتراكية، خرقاً يهدف إلى التحرر مما كان قد بدأ يستولي على الحركة الشيوعية العالمية، وعلى الاتحاد السوفياتي على وجه الخصوص، في المرحلة التي أطلق عليها صفة مرحلة الركود. والأرشيف الذي توقفت عنده يتعلق بالمرحلة الممتدة من عام 1988 حتى عام 1991. ذهلت لما رأيت وقرأت في الأرشيف. وسررت لهذه العودة إليه. وراودتني فكرة الافراج عن قسم كبير منه ونشره لكي يطّلع القاصي والداني على تلك الحقبة الصعبة، وعلى دور الشيوعيين خصوصاً ودور أهل اليسار بمدارسهم المختلفة، ودور من يعتبرون أنفسهم جزءاً من حركة التغيير الديمقراطي في بلداننا بأسمائهم ومشاريعهم المختلفة. لكنني قررت التمهل في النشر حتى لا يساء فهمي وحتى لا يساء قصدي. وأود هنا أن أشير مجرد إشارة عابرة إلى أنني وعدداً من الرفاق في قيادة الحزب كنا مهمومين بالبحث عن وسائل للخروج مما كان قد بدأ يصبح أزمة في الحركة الاشتراكية في بلداننا. أذكر في هذا السياق الاقتراح الذي عملنا على بلورته من أجل تجديد الحركة الثورية العربية. كلفتُ من قبل المكتب السياسي بالإعداد لمشروع مركز للأبحاث ومنبر للنقاش والحوار كبداية أولية في الطريق لخلق الشروط التي تقود إلى النهوض بالحركة الثوروية، وجعلها تواكب المرحلة الجديدة التي كانت البريسترويكا السوفياتية تشير إليها. أخذنا في الاعتبار ضرورة الاستعداد لمواجهة احتمالات الفشل الذي يمكن أن تقود إليه هذه البرسترويكا بفعل الصراعات التي تولّدت عنها داخل الحزب الشيوعي السوفياتي بين "مجددين" و"محافظين"! بدأنا حملة اتصالات واسعة مع الأحزاب الشيوعية والقومية والديمقراطية

العربية، وحملة إتصالات ونقاشات مع العديد من المثقفين اليساريين الديمقراطيين العرب من اتجاهات وتيارات مختلفة. وكان شركاؤنا الأوائل في المشروع جورج حبش باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ومحمد إبراهيم نقد باسم الحزب الشيوعي السوداني. كان لي النصيب الأكبر في تلك الاتصالات مستفيداً من كثرة زياراتي للبلدان العربية ولبعض بلدان أوروبا حيث يقيم الكثير من اليساريين العرب. وثمة ملخص عن هذه الاتصالات مسجل في تقارير يضمها أرشيفي. استمرت حملة الاعداد للمشروع ثلاثة أعوام ونيف، لكنها توقفت مع انهيار الاتحاد السوفياتي. فتوقفنا عن العمل لتحقيق ذلك المشروع بانتظار إستيعاب الكارثة. لكنني استعضت شخصياً عن المشروع بالعمل لإعادة إصدار مجلة "الطريق" في صيغة جديدة تواكب التحولات العاصفة في المنطقة وفي العالم. وهو ما حصل في عام 1993. وكنت قد أصدرت كتابي "حوارات" في مطلع عام 1990 الذي طرحت فيه أفكاري حول الاشتراكية في الحقبة الجديدة، وحول العلاقة الضرورية التي على أحزاب الاشتراكية في بلداننا أن تقيمها مع القوى الأخرى بما في ذلك القوى الدينية، بهدف تعظيم القاعدة الاجتماعية لحركة التغيير الديمقراطي. وناقشني في أفكاري أربعون مثقفاً عربياً من اتجاهات مختلفة بما في ذلك ثلاثة من رجال الدين، مصريان ولبناني.

السبت 19 حزيران - يونيو

مات منير بعلبكي. إنه مثقف وعالم لغوي ومترجم وناشر. وهو أحد مؤسسي اتحاد الكتاب اللبنانيين. يتميز بدأبه ودقة عمله. أصابه مرض الصمت والعجز عن الكلام. ثم رافقه صمت القبور قبل الوصول إليها. حزنت على رحيله وهو في هذه الحالة. وتراءى لي كما لو أن صمته كان احتجاجاً على الحالة التي نحن فيها.

فارس كلّاب، متنور من مثقفي لبنان من أبناء بلدة عمشيت. شاعر وفنان وأديب وكاتب اجتماعي من أصدقاء فرج الله الحلو ومن أصدقاء الحزب الشيوعي. عروبي حتى العظم. احتفلت عمشيت بذكراه. وكرّمه المنتدى القومي العربي كأحد رواد العروبة في لبنان. وكتب عنه صديقي المثقف المتنور يوسف صقر بما يستحقه. وشاركت في الحفل مع جمهور كبير من المثقفين ومن أبناء عمشيت في نادي عمشيت الثقافي. كنت أعرف أنه عمّ قائد الجيش العماد ميشال سليمان. وكان قد اتصل بي ابن شقيقه العميد أو العقيد في الجيش أنطوان سليمان، شقيق قائد الجيش، طالباً مني مساعدته في جمع كتاباته التي نشرت في صحافة الحزب الشيوعي لكي تُنشر في كتاب. وقد قدمت له ما تيسّر عندي من مراجع من صحف الحزب الشيوعي. وسألني عما إذا كنت مستعداً لوضع مقدمة للكتاب فأجبت بأنني سأكون سعيداً بذلك.

هـدوء نسـبي على الضفة السياسـية. موقف يُذكَـر للرئيس الحص يتمثـل في الاحتجاج على الخروقات المتواصلة للدستور.

محاولـة خبيثة وذات دلالة قامت بها إسـرائيل. وقد تكون لها أسـباب موضوعية، أعني ما يشـبه برمجة إسرائيلية للانسـحاب من الجنوب. فلينسحبوا لا ردّهم الله، ولنرحب نحن بذلك، ولنسهّل لهم الرحيل إلى غير رجعة.

## إتق شرَ من أحسنت إليه
## تلك هي حكمة اليوم!

**الأحد 20 حزيران – يونيو**

أعجـب لأناس كلما أحسـنت إليهـم أمعنوا في الاسـاءة إليك. أريد حياتـه ويريد قتلي! هكذا يصف الشاعر العربي هذه الحالة. لكنني أقول ذلك وأتابع سيري.

هـذا اليـوم للحِكَم! اتقِ شَـرَّ مَنْ أحسـنت إليه. حكمـة عظيمة لا أدري مـن أطلقها. لم أدرك أهميتهـا إلا عندما دخلت في التجربة، أي عندما كَثُرت الإسـاءات التي واجهتني ممن أحسـنت إليهـم، وتدخلت بكل طاقتي لحل مشـاكلهم. كنت أفعل ذلك انطلاقاً من شـعور رافقني منذ بدايات حياتي. كنت أعتبر أنه من الواجب عليَّ أن أقوم بمساعدة من يحتاج إلى مسـاعدة. لذلك لم أنتظر كلمة شـكر. لكنني لم أكن أنتظر أن يُواجَه العمل الطيب بنقيضه. ومـع ذلـك لم أعاتب أحداً ممن أسـاؤوا إليَّ في أعقاب مسـاعدة قدمتها لهـم من كل قلبي. لكنني أعترف بأنني كنت أحزن عندما كانت تواجهني الإساءات ممن كنت أحسن إليهم. لم أمتنع عن الاستمرار في ما أعتبره واجباً عليّ. واكتفيت بأن طلبت من صديقي الفنان العراقي محمد سعيد الصكار أن يرسم لي تلك الحكمة على لوحة. ووضعتها في غرفة النوم.

**الاثنين 21 حزيران – يونيو**

أعود إلى القاهرة بعد غياب عام كامل. طال الغياب هذه المرة. لكنني أعود إليها بشوق ربما لأنني أزورها من دون مهمة. وهي من الأمور النادرة في حياتي حتى الآن. كم أنا بحاجة إلى أن أذهب في السـفر من دون مهمة، سواء للراحة أم للسياحة أم للاستمتاع بحدث ثقافي أم لزيارة صديق أو قريب. متعة أشعر أنني حُرمت منها طيلة حياتي في العمل السياسي، بما في ذلك عندما كنت أُدعى لقضاء فترة راحة في أحد البلدان الاشتراكية!

أتسـاءل هنا بصدق: هـل صحيح أن حياة السياسـي هي بالضرورة هكـذا، انخراط حتى العظـم فـي العمل العام إلى حـد أن العمل الخاص يتحول إلى جزء مـن العمل العام، أو في

خدمته بصورة من الصور؟ هل صحيح أن الحياة الخاصة هي نقيض الحياة العامة؟ هل صحيح أن الفرد في هذه الحالة هو جزء من المجتمع، أي جزء من الكل، وليس له وجود مستقلّ؟ أسئلة أطرحها على نفسي في هذه اللحظة من التأمل التي قد تحتاج في تجربتي الجديدة إلى زمن أطول للإجابة الحقيقية عنها. سأسعى لإيجاد الجواب.

وللمناسبة فإن هذه الرحلة إلى القاهرة جاءت بدعوة وطلب من إبن شقيقتي عدنان رجل الأعمال الذي أَحَبَّ أن أعرّفه إلى المثقفين المصريين، وأن تلي هذه الزيارة زيارات أخرى إلى بلدان أخرى.

**الثلاثاء 22 حزيران - يونيو**

اليوم الأول في القاهرة زيارات واستقبالات وأحاديث جميلة مع أناس جميلين، مع الفنانين بهجت عثمان وجميل شفيق والأديبة غادة الحلواني. ثم سهرة في خان الخليلي، بعد زيارة لمسجد الحسين، سهرة على أنغام القانون والدفّ، وصوت النرجيلة يزغرد في لحن منفرد تختلط فيه المشاعر مع التأملات ومع الموسيقى والأجواء التي يوحي بها المكان. إنه المقهى الذي يحمل اسم نجيب محفوظ الذي كان من رواده، ثم تخلى عن ارتياده. أما العشاء فكان في مطعم في حي السيدة زينب، مطعم يرتاده المثقفون لا سيما الممثلون الذين يفدون إليه بعد انتهاء أعمالهم في آخر ساعات الليل.

أذكر هنا أنني قد أصبحت عضواً في نادي الطرب. إذ إنني أصبحت سمّيعاً، إلى جانب الموسيقى الكلاسيكية، للطرب القديم. فصار لزاماً عليَّ أن أقتني بعض أغاني الطرب لسيّد درويش وسلامة حجازي ومحمد عبد المطلب وآخرين. وهكذا بدأت تتكون عندي مكتبة موسيقية كلاسيكية وطَرَبية. افسحوا الطريق يا هواة الطرب، وافتحوا الأبواب على مصراعيها للقادم الجديد إليكم من الزمن البعيد الغابر.

**الأربعاء 23 حزيران - يونيو**

في اليوم الثالث لوجودنا في القاهرة زرنا خالد محيي الدين ورفعت السعيد، الرئيس والأمين العام لحزب التجمع. علاقتي بخالد محيي الدين تعود إلى عام 1956 عندما كان يرأس تحرير جريدة "المساء" بعد عودته من منفاه في جنيف. كما زرنا إسماعيل صبري عبد الله بحضور أبو سيف يوسف وابراهيم سعد الدين. إسماعيل منخرط في الاعداد لخطة اقتصادية لمصر خلال الأعوام العشرين القادمة. والثلاثة مفكرون ماركسيون مشهود لهم. وإسماعيل معروف في العالم العربي كعالم اقتصاد، حاضر في كل ما يتصل بالبحث عن مستقبل العالم العربي، الذي لا يراه إلا في وحدته الاقتصادية والسياسية والثقافية. أما أبو

سيف يوسف فهو قائد شيوعي قديم. في حين أن ابراهيم سعد الدين هو شريك لإسماعيل صبري عبد الله في مشروعه الاقتصادي.

في مركز البحوث العربية الذي يرأسه حلمي شعراوي ونائبه عبد الغفار شكر تداولنا في قضايا ثقافية وسياسية. ثم التقينا مع القائد الشيوعي السوداني التيجاني الطيب إلى مائدة الغداء وتحدثنا في شؤون السودان وبعض قضايا تتصل بحاضر أفريقيا ومستقبلها.

في المساء حضرنا في الأوبرا حفلاً موسيقياً وغنائياً بمناسبة عيد ميلاد عبد الحليم حافظ، قاده المايسترو سليم سحاب. وكان هو الذي وجّه الدعوة لنا، فهو صديق قديم. كان الحفل في الأوبرا جميلاً وممتعاً.

## مع نجيب محفوظ وأمام "أبي الهول"
## ذكريات جميلة في مصر لا تُنسى

**الخميس 24 حزيران - يونيو**

قمنا اليوم بجولة في ربوع أهرامات مصر. ووقفنا قبالة أبي الهول لنسأله عن التاريخ وعن المستقبل. وكان صمته بليغاً. إذ من يدري إلى أين نتجه نحن وإلى أين يتجه العالم في هذه الحقبة من التاريخ؟

تناولنا طعام الغداء بدعوة من الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة بعد جولة في المركز الجديد للمجلس. وهو تحفة فنية، ومركز مهم للأبحاث. في المساء ذهبنا لجلسة مع "الحرافيش"، حيث التقينا مع نجيب محفوظ والممثل الشهير أحمد مظهر برفقة صديقنا الفنان جميل شفيق. الحديث مع نجيب محفوظ كان صعباً لأنه كان قد فقد القدرة على السمع إلا بصوت مرتفع كأنه الرعد. كانت الجلسة ممتعة. وأحزنني وضع أحمد مظهر. فقد بدا محطماً جسدياً ونفسياً.

في المساء سهرنا مع شلة من الشباب اليساريين المتحمسين للثورة على قاعدة الأفكار القديمة، لأن الأفكار الجديدة لم تكن قد وُلدت عندهم بعد. ولم يكن أمامهم من بديل سوى ما ورثوه من الماضي لمواجهة قضايا الحاضر وللذهاب منها إلى المستقبل. ما أصعب الحديث مع هذا القسم من الشباب من قبل أصحاب التجارب مثلي في مثل الظروف التي نحن فيها.

زيارتي هذه إلى مصر هي امتداد لزيارات لا تنتهي. فلمصر في وجداني مكان مميز. كنت منذ شبابي الأول أتابع بشغف ما يجري من أحداث في مصر. وكنت أتابع القراءة في المجلات الأدبية التي كانت تصدر فيها وأتابع كتابات وأخبار كبار أدبائها. وكنت أشاهد

باستمرار الأفلام المصرية. وكنت تواقاً إلى ذلك اليوم الذي ستتاح لي فيه الفرصة لزيارة هذا البلد العظيم بتاريخه وبثقافته. وقد توفرت لي تلك الامكانية في مطلع الخمسينات. ذهبت إلى مصر حاملاً كل ما أملك من حب وشوق وأحلام. وفرت لي تلك الإمكانية مهماتي في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي. وهكذا بدأت زياراتي لمصر تتوالى. كانت الزيارة الأولى في عام 1954 في مهمات تتصل بتأمين مشاركة الشبيبة المصرية في مؤتمرين لاتحاد الشباب الديمقراطي العالمي. المؤتمر الأول كان سيعقد في بكين في تموز من ذلك العام. والمؤتمر الثاني كان سيعقد في فيينا في شهر كانون الأول من العام ذاته. كانت مصر في زيارتي الأولى في ربيع ذلك العام في حالة غليان. كان الصراع محتدماً داخل مجلس قيادة الثورة بين جمال عبد الناصر ومحمد نجيب وآخرين من شركائهما. وفي الزيارة الثانية في خريف ذلك العام كان للغليان مصدر آخر وهو ما تولّد عن المحاولة الفاشلة لاغتيال الرئيس جمال عبد الناصر التي أعدّ لها الأخوان المسلمون. فأعدم عدد من قادتهم وأدخل آخرون إلى السجن. تلت تلك الزيارة بمرحلتيها زيارة لاحقة في عام 1956 كان لي فيها شريكان من أصدقائي في إتحاد الشباب الديمقراطي العالمي، الصيني تشن لي جن والهندي سردا مترا. جاءت تلك الزيارة عشية القرار التاريخي الذي اتخذه الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس وعشية العدوان الثلاثي الذي جاء رداً على ذلك القرار التاريخي. كانت مصر في ذلك التاريخ في حالة غليان تسبق العاصفة وكنت شاهدًا عليها. كان هدفنا من الزيارة تأمين مشاركة شباب مصر في المهرجان العالمي للشباب والطلاب الذي كنا نعد لتنظيمه في موسكو في صيف عام 1957.

إلا أن من المصادفات التاريخية العجيبة أن يأتي العدوان الثلاثي على مصر قبل بضعة أشهر من أحداث المجر التي جرت في خريف ذلك العام. وهي الأحداث التي أعطيت من قبل البعض صفة الثورة، وأعطيت من قبل البعض الآخر صفة الثورة المضادة. أحدث ذلك التطابق في التواريخ اضطراباً خطيراً في الوضع الدولي، العدوان الثلاثي على مصر من جهة، والتدخل العسكري السوفياتي لقمع أحداث المجر من جهة ثانية. وكان للحدثين المشار إليهما شريك آخر من نوع آخر سبقهما ببضعة أشهر هو المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي الذي اتخذت فيه قرارات تاريخية باتجاه تجديد الاشتراكية وتحريرها من الستالينية. وقد أضاف المؤتمر، إلى جانب الحدثين الآخرين وما ترافق معهما، مزيداً من عناصر الاضطراب طالت الحركة الشيوعية وأدت إلى انقسامات في صفوف بعض أحزابها. وأشهد أنني عانيت الكثير من موقعي في اتحاد الشباب الديمقراطي من جراء الخلافات التي واجهتنا في الاجتماعات التي عقدها الاتحاد في ذلك التاريخ. وهي الخلافات التي كانت

تولّدها الصراعات حول تفسير الأحداث المشار إليها والتداخل الموضوعي والمفتعل بينها.

**الجمعة 25 حزيران - يونيو**

تابعنا أخبار العدوان الاسرائيلي على لبنان ونحن في القاهرة. أثقلت ذهني في التحليل ووضعت كل الاحتمالات لأسباب هذا العدوان. وكنت أمام كل احتمال أشعر بالقلق مما ينتظرنا في الأيام الآتية. إذ إن لبنان يكابد منذ سنين عديدة أكثر من طاقاته عن كل الأمة العربية، بسبب الأحداث والأزمات لا سيما المتصلة منها بالقضية الفلسطينية، ويراد له أن يستمر كذلك، يشاركه في المعاناة الشعب الفلسطيني الذي تمتد معاناته إلى ثلاثة أرباع القرن. ترى إلى متى هذا القهر، وهذا التعايش المفتعل مع القهر، وهذا التمادي من الآخرين في تدفيع لبنان ثمن الهزائم الكبرى التي صنعها سواه؟

إن غلياناً لا حدود له يجري في أعماقي إلى الحدود التي يمكن أن تؤدي إلى انفجار المشاعر في داخلي.

تجولنا في المساجد القديمة التي تمتلئ بها القاهرة، وبالأخص مسجد ابن طولون ومسجد السلطان حسن ومسجد عمرو بن العاص. لماذا هذا الاهمال لهذه العلامات الخالدة لفن العمارة الباهر الذي يشكّل أحد العناوين الباهرة للتاريخ الحضاري العربي؟ هذا الاهمال لهذه الآثار القديمة الخالدة مثله مثل الفقر الذي تعيش فيه كثرة من أبناء القاهرة في العشوائيات والمقابر، ومثله مثل الهزائم التي قادت وتقود إليها السياسات الخرقاء لأنظمتنا المستبدة الفاسدة.

## هكذا تحدّث إنجلز عن أفغانستان
## ما أشبه الليلة بالبارحة؟!

**السبت 26 حزيران - يونيو**

**يوم عادي مملّ، وسط الظلام حتى قبل أن يأتي الليل. فالظلام لا يقتصر على فقدان نور الكهرباء، أو نور الشمس، أو نور القمر. بل هو ظلام الحياة التي نعيشها، ظلام السياسات التي تقهرنا وتسبب تخلفنا، وظلام الحركات الثوروية التي ترهّلت وغرقت في انقساماتها الشخصية الطابع، ونسيت أنها ما وجدت إلا لتكون طليعة للشعب في الدفاع عن قضاياه وفي تحديد الطريق إلى مستقبله الأفضل.**

**مسكين ماركس. أترحّم عليه كلما التقيت شيوعياً أو اشتراكياً أو يسارياً في هذا الزمن. وأترحّم على نفسي وأشعر بالخوف من المستقبل وبالخوف عليه.**

أتابع البحث مع أصدقائي في سبل الخروج من الواقع الآسن. وسأظل أتابع البحث معهم ومع سواهم، ولوحدي. وأعرف أن الطريق صعب وطويل. وأعرف أن سلوك هذا الطريق الطويل لن يكون سهلاً عليَّ وعلى كل من يحاول سلوكه.

لا أدري لماذا استولى عليَّ خوف، ربما مبالغ فيه، في ظل هذا الوضع الذي تعيشه بلداننا. هو خوف مما تمثله "القاعدة" وما تمثله همجية عمليات القتل التي تتم باسمها. والحديث عن "القاعدة" وما أدراك ما القاعدة، يثير عندي تساؤلات كثيرة في اتجاهات شتى. كيف نشأت، من أنشأها، وأين هي جذورها، ومن يموّلها، ولماذا أنشئت ولأي هدف؟! أسئلة كثيرة تستدعي أسئلة كثيرة.

ما هو سر هذا السر؟! هل هي أفغانستان بالتحديد مصدر هذه "القاعدة"، ولماذا هناك بالذات في تلك الدولة الخارجة من التاريخ منذ زمن قديم؟ لقد زرت هذا البلد في مطالع عام 1988 بدعوة من الرئيس نجيب الله، الذي عرّفني عليه جورج حاوي في مؤتمر الأحزاب الشيوعية والاشتراكية الذي دعا إليه ورعاه غورباتشوف في عام 1987 بمناسبة الذكرى السبعين لثورة أوكتوبر. بقيت في العاصمة كابول أسبوعاً كاملاً. التقيت فيه بالعديد من قادة الحزب والدولة. ومن أطرف ما فاجأني في اليوم الأول لزيارتي هو ما زفّه إليَّ بحماسة سكرتير العلاقات الخارجية في الحزب بأن اللجنة المركزية للحزب أقرّت في اجتماعها الأخير اعتبار الاسلام دين الدولة. أمر عظيم! قلت له على الفور: وهل تعتبرون أن الشعب سيصدقكم بعد أن كنتم قد أعلنتم انتماءكم إلى الماركسية وأقمتم نصبًا لماركس وانجلز ولينين، وأعدمتم عدداً من رجال الدين، وخضتم حرباً ضروساً ضد "المجاهدين" لم تنته أو ربما لن تنتهي في زمن قريب؟! وتكررت نقاشاتي مع المسؤولين الآخرين. ولم أجد جواباً على الكثير من أسئلتي وتساؤلاتي. ولم ألتق الرئيس نجيب الله لأنه كان خارج البلاد. ومن طرائف ما سمعته من المسؤولين الأفغان أن الفلاحين رفضوا الإصلاح الزراعي، لأنهم اعتبروا أن ما يُعْرَض عليهم من أراضٍ كهدية هو مأخوذ من ملاكها، فهو إذًا في منطقهم الديني مال حرام!

وأذكر في هذا السياق ذاته أنني قرأت لفريدريك إنجلز مقالاً عن أفغانستان يعود لعام 1858، تحدث فيه بإسهاب عن هذا البلد وعن طبيعة شعبها. أقتطف منه فقرات بالغة الدلالة تشير إلى أن الزمن لم يغيّر من طبيعة هذا الشعب. يقول إنجلز: "... إن الأفغان شعب شجاع مقاوم، ومستقل. ناسه يزاولون، في سوادهم الأعظم، تربية المواشي والزراعة، ويجتنبون التجارة التي يتركونها بازدراء للهندوس ولجماعات أخرى من أهل المدن. والحرب، في عرفهم، مثيرة للحماسة، وتريحهم من مشاغلهم الرتيبة الشاقة... الأفغان منقسمون إلى

عشـائر يمـارس عليها الزعماء نوعاً من السـيطرة الإقطاعية. ولعل مقتهـم للقواعد الضابطة وشـغفهم بالاسـتقلالية الفردية هما العائقان الوحيدان دون تحوّل بلدهم إلى أمة ذات شـأن ونفـوذ. عـلاوة على أن غياب الضوابط والطابع (المزاجـي) الذي لا يمكن توقعه، يجعلان منهـم جيراناً خطيرين. فهم معرَّضون دائماً للانصياع لتبدل مزاجهم، أو لأن يسـتثاروا جرّاء دسّ الدسـائس التـي تلهب حماسـتهم إلى حد كبيـر. والقبيلتـان الرئيسـيتان، أي الدورانية والغلجـة، تخوضـان نزاعـات متواصلة في ما بينهمـا... إن عديد الجند يتألـف، في الدرجة الأولـى، مـن أفـراد عشـيرة الدورانية. أمـا الباقـي فيتألف مـن مجندين من عشـائر أخرى، ومـن مغامريـن يلتحقـون بالجندية طمعاً براتـب أو غنيمة. في المدن يتولـى قضاة البتّ في مسـائل الخلاف. غير أن الأفغان قلما يلجأون إلى القانون. فـ"الخان" لديهم مخول إنزال القصـاص، لا بـل يمتلك حق الحياة أو الموت (على الأهليـن). أما الثأر للدماء فهو واجب عائلي. لكنهم، إن لم يُسْتَفَزّوا، اعتبروا شعباً متحرراً وكريماً. وواجب الضيافة لدى الأفغان مقـدس بحيـث إنه إذا تمكـن عدوهم اللـدود، ولو بالحيلـة، أن يؤاكلهم خبزهـم وملحهم، صـار بمنـأى عن الانتقام، لا بل ويسـتطيع أن يطالب بحماية مضيفه ضـد كل أخطار ممكنة. والأفغان مسـلمون يتبعون المذهب السـني. غير أنهم ليسـوا فئويين، والتحالفات بين السنة والشيعة بينهم من الأمور الرائجة...".

وأذكر في سياق الحديث عن أفغانستان، وفي ضوء ما قرأته لإنجلز، أنني التقيت في عام 1980 خـلال زيـارة لي إلـى الهند، بعضو قيادي في الحزب الشـيوعي الهنـدي، حدثني عن انطباعاته شـخصياً وانطباعات حزبه عن الانقلاب الذي قـاد تلك المجموعة من المغامرين الأفغان الشباب إلى السلطة. كان ذلك الرفيق الهندي يدير حلقة ثقافية شارك فيها إلى جانب الهنود شباب يساريون من بلدان مجاورة، كان بينهم شبان أفغانيون. وقد فاتحه بعض أولئك الشـباب بقرار اتخذوه بالعمل لقلب نظام الحكم الذي كان يرأسـه ظاهر شاه الذي كان يقيم علاقـات جيدة مع الهند ومع الاتحاد السـوفياتي. نصحهم الرفيق الهندي بعدم الدخول في تلـك المغامرة، اسـتناداً إلى معرفتـه التاريخية والراهنـة بوضع أفغانسـتان وبوضع المنطقة. لكنهم سـمعوا كلامه وخالفوه ودخلوا في تلك المغامرة. وكان في حديثه معي شـديد القلق حول مستقبل أفغانستان بعد ذلك الانقلاب، والخلافات والصراعات التي ترافقت معه بين قادة الانقلاب وتصفية بعضهم لبعض.

لـم تعـش الجمهوريـة الاشـتراكية الأفغانية بعـد زيارتي لهـا إلا أربعة أعـوام، ليس فقط لأن وجودهـا كان ضـد طبيعة الأشـياء وضد طبيعة البلـد، بل أيضاً لأن قادتهـا تصارعوا في ما بينهم وضد بعضهم، ولأن الاتحاد السـوفياتي تدخّل فيها بشـكل تعسـفي أيضاً. وعندما

قررت القيادة السوفياتية سحب قواتها من البلد جاء قرارها بعد فوات الأوان. انهار النظام في أعقاب انهيار الاتحاد السوفياتي. وتحولت أفغانستان إلى دولة للمجاهدين الأفغان التي في ظلها وباسمها خرجت إلى الضوء منظمة "القاعدة" باسم الاسلام، وأي إسلام!! وكان للمخابرات الأميركية ولبعض دول المنطقة دور أساسي في إنشاء ودعم ذلك التنظيم المتطرِّف في حينه كأداة لمحاربة الشيوعية.

وللمصادفة التاريخية فإن الجمهورية الاسلامية الإيرانية بقيادة الامام الخميني كانت في تلك الفترة قد بدأت تواجه مستقبلها الغامض الحافل بالتغيرات في اتجاهات متناقضة في أعقاب الحرب الإيرانية العراقية، وفي أعقاب وفاة الإمام الخميني، الذي كان قبل وفاته قد وجَّهَ رسالة إلى غورباتشوف يدعوه فيها إلى الدخول في الاسلام والخروج من الشيوعية. وكانت السنوات العشر الأولى من قيام الجمهورية الإسلامية حافلة بالصراعات بين رموزها التي رافقت الحرب مع العراق. وكنت قد شاركت في عام 1989 في أربعينية الإمام الخميني على رأس وفد من الحركة الوطنية اللبنانية. كانت الأيام الأربعة التي أمضيتها في طهران كافية لكي تعطيني المزيد مما كنت بحاجة إلى معرفته حول مستقبل هذه الثورة، لا سيما بعد أن التقيت بكبار المسؤولين وفي مقدمتهم مرشد الثورة السيد علي خامنئي ووزير الخارجية علي أكبر ولايتي.

وأذكر أنني في عام 1991، وبعد شهرين من سقوط الاتحاد السوفياتي لبّيت دعوة اتحاد الطلاب المسلمين في الضاحية الجنوبية للعاصمة بيروت لإلقاء محاضرة حول مرحلة ما بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. كان الحوار شيّقاً. وأسعدني أن أستمع إلى آراء أولئك الشباب وإلى أسئلتهم. وأذكر أن أحد الشبان وكان رجل دين معمماً سألني بحماسة وبجزم وبكثير من الادعاء واليقينية، بما معناه، ماذا أنتظر لكي أغادر الشيوعية في اتجاه الاسلام بعد سقوط الاتحاد السوفياتي. فأجبته على الفور بما معناه أنه إذا كان يعتبر أن الشيوعية قد سقطت بسقوط الاتحاد السوفياتي بعد ثلاثة أرباع القرن من قيام التجربة، وهذا صحيح كواقعة تاريخية، فأين هي الدولة الاسلامية حاملة المشروع الإسلامي التي يريدني أن أنتمي إليها، الدولة التي تحقّقت فيها العدالة والقيم التي بشر بها ودعا إليها الإسلام. وأضفت قائلاً بأن ألفاً وأربعماية عام ونيف من ظهور الإسلام لم تأت بدولة تمارس ما بشر به ودعا إليه الإسلام، بل قامت أنظمة تحمل راية الإسلام وتناقض مبادئه وقيمه. وقلت له بأنني لا أحمّل المسؤولية عن ذلك للإسلام ذاته. فالمسؤولية إنما يتحمّلها حملة الأفكار في الدرجة الأولى، سواء منهم أولئك الذين يستندون إلى العقيدة الدينية أم أولئك الذين يصنفون أنفسهم بالعلمانيين بمن فيهم حملة الأفكار الاشتراكية. وقلت ما يشبه ذلك في الندوة التي دعاني إليها مركز الإمام الخميني الثقافي (1993) للتعليق على رسالة الإمام

الخميني إلى غورباتشوف الآنفة الذكر. وقدمت في الندوة نوعاً من القراءة النقدية لمواقف الأحزاب الشيوعية من الدين ومن المؤمنين بوجه عام.

لقد أكثرنا نحن الشيوعيين في بلداننا من الحديث عن الثقافة العلمانية وعن الدولة المدنية. وهو موقف صحيح من حيث المبدأ. غير أننا لم نأخذ في الاعتبار أن أقساماً كبيرة من شعوبنا كانت وما زالت تلتزم بالثقافة الدينية بوعي أو من دون وعي. ولم يكن يكفي في هذا الموضوع ما تضمنته الأنظمة الداخلية لأحزابنا الشيوعية من تأكيد على المساواة بين المؤمنين وغير المؤمنين في الانتساب إلى أحزابنا. فالممارسة السياسية كانت تتناقض مع ما كانت تنص عليه تلك الأنظمة الداخلية لأحزابنا. الوعي الديني المعادي للعلمانية لا يواجَه بشعارات تسيء إلى مشاعر المؤمنين. لا بد من سياسة تستوعب المؤمنين، مع إبقائهم في مواقعهم المختلفة، في النضال من أجل التغيير الذي تتغير بتحقيقه شروط حياتهم في الاتجاه الأفضل والأرقى والأكثر عدالة. لقد وقعت أحزابنا في الفخ الذي نصبته لها الرجعية المحلية وأنظمتها المستبدة الفاسدة. وخسرت بأخطائها فرصاً تاريخية. هل تعلمت الأحزاب الشيوعية واليسارية من تجاربها ومن التجربة الاشتراكية المنهارة؟ الوقائع تشير مع الأسف إلى غير ذلك. والشيوعيون هم نموذج صارخ لهذا النوع من الأحزاب.

**الأحد 27 حزيران - يونيو**

كثيراً ما طرحت على نفسي السؤال التالي، بحق أو بغير حق، في المرحلة الأخيرة من وجودي في موقع المسؤولية في قيادة الحزب: لماذا أنا مهموم إلى هذا الحد بالقضايا العامة في بلادي وفي العالم؟ هذا السؤال يزداد إلحاحاً عليَّ هذه الأيام. مصدره أنني لم أعرف في حياتي كسلاً أو تراخياً في الشأن الذي أعتبر نفسي معنياً به، مباشرة أو بصورة غير مباشرة، الأمر الذي جعلني في حالة من التوتر والتطلّب الدائمين من نفسي ومن رفاقي. وهو ما جعلني أختلف وأتصادم مع الكبار والصغار، وحتى مع أولادي أحياناً. لماذا كنت في هذا الوضع، ولماذا أنا مستمر في البقاء فيه بعد خروجي من المسؤولية، ولو بحدود؟ الجواب عن هذا السؤال لم يأت بعد كما أريده، ولن يأتي بسهولة ويسر. سأظل مهموماً، رغم كل شيء، بمصيري وبمصير أولادي وبمصير بلادي وبمصير العالم، وإلا فإنني لن أجد معنى لحياتي. وفي الوضع الذي أنا فيه أجدني مختلفاً عن كثيرين ومع كثيرين. غير أنني مصمم أن أستمر، لكن بهدوء أكثر، في نفس الهموم، لأن ذلك هو، بالنسبة إليَّ، التعبير الحقيقي عن أنني موجود. أنا مهموم بقضايا من هذا النوع، إذًا أنا موجود. ولكي أخفف من التعب والإرهاق اللذين يولّدهما عندي هذا الإصرار مني على البقاء أسير همومي العامة والخاصة اخترت اللجوء إلى لحظات صمت وتأمل يهيّئها لي الاستماع المتواصل إلى الموسيقى.

واليوم كنت مع أم كلثوم أتابع المسلسل الجميل الذي يروي سيرة حياتها. وبعد ذلك كنت مع المطرب الحلبي صبري المدلل. الطرب هو جزء من الانتماء إلى مجتمع وإلى تاريخ وإلى حضارة وإلى هوية، لكن في شروط لها علاقة دائمة بالعصر وبتحولاته التي لا تنتهي في اتجاهاتها المختلفة المتناقضة.

## قصّتي مع نايف بلوز والياس مرقص
## وجيل رائع من المثقفين السوريين

الاثنين 28 حزيران - يونيو

ذهبت إلى دمشق لحضور ندوة حول نايف بلوز لم تكن في مستوى هذا المفكر الماركسي. علاقتي به تمتد إلى 42 عاماً. كان ذلك في عام 1957 عندما كنت أعمل في جريدة "النور" محرراً مع فرج الله الحلو، وتحت قيادته. وكنت البارحة أشارك في حصرايل في الذكرى الأربعين لاستشهاد فرج الله. كنت ألتقي في دمشق في ذلك التاريخ في مقهى الهافانا مع المثقفين خلال فترات الراحة. وكانت لقاءات جميلة تعرّفت فيها إلى عدد من كبار أدباء وشعراء ومفكري تلك الحقبة الذين كانوا قد أسسوا في مطلع الخمسينات رابطة الكتّاب السوريين ثم حوّلوها في ما بعد إلى رابطة الكتّاب العرب بانضمام عدد من كبار الأدباء العرب إليها. أذكر من تلك الكوكبة من المثقفين السوريين إلى جانب نايف بلوز أسماء القصاصين سعيد حورانية وحسيب الكيالي والشعراء شوقي بغدادي ووصفي قرنفلي ومحمد الحريري، والكاتب والفنان التشكيلي والقصّاص فاتح المدرّس، والأديب والمفكر إحسان سركيس والأديب الساخر مواهب الكيالي والناقد السينمائي صلاح ذهني والروائي حنا مينه.

نايف بلوز كان أستاذ الفلسفة في جامعة دمشق وفي جامعات ألمانيا. وهو صاحب فكر متميز. كنا صديقين حميمين وكانت لقاءاتنا حافلة بالنقاش اتفاقاً واختلافاً، لا سيما في السنوات الأخيرة من حياته. فهو مشاكس بطبعه. يذكّرني نايف بلوز بإلياس مرقص. ففي ذات يوم في ذلك التاريخ من عام 1957 كنت مع نايف في مقهى الهافانا عندما جاءنا شاب شيوعي مفعم بالحماسة ليخبرنا بأن الحزب قد طرد من صفوفه شاباً مشاغباً مدَّعياً اسمه الياس مرقص. في ذلك التاريخ بالذات سمعت لأول مرة باسم الياس مرقص. ثم مرت الأيام والأعوام وصار اسم الياس مرقص علامة بارزة في الفكر الماركسي. لم ألتق به إلا في عام 1988 في دمشق. تعارفنا بالتفاصيل خلال يوم كامل استمر من الساعة العاشرة صباحاً حتى العاشرة مساء. وصرنا صديقين حميمين. واتفقنا على برنامج عمل مشترك

حول دور المثقفين ودور الفكر في المعركة القائمة والدائمة من أجل التغيير في بلداننا. ناقشنا البرنامج على امتداد عامين. لكن الياس غادر الحياة قبل أن نستكمل ذلك المشروع. فحزنت كثيراً.

تعرّفت في الطريق إلى دمشق في السيارة إلى صوت صالح عبد الحي. ما أرقى هذا الصوت، وما أجمل هذا الطرب.

قدم لي حنا مينه عندما التقيت به في منزله روايته الجديدة "الفم الكرزي". وهي تروي أحداثاً عن نضال الشيوعيين في الثلاثينات في إحدى مناطق سوريا سأقرأها بشغف.

اليوم مات الفنان التشكيلي فاتح المدرّس. إنه صرح فني كبير يتوارى. يدمي القلب غياب الكبار من مثقفينا. وكان قد غاب قبله عدد من كبار المثقفين السوريين الطليعيين. أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر سعد الله ونوس المسرحي الرائد وقبله بزمن سعيد مراد، ذلك الإنسان الرائع الذي كان بالنسبة للمثقفين الشيوعيين في مستوى القائد، وتبعه بعد بضع سنوات سعيد حورانية وإحسان سركيس.

يذكرني فاتح المدرّس بتاريخ جميل هو الاحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيس الحزب الشيوعي اللبناني. أقمنا بالمناسبة معرضاً كبيراً للفنانين التشكيليين العرب في فندق الكارلتون. كُلِّف الفنان اللبناني فارس غصوب بتنظيمه وبالاشراف عليه والمشاركة فيه. وشارك في المعرض عدد كبير من الفنانين التشكيليين العرب من لبنان وسوريا ومصر والعراق وفلسطين. وكان فاتح المدرّس من أبرز هؤلاء. وكان بين أصدقائي من الفنانين الذين شاركوا في المعرض، إضافة إلى فاتح المدرّس وفارس غصوب، بول غيراغوسيان ورفيق شرف اللبنانيان، وإنجي أفلاطون المصرية وإسماعيل شموط الفلسطيني. كان المعرض حدثاً فنياً كبيراً أضيف إلى جملة النشاطات المتنوعة التي نُظِّمت في إطار ذلك الاحتفال التاريخي الفريد من نوعه الذي استمر عشرة أيام، وحضر نشاطاته عشرات الألوف من اللبنانيين في الاحتفالات التي جرت في بيروت على وجه الخصوص وفي مناطق لبنانية أخرى.

**الثلاثاء 29 حزيران – يونيو**

حكموا على أوجلان بالاعدام بتهمة الخيانة العظمى. وهو أمر طبيعي في تركيا الحديثة، التي أسسها مصطفى كمال (أتاتورك)، وجمع في تأسيسها بين الطابع الحداثي للدولة المتحررة من الخلافة العثمانية والطابع الاستبدادي الذي ترافق مع إخضاع الأقليات القومية الأرمينية والكردية وسواهما من الأقليات للقومية التركية. غير أن أتاتورك، بخلاف أنظمة الاستبداد العربية، أسس لدولة حديثة لم تمنع الانقلابات العسكرية فيها من ازدهارها

اقتصادياً. لا أظن أن الحكومة التركية الاسلامية ستنفذ حكم الإعدام بأوجلان. هذا الأمر لا تقرره تركيا لوحدها من دون أوروبا. فأوروبا والعالم سيطلبون من القيادة التركية عدم تنفيذ ذلك الحكم. وأقطاب الحكومة الاسلامية بحاجة إلى أوروبا خصوصاً وإلى العلاقة مع العالم بشكل عام.

عصرنا عصر عجيب. حرب الهند وباكستان تستمر حول كشمير. ما أقبح هذه الحرب وما أفظع نتائجها على البلدين وعلى الهند خصوصاً، بصفتها دولة ديمقراطية عظمى. متى ينتهي هذا النوع من الصراع بين الأديان والاثنيات الذي يعود إلى قرون قديمة يفترض أن البشرية تجاوزت أسبابه في عصرنا الجديد.

ماذا يجري عند شعوب العالم؟ يقتل الناس بعضهم بالكره وبالحقد وبالغرائز الدينية والإثنية المستنفرة إلى الحدود القصوى! هل يمهد الانسان الشروط للعودة إلى البربرية، أي إلى حالة التوحّش القديمة التي كانت من صفات وسمات الإنسان الأول؟

**الأربعاء 30 حزيران - يونيو**

دار اليوم نقاش واسع وعميق وجميل بيني وبين نجوى حول قضية المرأة في بلادنا. انفتح النقاش على أفكار جديدة. سنتابع النقاش. وربما ينتج عنه بحث مشترك نتقدم به إلى المؤتمر الذي سيعقده المجلس الأعلى للثقافة في مصر حول هذا الموضوع. لن أدخل في تفاصيل هذه الأفكار الآن. سنتابع النقاش.

ما أجمل أن يلتقي الزوجان في التكامل بينهما حول الأمور الأساسية. لكن لا يمكن أن يكون هناك تماثل حتى في حياة الفرد الواحد. التماثل يقتل الحياة. إذ هو يعيق حركة التطور والتحول داخل الأفراد وداخل الجماعات. التعدد والتكامل هما مصدر الحركة الطبيعية في الوجود البشري ومصدر الإبداع فيه. وهذا ما أشير إليه في جمال هذه العلاقة بيني وبين نجوى. فهو مصدر حيوية في العلاقة بيننا، نجوى وأنا، مع ولدينا. كلنا طيبون في طباعنا. وكلنا مختلفون في أمزجتنا. لكننا مرتبطون بقيَم انسانية تدفعنا للمشاركة بنشاط في القضايا الإنسانية.

## الوطن الصعب والدولة المستحيلة
## سمتا لبنان في ظل الوصاية السورية!

**الخميس 1 تموز - يوليو**

اليوم هو اليوم الأول من النصف الثاني من العام الأخير من القرن. أتابع فيه يومياتي

بشكل عشوائي، عفوي على الأصح. أكتب ما تجود به المشاعر والأفكار والانطباعات حول أحداث شخصية وعامة، من دون تدخّل قسري مني لإحداث تغيير أو تعديل في ما تقدمه لي الأحداث من انفعالات. اليوم بالذات وبمحض الصدفة برزت أمامي بشكل واضح، من دون أية فكرة مسبقة، ظاهرات تبدو لي خطيرة في لبنان. وهي تتفاقم من دون أن يتدخل أحد للجمها! أخطر هذه الظاهرات يتمثل في غياب الدولة. أين هي الدولة؟ مسكينة دولتنا ومساكين نحن بسبب غيابها أو تغييبها! وكنت قد عبّرت عن موقفي في مسألة هذين الغياب والتغييب للدولة في كتاب الحوار الذي ساقه معي ومع كريم بقرادوني صديقنا المشترك طانيوس دعيبس بعنوان "الوطن الصعب والدولة المستحيلة" الذي صدر في عام 1995.

أما الظاهرات المتولدة عن الظاهرة الأم فهي متعددة ومتنوعة. البسيط منها يتمثّل بكثرة السيارات التي تكتظ بها العاصمة بيروت والمدن الأخرى، وتكتظ بها الطرقات السريعة في كل الاتجاهات. تكاد تفوق السيارات بعددها عدد اللبنانيين. أما عشوائية البناء فتكاد تجعل لبنان كله مدينة واحدة من دون تخطيط ومن دون تنظيم ومن دون حسابات عقلانية للمستقبل. غير أن الكارثة الأكبر تتمثل في التناقص المتزايد في الأشجار التي تُحْرَق وتُقْطَع لتقوم مكانها أبنية من الباطون تبدو كما لو أنها جروح في جسد الطبيعة اللبنانية الجميل. ما أخطر ما يحمله هذا الأمر للبنان في المقبل من الأيام والأعوام. يضاف إلى ذلك شح متزايد في المياه برغم كثرة الأمطار، وعشوائية في التفتيش عنها في جوف الأرض، على حساب المخزون الاحتياطي الذي يجعل لبنان واحدًا من أغنى البلدان في مياهه. وفوق ذلك غنى فاحش تبرز مظاهره أينما تحركت واتجهت، وفقر يزداد اتساعاً لم يعد في قدرة اللبناني أن يخفيه كما كان يفعل في السابق. هجرة متواصلة إلى الخارج جعلت اللبنانيين خارج لبنان أكثر منهم في الوطن. ما العمل لكي تكون لنا ذات يوم دولة بالمعنى الحديث للدولة؟ لكن كيف يمكن أن تكون لنا مثل هذه الدولة في ظل هذه الوصاية التي جعلت معظم القوى السياسية مرتهنة لها في صيغ شتى طوعاً بالنسبة للبعض وبالقسر بالنسبة لآخرين؟!

**الجمعة 2 تموز – يوليو**

تراكم الأشياء مثل تراكم الأحداث والوقائع والأفكار والمشاعر والهموم والديون والكتب أمامي وفي الرفوف. هذا التراكم يُحْدِث ارتباكاً عندي ويُضْعِفُ قدرتي على العمل والتفكير. لا بد من قرار حازم في مواجهة هذا الوضع. لا بد من لحظة تفكير هادئة والشروع في ترتيب الأولويات، وإلا فإنني سأجد نفسي معطلاً عن العمل بالكامل. كلا وألف كلا. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما أقول!

ناقشت في صباح هذا اليوم مع صديق أقدره وأقدِّر كفاءاته في قضايا تتعلق بالوضع الذي نحن فيه في بلدنا لبنان، والتدهور المتواصل في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والبيئية وغياب الدولة عن وظائفها واستشراء الفساد في مؤسساتها وهدر المال العام المكشوف! اقترحت عليه أن نفكر معاً وأن نحاول استنفار مَن بإمكانهم أن يفكروا معنا في مواجهة هذا الوضع. وتداولنا في أفكار وفي اقتراحات في اتجاهات شتى. ولم نكد ننتهي من مداولاتنا حتى اكتشفنا أننا كنا نمارس هذياناً هو أشبه بأحلام اليقظة! ذلك أن الأوضاع في بلدنا أكثر تعقيداً مما كنا نتصور، والقوى المفترضة بها أن تحمل راية النضال من أجل التغيير لا تزال غير موجودة واقعياً، رغم أن لها بعض التعبيرات الرومانسية.

حضرت في المساء فيلم "فتاة من إسرائيل". ما هكذا نناهض موضوع التطبيع مع إسرائيل، وما هكذا نثقف أجيالنا في موضوع الصراع العربي - الاسرائيلي.

السبت 3 تموز - يوليو

ما زلت أبحث عن هواية تتلاءم مع عمري ومع اهتماماتي السابقة ومع طباعي ومع وضعي الجديد، هواية لم يسبق لي أن فكرت بها أو مارستها. فالقراءة والكتابة ليستا هواية. إنهما بالنسبة إليَّ حاجة يومية من دونهما تفقد الحياة طعمها. لا بد من التفكير بابتداع هذا النوع الخاص بظروفي من الهوايات. أخبرني نسيبي وصديقي جودت ناصر أنه يستمتع بمتابعة حياة النمل والنحل. ويجمع أفلاماً حولها بصورة مكبرة. وهي مدهشة بنظره. هل هي هواية تريحني؟ لا بد من متابعة البحث والتفتيش.

لا أحب الصيد، لأنني لا أحب القتل المتعمّد. فالصيد هو قتل متعمّد لحياة كائن طبيعي. وكلما فكرت بأن ما نأكله هو نتاج مجزرة، أشعر بالقليل من الصدّ نحو الطعام المشكل من اللحوم. هل أنا نباتي بطبعي أو أنني بدأت أصبح بالتدريج نباتياً؟

هل السفر في الأمكنة القريبة والبعيدة هواية؟ لقد جبت العالم كله طولاً وعرضاً. ولم تعد بي حاجة إلى السفر إلا في حدود معينة.

ما هي إذًا هوايتي التي أنشدها ؟ لست من هواة جمع الطوابع أو علب الكبريت، أو جمع النقود القديمة أو... أو... كان من المفترض لمثل هذه الهواية أن تكبر معي منذ الشباب، وقد فات الوقت. لا بدّ من هواية جديدة لا يستطيع أحد أن يجدها لي. لا بد أن أجدها بنفسي، ولو في اللحظات الأخيرة من العمر.

**الأحد 4 تموز - يوليو**

أنا من الناحية العملية لا أقوم بنشاط سياسي. لكن من يصدق أنني لم أعد قيادياً في الحزب الشيوعي بعد كل تلك الأعوام من عمري في موقع القيادة؟ لكنني، برغم خروجي من موقع القيادة في الحزب، وانكفائي عن العمل السياسي المباشر، فإن السياسة تبقى جزءاً مني، جزءاً متمماً لحياتي.

أنا سياسي حتى العظم، وباحث عن المستقبل ومهموم به حتى العظم. لذلك أشعر أنني، برغم قلة نشاطي السياسي المباشر، أملك الآن قدرة تبدو أقوى عندي على تحليل الأحداث من السابق. هل الحرية التي أتمتع بها هي التي تجعلني أكثر جرأة في طرح أفكاري وفي ترك العنان لأفكاري؟ فالحرية مسألة جوهرية في حياة الأفراد والجماعات وفي حياة الأمم والشعوب. وفي هذه المسألة بالذات تكمن عيوب التجربة الاشتراكية التي أدت إلى انهيارها. إذ إن فقدان الحرية يضعف الإبداع ويستنفر المصالح الشخصية ويضيّع بالنسبة للناس في مواقفهم المختلفة الهدف الذي يبتغون تحقيقه. وتصبح السلطات الحاكمة هي وحدها مصدر القرار وأداة تنفيذه.

## علاقتي التاريخية بالسينما وبالمسرح

**الاثنين 5 تموز - يوليو**

عدت منذ فترة إلى ارتياد دور السينما لكن بصعوبة نظراً لضعف النظر. لذلك فالمتعة اليوم في مشاهدة الأفلام السينمائية هي أقل مما كانت عليه في السابق. لكنني مع ذلك مهتم بالسينما. وفي اعتقادي إن دورها في الحياة الاجتماعية، إيجاباً وسلباً، لم يتغير. لكن في اهتمامي بها اليوم ما يشبه الاعتراض على هيمنة نمط في التفكير الجديد جعل الإعلام المعولم يتحكم بالوسائل السمعية والبصرية. لقد أصبحت هذه الوسائل تلعب دورًا خطيراً في تشويه الرأي العام بدلاً من تنويره. لكن ما علاقة الإعلام بالسينما؟ لقد بدأ الإعلام المرئي يأخذ من السينما جمهورها. وصارت معظم المسلسلات تجارة رائجة. أقول معظم هذه المسلسلات، لأن بعضاً منها ممتع وغني بالمعرفة الاجتماعية والتاريخية. وأنا مدمن على هذا النوع من المسلسلات التي أذكر منها على سبيل المثال مسلسل "ليالي الحلمية" والمسلسل الذي يحكي قصة حياة أم كلثوم.

أما بالنسبة للمسرح فللأسف تراجع هذه الأيام بالمقارنة مع ما كان عليه في الخمسينات والستينات والسبعينات. إلا أنني، رغم اقتنائي العديد من النصوص المسرحية، أصبحت أقل قدرة على القراءة مما كنت في السابق. وربما يعود السبب في استمرار اهتمامي بالسينما

وبالمسـرح هو أنني كنت منذ سـن باكرة مولعاً بالسينما وبالمسرح. وكانت لدي رغبة في أن أكتب نصوصاً مسـرحية. حاولت وفشـلت عندما كنت طالباً في المرحلة الثانوية، ثم خلال السنة الجامعية الأولى والأخيرة في فرع الآداب. المهم أنني أتابع الأحداث الثقافية بنشاط. يستغرب الكثيرون إذ يجدونني حاضراً في معظم هذه الأحداث. ليسـوا معتادين على رؤية سياسيين يشاركون في أحداث ثقافية.

هذه ليست هواية. إنها متعة وحاجة ثقافية وغذاء روحي يجدد الحياة.

**الثلاثاء 6 تموز - يوليو**

يبـدو لـي أن ثمـة نهجاً منظماً في البـلاد يقضي بتعطيل السياسـة وتغييبهـا ومنعها من أن تستعيد أنفاسها وتنهض لممارسة دورها ووظائفها. كل شيء يشير إلى ذلك، في وقت تزداد الحاجة إليها وإلى أدواتها الأساسية. وللسياسة أدوات وقوى تمارسها في مواقع المسؤولية فـي الدولة وفي مؤسسـاتها، وفي الأحزاب وجمعيات المجتمع المدنـي والنقابات العمالية والمهنية. والواقع هو أن بعض الذين يمارسـون العمل السياسـي في السـلطة مشغولون في مضاعفـة ثرواتهم بالفسـاد وهدر المال العـام، وبعضهم يتفرج على مـا يجري، وبعض آخر قادتـه أزماتـه إلى الضعف والتهميش. كما حصل مـع أولئك الذين كان يفترض بهم النضال من أجل التغيير. إنهم الاشتراكيون أو اليساريون بالمعنى الأوسع والأشمل لقوى التغيير.

فـي هـذا الوقت بالذات يشـكل باراك حكومـة إسـرائيل الجديدة، ويعلـن لأول مرة في تاريخ إسـرائيل عزمه على عقد اتفاق سـلام مع العرب ينهي النزاع التاريخي معهم، ويحظى بأكثرية كبيرة في الكنيسـت. من يصدق أن في إسـرائيل حكومة تجرؤ على السـير في عملية سـلام حقيقية؟! خداع وكذب من جهة إسـرائيل، يقابلهما عجز وأضغاث أحلام من الجهة المقابلة!

تـرى هل فـي هكذا وضع فـي لبنان وفي سـائر البلـدان العربيـة نواجه مثل تلـك الخُطّة التـي يعلنهـا الاسـرائيليون للسـلام معنـا؟ ترى أهكـذا نواجه هذا السـلام الناقـص الخادع اليوم، والناقص والخادع في المسـتقبل، كما تشـير إلى ذلك سياسـة الحكومات الاسرائيلية المتعاقبة؟

**الخميس 8 تموز - يوليو**

أشـعر بالضجـر. ضجر يبدو لـي، في هذه اللحظة، أن لا أمل بالشـفاء منه. مـا أنا فيه هو مزيج من كل شـيء، من الشـيء ونقيضه. هل هي هكذا الحياة، أو أنني اليوم أكتشف ذلك؟ هل كنت بحاجة إلى سبعين عاماً لكي أكتشف ذلك؟ يبدو لي، من غير جزم، أن قوة الاندفاع مـن أجل هدف مسـتحيل تعمـي أبصار الناس عـن رؤية ما حولهـم وما هم فيـه، وعن رؤية

الواقع كما هو. هل هي قوة العادة ما أنا أعاني منه، أو هو فقدان قوة العادة، أو هو محاولة التخلّص منها؟ يبدو أنني أكابر. هل صحيح أنني أكابر. كلا ليست مكابرة. هي شيء من اقتناع بأن طريق الحياة مليئة بالأشواك، وبالمخاطر، وبالأشواق. لذلك فهذا الطريق الذي أسلكه اليوم بعد خروجي من موقعي في قيادة الحزب هو طريق صعب. أنا مقتنع بذلك. ويكاد هذا الاقتناع يشبه اليقين. مع أنني لست يقينياً. الأصح أنني لم أعد يقينياً. تخليت عن بعض يقينيتي منذ سن المراهقة، أعني يقينية طفولتي وشبابي الأول. فهل انتقلت إلى يقينية أخرى من دون أن أدرك، أو أنني كنت مدركاً ذلك عندما انتقلت إلى يقينيتي الشيوعية؟ أياً كان الأمر فلا بد لي من متابعة السير على الطريق الذي اخترته. لا سبيل سوى السير على هذا الطريق نحو مستقبل أفضل. لكن عليَّ أن أكون أكثر قدرة على معرفة ما أرى وما أصادف في طريقي وأن أعرف ما أريد، ولو بالتدريج من دون ادعاء بامتلاك المعرفة. إذا كان السير على القدمين قد أصبح ضعيفاً فإن الذاكرة لا تزال قوية والعقل لا يزال يعمل والبصيرة تزداد قوة والمشاعر تفيض كنبع لا قرار له. لا بد من متابعة السير ليس لأنه لا سبيل سوى ذلك، بل لأنه هو السبيل الحقيقي لاستمرار الحياة والعمل من أجل أن تكون هذه الحياة أفضل.

## عري المشاعر والتأمّلات
## في مجتمع المشاة الجميل!

**الجمعة 9 تموز - يوليو**

عدت إلى المشي صباحاً قبل طلوع الشمس على كورنيش المنارة في بيروت بعد انقطاع دام بضعة أشهر. سبب الانقطاع كان ألماً مفاجئاً في أعلى الساق تحت الركبة مباشرة، أي حيث تقع عقدة الساق التي نطلق عليها بالعامية اسم بطة الرجل. الأطباء قالوا إن أسباب الألم طبيعية، رغم أن الألم جاء مفاجئاً. وهو يعود، في التوصيف الطبي، إلى أن العظمتين اللتين تتكوّن منهما ومن سواهما الركبة قد ضاقت المسافة بينهما بفعل مرور الزمن، أي بفعل العمر. لذلك يقتضي من صاحب هذه الركبة، وصاحب هذه العظام المتقاربة بينها المسافات، بعكس ما هو عليه الحال بين الشعوب وبين الاثنيات والأديان وأصحاب المصالح المشتركة من المظلومين، يقتضي ذلك من هؤلاء، عندما يصلون إلى عمر معين، أن يحتاطوا للأمر وأن يكونوا حذرين في ممارسة أعمالهم التي تتطلب منهم جهداً جسدياً، لا سيما المشي والرياضة.

عدت إذًا إلى المشي من جديد بعد انقطاع عندما شعرت بأن الألم قد تلاشى، رغم أن ألماً آخر بدأ يبرز، وتحديداً في أعلى الفخذ اليمنى وفي أسفل الظهر. دخلت من جديد مجتمع

المشاة برغم هذا الألم الجديد. صرت منهم ومن عالمهم، وإن بشكل متقطع، وفي وقت متأخر. لا أدري هل سأكون فعلاً واحداً من هؤلاء المشاة بالكامل؟ المشاه هم عراة بمعنى من المعاني. هم عراة من أناقتهم ولياقاتهم، وعراة من بعض آداب السلوك البسيطة، عراة من بعض أفكارهم أو منها كلها، وعراة من بعض همومهم أو منها كلها، وذلك بحسب الأشخاص وبحسب الطباع المختلفة التي تميزهم بعضهم عن بعض. الكل يمارس نوعاً مختلفاً من العري. بعضهم يترك خلفه خجله وحياءه وحساباته الصغيرة والكبيرة، ويأتي إلى المشي عارياً منها. بعضهم يترك خلفه مشاعره وأحاسيسه، ويأتي عارياً منها. وجميعهم، من دون استثناء، يتعرون في شكل حركتهم وفي شكل علاقاتهم بعضهم ببعض وفي شكل علاقاتهم بالمحيط، يميناً ويساراً. إلا أن المحيط يبدو عارياً هو الآخر. البحر يبدو شديد العري. إذ هو يبدو خالياً مما يزعج صفاءه من مراكب وقوارب الصيادين ومن السبّاحين. فهو هكذا يصبح أكثر حرية في علاقته مع المحيط من البشر ومن اليابسة، ومن كل أشكال الحياة وصيغها.

أنا مثلاً أستمتع بالنظر إلى البحر في هدوئه وفي آفاقه البعيدة، وأستمتع بصخب أمواجه التي ترتطم ببعض نتوءات صخرية أو بالجدار الذي يضعونه حداً لطموحات أمواجه في اقتحام اليابسة. أنظر إلى البحر نظرة عارية من كل أفكار مسبقة. وبرغم أنني كثير السفر فإنني قليل المعرفة بالجغرافيا. فحين أنظر إلى اللانهاية في حركة المياه في الاتجاه الآخر البعيد فإنني أستسلم لأحلام لا حدود لها، وكأن وراء هذه اللانهاية لا نهايات غير محدودة في الأعماق وفي الآفاق. أوَليس هذا شكلاً من أشكال الحرية التي تتعرى من كل اعتبار ومن كل معرفة سابقة، يمارس فيها المرء نوعاً من الحياة البسيطة خارج كل تعقيد؟ على أن الحديث عن العري هنا يجر إلى الحديث عن العري في مجالات أخرى.

تعالوا نحدد ماذا نريد. ماذا يجب أن يكون عليه عالم الغد؟ هل صحيح أن الانسان أصبح بمقدوره قانونياً أن يمارس كل أنواع الحرية من دون معايير؟ إذا كان ذلك كذلك فإننا نقترب من نهاية الحياة. أي أن المسافة التي كبرت بين الانسان والحياة عادت لتصغر إلى الحد الذي يصبح فيه أبناء الأرض من بشر وحيوانات وزواحف وطيور وحشرات من طبيعة واحدة ومن أخلاق ومعايير واحدة. هل هذا ممكن؟

وللعري أشكال أخرى في نادي المشاة. فالذين يأتون مشعثي الشعر تبرز في عري رؤوسهم عاهات يكونون قد غطوها بأشكال مختلفة من الكريمات أو أساليب التمشيط وسوى ذلك مما ينصح به الحلاقون.

ثمة عري جميل يتمثل باللواتي يحرّرن صدورهن من العوائق التي تحميها من شهوات الناظرين، ويعرّون نهودهن ويتركونها حرة تتلاعب في حركاتها هبوطاً وصعوداً خلال

مشيهن العاري. لهذا العري مخاطر ومحاسن. وقد تكون المخاطر أكثر من المحاسن أو العكس. فكثرة الحركة المطلقة الحرية لمثل هذه الملائكة الجالسة على صدور الأمم، والأحلام المطلقة من عنانها إزاء تلك المشاهد من شأنها أن تطرح أسئلة متعددة اتجاهاتها حول معنى الجمال الذي يحمله النهدان. هل يعني ذلك أن يظل النهدان صامدين شامخين مقدسين باعثين على كل ما في المشاعر من جميل ظاهر وخسيس مخفي في آن! على أن هذا العري للصدور ولحركة النهدين في مثل هذا العري أو التعري من أناقة اللباس والزينة وبهجة الحياة يبعد المسافة بين الحلم والواقع، ويجعل اكتمال النشوة يسير في الاتجاه الآخر النقيض. فللاكتمال شروطه. ولا يمكن من دون هذه الشروط أن يذهب هذا الاكتمال في طريقه لتحقيق واحد من عناصر التواصل الانساني، الذي تختلط فيه الأشياء المادية بالأشياء الروحية من دون حساب للنتائج.

ما أكثر ما تحمله مشية الصباح من أفكار وصور وما أشد وطأة هذه المشاعر على الانسان. الحياة هي هنا في عريها وفي طبيعتها جميلة برغم كل الحسابات والحساسيات.

نادي فؤاد حبيش للعراة في بيروت لم أعرفه، لكنني عرفت صاحبه. نادي العراة في استوكهولم خجلت من ارتياده. في سوتشي على البحر الأسود حاولت اقتحام حمام السباحة المخصص لنساء عاريات، فشكونني إلى القائد الشيوعي فرج الله الحلو، فاعتذرت منه ومنهن. كان فرج الله يقضي إجازته هناك بعد انتهاء أعمال المؤتمر الأول للأحزاب الشيوعية الذي عقد في موسكو (1957)، وكنت أنا أقضي إجازتي بعد انتهاء أعمال مؤتمر اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي في مدينة كييف في ذلك التاريخ. نادي العراة في فيينا لم أستطع الدخول إليه لأنني لم أكن مشتركاً فيه. مسبح العراة في سيدني سُمح لي بالنظر إليه من بعيد. نادي العراة (نصف العراة) في أبيدجان وفي نيس سبحت فيهما إلى جانب النهود الطائفة على سطح الماء والمندلقة أمام الصبايا في تجوالهن على الرمل. وأذكر أنني زرت مدينة نيس مع صديقي سنان براج للقاء العميد ريمون إده الذي كنا ضيوفاً عليه. قال لنا: ادخلوا هذا البحر واستمتعوا بالسباحة وبما تشاهدون، ولا تخجلوا من النظر من بعيد ومن قريب إلى النهود الطائفة فوق المياه والأمواج.

أعترف بأنني أحب النساء لأنني أحب الجمال. لكنني أحبه كما يجب أن يُحَبّ. فأنا على دين الشاعر العربي عمر ابن أبي ربيعة في قوله:

إني امرؤ مولع بالحب أتبعه    لا حظّ لي منه إلا لذة النظر

غير أنني أضيف، نكاية بابن أبي ربيعة، إلى متعة النظر متعة القبل عندما تتوافر الشروط لتحقيقها، الجمال من جهة وموافقة صاحبة الجمال من جهة ثانية.

## حركات طالبية في كل مكان
## أسئلة عن طبيعتها وعن دلالاتها

السبت 10 تموز - يوليو

حركة طلاب إيران تذكرني بحركات طلاب في بلدان عديدة. تذكرني بحركة طلاب فرنسا في عام 1968 وبحركة طلاب مصر في العام ذاته، وبحركة طلاب لبنان في أوائل السبعينات. ما أكثر حركات الطلاب من هذا النوع في بلدان عديدة. البعض استنتج في السابق من هذه الحركات أفكاراً ونظريات كان يراد لها أن تكون تفسيراً جديداً لحركة التاريخ مغايراً لتفسير الماركسية. جزء من هذا التفسير، جزء فقط، هو صحيح بالتأكيد. فللطلاب، وللشباب عموماً، دور يجب أن نقدره ونضعه في المكان الصحيح لكن من دون مغالاة. غير أن بعض التفسيرات والاستنتاجات بخصوص هذا الدور كانت خاطئة. أحد هذه الاستنتاجات حول هذه الحركات يشير إلى أن الطلاب بدأوا يحتلون مكان الطبقة العاملة وسائر الأجراء، حتى في الوضع الذي فقدت فيه هذه القوى الاجتماعية بعض ما كان من سماتها في الأزمنة السابقة. وفي هذا الاستنتاج كثير من المغالاة التي تتعارض مع الوقائع. فللطبقة العاملة دور، مهما جرى من تحولات في صفوفها، لا يمكن تجاهله. لكن من الضروري في الآن ذاته الوصول إلى معرفة دقيقة لهذا الدور. وبالمقابل فإن التقليل من دور الشباب في ظل الانهيارات التي شهدتها الحركات اليسارية في بلداننا وفي العالم بعد انهيار التجربة الاشتراكية، أو حتى عشية انهيارها، هو بذاته خطأ فادح. علينا أن ننتظر ما ستقدمه لنا الوقائع التاريخية الجديدة، ولا نستعجل التنبؤ بطبيعتها. العصر الذي نحن فيه هو عصر مختلف بالكامل عن العصر السابق، عصر حافل بالمتغيرات في كل شيء. ولا ندري كيف يمكن أن يقود إليه التناقض الذي تعيش فيه بلداننا بين تلك التحولات التي يحفل بها العصر وبين القهر المتعاظم لشعوبنا الذي تستمر في ممارسته الأنظمة الاستبدادية. هل يعقل أن يستمر هذا الصمت الغريب لدى شعوبنا على قهرها؟ سؤال يطرحه هذا التناقض علينا من دون أن نتسرّع في التنبؤ بما يمكن أن تقدمه الحياة من أجوبة عليه.

حركة طلاب مصر في أواخر 1968 تذكرني بحديث لي مع شعراوي جمعة في مجلس قيادة الثورة بعد تلك الحركة بشهرين. كان ذلك في مطلع عام 1969. تساءل يومها شعراوي جمعة، وهو وزير الداخلية وعضو في قيادة الاتحاد الاشتراكي، كيف يمكن لطلاب من جيل الثورة أن ينتفضوا ضد الثورة. وقبل أن يكيل لهم الاتهامات سألته: وماذا أعطيتم لجيل

الثورة؟ أعطيتموهم جزءاً مما كانوا يريدون، وحرمتموهم من أجزاء أخرى، وقدمتم لهم هزيمة حزيران. كان الحوار جاداً وساخناً. لكنه كان في الآن ذاته ودياً وصادقاً.

أما حركة طلاب لبنان في السبعينات فقد سلطت الضوء على أزمة النظام الطائفي وأسهمت في كشف عوراته. وكانت تلك الحركة جزءاً من الصراع السياسي في البلاد الذي انتهى إلى الحرب الأهلية، على النقيض مما كان يطمح إليه الطلاب، حتى وإن كانوا قد انخرطوا بقوة في تلك الحرب لدى اندلاعها. هل الطلاب هم سبب الحرب؟ كلا قطعاً. فلنبحث عن سبب الحرب في المكان الصحيح. وهو في أساسه معروف، وعلينا أن نعترف بذلك ونعترف بمسؤوليتنا نحن سياسيي تلك الحقبة من كل الاتجاهات ومن كل المواقع، يساراً ويميناً ووسطاً ومن ضمنهم نحن شيوعيي تلك الحقبة.

ماذا سيستطيع خاتمي أن يفعل في ظل رئاسته؟ يقولون عنه إنه غورباتشوف إيران! ربما. إنه مصلح كبير في الفكر الديني، لكنه فاقد القدرة على تحقيق هذا الاصلاح في السياسة، حتى من موقعه في السلطة التي قاده إليها تأييد قسم كبير من الشعب الايراني في الانتخابات الرئاسية. ربما يكمن السبب في عجز خاتمي عن تحقيق الإصلاح على طريقته خوفه من أن ذلك قد يؤدي إلى تفجير الوضع في البلاد وتعطيل الإصلاح عندما تنضج شروطه. وهو إصلاح مهم وضروري لكن شروطه لم تنضج بعد. المحصلة هي أن خاتمي، كما تشير إلى ذلك الوقائع، لن يستطيع تحقيق أي إصلاح في الوقت الراهن.

ما هو دور طلابنا في لبنان في هذه الحقبة من تاريخ بلدنا لبنان؟ ما هو دور الشباب بشكل أكثر تحديداً؟ لقد خلقت لهم الحرب الأهلية، والنتائج التي انتهت إليها، خيبة كبيرة. وقادت هذه الخيبة أقساماً منهم إلى اختراع مسيح يساري هو غيفارا، وبطل وهمي لم يستطيعوا تحديد اسمه! إنهم يبحثون عن دور من أجل الغد. وهذا حقّهم. ولا بد من أن يكتشفوا طريقهم إلى ذلك الغد. لكن علينا، نحن آباءهم وأخوتهم الكبار، أن نكون إلى جانبهم، أن نبحث معهم على قاعدة تجربتنا في الصواب وفي الخطأ، واستناداً إلى المراجعة النقدية التي هي من واجبنا إزاءهم، وأن نكون إلى جانبهم في السعي على طريقتهم إلى ذلك المستقبل، مستقبلهم ومستقبل بلدهم.

نحن الآن في حالة غريبة، حالة تشبه لوحة سوريالية! السياسة غلط. المقاومة غلط. الدولة غلط. التعليم غلط. الحياة اليومية غلط. الوعي السائد غلط. من هذه الأغلاط ينبغي اكتشاف الطريق إلى الصح. أنا شخصياً عاجز عن تقديم أجوبة إلى ولديّ هانية وغسان عن أسئلتهم الكثيرة المشروعة. لكنني أبحث معهما بحرّية، حريتهم في الأساس وحريتي، عن

الحل الذي سيكون جيلهم بطله. ربما أكون أقدر منهم على طرح الأسئلة. لكن من قال إن أسئلتي هي أسئلتهم. غير أنني على الأقل في طرح أسئلتي أحثّهم على تحديد طبيعة وشكل وجوهر الأسئلة التي تعود لهم.

## أسئلة وتأملات وتخيلات
## على طرقات بلدنا ساحلاً وجبلاً

الأحد 11تموز - يوليو

قمت البارحة بعدة زيارات، واحدة إلى زحلة وأخرى إلى شتورة ثم إلى عماطور وبعدها إلى جزّين. اجتزت في الذهاب والاياب دروباً كلها تعرّجات، وارتفاعات وانحدارات، ونتوءات في الجبال تشبه الرجال العمالقة وحيوانات الأساطير، نتوءات تزخر بها الجبال الشاهقة كما تزخر بها أعماق البحار. على اليمين من الطريق وعلى اليسار أشجار من كل نوع ووديان. وأنت ذاهب في سيارتك قاصداً مكاناً معيناً تشعر بالاستئناس الذي لا تعرف مصدره. ربما برودة الطقس، وربما رطوبة الأشجار وخرير المياه بالقرب منها وحولها، وربما ألوان الأشجار الزاهية التي تفرض نفسها عليك حتى في عتمة الليل. ربما تلك الأشكال البشرية والحيوانية التي تحفل بها نتوءات الجبال وصخورها وهضابها وقممها. ربما شيء آخر لا أعرفه وقد يعرفه سواي وقد لا يعرفه أحد. ما أشبه هذه الدروب بدروب الحياة بكل ما تتصف به هذه وتلك من نتوءات وتعرجات. أما الطريق الساحلي فيختلف الوضع فيه قليلاً. فهو أكثر اتساقاً وأكثر استقامة، لا سيما عندما يتعلّق الأمر بالأوتوسترادات. لكن الغريب أن الاستقامة والاتساق هنا يوحيان بالوحشة أكثر مما توحي به طرقات الجبل. هل لأن تلك الطرق أقرب إلى واقع الحياة من هذه، وأنها أكثر شبهاً بدروب الحياة، أو أن ثمة أسباباً أخرى؟

اليوم سلكت طريقي إلى الجنوب قصدت فيه تجمعاً عائلياً في بلدة الزرارية معقل العائلة. سلوك الطريق الساحلي المستقيم هو أسرع وأكثر سهولة للوصول إلى الزرارية وإلى أي هدف مبتغى. لكن كلا الطريقين قد لا يوصلان الذي يسلكهما في مهمة من أي نوع وفي أي هدف محدد في المكان وفي الزمان. إذ قد يموت الواحد، هنا أو هناك، إما لأنه مسرع فيرتطم بآخر، أو لأن آخر مسرع فيرتطم به. تتعدد أسباب الموت والموت واحد. إلا أن ما هو مشترك بين دروب الحياة والدروب التي يسلكها الناس إلى مقاصدهم يومياً هو أنها دروب. لكنها على كثرتها تختلف في أمر جوهري. فإذا كان بإمكان المرء أن يجتاز مسافة معينة، ومن مكان معين، في اتجاه مكان آخر يقصده فيصل إليه، سواء على طرقات الجبل أم على الأوتوسترادات، فإن

الأمـر مختلف فـي دروب الحياة. فمعظم الناس لا يصلون إلى مقاصدهم، حتى وهم يسـعون بجهـد للانتقـال من زمن إلى زمن آخر، ومن حقبة إلى حقبـة أخرى، ومن وضع إلى وضع آخر يحلمون به، ومن فكرة إلى فكرة أخرى أكثر تطابقاً مع العصر، ومن مشروع إلى مشروع أرقى، ومن نظام إلى نظام أفضل، وهلمجرّا!

البارحة وأنا في طريقي إلى عماطور، ثم إلى مطعم المشرق على مشارف جزين، شعرت بما هو غريب في أمر سياستنا وسياسيينا، وفي أمر بلدنا. لقد تحررت جزين ولم يدخل إليها اللبنانيون. منعوا من الدخول إليها لأنها، في تفسير ذلك المنع، لا تزال مفتوحة على مناطق الاحتلال. لماذا وكيف؟! هل ثمة ما هو أغرب وأعجب وأفظع من هذا الأمر؟!

في طريق العودة إلى بيروت مروراً بصيدا شـاهدت جسر الأولي مدمراً. ولم تبرز أمامي ضربة معول تخفف من دماره وتعدنا بإعادته إلى وضعه الطبيعي، وتعطينا الأمل بأننا قادرون علـى الاسـتمرار فـي البنـاء كلما تعرضنـا إلى تدميـر همجي من قبـل العدو. مـا معنى هذه السياسة؟ أو أنني قادم إلى يومنا هذا من زمن عتيق، عتيق جداً، أو من زمن خيالي؟!

لماذا تشع الكهرباء على الطرقات في وسط النهار على امتداد الساحل الجنوبي، وتنقطع في الأحياء السكنية، وتفرض علينا البقاء معظم ليالينا في العتمة؟

مـا أكثر الأسـئلة عندما تجري مقارنة بسـيطة بيـن دروب حياتنـا ودروب جبالنا ودروب سواحلنا، ودروب أيامنا ومسالكنا إلى أعمالنا اليومية!

**الاثنين 12 تموز - يوليو**

شاهدت مع نجوى بدعوة من برهان علوية فيلماً أميركياً بعنوان "قصة أميركية". يتمحور موضـوع الفيلـم حـول المجتمع الأميركـي والعنف والعنصريـة ضد الزنـوج والمهاجرين. الفيلـم جميل بكل المعاني. إنه يبشـر بولادة سـينما بديلـة عربية وعالميـة، بديلة من النمط الـذي يدمر الشـباب، يدمـر خيالهم وأحلامهم ويدمـر حتى واقعهم القائم. هـل هذا ما يراد إيصالنا إليه؟ ثمة إمكانية للمقاومة. ثمة ضرورة للمقاومة. هذا الفيلـم يبشر بأمل ما.

أحـداث إيـران، مرة ثانيـة، مفتوحة على احتمالات شـتى. الصراع يشـارك فيه الجميع. والنتائـج سـتنعكس سـلباً أو إيجاباً علـى كل المنطقة. إيـران ذات تأثير كبيـر، أمس واليوم وغـداً، ونحن معنيون بتطوراتهـا وبأحداثها بانتظار غد أفضل مما هـي فيه إيران، ومما نحن فيه في بلداننا!

الثلاثاء 13 تموز - يوليو

جميل أن تكتشف وأنت تحاور الآخرين أنك في أحلامك وهواجسك وإشكالياتك لست وحيداً.

في لقاء بيني وبين برهان علوية تحدثنا في أحد المشاريع المفيدة. كان النقاش جميلاً وغنياً. إنني أكتشف اليوم ما لم أكتشفه من قبل. هل لأنني صرت أكثر قدرة على الاستماع وأكثر حرية، وأكثر تسامحاً مع الآخر؟ ربما يكون لعلاقتي بالمثقفين التي أعتز بها دور في ما أنا فيه. علماً أن هذه العلاقة كانت دائماً، حتى وأنا في موقعي في قيادة الحزب، علاقة مميزة.

الأربعاء 14 تموز - يوليو

نقاشات المجلس النيابي في لبنان مظهر من مظاهر الزيف في الديمقراطيات الحديثة. ترتفع الأيدي بأكثرية ساحقة للموافقة على ما كان موضع نقاش حاد وخلاف كان يبدو مستعصياً على التوافق. لا فائدة تُرتجى من أن يكون عندنا برلمان، وأن تكون عندنا حرية انتقاد، إذا لم تكن عندنا ديمقراطية حقيقية وديمقراطيون حقيقيون، وإذا لم نكن نمتلك الوعي والارادة والقدرة على تغيير واقع حياتنا في الاتجاه الصحيح!

ديمقراطية العصر الذي نحن فيه أشبه ما تكون بدكتاتورية مقنعة من دون تعميم. لا يجوز التعميم. المشكلة تكمن فينا. نحن المسؤولون عن تخلفنا وعن استمراره في بلداننا ما دمنا عاجزين عن تحرير بلداننا من الاستبداد الذي يتحكم بمصائرنا. لا بد من الاعتراض على بعض مظاهر الديمقراطية في بعض بلداننا وتحريرها من الزيف.

لا بد من الاعتماد على الشباب من أجل التغيير، لكن كيف؟ والاعتماد على المثقفين، لكن كيف؟ والاعتماد على الأحزاب، لكن كيف؟ عن أية أحزاب يجري الحديث؟ مسكينة هي أحزابنا، جميع أحزابنا، يسارها ويمينها ووسطها على حد سواء.

لا بد من استنفار كل الامكانات لوضع صيغة تجعل كل هؤلاء العاجزين قادرين على صنع مستقبل أفضل لبلداننا.

## ماركس لم يكن نبياً
## ونصوصه ليست مقدسة!

الخميس 15 تموز - يوليو

اختلط الحابل بالنابل في المجلس النيابي، وأقرت الموازنة بأكثرية غير كبيرة. هل هي ظاهرة ديمقراطية؟!

في الوقت ذاته أنهى باراك زياراته ومشاوراته قبل البدء بالمفاوضات وسط تشجيع إعلامي ووعود بالسلام، وعود لا سابق لها. افتحوا الطريق يا شباب! السلام الخادع آتٍ، آتٍ!!

هل سيذهب باراك في طريق السلام إلى النهاية أو أنها مجرد حركة إلهاء؟ هل يحتاج الأمر إلى نقاش؟

لتنته القصص الصغيرة. لتنته هذه المرحلة وهذه الحقبة كلها مع أصحابها، ولنبحث بجدية وبمسؤولية وبواقعية في ما ينبغي لنا أن نقوم به لمواجهة هذا الواقع. ولنبحث بعمق وبمسؤولية عما يمكن عمله للمستقبل. فالواقع الذي نعيش فيه يشير إلى أن الشعوب مجرّد تفاصيل في خطط العظماء، أفراداً ودولاً وتكتلات محلية وعالمية. هل هذا حقاً هو تاريخ البشرية السابق، وهل هذا هو التاريخ الحالي، التاريخ الذي لا بد من تغيير وجهته؟ لكن كيف؟ لا بد من البحث عن الطريق إلى ذلك الهدف العظيم. ألم يدلنا ماركس على الطريق الذي علينا أن نسلكه في مشروعه العظيم لتغيير العالم؟ ما دلّنا عليه ماركس في مشروعه هو إشارة بالغة الأهمية لم ندركها، جوهرها هو التأكيد على ضرورة البحث الدائم عن التغيير في الشروط الجديدة المختلفة بين زمن وآخر، والدخول في هذا البحث انطلاقاً من الوقائع الجديدة والتحولات التي يحفل بها العصر الجديد. البعض يحاول تحميل ماركس المسؤولية. لكن ماركس لم يكن نبياً، ونصوصه ليست مقدسة. وهو ذاته الذي دعا اشتراكيي عصره واشتراكيي المستقبل إلى عدم تحويل الأفكار إلى عقائد جامدة. وفي الواقع نحن الذين جعلناه في موقع النبي وقدسنا نصوصه. وعلينا أن نعترف ونقرّ بمسؤولياتنا عن أخطائنا. والاشارة هنا إلى "نحن" موجهة إلى أهل اليسار ممن يعلنون انتماءهم بصيغ مختلفة إلى فكر ماركس وفي مقدمتهم الشيوعيون.

**الجمعة 16 تموز - يوليو**

سألني صديق عن تصوري لخط اليسار ما بعد اتفاق السلام، بعد أن كنت قد شرحت له تصوري لما يجري من أحداث، ولما ستكون عليه الأوضاع في المستقبل. قلت جواباً عن السؤال: أولاً، يجب أن نعرف أننا كنا ضحايا القمع طيلة نصف قرن باسم قضية فلسطين وباسم الصراع القومي مع الصهيونية وربيبتها إسرائيل، وباسم النضال من أجل تحقيق الوحدة العربية، وسوى ذلك من مشاريع واقعية في جوهرها وزائفة في معظم الخطط التي وضعت باسمها. بعد هذا السلام الذي يسعون لإنتاجه سنكون من جديد عرضة للقمع، على أنقاض تلك الخطط الزائفة باسم السلام الخادع الذي ستكون كلفته كبيرة على شعوبنا وعلى القضية التي تحمل اسم فلسطين الشهيدة.

علينـا إذًا أن نضـع خطـة مـن نوع آخر، خطـة من نوع مختلـف عن كل المرحلة السـابقة مؤلفـة من دائرتين: الدائرة الأولى تتعلّق بالداخـل اللبناني، مهمتنا فيها تتلخّص في الإجابة عـن سـؤال: كيف علينا أن نبني بلداً ونحدد انتمـاء اللبنانيين إليه، وكيف نضع خطة لتطوره؟ الدائـرة الثانية تتعلّق بالوضع علـى الصعيد العربي. لا بد من الدعوة إلى وحدة عربية واقعية وديمقراطيـة تضم كيانات مسـتقلة متكاملة في ما بينها تحتـرم خصوصيات كل منها. أما في موضـوع الصـراع العربـي - الاسـرائيلي، أو في موضوع السـلام الذي هو ناقـص بالتأكيد، لا بـد مـن وضع خطة طويلـة المدى تقدم حلاً حقيقيـاً وواقعياً وعادلاً للصـراع يتراجع فيها اليهـود عـن "حقهم" التاريخـي المزعوم بفلسـطين، ويتراجع العرب فيها عـن "احتكارهم" لأرض فلسطين من دون اليهود. وانطلاقاً من هذه الفرضية يبدأ العمل بواقعية وبنفس طويل لإنضـاج الشـروط التي تؤدي إلى قيام دولـة ديمقراطية على أرض فلسـطين متعددة الأديان والقوميـات. لكن الشـرط الضـروري لهذه الخطة هـو أن تكون من دون شـعارات طوباوية ومن دون شـعارات زائفة. كفانا طوباوية. وكفانا زيفاً في الشـعارات، وكفانا تشـتيتاً للشعب الفلسطيني وتدميراً متواصلاً لحياته وقتلاً لأحلامه، وتدميراً للبنان بالواسطة!

يذكرني هذا الموضوع الخاص بالسـلام مع إسـرائيل بالحوار الذي جرى بيني وبين عدد من الأصدقاء المصريين. الأصدقاء هم محمد سيد أحمد وجميل مطر ومصطفى الحسيني. دار النقاش بيننا في البدء حول مشـاريع وهمية كان ينخرط فيها محمد سـيد أحمد مع لطفي الخولـي ثم انسـحب منهـا. اتفقنا بعد نقاش طويل على أن نصدر كتاباً مشـتركاً يقدم فيه كل منا وجهة نظره في القضية الفلسطينية وفي موضوع السلام، وفي الشروط الواقعية التي تقود إليه، والقوى المؤهلة للانخراط فيه فلسـطينياً وإسـرائيلياً وعربيـاً وعالمياً. لكن ما إن ذهب كل منا إلى أعماله حتى نسينا المشروع، أو على الأصح أنستنا الظروف التي كانت غارقة فيها بلداننا مجرد العودة إلى التفكير في الكتاب.

تسـاءلت اليوم، وأنا أسـتعرض ما يجري أمامنا في عالم اليوم من أحداث غريبة عجيبة لا ندري إلى أين يمكن أن تقود البشـرية، تساءلت بحيرة وقلق: هل التاريخ بدأ يعود إلى الوراء ويكـرر أحداثـه؟ وتسـاءلت بالمقابل، في ما يشـبه الجواب الرومانسـي على تسـاؤلي: هل يمكـن في مثل هذه الحالة المتفاقمة التي طال زمانهـا أن نكون أمام احتمال انفجار الغضب الكامن في وجه هذا الفجور الذي بلغ ذروته قمعاً وفساداً وإفساداً لمجتمعاتنا من قبل أنظمة الاستبداد التي تتحكم منذ عقود في مصائر بلدانا؟! وسرعان ما استنتجت أنني في تساؤلي الأول وتسـاؤلي الثانـي أعيـش فـي حلم يقظـة يحاكي تمنياتـي وأملي الـذي لا يفارقني في المستقبل الآتي.

## مرة ثانية في مجتمع المشاة
## بخصائصه وبألوانه وبناسه

**السبت17 تموز - يوليو**

مجتمع المشاة في العالم، مجتمع له خصوصياته. وما يجري على كورنيش المنارة في بيروت كل صباح، صيفاً وشتاء، ومن دون انقطاع، هو جزء من هذا المجتمع العالمي. ربما يكون ذلك صحيحاً أو لا يكون. لكن مجتمع المشاة في لبنان، وحصراً في كورنيش المنارة، هو مجتمع قائم بذاته. له خصوصياته التي استمدها من خصوصيات لبنان وبيروت وكورنيش المنارة ومحيطه ووضعه الجغرافي، وتاريخه القديم وتاريخه الجديد المتواصل.

أتابع ما كنت قد توقفت عنده في أيام سابقة، ملاحظاتي ومشاهداتي بالعين المجردة، وبالبصيرة، وبالخيال، والتصورات. أحسب أن كل فرد ممن يمارسون المشي يمشي لسبب عنده، أو لهدف يرمي إليه. وهو أمر صحيح أعرفه من نفسي. فأنا أسعى إلى تخفيف وزني وإلى إزالة الانتفاخ في بطني الذي تولّد مع الأيام وأصبح عاهة يشاركني فيها كثيرون. لم أعد أستطيع العيش مع هذا الانتفاخ. وقد أقبلت على المشي في البداية مكرهاً كما لو أنني أتجرع دواء كريهاً. سواي قد يكون في مثل حالتي أو قد يكون واجهها بأقل معاناة مني، وقد يكون آخرون بغنى عن مواجهتها.

بعض هؤلاء المشاة يأتون إلى المشي طلباً لمتعة ما زلت ألامسها ملامسة بسيطة. أما هم فيمارسونها بشغف بعد أن صارت مع الوقت جزءاً من حياتهم اليومية. وقد أصبِحُ مثلهم مع مرور الزمن. وقد تكونت لديّ صداقات مع بعض هؤلاء، من دون أن نتحدث معاً أو يعرف الواحد منا الآخر، لكننا نتكلم بالنظرات الغامضة. وهي صداقات بدأت تصبح ذات معنى رمزي. هناك صبية جميلة في جسمها وقامتها وملامح وجهها تمارس المشي بعنف، وتمشي طويلاً طويلاً. وحين لا نراها، مرافقي عارف وأنا، نشعر بوحشة ونتساءل أين هي. هل لديها نفس شعورنا؟ لكنني أتصور، أو على الأصح أرغب في أن يكون الأمر كذلك. وأمس واليوم، عندما وجدناها تمشي بهدوء ورصانة واتزان ومن دون عنف مع شخص، أحسسنا بالغيرة كما لو أن أحداً انتزعها منا. شعور غريب. لكنه شعور يفضي إلى عري التفكير وعري المشاعر. تظهر الأمور عارية في مجتمع المشاة من دون غشاوة أو ظلال ومن دون مساحيق، أعني من دون اعتبارات من أي نوع.

هناك فتاة أخرى أكثر جاذبية، لكنها أقل أرستقراطية. كنا ننتظر قدومها مثل الفتاة الأولى. لها مشية جميلة بسيطة مليئة بالحماسة كأنها ذاهبة إلى هدف قريب المنال، تمشي مفعمة

بالحيـاة فـي اتجـاه قطف ما تبتغي مـن ذلك الهـدف. لا تلتفت إلا من طـرف عينيها. هكذا كنت أراها، أو كنت أتصورها كذلك. لم نعد نراها في جولاتنا الأخيرة. لماذا اختفت؟ هل حقّقت غرضها من المشي وأصبحت في غنى عنه أو أن مكروهاً، لا سمح الله، قد أصابها؟

ثمـة أصدقـاء حقيقيون مـن عوالم مختلفـة نلتقي بهم ونتبـادل التحية معهـم من دون أن نتوقـف للسـلام بالأيدي أو لتبادل الأحاديـث إلا نادراً. لكن بعض مـن نرى على الرصيف من المتسـولين يثير لديَّ الحيرة في أمرهم. إنهم ثلاثة متسـولين. أحدهم ضرير يكرر نفس العبارات. يبدأها بـ الله كريم مع التشديد على لفظ اسم الله. كأنما يطلب من الله الكريم أن يطلب من عباده أن يتصدَّقوا عليه. لكنني لم أر واحداً يتصدّق عليه. أما الثاني فهو لا يتكلم لكنه يجرجر ساقه المبتورة والمعاد إصلاحها بشكل مشوَّه، والتشويه مقصود لكي يستجدي الرأفـة. ولـم أجد أحدًا تصدّق عليه. الثالث هي امـرأة. تطلب أن تقدّم لها الصدقة. فإذا لم تقدّم لها هذه الصدقة تفوهت بالشـتائم كأنما هي ذات حق حرمت منه. اليوم سـمعتها تقول "ألف ليرة، وَلوْ"! تصورت لو أن كل واحد من الذين يمرون يعطيها ألف ليرة، فإنها ستصبح من أغنياء لبنان. كل يوم مئة ألف ليرة!

مجتمع المشـاة مليء بالقصـص الحقيقية والقصص المتخيلة. لكننـي أجزم أنه مجتمع يتشـكل من نماذج بشـرية موجـودة بتفاصيلها في المجتمع اللبنانـي. وأكاد أقول إن مجتمع المشـاة هو المجتمع اللبناني بامتياز. يضم كل النـاس من كل الفئات والطبقات والنزعات، بمن في ذلك المتسولون الطيبون منهم والأكثر وقاحة في الارتزاق.

جميع المشـاة أو قسـم كبير منهم يشـكون من ألم ظاهر، أو من ألم باطن، ألـم تسـبّب به الإنسـان لنفسـه أو جاءه من شـخص آخـر، أو من الدولـة أومن حادث وقع لـه بالصدفة أو يخشـون من ألـم قادم. لكن الانسـان المصاب بالألـم يكتم ألمه ومشـاعره، وهو يمشي بقلق على شـاطئ بحر جميل مترامي الأطراف، تقابله بنايات شـاهقة من هنا، وآفاق جبل من بعيد يغطيه الضباب فلا يكاد يُرى.

جميل مجتمع المشاة هذا. هذا ما بدأت أشعر به وأنا أمارس متعة المشي على كورنيش المنارة مع هذا الحشد من المشاة من كل فئات المجتمع اللبناني ومن كل المواقع فيه.

## متعة القراءة والمعرفة
## في كتابات الماركسيين الأوائل

**الأحد 18 تموز - يوليو**

لم أستمتع في يوم راحتي الأسـبوعية بالاستماع إلى الموسيقى. فالكهرباء حرمتني هذه

المتعة. حرمتني منها إسرائيل، مثلما حرمتني وحرمت سواي من متع عديدة، ومن فرص عادية للحياة العادية. أنا، إذًا، أزداد حقداً على إسرائيل، الحقد الذي تراكم إلى حدّ التي لم يعد معه ثمة متسع للمزيد.

قرأت نصوصاً قديمة لكبار كلاسيكيي الماركسية. قرأت بعض رسائل ماركس وإنجلز الممتعة والغنية بالأفكار. قرأت لبليخانوف كتابه حول دور الفرد في التاريخ، وكتابه الأخير الذي وضع فيه بعض خلاصات تجربته التاريخية كفيلسوف اشتراكي، وأعطاه عنواناً يحمل دلالات يشير إليها النص ذاته "الوصية السياسية". كان لينين يقدّر بليخانوف ويعطيه لقب فيلسوف الاشتراكية الأول، رغم الاختلاف السياسي بينهما الذي استمر من المؤتمر الثالث للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي في عام 1903 حتى صدور هذا الكتاب في عام 1918. وقرأت لغرامشي. ما أجمل كتاباته في "كراسات السجن". إنه مفكر ماركسي عظيم وراهن. قرأت للينين بعض كتاباته الأخيرة التي سبقت وفاته في شرح السياسة الاقتصادية الجديدة (النيب). واكتشفت في هذه الكتابات لينين الحقيقي، لينين الباحث بواقعية ومن دون أوهام عن مستقبل الاشتراكية في روسيا وفي العالم الجديد. وقرأت لروزا لوكسمبورغ في كراسها الرائع عن ثورة أوكتوبر الذي تنتقد فيه بصراحة وبحب وتقدير بعض أفكار لينين؛ لا سيما في مسألة الديمقراطية. وقرأت لجورج لوكاش في الفكر الماركسي وفي الأدب. ما أجمل كتابه عن غوته وعصره. وسوف أنشر في كتابي الجديد حول الاشتراكية نصوصاً مكتملة لهؤلاء المفكرين الكبار غير منتزعة من سياقها. وإني لأشعر بأن مثقفينا وشبابنا والمسؤولين السياسيين، الشيوعيين منهم على وجه الخصوص وحتى غير الشيوعيين، هم بحاجة إلى قراءة هذه النصوص لأنها تبدو لي راهنة في رمزيتها، برغم قدمها وبرغم اختلاف الظروف التي كتبت أثناءها. ما أحوجنا للعودة بين وقت وآخر إلى هؤلاء المفكرين الكبار وإلى سواهم من كبار مفكري البشرية لكي نأخذ منهم، ولو من جهة المنهج، بعض الدروس التي نحن بحاجة إليها في كيفية مواجهة مشاكل عصرنا. التراث الماركسي وتراث الفكر الانساني العظيم هو ملك للبشرية في كل العصور. سنظل بحاجة إليه والاستفادة مما يبقى حياً منه مع مرور الزمن.

## مأساة التعليم في بلدنا ومسؤولية الدولة والمجتمع!

**الاثنين 19 تموز - يوليو**

قضية المعلمين هي قضية التعليم. الدولة التي لا تهتم برفع مستوى التعليم الرسمي في مراحله المختلفة وبمستوى المعلمين فيها هي دولة ناقصة. القضية متشابكة ومترابطة

ويجب أن يؤخذ ذلك في الاعتبار عندما تتوافر شروط قيام هذه الدولة بوظائفها، لا سيما في موضوع التعليم. كل ما يتصل بالتعليم الرسمي من الابتدائي حتى الجامعي لا يلقى الاهتمام من دولتنا، ربما لأنها غير موجودة فعلاً، أو لأن القيمين عليها أساؤوا لوظيفتها وأساؤوا لوظيفتهم فيها. رؤساء الجمهورية يذهبون بطبل وزمر لحضور حفلات التخرج في الجامعات الأجنبية ولا يرون حاجة لأن يشجعوا، بحضورهم على الأقل، الجامعة اللبنانية التي تترهل وتفسد وتفقد دورها أمام أعيننا! أركان الدولة غائبون عن الاهتمام بجامعتنا الوطنية، لأنهم مشغولون بأمور أخرى هي أهم في نظرهم من الجامعة! ما هي هذه الأمور؟ لست بحاجة للاشارة إليها، فهي ملء السمع والبصر في حياتنا اليومية!

أي مستقبل للبنان في غياب سياسة صحيحة تتعلّق بتعليم أجيالنا؟ الحضارة لا تأتي إلى بلد وشعب من تلقاء ذاتها ولا تسقط في قفة من السماء بمجرد استدعائها! ثمة دائماً تراكم ضروري في الثقافة وفي المعرفة. المأساة في بلداننا تتكرر في كل ما يتصل بالحياة وبشؤونها حتى في أبسط الأمور وأكثرها بداهة. نحن نعيش في مأساة متعددة الجوانب كما لو أننا في مسرح تراجيدي. هذا هو التعبير الفج عن الانحطاط والتخلف عندنا. وفي هذا الواقع المأساوي يكمن سر الهزائم المتكررة التي نعيش نتائجها، ونستنكف عن التساؤل، مجرد التساؤل، عن الأسباب التي قادتنا إلى هذه الهزائم وعن دور كل منا فيها، بدلاً من أن نكتفي بالحديث عن دور الأعداء في حصول هذه الهزائم وتوجيه الشتائم لهم!

## التفكير اشتراكياً
## في زمن مختلف!

**الثلاثاء 20 تموز - يوليو**

ما زلت أعمل لإنجاز كتابي "التفكير اشتراكيًا في زمن مختلف". تذكرت في هذا السياق أنني دعيت في العام الماضي من قبل إدارة الجامعة السورية، بشخص صديقيّ عميد كلية الآداب حامد خليل وأستاذ الفلسفة في الكلية صادق جلال العظم، لإلقاء محاضرة حول قراءتي لمستقبل الاشتراكية بعد انهيار تجربتها، وحول مستقبلها في بلداننا العربية على وجه التحديد. كانت كلية الآداب تنظم أسبوعاً ثقافياً، وكانت محاضرتي في هذا السياق. كان شريكي على المنبر صديقي الأستاذ الجامعي أحمد برقاوي. وكان المفكر اليساري المصري محمود أمين العالم المكلّف بإدارة النقاش. كانت القاعة تغص بالحضور من المثقفين. قدمت قراءتي وتبعني أحمد برقاوي. انصبّ النقاش حول مداخلتي التي كانت بالنسبة للحضور جديدة ومختلفة عن السياق القديم السابق. قدمت في مداخلتي الشفوية

تلخيصاً مكثفاً للورقة التي كنت قد أعددتها والتي تتضمن رؤيتي لما أعتبره تفكيراً اشتراكياً في زمن مختلف. كنت سعيداً لتجاوب المثقفين معي إذ قدم كل منهم في النقاش أفكاراً مهمة سجلتها في دفتري لأغني بها أبحاثي اللاحقة. والجدير بالذكر أن هذه المحاضرة هي ذاتها التي قدمتها في العام ذاته في ثلاثة أماكن: في مدينة صافيتا في سوريا، بدعوة من صديقي حامد خليل، وفي باريس في الاحتفال الكبير بمئوية البيان الشيوعي، وفي الرباط في المغرب بدعوة من المجلس القومي للثقافة العربية. وفي جميع هذه الأماكن أغنت النقاشات أفكاري، وزادتني شعوراً بالمسؤولية ودفعاً للعمل على مضاعفة جهدي الفكري حول مستقبل الاشتراكية في زمن مختلف.

أستحضر في هذا السياق على وجه الخصوص الاحتفال بمئوية البيان الشيوعي الذي أشرت إليه، والذي نظّمته هيئة شكّلها الحزب الشيوعي الفرنسي تحت اسم "فضاء ماركس"، كانت فرانسيت لازار عضو المكتب السياسي للحزب المسؤولة عنه. شارك في الاحتفال مئات من الشيوعيين والماركسيين القادمين من مختلف بلدان العالم. قدّمت مثل سواي للهيئة المنظمة للاحتفال نص المحاضرة التي كنت قد ألقيتها في جامعة دمشق معدلة ومترجمة إلى الفرنسية. وكان بين الحضور عدد من الماركسيين العرب. أذكر أننا عندما دخلنا إلى الجلسة الافتتاحية علمنا أن بين المتحدثين في الجلسة ممثل الحزب الشيوعي الاسرائيلي، في حين لم يكن بين المتحدثين من يمثل الماركسيين العرب. استغربنا الامر نحن المثقفين العرب المشاركين في الاحتفال. وكلّفت من قبلهم بالاحتجاج ومناقشة الأمر مع فرانسيت لازار وجورج لابيكا اللذين اعتذرا فوراً وطلبا مني أن نحدد من يتكلم باسمنا. تداولنا في الأمر، فاقترحني سمير أمين ومحمود أمين العالم للقيام بالمهمة. ووافق الجميع. وعندما اقترحت إسم سمير بدلاً مني، قال إنه ستكون له كلمة في الجلسة الختامية. وهكذا عندما جاء دوري في الحديث ارتجلت كلمة قدمت فيها بعض أفكاري باسمي الشخصي وبصفتي المسؤول عن إصدار مجلة "الطريق". وناقشت أفكار بعض من سبقني إلى الكلام. وكان المفكر الماركسي جورج لابيكا قد افتتح الجلسة. وجاء في كلمته أن البيان الشيوعي هو اليوم أكثر راهنية من أي وقت مضى. بعد انتهاء الجلسة ذهبت إلى جورج لابيكا وسألته: هل أنت مقتنع حقاً بما قلت حول البيان الشيوعي، وأنت تعلم أكثر مني بأن ماركس وإنجلز قد أشارا في مقدمة الطبعة الثانية للبيان بعد عشرة أعوام من صدوره بأنهما لو كتباه في ذلك التاريخ لكانا كتباه في شكل مختلف؟ فأجابني بما معناه بأن ما قصده في كلمته هو الاشادة بأهمية مشروع ماركس الذي كان البيان الشيوعي أول تعبير عنه. حرّكت رأسي دليل موافقتي على تبريره، لكن من دون اقتناع! كان المؤتمر حدثاً فكرياً كبيراً. لكنه لم يقدم جديداً في

الفكر الماركسي المعاصر. كان في الواقع "سوق عكاظ" تنافس فيه المفكرون الماركسيون من أحجام وقامات مختلفة في عرض اجتهاداتهم. ذلك كان انطباعي.

## أمام لوحة لبول غيراغوسيان في منزلي

**الأربعاء 21 تموز - يوليو**

أفقت صباح هذا اليوم باكراً على غير عادتي، وتوجهت فوراً إلى غرفة الاستقبال ووقفت أمام لوحة بول غيراغوسيان التي تتصدر الغرفة منذ أربعة عقود. وكان قد جاءني بول في نومي في تلك الليلة يذكرني بتاريخ جميل من الصداقة التي ربطت بيننا ويوصيني بأولاده. تأملت في اللوحة للمرة الألف، وقرأت فيها تاريخ بول وإبداعه وأصالته وفكره النير وإنسانيته الرائعة، وشجاعته وتاريخاً جميلاً من الصداقة كانت قد بدأت في أواسط الخمسينات. ما أروعك يا بول، وما أشد اعتزازي بصداقتك، وما أصعب فراقك. تذكرني هذه الوقفة عند بول ولوحته بستة فنانين لبنانيين كبار كانت تربطني بهم علاقة في الستينات وما بعدها هم عمر الأنسي وقيصر الجميل وميشال بصبوص ورشيد وهبي ورفيق شرف ورفيقي الشيوعي ميشال المير. كنت أزور هؤلاء الفنانين في محترفاتهم أو في منازلهم في مهمات حزبية، لا سيما ما يتعلق منها بقضية الدفاع عن السلم العالمي. فهذه القضية كانت من صلب مهماتنا الحزبية. أما النحات ميشال بصبوص فقد تعرفت إليه في عام 1955 عندما كان يشارك في المهرجان العالمي للشباب والطلاب في وارصو. جميعهم ذهبوا وتركوا بصماتهم على تاريخ الفن التشكيلي في لبنان.

**الخميس 22 تموز - يوليو**

يجري الحديث كثيراً عن الأخلاق في الأدبيات الدينية وفي أدبيات العقائد الفلسفية والاجتماعية بما فيها الشيوعية. لكن أحداث التاريخ كذّبت الكثير من ادعاءات المتحدثين عن الأخلاق والداعين لاحترامها، بما في ذلك في بعض جوانب شيوعيتنا القديمة والمعاصرة. إلا أنني أعتقد أن كبار المنظرين للشيوعية والاشتراكية كانوا صادقين. والصدق لا يعني بالضرورة أنهم كانوا دائماً على حق. أتحدث هنا عن الصدق في مواقف المفكرين على وجه الخصوص وفي مواقف بعض القادة التاريخيين. إلا أن الانهيارات التي حصلت وتحصل في منعطفات تاريخية معينة تحمل معها انهياراً شبه كامل في منظومة القيم والمعايير، بما فيها ما يتعلّق بالأخلاق. وينطبق هذا الأمر اليوم على الشيوعية والشيوعيين. أنا شيوعي بالمعنى الذي تعلمته من كتابات ماركس وأنجلز ولينين وكبار

الشيوعيين المعاصرين بمن فيهم بعض قادة حزبنا اللبناني. لكنني ضد هذا الانهيار الحالي في قيم الشيوعية التي تظهر بشكل مأساوي عند كثيرين من شيوعيي بلداننا، بمن فيهم بعض شيوعيي لبنان. وهذا الانهيار في القيم هو في صيغته الراهنة إحدى النتائج التي قاد إليها انهيار التجربة الاشتراكية وتحوّل بعض أقطاب تلك التجربة إلى النقيض الكامل لما كانوا عليه في زمن سيادة النظام الشيوعي في بلدانهم. لكن قسماً من الشيوعيين تحولوا في زمن الانكسار إلى حالمين باستعادة الماضي للاستقواء به على الحاضر وعلى أعدائهم الحقيقيين وأعدائهم الوهميين. وتخلخلت عندهم الموازين والمعايير في تحديد ماذا يريدون، وضد من يناضلون. وصاروا، أو صار قسم منهم، يعلن في شكل عشوائي عداءه لكل ما هو خارج نطاقه وخارج مواقعه وخارج أفكاره وأحلامه. صاروا ضد كل من يملك أكثر منهم، وضد كل من هو أعلم منهم، وضد كل من لا يتبنى شعاراتهم وأفكارهم وسياساتهم. وصاروا في تعاملهم مع المعايير في الصح وفي الغلط من المواقف، مضطربين في علاقتهم بالمعايير التي جاءت في مشروع ماركس الاشتراكي. ولا أتحدث هنا عن الذين صاروا في الموقف النقيض لجوهر الاشتراكية ولجوهر مشروعها العظيم لتغيير العالم. فهم خارج هذا الحديث وخارج اهتمامي بهم.

## عن أول لقاء لي مع رئيف خوري ومارون عبود
## وآخر لقاء لي مع ناظم حكمت والمهدي بن بركه

**الجمعة 23 تموز - يوليو**

مات الملك الحسن الثاني، عاش الملك محمد السادس.

هذا الحدث يذكرني بأمور تاريخية، ويثير عندي أسئلة كثيرة عن حاضر الأمة العربية وعن مستقبلها. لكنني أشير هنا إلى أنني كنت، بخلاف كثيرين، مع قرار القوى اليسارية المغربية بالاشتراك في تشكيل حكومة هي الأولى من نوعها في تاريخ المغرب. رأيت في التجربة نوعاً من مساومة تاريخية تفرضها شروط وظروف المغرب وظروف بلداننا، ظروف ينبغي أن يكون الثمن فيها محسوباً بدقة قدر الامكان. وهي مسألة جدالية وصراعية مفتوحة على كل الاحتمالات.

يذكرني هذا الوضع الراهن في المغرب بالتاريخ السابق الذي كان فيه الصراع على أشده بين قوى المعارضة اليسارية والملك الحسن الثاني. وذهب ضحية ذلك الصراع الكثير من المناضلين ومن القادة. وكان المهدي بن بركة أحد قادة الاتحاد الاشتراكي من أبرز الشخصيات الذين دفعوا حياتهم ثمن معارضتهم للنظام. وقضية المهدي بن بركة لا تزال

موضـع نقـاش. وكان آخـر لقاء لي مع بـن بركة في عـام 1963 في اجتمـاع لمنظمة تضامن شـعوب آسـيا وأفريقيا عقـد في تنزانيا التـي كانت لا تزال تحمل اسـم طانغانيـكا. في ذلك الاجتمـاع التقيـت للمـرة الثانيـة والأخيرة مع الشـاعر ناظـم حكمت الذي شـكا لي موقف الصينيين منه في الاجتماع الذي كان يرأسـه المهدي بن بركه. وإذ أخبرت بن بركة بشـكوى الشـاعر أجابني بنبرته المعروفة: هل أنا المسـؤول عن هذا الصراع بين رفاقك من الجبارين الشـيوعيين؟! وكان ذلك اللقاء مع ناظم حكمت ومع المهدي بن بركة آخر لقاء لي معهما. إذ غـادر الحيـاة ناظم حكمت في عـام 1965، في حين أن بن بركة تعـرض للخطف من قبل السلطات المغربية في عام 1964 واختفت آثاره.

في ذلك الاجتماع بالذات التقيت لأول مرة بميشـال عفلق وصلاح البيطار اللذين ما أن بلغهما نبأ انقلاب البعث في العراق حتى غادرا الاجتماع على الفور في حالة انتصارية بدت واضحة على وجه كل منهما نقيضاً لما كان عليه حالهما قبل ذلك.

انتصـر المعلمـون الثانويون في لبنان انتصـاراً جزئياً. لكنه انتصار تحـدده الظروف التي تفرض على المناضلين الارتباط دائماً بمفهوم السياسة الواقعية. وهو برغم تواضعه انتصار للحق وللحرية في نهاية الأمر.

التقيت اليوم مع عائلة رئيف خوري بالاتفاق مع ابنته ملكة للبحث بإمكانية نشـر المؤلفات الكاملـة لهـذا الأديب والمفكر الطليعي. لكن كيف ومتى وبأية إمكانيات؟ تلك هي المسـألة. يذكرنـي الحديـث عـن رئيـف بتاريخ جميـل أعتز بـه من العلاقـة معه بـدأت في عـام 1950. وتحولـت تلـك العلاقـة إلى صداقـة برغم فارق العمـر بيننا. أذكـر أنني التقيت بـه في مكاتب مجلة "المكشـوف" بعد أن كنت قد أرسـلت له نصوصاً نشـرها في الملحق الثقافي في جريدة "التلغراف" التي كان هو مسـؤولاً عنه باسـم "إخوان عمر فاخوري". في ذلك اللقاء عرّفني رئيف إلى الأدباء مارون عبود وفؤاد حبيش وخليل تقي الدين. وأذكر أن مارون عبود في حديثه الذي كان يسترسل فيه عن عمر فاخوري قرأ بيتاً من قصيدة للشاعر خليل مطران يقول فيه:

حق لبنان إن فخر بارك الله في عمر

واستطرد مارون عبود متوجهاً إلى رئيف قائلاً:

حق لبنان في الرغيف بارك الله في رئيف

وضحك الجميع.

التقيت في المسـاء مع الفنان عبد الكريم الشـعار. اسـتمتعت بالحديث معه عن مفهومه للموسيقى والطرب. وكان زياد الرحباني محور حديثنا. ما أحوجنا إلى دولة ترعى الفنانين المبدعين.

## ما قاله لي قائد شيوعي روسي
## عن أسباب انهيار الاتحاد السوفياتي!

**السبت 24 تموز - يوليو**

قمت اليوم بجولة مع نجوى ومرافقي عارف في بعض مناطق المتن الشمالي. وكم كانت خيبتنا كبيرة عندما وجدنا أن السياحة قد تراجعت، ليس بعدد المصطافين وحسب، بل بالوضع الذي تعيش فيه المؤسسات السياحية. بلاد جميلة بحاجة إلى دولة حقيقية وإلى قوى بشرية تؤهلها لحياة أجمل.

إيران تستحوذ على اهتمام الكثيرين، وأنا منهم. يجب ألا يفشل جيلا خاتمي ورفسنجاني في إحداث إصلاحات تعطي لإيران دوراً مهماً في المنطقة، على قاعدة الديمقراطية والتقدم، سواء بأيديولوجية دينية متحررة، أم بأيديولوجية علمانية، أي بما يشبه المساواة في إقامة علاقة تاريخية جديدة بين المشروع الاسلامي والمشروع العلماني يلتقي فيه أصحاب المشروعين في منتصف الطريق في اتجاه تحقيق التقدم لبلداننا مقروناً بالحرية والعدالة الاجتماعية. هل هذا ممكن؟ في الوقت الراهن أظن أنني أحلم!

عندما أستمع إلى فيروز عاصي ومنصور، وفيروز زياد، أعلن حيرتي، أي فيروز هي أقرب إليّ. لكنني اخترت بتجربة الاستماع والانفعال أن أكون مع فيروز دون تمييز بين ماضيها وحاضرها. فيروز هي فيروز أينما كانت وأي لحن غنت، وفي أي مناخ شدا صوتها.

لا أدري لماذا أنا مهموم بالوضع في روسيا. أعرف جيداً أن الاتحاد السوفياتي ذهب ولن يعود. أعرف ذلك بخلاف من لا يزالون يحلمون بتلك العودة. مساكين هؤلاء. يحلمون بما لا يمكن تحقيقه، ويقضون عمرهم في انتظار ذلك الحلم. روسيا اليوم هي دولة رأسمالية من النوع المتوحّش والمتخلّف في الآن ذاته. لكن الشعب الروسي يظل شعباً عظيمًا. مشكلته التاريخية أنه لم يعرف في حياته نظاماً ديمقراطياً. انتقل من القيصرية الاقطاعية وشبه الاقطاعية إلى القيصرية الشيوعية، يا للأسف. وانتقل من القيصرية الشيوعية إلى قيصرية جديدة متخلفة. إلى أين تذهب روسيا في عهد ما بعد الشيوعية؟ من مصلحتنا، نحن الشيوعيين واليساريين والوطنيين العرب، من مصلحة بلداننا أن يستقر الوضع في روسيا، حتى في ظل هذه الرأسمالية المافيوزية، وأن تستعيد حضورها على الصعيد العالمي، لكي تكون سنداً لنا في مواجهة الغطرسة الأميركية في زمن القطب العالمي الواحد، وفي ظل هذه العولمة الرأسمالية الفالتة من عقالها.

ذهبت في العام الماضي إلى موسكو مع رفيقي وصديقي نديم عبد الصمد في مهمة

مستحيلة لا تستحق البوح بها وبالتفاصيل وبالأسماء التي تتصل بها. ألم أقل إنها مهمة مستحيلة؟ التقينا مع قيادة الحزب الشيوعي، مع الرئيس زوغانوف ومع نائبه كوبتسوف. كنا نحلم في أن يكون للحزب الشيوعي دور جديد في رسم صورة روسيا الغد. هل لمراهنتنا هذه أساس موضوعي؟ لا أستطيع أن أجزم. كان القائدان الشيوعيان شديدي الصراحة في الحديث معنا. وكان كوبتسوف الأكثر صراحة. ذكر لنا بعض الأخطاء الفادحة التي وقعت في ظل السلطة السوفياتية. وأعطانا أمثلة عن تلك الأخطاء، كان هو أحد الذين كُلِّفوا بارتكابها. كان كوبتسوف يعمل في أحد المعامل الكبيرة التي تضم عشرات الألوف من العمال. كان مطلوباً منه باسم منظمة الحزب الشيوعي التي كان هو المسؤول الأول فيها أن يمنع العمال من المطالبة بحقوقهم وأن يقمع الاضراب الذي كانوا يستعدون له. وأشار لنا كوبتسوف في الآن ذاته بصراحة إلى موقف الحزب من المثقفين الذي كان متعسفاً. لكنه كان متفائلاً بالمستقبل بالنظر لما يعانيه الشعب بفئاته الكادحة من ظلم اجتماعي يزداد شراسة في ظل سلطة المافيوزات. يراهن الشيوعيون الروس في تفاؤلهم بالمستقبل على أمرين. يتمثل الأمر الأول بدور القوى الاجتماعية المتضررة من النمط المافيوي في الرأسمالية الروسية، ويتمثل الأمر الثاني بالمراهنة على النزعة القومية المتأصلة عند الشعب الروسي. روسيا على مفترق طرق صعب. لا تعرف كيف ستخرج منه وفي أي اتجاه. فلننتظر نحن أصدقاء الشعب الروسي ما سيقرره هذا الشعب لمستقبله ومستقبل بلده. لكن عليَّ أن أعترف أن موسكو في جانب منها أصبحت أجمل، وفي جانب آخر أصبحت أقبح. ثمة صراع بين الجمال والقبح في هذه المدينة الرائعة. وأعترف بأن لموسكو ولتاريخي فيها مكانًا عزيزًا عليَّ في وجداني وفي ذاكرتي الحية.

خلال زيارتنا التقينا بعدد من أصدقائنا القدامى الذين لا يزالون يحتفظون بعلاقتهم بالفكرة الاشتراكية، كل منهم على طريقته في الشروط الجديدة، آخذين في الاعتبار صعوبة الارتباط بالاشتراكية على الطريقة القديمة في ظل الرأسمالية المافيوية السائدة في روسيا. وبين الذين زرناهم، نديم وأنا، بريماكوف صديقنا القديم الذي كان وزيراً للخارجية. وتبيّن لنا في الحديث الذي جرى بيننا أنه يخفي أموراً لم يفصح لنا عنها. وسرعان ما اكتشفنا بعد فترة قصيرة أنه كان ينتظر أن يصبح رئيساً للحكومة. وكان يهيئ نفسه لذلك المنصب. لكن مهمته كانت صعبة. كتبت مقالاً في جريدة "السفير" حوله وحول مهمته الصعبة أشرت فيها إلى قراءتي المضطربة للوضع المضطرب في روسيا في ذلك التاريخ، وأرسلت له المقال من دون أن أتلقى جواباً منه حول ما جاء فيه.

أذكر في السياق ذاته أنني زرت في أواخر ذلك العام، مع ابن شقيقتي عدنان، طشقند

عاصمة أوزبكستان لملاقاة شقيقي رؤوف الذي كان يقيم هناك ويمارس أعمالاً تجارية. قمنا بجولة في المدينة، ثم ذهبنا إلى سمرقند المعلم التاريخي والمركز الثقافي الكبير في العصر الاسلامي العربي الذهبي. وكنت قد قرأت كتاب أمين معلوف "سمرقند". وهو الكتاب الذي شدني للذهاب إلى تلك المدينة التاريخية. وقد فجعت بما شاهدت. كان الخراب سائداً في كل من الجامع والقلعة. وتساءلت هل هذا الخراب هو فعل ما قبل انهيار الاتحاد السوفياتي أو هو فعل ما بعد الانهيار؟ وحزنت!

## قصّة مجموعة "إخوان عمر فاخوري" ومأساة لحظة في تاريخ حزبنا الشيوعي!

**الأحد 25 تموز - يوليو**

قرأت اليوم مقالاً لجهاد قلعجي يتحدث فيه عن سيرة والده قدري قلعجي الخاصة بفترة وجوده في الحزب الشيوعي، وبدوره في إصدار مجلة "الطريق" التي كان يرأس تحريرها قبل إنفصاله عن الحزب. يتضمن المقال بعض الملاحظات النقدية للهيئة الحالية لتحرير مجلة "الطريق". أثار المقال ذكرياتي عن تلك الحقبة التي كنت فيها على علاقة صداقة مع قدري ورئيف خوري وإميلي فارس ابراهيم وهاشم الأمين، "إخوان عمر فاخوري" الذين كان الحزب الشيوعي قد اختلف معهم بسبب بعض مواقفهم المتعارضة مع سياسة الحزب، وأطلق عليهم تهمة "التيتوية" نسبة إلى تيتو. وهي حقبة مليئة بالتناقضات وبالأحداث السياسية وبالتطورات الفكرية على صعيد لبنان والمنطقة والعالم وعلى صعيد الحركة الشيوعية. ومعروف أن الكومونفورم كان قد اتخذ في عام 1948 قراراً بإخراج تيتو وإخراج اتحاد الشيوعيين اليوغوسلاف وإخراج يوغوسلافيا من الحركة الشيوعية ومن أسرة الدول الاشتراكية. وتوالت الذكريات. فتذكرت موقف الاتحاد السوفياتي من الثورة اليونانية بقيادة ماركوس التي ترجم عنها رئيف خوري كتاباً يتحدث فيه ماركوس عن تجربته الثورية. وتذكرت شخصية رئيف اللامعة، وكنت قد قرأت منذ وقت مبكر كتابه الرائع "الفكر العربي الحديث وأثر الثورة الفرنسية فيه". وتذكرت لقاءاتي معه في مجلة "المكشوف" وفي منزله الكائن في تلة الخياط في قلب العاصمة بيروت بالقرب من منزلي الحالي في شارع مار الياس. وتذكرت شخصية قدري قلعجي وكتاباته وسلسلة كتبه عن أعلام الحرية التي صدرت عن دار العلم للملايين. حقبة غنية ومليئة بالجليل من الأعمال الأدبية والفكرية ومليئة بالمآسي. وتذكرت مأساة فرج الله الحلو حين اقترح على اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان التريث في الموافقة على قرار تقسيم فلسطين،

فأُخرج من موقعه في قيادة الحزب، وفُرض عليه أن يكتب تلك الرسالة المشؤومة (رسالة سالم) التي انتقد فيها موقفه، والتي كانت الشرط لبقائه عضواً في الحزب. هل يعقل أن يواجه شخص بقامة فرج الله الحلو بمثل هذا الذي حصل له، فإضطرَّ إلى أن يطلب من قيادة الحزب ألا تطرده وقدم لها تلك الرسالة التي اعتبرناها في المؤتمر الثاني لحزبنا (1968) عيباً في تاريخنا وحذفناها من أرشيف الحزب؟! وتذكرت ما حصل لفرج الله حين اعتقل في دمشق في ظل الجمهورية العربية المتحدة، وعذّب حتى الموت وذوّب جسده بالأسيد وألقي في مجارير مدينة دمشق.

هكذا كانت عليه الحال في الحركة الشيوعية في الحقبة الستالينية. ثم نتساءل لماذا انهارت تلك التجربة الاشتراكية الرائدة بعد ثلاثة أرباع القرن من قيامها!

## عندما فاز محمد حسنين هيكل بجائزة جمال عبد الناصر

الاثنين 26 تموز - يوليو

حضرت احتفال تسليم جائزة عبد الناصر لمحمد حسنين هيكل. وكنت ممن اختاروه في الاستشارات التي قام بها خير الدين حسيب لنيل هذه الجائزة. أهم ما تميّز به الاحتفال خطاب هيكل. إذ استعرض على مدى ما يقرب من الساعة حقبة كاملة تمتد إلى خمسين عاماً مضت، أحداثها وتطوراتها وأبطالها ودور الرئيس عبد الناصر فيها، واستخلاصات هيكل منها للمستقبل. لهيكل وجهة نظره في أحداث الحقبة الماضية دوّنها في العديد من كتبه. فهو شاهد مهم عليها. حديثه في الاحتفال يستدعي التأمل بالنظر إلى المواقف التي أعلنها حول الأمس وحول المستقبل، بما في ذلك في موضوع السلم مع إسرائيل، وفي الموضوع المتعلّق بالمشروع القومي للنهضة.

هذا الاحتفال، بمعناه وبدلالاته وبالحضور الحاشد فيه، جعلني أفكر من جديد في معنى ما يقوم به الصديق خير الدين حسيب من تظاهرات ثقافية وفكرية وسياسية في إطار المؤتمر القومي. ما زلت عند رأيي في جدوى هذه المؤتمرات وفي طريقة قيادتها وفي استهدافاتها وفي القوى المشكّلة منها. لكنني أزداد تساؤلاً: ما العمل؟ ومن هي القوى المؤهّلة لأن تقوم بدور الجامع والمحرك لقوى النهضة؟ سؤال يحيرني ولا أجد جواباً عنه. ولا يشكل المؤتمر القومي جواباً أو حتى مشروع جواب عن السؤال. ومع ذلك أبلغت خير الدين وأنا أودعه بعد حفل الاستقبال أن الحوار معه لن ينقطع. وبالمناسبة أود أن أذكّر هنا بأن علاقتي بهيكل قديمة ومتواصلة. ألتقيه كلما أزور القاهرة. نتناقش في كل الأمور، نتفق ونختلف.

الأربعاء 28 تموز - يوليو

أنت متهم حتى تثبت براءتك. هل يمكن أن يكون ذلك عنواناً ومعياراً للأحكام؟ لقد كثرت الممارسات المعادية للحريات في بلادنا إلى الحد الذي أصبحت فيه في منطقة الخطر.

مجلس إدارة التلفزيون الرسمي، فؤاد نعيم وأسامة العارف ووليد شقير متهمون؟! وحتى إذا كان ثمة ما يشير إلى خلل في ممارساتهم، فإن المسألة تتعداهم إلى أهل السلطة، من كبار المسؤولين الذين حوّلوا التلفزيون إلى مزرعة بكل معنى الكلمة. أنا متضامن مع أصدقائي الثلاثة وأبرّئهم من هذه التهمة وألصقها بالمسؤولين.

الليلة كانت ليلة استثنائية مع عبد الكريم الشعار. كان سلطان طرب بكل معنى الكلمة. حشد من الأصدقاء التقوا، في حفلة خاصة، أقامها ابن شقيقتي عدنان لكي يطرب الجميع مع عبد الكريم الشعار. لقد دخلت نادي محبّي الطرب من أبوابه الواسعة. والطرب نوع جميل من الموسيقى الشعبية التاريخية الصدى والمدى. والموسيقى فن وثقافة ومتعة روحية.

طلبت من صديقي ونسيبي جودت ناصر أن يعيرني فيلمين عن عالم النمل وعالم النحل. لعلي في معرفتي لهذين العالمين أجد أجوبة عن بعض أسئلتي المحيّرة حول مصير كوكبنا، وحول مصير الانسان فيه. لدي أسئلة لا تحصى عن الكيفية التي يتعامل بها أهل بلدنا وأهل العالم في مواجهة مصائرهم في نوع مختلف عن السابق، أي بما يتلاءم مع ظروف عصر جديد وبشروطه المادية والروحية. ما أجمل عالميّ النحل والنمل، وما أرقى المؤسسات العائدة لكل منهما!

الخميس 29 تموز - يوليو

ماذا يحصل للناس في هذا العصر، في عالم اليوم؟

في يوم واحد أحداث قتل متعددة الأشكال والأدوات والأسباب: -1 مجنون أميركي في أطلانتا يمارس اللعب بالأسهم، حقق خسائر كبيرة انتهت بأن قتل زوجته وولديه وقتل تسعة أشخاص في الشارع وقتل نفسه وترك رسالة. -2 حريق شب في خيمة عرس في مدينة القطيف، خيمة للنساء فقط، ذهب ضحيته أكثر من أربعين شخصاً، نساءً وأطفالاً. -3 قصف أميركي وبريطاني للعراق يقتل 8 مواطنين عراقيين من دون أن يرفّ للعالم المعاصر جفن. وكان صدام قد أعدم قبل ذلك بقليل أربعين من الضباط والجنود والمواطنين العراقيين المعادين للنظام، شيوعيين وغير شيوعيين، من دون أن يرف لا له ولا للعالم جفن. -4 أما في لبنان فإن مجلس الوزراء يقرر استباحة الجبال الشرقية للمقالع والكسارات واستباحة الأملاك البرية والبحرية. وتستمر أزمة الكهرباء البوابة "الخالدة" للهدر العبثي لأموال

الدولة والشـعب، وتستمر مع كل الأزمات في كل المجالات سياسـة قمع الحريات. ترى إلى أين نحن ذاهبون في لبنان وفي العالم؟!

قضينـا الليلة سـهرة جميلة في أعالي عجلتون في ضيافة صديـق من الامارات هو محمد غبـاش. تذكرنـا خلالهـا الرئيس الراحل فؤاد شـهاب. وتذكرنـا إنجازات عهـده التاريخية. وتذكرنا غانم غباش شقيق محمد، ذلك الانسان الرائع.

قرأت فصلاً من كتاب لروبير هود يتناول البحث في مستقبل التنظيم المقبل للشيوعيين. والكتاب عبارة عن أسئلة مستقبلية. تذكرت حزبنا. وتذكرت نقاشاتنا حول جنس الملائكة!

## عندما زار جورج مارشيه لبنان
## قصة مغامرة وفشل مؤامرة!

الجمعة 30 تموز - يوليو

من طرائف الوضع اللبناني ما نشهده في هذه الأيام من تضامن مع الصحافة ومع الحريات الاعلاميـة ضـد محاولات تقييدها، شـارك فيها، إلى جانب الاعلاميين والسياسـيين، رئيس الحكومـة ووزيـر الاعـلام. من هو إذًا الخصـم، أو أننا في حالة يندمج ويتحـد فيها الخصم والحكم؟!

شـاركت اليوم في استقبال ضيف فرنسي عزيز هو فرنسـيس وورتز بصفاته كلها القديمة والجديـدة. وهـو اليـوم نائـب شـيوعي فـي البرلمـان الأوروبـي. وكان قبل ذلك سـكرتير العلاقات الخارجية في الحزب الشـيوعي الفرنسـي. فرنسـيس، بالنسـبة إليَّ، هو اسـتمرار لعلاقـة قديمة عريقة تربطنا وتربط حزبينا بعلاقات رفاقية باسـم قيم الاشـتراكية ومُثُلها التي نحب أن نسـتمر متمسـكين بها، رغم كل ظروف العصر وظروف بلدينا وشعبينا وحزبينا في زمن ما بعد انهيار التجربة الاشتراكية. إلا أنني، شخصياً، أرى في فرنسيس استمراراً لعلاقة شـخصية ربطتني سـابقاً، وتربطنـي اليوم، بعدد مـن قدماء الحزب الفرنسـي، وفي مقدمتهم جورج مارشـيه وغاسـتون بليسـونيه ورولان لوروا وإتيان فاجون الذي كان قد سـبق لوروا فـي الاشـراف على جريـدة "الأومانيتيـه" وعدد كبيـر من قادة هـذا الحزب العريـق. لكنني أخـص بالذكـر هنـا علاقتي التي أعتز بهـا والتي بدأت في عام 1968 مع غاسـتون بليسـونيه القائد التاريخي في الحزب الشـيوعي والتي استمرت حتى وفاته. وهي كانت علاقة متعددة الجوانب والمهمات المتصلة بحزبينا.

وأجدني في هذا السـياق أمام فرصة للتفكير بما يمكن أن تكون عليه العلاقة الثقافية بين الشعبين، أي في ما يتجاوز حزبينا وكل العلاقات السياسية من كل الأنواع. لا بد من تجديد

هذه العلاقة الثقافية العريقة في تاريخ شعبينا اللبناني والفرنسي. لا بد من البحث في كيفية تجديدها وتحريرها من شوائب الماضي والحاضر المتعددة أشكالها.

في سياق الحديث عن الحزب الشيوعي الفرنسي وعن قادته أذكر أن علاقتي مع جورج مارشيه تعود إلى السبعينات، وتحديداً إلى عام 1976، العام الثاني من الحرب الأهلية، الذي دخلت فيه القوات السورية لبنان بدعم من الحكومات العربية ومن دون اعتراض من قبل إسرائيل وأميركا، يا للمفارقة! وكان مقاتلو الحزب الشيوعي في مقدمة القوى التي تصدت باسم الحركة الوطنية لمقاومة ذلك التدخل، المقاومة التي انتهت بهزيمتنا وبعدد كبير من شهداء حزبنا. توزعت قيادات الحزب في جهات متعددة طلباً للدعم. لكننا لم نجده إلا في فرنسا وإيطاليا لدى الحزبين الشيوعيين الفرنسي والايطالي على وجه التحديد. ذلك أن الحزب الشيوعي السوفياتي وكثرة من الأحزاب الشيوعية، ومن ضمنها الأحزاب الشيوعية العربية، كانت قد اتخذت مواقف معارضة لموقفنا من دخول القوات السورية إلى لبنان.

ذهب وفد من قيادة الحزب إلى باريس برئاسة الأمين العام نقولا شاوي كنت عضواً فيه. وكنت قد سبقت الوفد إلى باريس في الأيام الأولى لدخول القوات السورية لبنان. وهيأت لزيارة الوفد. وقد أقيم للوفد مهرجان تضامني خطب فيه كل من جورج مارشيه ونقولا شاوي. ومنذ ذلك التاريخ بدأت علاقتي مع جورج مارشيه. التقيت به عدة مرات. وفي عام 1981 وجّه حزبنا دعوة للحزب الفرنسي لزيارة لبنان برئاسة جورج مارشيه. وأقيم له احتفال حاشد في فندق الكارلتون شاركت فيه قوى سياسية من جميع الاتجاهات ومن ضمنها عدد من المسؤولين في الدولة، وحشد كبير من أعضاء السلك الدبلوماسي من العرب والأجانب، كان من بينهم سفير الولايات المتحدة الأميركية وسفير فرنسا. ومن مفارقات ذلك الاحتفال أن الحزب اكتشف بواسطة أحد الرفاق السريين في القوى الأمنية اللبنانية مؤامرة لتفجير الفندق في فترة الاحتفال. وكان هذا الرفيق مكلفاً بالعملية. فطلب الحزب منه الاستمرار في مهمته كي لا يكتشف أمره، وتعطيل صاعق التفجير في اللحظة الأخيرة. وهكذا تمكن الحزب من الانتصار على تلك المؤامرة الجهنمية. وأذكر أننا التقينا بعد الاحتفال بجورج مارشيه ومكسيم غريمتس عضو الوفد في مركز الحزب، نقولا شاوي وجورج حاوي ونديم عبد الصمد وجورج الهبر وأنا، وأخبرناهما بالمؤامرة وبإفشالها وبالمغامرة في الاستمرار في تنظيم الاحتفال. فكانا سعيدين مرتين، مرة بنجاتهما ونجاتنا من المؤامرة، ومرة بقدرة وكفاءة حزبنا في مواجهة صعوبات تلك المرحلة.

أما الأمين العام للحزب الشيوعي الايطالي إنريكو برلنغوير فقد تعرفت إليه عندما كان رئيساً لاتحاد الشباب الديمقراطي العالمي مقيماً في روما، وممنوعاً من قبل السلطات

الايطاليـة من السـفر إلى المجر، المقر العام للاتحـاد. كان ذلك في صيف عام 1953 حيث كنت أرأس وفداً شـبابياً لبنانياً - سورياً للمشـاركة في المهرجان العالمي للشباب والطلاب الـذي أقيم في ذلك التاريخ في بوخارسـت. قادنا إلى برلنغوير والده السـناتور الاشـتراكي ماريـو برلنغويـر، الـذي عـدت فالتقيت به في بيـروت عـام (1960) عندما جاء مـع الكاهن الفرنسـي الأب بيـار إلـى لبنان ممثلين للجنـة العالمية للدفاع عن فرج اللـه الحلو الذي كان معتقلاً في سـوريا. وكنت مرافقاً للوفد في عدد من الاتصالات التي أجراها مع المسـؤولين اللبنانييـن ومع القوى السياسـية اللبنانية. سـتمرت اللقاءات مع إنريكـو برلنغوير في ما بعد فـي أواخر السـتينات عندما كان قـد أصبح أميناً عاماً للحزب الشـيوعي الايطالي. كان ذلك فـي الاجتماع التحضيري للمؤتمر العالمي للأحزاب الشـيوعية الذي عقد في موسـكو عام 1969. وكان آخـر لقـاء لـي معه فـي روما في عـام 1982 برفقة جان كارلو بايتـا أحد القادة التاريخيين للحزب الشيوعي الايطالي. وعلاقتي مع جان كارلو بايتا تعود هي الأخرى إلى أواخر الستينات، أسوة بغاستون بليسونيه. وكانت علاقتي مع هذين القائدين الكبيرين تجمع بيـن صفتي الرفيق والصديق. كما كانت قد نشـأت لي علاقة مـن النوع ذاته مع جاك ودِّس، مسـؤول العلاقـات الخارجية في الحـزب الشـيوعي البريطاني. وكانت لودِّس مسـاهمات فكرية مهمة أبرزها كتابه المهم "نظريات حديثة في الاشتراكية".

ولا أنسـى في سـياق الحديث عن قـادة الأحزاب الشـيوعية الذين تعرفـت إليهم الأمين العـام للحزب الشـيوعي اليونانـي فلوراكس الذي التقيـت به مرتين، مرة مـع جورج حاوي وألبير فرحات (1981)، ومرة ثانية في عام 1982 مع وفد الحركة الوطنية الذي كنت أرأسـه خـلال وجودي في باريس بعد الغزو الاسـرائيلي للبنـان. وأهم ما أذكره في اللقاء الأول مع فلوراكس هو أنه روى لنا مأسـاة اللحظة التي طلب فيها الاتحاد السـوفياتي من قيادة الحزب الشـيوعي اليوناني، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانيـة، التخلي عن إنجازهم التاريخي الذي كانت قد حققته مقاومتهم بالاستيلاء على مناطق واسعة من اليونان. جاء ذلك تطبيقاً لاتفاق يالطـا الـذي عقد بين الحلفـاء في أعقاب الانتصار فـي الحرب العالمية الثانية على الفاشـية والنازية. استجاب الحزب اليوناني لطلب ستالين. إلا أن ماركوس القائد البارز في المقاومة اليونانيـة رفض الانصياع لقرار الحزب. واسـتمر في المقاومة حتـى عام 1948، العام الذي اتخذ فيه الكومنفورم القرار بطرد تيتو واتحاد الشيوعيين اليوغوسلاف من الحركة الشيوعية وطرد الاتحاد اليوغوسـلافي من أسـرة الدول الاشتراكية. فانهارت حركة المقاومة اليونانية التي كانت تعتمد على دعم تيتو. وتشـرَّد أعضاؤها داخل أوروبا شـرقًا وغربًا. ونشـأت لي علاقات صداقة مع العديد منهم في المجر تحديداً.

ولا أنسى لقائي مع أجوي غوش الأمين العام للحزب الشيوعي الهندي الذي جمعني به صديقي من أيام وجودي في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي سردا مترا. كان ذلك خلال زيارتي الأولى إلى الهند في عام 1958، وزيارتي الثانية في عام 1964. كان الحزب الشيوعي الهندي في ذلك الحين قد انتصر في الانتخابات البرلمانية أكثر من مرة، وأصبح يقود بعض الولايات الهندية التي كانت أهمها ولاية كيرالا. وقد نظّم لي الحزب الشيوعي برفقة صديقي سردا مترا لقاءين، الأول مع رئيس الجمهورية والثاني مع شقيقة نهرو فيجايا لاكشمي بانديت. ولا أنسى بالطبع علاقة الصداقة الرائعة التي ربطتني بأمينين عامين للحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا هما جون ماركس الأفريقي ويوسف دادو الهندي الأصل وبالأمين العام للمؤتمر الأفريقي أوليفر تامبو وآخرين من قيادة المؤتمر. أشير إلى هذه النماذج من علاقاتي مع قادة الأحزاب الشيوعية لدلالتها. فأنا أعرف الكثيرين من قادة الأحزاب الشيوعية في العديد من بلدان العالم. وهي علاقات تكونت من خلال زياراتي للعديد من البلدان ومشاركاتي في مهمات حزبية متعددة فيها. وقد قدمت لي تلك العلاقات فرصاً مهمة للتعرف إلى الأوضاع في تلك الأحزاب وإلى الأوضاع في بلدانها.

**السبت 31 تموز – يوليو**

كان نهارنا بعلبكياً. إذ زرنا مع صديقنا فرنسيس وورتز قلعة بعلبك. وكل زيارة لهذه القلعة تبدو لي وكأنها الزيارة الأولى. فهي تعرّفنا إلى تاريخ بلدنا، وتدخلنا، في الوقت ذاته، في واقعنا الراهن.

هل يعقل أن تكون هذه الثروة التاريخية في هذا المستوى من الاهمال لبنانياً، أولاً، وعالمياً بالتالي؟

بعلبك ذاتها كمدينة تاريخية هل يجوز أن تبقى كما هي في حالتها الراهنة مدينة نموذجية للتخلف؟ استقبلنا على باب القلعة رئيس البلدية وبعض أعضائها، وعلى ألسنتهم شكوى مريرة. زرنا بعد القلعة فندق بالميرا التاريخي. وشرح لنا علي الحسيني وزوجته ريما تفاصيل قديمة وحديثة عن الفندق. وقرأنا في الدفتر الذهبي كتابات لآراغون ولكبار الفنانين العالميين الذين زاروا القلعة والفندق وكان بينهم جان كوكتو وجان بول سارتر وجان جينيه.

بعد بعلبك زرنا مدينة زحلة في وادي العرائش على ضفاف نهر البردوني تحديداً. وقد أعادتني حفلة الغداء في الوادي إلى تواريخ أعرفها، وتواريخ أسمع عنها، وتواريخ لم أكن أعرفها. ومررنا في جبال ووديان كأنني كنت أراها للمرة الأولى.

ما أجملك يا لبنان، بنظر الزائرين، وما أبأس جمالك في ظروفك الراهنة!

الأحد 1 آب - أغسطس

كان هذا اليوم يوماً موسيقياً جميلاً منذ الصباح حتى آخر الليل. في الصباح تكرّمت علينا مصلحة الكهرباء بساعات طويلة استطعت فيها أن أستعيد بعد غياب بعض عاداتي الجميلة، لا سيما في يوم الأحد، قراءة وكتابة واستماعاً إلى الموسيقى. استمعت إلى موزار في إحدى سيمفونياته، وإستمعت إلى صالح عبد الحي في أغنية "ليه يا بنفسج". واستمعت إلى فيروز في آخر ألحان زياد. وفي المساء لبّيت دعوة مع نجوى لحضور حفلة موسيقية في بعلبك للأوركسترا الفيلهارمونية الأرمنية حيث قدمت عدداً من المقطوعات الموسيقية استمتع بها الجمهور. ثم استمعنا إلى مقطوعات للموسيقار السوفياتي رحمانينوف وإلى رقصة السيوف المأخوذة من باليه غايين للموسيقار السوفياتي إيف خاتشادوريان، التي شاهدتها مع نجوى عدة مرات في موسكو. وتذكرت زيارة خاتشادوريان إلى لبنان في الستينات بدعوة من جمعية الصداقة مع الاتحاد السوفياتي، ثم كان القسم الأكبر من المقطوعات الموسيقية لشتراوس.

والجدير بالذكر هنا أن رئيس جمعية الصداقة في ذلك التاريخ كان الدكتور جورج حنا المفكر اللبناني الكبير صديق الشيوعيين وصاحب المؤلفات العديدة في ميدان الفكر السياسي وبعض ما يتصل بالعلوم. وله كتابان متميزان، الأول حول المرأة صدر في الخمسينات وهو من أهم ما كُتب حول حقوق المرأة بعنوان "المرأة جسد وروح"، والثاني بعنوان "قصة الانسان"، فضلاً عن كتاب سيرته الذاتية بعنوان "قبل المغيب" الذي هو من أجمل كتب السيرة.

انتقلنا بعد ذلك إلى فندق "بالميرا" لنلتقي مع ابنتنا هانية وفرقة كركلا التي كانت تستعد لتقديم مسرحيتها الغنائية في الأسبوع القادم. التقينا بعبد الحليم كركلا، وببعض أعضاء الفرقة، وبالصديق القديم الجديد ريمون جبارة. يوم موسيقي وفني جميل.

قد يكون لتكرّم مصلحة الكهرباء في هذا اليوم علاقة بعيد الجيش. فشكراً لها ولجيشنا الوطني على هذه الهدية.

## من هو المثقّف؟
## هل أنا مثقّف؟!

الاثنين 2 آب - أغسطس

من هو المثقف في شكل عام، ومن هو المثقف في زماننا وفي بلداننا على وجه الخصوص؟ كثيراً ما يخطر لي أن أتساءل بيني وبين نفسي، هل أنا مثقف بالمعنى المتداول

للمثقف؟ أطرح السؤال على نفسي ثم أضحك على حالي، لماذا هذا السؤال؟

أنا أفكر. أنا أمارس الكتابة وأعرض فيها أفكاري. أنا أقرأ الكتب بأنواعها المختلفة. أنا أقيم علاقات صداقة متواصلة مع المثقفين. أنا أتابع النشاط الثقافي في ميادينه المختلفة، سينما ومسرحاً وندوات ثقافية الخ. أنا ألبي دعوات في الداخل وفي الخارج لإلقاء محاضرات في مواضيع فكرية وفي مواضيع ثقافية. أنا أؤلف كتباً في مواضيع فكرية وسياسية. أنا إذاً ببساطة أنتمي إلى عالم الثقافة. لماذا كل هذا الحديث عن علاقتي بالثقافة؟ كلام لا معنى له ولا ضرورة. ومع ذلك أدوّن هذا الكلام في يومياتي لأكون صادقاً في نقل تأملاتي التي تأتيني من خارج إرادتي. في الواقع كنت على امتداد حياتي مهتماً ومهموماً بالثقافة وبدورها وبدور المثقفين في حياة بلداننا. كنت وما زلت أعتبر أن الشرط الضروري لكي يكون للمثقف موقع ودور في حياة بلاده أن يمتلك قدراً كبيراً من الحرية والاستقلالية، حتى وهو في موقع قيادي في حزب أو في حركة أو حتى في موقع رسمي في مؤسسات الدولة. لذلك فأنا من أنصار عدم إغراق المثقفين في أطر تنظيمية في الأحزاب بما في ذلك في حزبنا. وهو موقف قديم لي لم أفلح في تعميمه. كنت أنصح أصدقائي المثقفين بعدم الانضمام إلى أحزاب. بعضهم استجاب لنصيحتي وبعضهم أقحم نفسه في العمل التنظيمي وواجهته متاعب.

نصيحتي هذه للمثقفين بعدم دخول الأحزاب ليست مطلقة. فالاطلاق بهذا المعنى غير صحيح. ذلك أن للمثقفين دوراً لا بد من أن يقوموا به في الحركة الديمقراطية من أجل التغيير. مصدر نصيحتي هذه يعود إلى أن الأحزاب بما فيها أحزابنا لم تتعامل بشكل صحيح مع المثقفين ومع الدور المطلوب منهم أن يلعبوه في الأحزاب وفي الحركات المناضلة من أجل التغيير. وأكثر النماذج لهذا النوع من التعامل الخاطئ مع المثقفين هو ما برز في الاتحاد السوفياتي وفي الدول الاشتراكية. وفي تقديري فإن الدور الأساسي للمثقفين إنما يأخذ مكانه الصحيح عندما تتوافر الشروط لقيام حركة ديمقراطية حقيقية من أجل التغيير باسم اليسار وبأسماء أخرى.

كانت علاقتي مع المثقفين علاقة صداقة وحرصت على ألا أعطيها صفة مسؤولية حزبية. فلم أكن مكلفاً رسمياً بالعمل مع المثقفين. كان رفيقي وصديقي غسان الرفاعي من موقعه في قيادة الحزب هو المكلف الرسمي بهذه المهمة في العلاقة الحزبية مع المثقفين. لكنني كنت أقحم نفسي في مناسبات معينة بمهمات ثقافية، مستنداً بذلك إلى صداقاتي الواسعة في أوساطهم.

كنت عضواً في اتحاد الكتّاب اللبنانيين حتى أواخر الثمانينات. لكنني لم أكن مسؤولاً

باسم الحزب عن العمل في الاتحاد. ومع ذلك فقد مارست دوراً معيناً بصفتي عضواً في الاتحاد. وطبيعي أن يكون لموقعي في قيادة الحزب دور، بإرادتي وبغير إرادتي، في علاقتي مع الاتحاد. هكذا هي الأمور. لكن خطأ كبيراً كان قد وقع في السبعينات تمثل بتدخل الحركة الوطنية، ومن ضمنها حزبنا الشيوعي، في رعايتها الرسمية للاتحاد. وهو خطأ ظل يتفاقم إلى أن انتهى بالاتحاد إلى ما انتهى إليه في أوائل التسعينات. فانصرفت عنه وفضّلت ألا أقحم نفسي في شؤونه وشجونه. شعرت بالخطأ وقررت ألا أعاود الوقوع فيه. وقد كان للاتحاد إسم كبير ودور كبير في لبنان وفي العالم العربي. لكنه فقد هذا الدور كما فقدته جميع اتحادات الكتّاب في البلدان العربية، لأسباب شخصية وحزبية ولتدخلات خارجية من شتى الأنواع والأسباب والمصالح. حرام هذا الذي يجري في عالم الثقافة في عالمنا العربي.

بالمناسبة أذكر أنني، خلال وجودي في المنظمات العالمية ثم من خلال مهماتي التي كلفت بها من موقعي في قيادة الحزب الشيوعي، أقمت علاقات بعدد من المثقفين الكبار بدءاً من خمسينات وستينات القرن، أذكر منهم شاعر كوبا القومي نيقولاس غايين والشاعر التشيلي بابلو نيرودا والروائي السوفياتي إيليا أهرنبورغ والشاعر التركي ناظم حكمت والشاعر الداغستاني السوفياتي حمزاتوف والشاعر الباكستاني فايز أحمد والروائي الأرجنتيني فاريلا، ثم في ما بعد الفلاسفة الماركسيين الفرنسيين مكسيم رودنسون ولوسيان سيف وجورج لابيكا، والموسيقي اليوناني ثيودوراكس والمفكر الماركسي الانجليزي إدريس كوكس وآخرين. وهي علاقات أعتز بها. فضلاً عن عدد لا يحصى من كبار المثقفين العرب من أجيال مختلفة تكوّنت علاقاتي معهم بفعل مهماتي التي كنت مكلفاً بها من موقعي في قيادة الحزب، ثم من خلال مشاركتي في ندوات ثقافية متعددة.

تذكرت اليوم في هذا السياق من التداعيات مهدي عامل. وفاضت ذكرياتي عن المثقفين ارتباطاً باسمه. كان مهدي عامل مكلفاً بالعلاقة مع بعض المثقفين المنتمين إلى الحزب. كانوا يشكلون خلية خاصة بهم. وكان مهدي يجتمع معهم ويطلعهم على الخط السياسي للحزب. كانوا يحبونه كإنسان وكمفكر، ولم يكونوا مقتنعين بدوره القيادي على صعيد العمل الحزبي مع المثقفين. وكانت الخلية في معظمها مشكّلة من الشعراء. أما أنا فكانت علاقتي معهم علاقة صداقة. لكن موقعي في قيادة الحزب كان يعطي لتلك العلاقة تلقائياً، ومن دون قرار مني أو ربما من خلال تصرف عفوي من قبلي باسم الموقع القيادي الذي كنت فيه، صفة المسؤولية الرسمية لتلك العلاقة. وكانت تتخذ تلك العلاقة شكل لقاءات في منزلي وفي منزل مهدي وفي منازل رفاق وأصدقاء آخرين. وكنت أحضر أحياناً، أسوة بآخرين من قادة الحزب، اجتماعات المنظمة الحزبية للأساتذة الجامعيين، واجتماعات هيئة

تحرير مجلة "الطريق". إلا أنني أذكر أن التحضير للاحتفال بالذكرى الخمسين لتأسيس الحزب الذي جرى في خريف عام 1974 كان في الجانب الفني منه يعود لدور خاص بي. وهكذا فقد كان منزلي ملتقى للأدباء والفنانين من أجل البحث في أفضل صيغة للجانب الثقافي والفني في الاحتفال. وتجلّت الذروة في تلك العلاقة التي كانت مصدر اعتزاز بالنسبة إليّ في مشاركة المثقفين اللبنانيين والعرب في كتابي "حوارات" الذي صدر في مطلع عام 1990، في صيغة نقاش حول ثلاثة مقالات كنت قد نشرتها في جريدة "الأهرام" حول الاشتراكية والقومية والثورة والدين والتراث. وبلغ عدد المشاركين في تلك النقاشات في الكتاب أربعين مثقفاً.

والشيء بالشيء يذكر. فإنني أذكر أنني كلفت في عام 1980 من قبل قيادة الحزب بتشكيل وفد من مثقفينا للذهاب إلى فرنسا تلبية لدعوة من الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد تشكل الوفد مني ومن مهدي عامل وسمير مراد وكمال حمدان. أقمنا في باريس أسبوعاً كاملاً حافلاً باللقاءات مع كبار مثقفي الحزب الشيوعي الفرنسي أثرنا فيها نقاشات ممتعة ومفيدة حول العديد من القضايا، ساهمنا فيها نحن أعضاء الوفد كل منا بحسب اختصاصاته.

## مات الشاعر عبد الوهاب البياتي
## فحزنت وفاضت ذكرياتي العراقية

**الثلاثاء 3 آب – أغسطس**

مات الشاعر عبد الوهاب البياتي، فحزنت. إنه شاعر كبير من شعراء الحداثة. ما أكثر ما يثير حضور وغياب وتاريخ هذا الشاعر من ذكريات وأحداث وأسماء في عالمَيّ الشعر والأدب وفي السياسة وفي المعارك الأدبية وفي المنافي.

يذكرني البياتي بتاريخ طويل من علاقة الصداقة معه. وكان قد أرسل لي قبل أيام بعض دواوينه وسيرته الشعرية وكتاباً مكرساً لدوره الريادي في الشعر العربي الحديث. ويذكرني البياتي بمجلات ذلك الزمان "الثقافة الوطنية" و"الأديب" و"الآداب"، وبمجلة "الثقافة الجديدة" التي كانت تصدر في بغداد. ويذكّرني بالشعر الحديث وبشعرائه في مصر وسوريا ولبنان. ويذكرني بذلك الصراع الجميل بين الجديد والقديم في الشعر والأدب والفن.

للعراق في تكوين شخصيتي دور تأسيسي لا يمكن أن أنساه. بل إنني أشعر أن علاقتي التاريخية بأحداثه وبمثقفيه وبعدد من قياداته السياسية من شيوعيين وبعثيين قدامى وديمقراطيين ومن وجوه كردية بارزة، أشعر أن هذه العلاقة تشدني إليه وإلى تاريخه وإلى مستقبله، وتجعلني شريكاً للشعب العراقي في أفراحه القليلة، وفي أحزانه الكثيرة. تحضرني

في هذه اللحظات، وأنا أدوّن يومياتي، أسماء خمس شخصيات سياسية كانوا يزورون لبنان في فترات مختلفة، وكنت ألتقي بهم وأتداول شؤوننا العامة. كان ذلك على امتداد الستينات والسبعينات. إنهم محمد حديد، نائب رئيس الحزب الوطني الديمقراطي، والمؤرخ عبد الفتاح إبراهيم صاحب كتاب "على طريق الهند"، والباحث الاقتصادي عبد اللطيف الشواف والشخصيات التاريخية عزيز شريف رئيس حركة السلم العراقية وعزيز محمد الأمين العام للحزب الشيوعي وعامر عبد الله القائد الشيوعي الذي استقرّ لفترة من الزمن بين دمشق وبيروت ثم في لندن حتى آخر حياته. ولا أنسى، وكيف لي أن أنسى، ذلك اللقاء التاريخي الذي جمعني في عام 1954 مع رئيس الحزب الوطني الديمقراطي كامل الجادرجي ومع فائق السامرائي أحد قادة حزب الاستقلال. أما الأدباء والفنانون من أصدقاء تلك الفترة وامتداداتها فهم الشاعر كاظم السماوي، والأديب فيصل السامر صاحب كتاب "ثورة الزنج"، والروائي الرائع غائب طعمه فرمان، والمفكر التراثي هادي العلوي، والأديب الموسوعي علي الشوك، والمسرحي السينمائي اللامع يوسف العاني، والروائي والشاعر الفنان محمد سعيد الصكار، والفنان التشكيلي محمود صبري، والأستاذ الجامعي صفاء الحافظ المتعدد المهمات، والشاعر سعدي يوسف. أما الجواهري فله معي قصة خاصة استمرت من الأربعينات حتى أواسط التسعينات.

## مرة ثانية عن الوصاية السورية
## وعن المستقبل الغامض الذي ينتظرنا!

**الأربعاء 4 آب - أغسطس**

علاقتنا نحن الشيوعيين بالنظام السوري شديدة الالتباس. بيننا وبينهم خلاف جوهري حول أمور عديدة، لا سيما حول موقفهم من لبنان باسم الوصاية على هذا البلد. لكننا، نحن وهم، نحافظ على شعرة معاوية. نحن نتنازل أكثر منهم. هم سلطة ونحن حزب مستهدف منهم ومن سواهم من الخصوم السياسيين. مشكلتنا هي أنهم يعرفون وضعنا وحراجة موقفنا ويستغلون ذلك. ونحن ننتظر اللحظة التي سنكون فيها أكثر جرأة على رفع صوتنا بالاعتراض على سياساتهم. وفي الواقع فإن الوصاية السورية قد تفاقم دورها في تفتيت لبنان وفي تدمير مؤسساته وفي تدمير الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيه. والقوى السياسية المتحالفة معها، بما في ذلك حلفاؤنا، ونحن من ضمنهم بحدود معينة، يعطون لهذه الوصاية قوة الاستمرار في عملها التدميري. إلى متى سيظل الوضع في لبنان على هذا النحو؟

لا تـزال تنقصنـا الجرأة جميعنا فـي قول الحقيقة. والاسـتمرار في هـذا الموقف يُحوِّل لبنان بالتدريج إلى ما شاع منذ عقود، قبل الاستقلال وبعده، إلى كيان مصطنع! وبين القوى السياسـية اللبنانية التي ترتبط عضوياً بالوصاية السـورية من يؤكد، بصيغ شتى وفي مناسبات مختلفـة، تلـك المقولـة الخرقاء حول الكيـان اللبناني المصطنـع. اللعنة علينـا جميعاً نحن اللبنانييـن الذيـن جعلنا الخلاف بيننا يقود إلى الحرب الأهلية التي دمرنا فيها بلدنا وأثبتنا أننا غير مؤهلين لقيادته، وسهلنا على الوصاية السورية، بقرار عربي ودولي، أن تكون البديل منا في قيادة بلدنا. لكننا مضطرون، يا للمفارقة، بسبب الاحتلال الاسـرائيلي، والمقاومة التي ينفـرد بهـا حـزب الله منذ مطلع هـذا العقد الأخير من القرن بقرار وبدور مباشـر من سـوريا وإيـران، مضطـرون للانتظار. هل سـيكون بالامكان دحـر الاحتلال وتحريـر لبنان من هذا السـرطان؟ وإذا انتصـرت المقاومة وانسـحبت القوات الاسـرائيلية هل سـتتوافر الشـروط لوضـع حـد للوصاية السـورية، بقرار جريء منا ومـن حلفائنا القدامـى والمحتملين، وربما بقـرار مـن القـوى العربية والدولية التي أعطت لسـوريا دورهـا هذا في لبنان؟ هل سـتتوافر الشروط للقول للوصاية السورية: شكرًا، اتركونا وشأننا؟ هل سنكون مؤهلين لاستلام قيادة البلد متّحدين، أو أن الخلاف الكامن بين المكونات السياسية سيظهر على الفور وسنعود إلى الحرب الأهلية أو ما يشبهها من جديد، ويعود لسوريا دورها القديم في الوصاية علينا؟ وماذا سيطلب حزب الله ثمناً لدوره في تحرير الأرض بمقاومته وتضحياته وبطولات مقاومته، إذا ما تحقق ذلك الانتصار؟ هل سيسعى لتعظيم دوره كتنظيم طائفي شيعي على حساب الدولة أو سـتكون لديه الشـجاعة والوطنية ونكران الـذات من موقعه المتقدم بفعـل المقاومة على إهـداء إنجازاته إلـى الوطن اللبناني وإلى الشـعب اللبناني وإلى الدولـة اللبنانية التي نريدها أن تكـون مؤتمنـة بحكم وظيفتها على اسـتقلال لبنان وسـيادته وحريتـه، وأن يكون بموقفه المفترض ذاك قد فعل ما فعلته جميع حركات المقاومة في أوروبا أو في الهند الصينية عندما أهدت إنجازاتها في المقاومة إلى دول بلدانها؟

تلـك هي تداعيات أفكاري في هذا الصباح، بانتظار الغد الغامض الآتي إلينا من الشـرق أو الغرب أو من جهات أخرى.

## مات الطبيب الأديب علي سعد
## الذي عرّفنا بالشاعرين حكمت ولوركا

**الجمعة 6 آب - أغسطس**

المـوت يلاحقنـا. جيـل بكامله ينقـرض بالتدريـج. مات علي سـعد الطبيـب البيطري والأديـب اللامع. برز، بعد أن أصبـح طبيباً بيطرياً، في أواخر الأربعينات كأديب مميّز. كان

من أول الذين عرّفوا العرب بالشاعر التركي ناظم حكمت وبالشاعر الاسباني الشهيد غارسيا لوركا. أديب اشتراكي عميق الرؤيا. حطمته الحياة حتى أصبح قبل وفاته هيكل إنسان. آه كم أنا آسف لأن حديثنا عن تكريمه في حياته لم يكتمل. لا ثقافة جديدة تستحق الذكر في بلدنا في هذه الأيام. أرجو ألا أكون متعسفاً في كلامي. لا وزراء ثقافة ولا أحزاباً تنادي بالتغيير، ولا مؤسسات ثقافية بمستوى الحاجة إليها، ولا مثقفين يقومون بأدوار تعود لهم. إنني أقترب من اليأس رغم أن إرادتي لا تزال أقوى من حواسي ومن مشاعري.

التقيت في مأتم علي سعد بكثيرين ممن يكثرون من الشكوى. أنا أشكو كذلك. أشكو وأقاوم. هل بإمكان هذه المقاومة أن تعيد الاعتبار لما افتقدناه من قيم وأفكار ومشاريع وأخلاق وأحلام وآمال؟ ربما. لكن لا بد من المقاومة.

الأحد 8 آب - أغسطس

مرة أخرى منحتنا شركة الكهرباء فرحة الاستماع للموسيقى والاستمتاع بالجميل والبديع فيها، ومشاهدة شاشات التلفزة، والتمتع بالتبريد طيلة النهار والليل. فهي مشكورة كهرباؤنا لكرمها النادر المثال في هذه الأيام. لذلك حاولنا نجوى وأنا ألا نضيّع هذه الفرصة الثمينة، بما في ذلك في الاستمتاع بالاسترخاء والتأمل والصمت. ليوم الأحد هذا قدسية تتصل بالراحة.

تذكرني خصوصية يوم الأحد بما قاله ذات يوم أحد المفكرين الشيوعيين الفرنسيين فرنسيس جوردان لرفاقه الشيوعيين مازحاً: "المهم ألا تأتي الثورة يوم الأحد. إذ لن يكون عندي متسع من الوقت للاهتمام بها والمشاركة فيها!".

ما أجمل أن نعوِّد أنفسنا على احترام حقوقنا في الراحة. إن فقدان هذه الحقوق لا يعود فقط للانشغال بأمر ما أو بمهمة ما، بل هو يعود في الأساس إلى التخلف الحضاري، أو إلى ما يشبه ذلك. هل أنا مصيب في ما أقول، أنا الذي لم أعرف الاستمتاع بالراحة عندما كنت أدعى لقضاء عطلة شهر كامل في أحد البلدان الاشتراكية، وكنت أختصر الشهر بأسبوع واحد؟! أنا، بهذا المعنى، وفي هذه القضية بالتحديد، قضية عدم الاهتمام بالراحة الطويلة عندما تتوافر شروطها، أتهم نفسي بأنني غير حضاري!

مع ذلك فكل الأحزان تقام يوم الأحد. وكل ما يكدِّر النفس يقام يوم الأحد. لا احترام مطلقاً لحقوق الناس في الراحة يوم الأحد. إنني أصر على احترام راحتي يوم الأحد ومتعتي الخاصة في يوم الراحة هذا التي أمارسها على طريقتي. إنه يوم في الأسبوع، يوم واحد لا أكثر.

## صراع عبثي حول تاريخ لبنان
## يولّد صراعاً عبثياً عن مكونات الشخصية اللبنانية!

**الاثنين 9 آب - أغسطس**

قرأت في هذه الأيام بعض كتب التاريخ الخاصة بلبنان، قديمًا وحديثًا. وتساءلت هل هكذا يكتب تاريخ لبنان؟ وتساءلت في الآن ذاته لماذا هذا الصراع حول تاريخ بلدنا كما لو أن كلاً من مكوناته يريد جعل هذا التاريخ مرتبطاً به وبتاريخه من دون سواه من المكونات الأخرى. وفي الواقع إن تاريخ بلدنا هو مثل تاريخ الشعوب جميعها، تاريخ تختلط فيه الجوانب الايجابية بالجوانب السلبية. لا يوجد تاريخ نقي وصافٍ من الشوائب في أي بلد من البلدان وفي أية حقبة من الحقبات التاريخية. فليكفّ اللبنانيون عن الصراع في ما بينهم حول تاريخهم، وليتعاملوا معه كما هو، وليأخذوا من الجوانب الايجابية فيه الأساس لبناء حاضرهم ومستقبلهم، وليعملوا معاً لاستخلاص العناصر الأساسية التي تشكل شخصيتهم اللبنانية القائمة على تعدد مكوناتها الثقافية والدينية والاثنية وسوى ذلك من العناصر التي تتكوّن منها عادة شخصية كل شعب من الشعوب.

**الثلاثاء 10 آب - أغسطس**

كل شيء اليوم في خدمة الكسوف. الكسوف محور الأحاديث والتدابير والتكهنات التي وصلت إلى طرح أسئلة حول مصير العالم! ما أعظم الانسان وما أضعفه.

لم تساورني الشكوك حول مستقبل العالم وحول مستقبل كوكبنا الأرضي. لكنني كنت منشغلاً بخوفي من الخطر الذي قد يأتيني من قرص الشمس، الخطر على النظر، نظري ونظر أي فرد من أفراد عائلتي. في المساء أمضينا سهرة مع بعض الأقارب والأصدقاء في أحد المطاعم في برمانا. كنت أنا الداعي. وكانت السهرة ممتعة. ملاحظتي على بعض أصحاب المطاعم والفنادق أنهم لا يعرفون كيف يجذبون إلى لبنان سياح العالم، بما في ذلك السياح اللبنانيين. إذ هم يتصرفون مع الزبون كما لو أنه يقوم بآخر زيارة لمطاعمهم!

**الأربعاء 11 آب - أغسطس**

همّي وهمّ نجوى كان منصباً على حدثين: كسوف الشمس وحفلة كركلا في بعلبك التي تشارك فيها ابنتنا هانية.

في النهار قضينا الوقت في المنزل وعند الجيران. وكنت الأكثر انصياعاً للإعلام المتصل بالكسوف. فكنت الأكثر تخلفاً. وأعترف بذلك. راقبنا الكسوف حتى آخره بحذر مني

شديد. لماذا كنت حذراً إلى هذا الحد؟ ربما من شدة خوفي على نظري صرت أخاف على عيون جميع الذين أحبهم. لكنني أعترف بأنني فجعت عند انتهاء المشهد. ما أغبانا عندما ننصاع إلى إعلام العولمة. وموضوع الاعلام هذا يحتاج إلى بحث طويل وإلى تحليل وإلى استنتاج.

الحدث الثاني كان هانية وفرقتها وحفلتهم في بعلبك. الرقص كان أجمل ما في الحفلة. التجربة تستحق الاهتمام، كركلا المسرح وكركلا الفنان. ثمة ملاحظات لا بد أن أبديها لهانية ولإيفان ولعبد الحليم.

انتهت السهرة بلقاء مع صديقي الرئيس حسين الحسيني وصديقي طانيوس دعيبس. وكان طبيعياً أن يكون محور الحديث أحوال لبنان في الزمن الحالي.

**الخميس 12 آب - أغسطس**

كان هذا اليوم يوم الإعداد لسفري إلى مدينة "كان" الفرنسية. وكانت لي فيه لقاءات مع الأصدقاء. وكان بينها لقاء خاص مع عبد الكريم الشعار حول مشاريعه، ولقاء بواسطته مع عبد الله الغرير، أحد أغنياء هذه الأمة صاحب مول الغرير في دبي. وجدت في الغرير رجلا مستنيراً حريصاً على مصالح الأمة، أكثر من كثيرين يعتبرون أنفسهم يساراً، وحتى أكثر ممن هم معروفون للقاصي والداني أنهم يساريون. وجدت لديه طموحاً للتغيير من دون عناوين وشعارات محددة. هذا أمر يستحق التوقف عنده ويستحق الاهتمام. دار الحوار بيني وبينه حول الشيوعية والاسلام، وضرورة العمل من أجل علاقة بين الفكرين وبين الممثلين الحقيقيين لهما في العمل لنهضة الأمة. واتفقنا على أن للحديث صلة في دبي في نهاية العام قبل دخولنا في الألفية الثالثة.

**السبت 14آب- أغسطس**

تبدّل موعد السفر، وكان عليَّ أن أمدد نهاري وليلي لكي يتصلا بنهار الغد. إذ كان عليَّ أن أسافر من بيروت في الساعة الثالثة والنصف من فجر السبت. وهكذا صار اليومان يوماً متصلاً. وقد نجحت في الوصل بين اليومين. وذهبت إلى المطار. لكن الطائرة تأخرت لأسباب لم أعرفها. وصلت إلى زوريخ في بادئ الأمر وانتقلت منها فوراً إلى الطائرة الثانية التي نقلتني إلى مدينة نيس، حيث كان ينتظرني ابن شقيقتي عدنان. أمضيت نهاراً كاملاً من دون لحظة انقطاع في التجول في مدينة "كان" وضواحيها. كانت "كان" مثل الحلم. أما الآن فأصبحت بعد وصولي إليها مثل كل شيء عادي. لكن أجمل ما في هذا اليوم هو لقائي مع ابني غسان الذي كنت أشتاق إلى لقائه. وكانت لنا سهرة مليئة بالأحاديث حول كل شيء.

**الأحد 15 آب - أغسطس**

هـذا اليـوم هو الأحـد. هو إذاً، ولو فـي مدينة "كان"، يـوم أحد. وعلـيَّ ألا أغيّر عاداتي وتقاليدي. وقد بقيت طيلة النهار بين القراءة والنوم والتأمل في شقتي.

حاولنا في المسـاء أن نشـق طريقنا إلى وسـط مدينة "كان". لكن المدينة كانت في مثل يوم الحشر. بقينا في السيارة ما يقرب من الثلاث ساعات غير قادرين على إيجاد مكان لركن السيارة، واختيار مكان ما على شـاطئ هذه المدينة الجميلة من دون حدود. إختلط الجمال بقبح السيارات وبنهم الناس للاستمتاع بجمال الطبيعة وفُرَص الراحة.

وضعت أمامي ثلاثة كتب للقراءة فيها وللتنقل بحسب المزاج من واحد منها إلى الآخر. روايـة وكتاب تاريخ وكتاب فكـري. هل يجوز مثل هذا الأمر، أن نقرأ في أكثر من كتاب في آن واحد؟ لكن للفرص في زمن الراحة منطقها.

**الاثنين 16 آب - أغسطس**

هـذا اليوم كان مختلفاً. ذهبنا في النهار إلى سـان ريمو في إيطاليا عبر سـاحل غريب في مجاله الطبيعي مع فارق بين جزأيه الفرنسي والايطالي. يبدو أن يد الانسان في فرنسا لعبت دوراً متميزاً في تحسـين شـروط هذا الجمال الطبيعي. في حين أنها لم تفعل الشـيء ذاته في إيطاليا. وبدا القسم الايطالي أقرب إلى عفوية جمال الشرق.

في المساء تناولنا العشاء إلى مائدة صديقي فؤاد الكردي. وكان أبطال السهرة إلى جانب صاحـب الدعوة عدنـان مروة، عدنان البابا وسـيدات ثلاث هن زوجـات الأصدقاء الثلاثة. والشخص الأخير هو أنا، صديق الجميع.

الأحاديـث في مثل هـذه اللقاءات تتنوع. حصتي منها مجتـزأة. فما له صلة بالأعمال لا علاقة لي به. أستمع فقط ولا أعلّق. أما الباقي من الأحاديث فكنت شريكاً فيها الإمتياز.

## في الطريق بين "كان" و"سان تروبيه" مع ابني غسان وثلاثة شبان من جيله

**الثلاثاء 17 آب - أغسطس**

ذهبـت اليـوم مـع ابني غسـان وثلاثة شـبان لبنانيين مـن رفاقه فـي الدراسـة والعمل في الاتجاه الثاني من السـاحل اللازوردي. كان هدفنا سـان تروبيه. مشـهد آخر وشـاهد جديد علـى جمال الطبيعة وجمال آخر من صنع الانسـان. فـي الطريق إلى هناك، وخلال ما يقرب مـن ثلاث سـاعات، كان وقتنا مملـوءاً بالتمتع بما نرى، والتغزل بلبنـان، والنقاش مع هؤلاء الفتيـة الجميلين حول واقع لبنان وحول أزماته وأسـبابها، وحول مسـتقبله ومسـتقبلهم فيه.

زملاء ابني ثقافتهم السياسية تقف عند ما تعلّموه من الوسط الذي عاشوا فيه. إنها الرغبة في الاستقلال، والميل العفوي نحو فرنسا في الثقافة والديمقراطية والنقد الجارح للثورات التي أورثتنا الهزائم، والحذر من اليسار الذي فشل في الدفاع عن مشروعه، وميل نحو العلمانية التي تقود إلى إلغاء الطائفية كأساس في النظام اللبناني. بذلت أقصى جهدي لمناقشة أفكار الشباب وفتحنا معاً الباب مشرعاً نحو المستقبل. أفرحني ذلك العقل المنفتح عند هؤلاء الشباب، ومن ضمنهم ابني، المنفتح بحذر مرفق بالخوف من المجهول في ضوء ما تشير إليه الوقائع الراهنة في لبنان وفي المنطقة. وهم على حق في انفتاحهم على المستقبل وفي خوفهم منه. لكن الثقافة العامة عند هؤلاء الشباب متواضعة والموروث من التقاليد ومن المواقف السياسية لا يزال يمارس تأثيره عليهم. وهذا أمر طبيعي. غير أن جيل الشباب هو، في أي حال، جيل المستقبل الآتي.

**الأربعاء 18 آب - أغسطس**

إمارة موناكو، مدينة مونت كارلو، قصة عجيبة في التاريخ الحديث لأوروبا. كانت هذه المدينة آخر مكان زرته في الشاطئ اللازوردي الفرنسي - الايطالي. هنا بالذات يرى المرء بأم العين مظاهر الفحش لدى الرأسمالية بكل شرائحها القديمة والطارئة. جميلة مونت كارلو ولا شك في موقعها وفي طريقة عمرانها وفي شطآنها وفي جبالها وفي كل شيء. لكن هذا الجمال يخفي تحته نوعاً من القبح يتمثل في الرأسمالية الطفيلية المعاصرة. أحد مافيوزيي روسيا ما بعد الشيوعية اشترى شقة مقابل المرفأ الجميل والجبل الذي يقع وراءه ليحمي ما فيها من مال في العمق وعلى السطح، بمبلغ 40 مليون دولار أو ما شابه! من أين أتى بهذه الأموال، ومن هو هذا وأمثاله الكثر في روسيا؟ ويلكم أيها الشيوعيون الروس، ماذا فعلتم ببلادكم، وماذا فعلتم بنا وبالعالم؟

في المساء زرنا شارعاً جميلاً من شوارع "كان" القديمة. وكان لنا فيه مقعدان على الطريق في أحد المطاعم، أنا وابني غسان.

## رئيس جمهورية سابق وروائي
## هذا ما قدّمته للعالم البرازيل الحديثة

**الخميس 19 آب - أغسطس**

تابعت القراءة في الكتب الثلاثة. هل يجوز ذلك؟ هل هو مفيد؟ هل هو ممكن؟ جوابي أنه ممتع ومفيد وممكن، ربما في الاجازة. لكن لم لا حتى في الأيام العادية؟

أود في البدء أن أنوّه برواية "سيد البحار". إنها رواية مهمة كاتبها هو جوزيه سارنييه. وهو روائي من الطراز الرفيع. رئيس سابق للجمهورية في البرازيل وأديب من الدرجة

الرفيعة. هل هذا ممكن؟ هل يستوي الأدب مع السياسة؟ من قال لا! كنت أشك في أهمية هذه الرواية وأهمية ما قاله عنها وعن كاتبها الروائي البرازيلي جورج أمادو في المقدمة التي وضعها للرواية. لكنني سرعان ما اعتذرت منهما، كاتب الرواية سارنييه وكاتب المقدمة أمادو، ورفعت قبعتي التي لم اعتمرها قط بالتحية وبالإعجاب. وكنت قد حضرت حفل التوقيع على الرواية في بيروت وحصلت على الكتاب موقعاً من مؤلفه.

منذ الفصل الأول في الرواية وصف الكاتب بكلام قليل ملامح شخصية البطل. شعرت كأنني صرت أراه أمامي بالعين المجردة رجلاً من لحم ودم ومشاعر وأمزجة. هكذا يفرض الكاتب الناجح على القارئ من أي نوع ومن أي مستوى سلطته عليه ويفرض حبه وإعجابه ويدخله من دون جهد في قلب الرواية وفي قلب أحداثها.

كان النهار نهار توديع للشاطئ اللازوردي وزرقة السماء قبل العودة إلى بيروت، بيروتنا الخالدة.

## ما اغتنى غني إلا بفقر فقير
## حكمة عظيمة للإمام علي بن أبي طالب

**الجمعة 20 آب - أغسطس**

أخبرت جميع معارفي بعد عودتي من "كان" أنني ذهبت إلى تلك المدينة، وأقمت فيها أسبوعاً كاملاً، وزرت في هذا الأسبوع كل الشاطئ اللازوردي، غصباً عمّن لا يريد لي مثل هذه المتعة، ورغم أنف الذي يستهجن، وكرمى للذين ينشرحون للخبر، وهم الأصدقاء المحبون. لماذا لا تكون مدن الشاطئ الفرنسي الجميل مرتعاً لفقراء العالم من أمثالنا، أو هي مخلوقة فقط لكي تكون لأصحاب الأموال المسروق قسم أساسي منها من فقرائنا وفقراء العالم؟

ما اغتنى غنيّ إلا بفقرِ فقير. صدق القائل، وهو الامام علي بن أبي طالب.

عدت إلى بيروت آمناً، بيروت التي هي رمز هويتنا، من الجنوب كنا أو من الشمال، أو من بقاعنا الممتد على طول الوديان اللبنانية، مروراً بالجبل الذي يمتد هو الآخر على طول لبنان من شماله إلى جنوبه. بيروت عاصمتنا وأمّنا حيثما نذهب في جهات الأرض كلها. هكذا أفهم أنني لبناني، أياً كان حجم طموحي لتحقيق وحدة عربية ديمقراطية، وأيا كان طموحي لإعادة صياغة أممية إنسانية من نوع جديد. عدت من "كان" إلى بيروت. لم أر قط في حياتي بديلاً لبيروت بعد أن جلت في أرجاء العالم من أقصاه إلى أقصاه.

يدعوني هذا الشعور العارم بوطنيتي اللبنانية إلى التفكير بالمأساة التي نعيشها نحن اللبنانيين في انقساماتنا المفجعة. لماذا هذه الانقسامات والصراعات أيها اللبنانيون.

بلدنا وشعبنا يتميّزان بسمات شخصية غنية بمكوناتها المتعددة، ليس دينياً وحسب، بل ثقافياً، وبأمور أخرى. فمتى ندرك نحن اللبنانيين أهمية هذه الشخصية ونتوحد باسمها، وباسم التنوع والتعدّد اللذين يشكلان سمتها الأساسية، ونؤسس لوطن لنا جميعنا، ولدولة ديمقراطية حديثة، ونكف عن الاستقواء بالآخرين في الصراع بعضنا ضد بعض؟ قضية تستحق مني الاهتمام والمتابعة في المقبل من الأيام في حضن الألفية الثالثة.

السبت 21 آب - أغسطس

قرأت نصّ الحديث الذي نشرته لي إحدى الصحف في 15 آب. فحزنت لما آلت إليه الصحافة والعمل الصحافي. تصرف عشوائي بنص حرصت على أن يكون دقيقاً. اجتزاء للمعلومات وتشويه للنص وحذف لكل موقف دقيق فيه، وصوغ بلغة ركيكة بديلاً من الصوغ التي كنت قد قدّمته للصحافي وكنت فيه حريصاً على لغتي وأسلوبي. أنا المسؤول. يجب أن أتعلم لمن أعطي الأحاديث بعد اليوم.

حضرت حفل تكريم لصديق ورفيق قديم هو أحمد غربية، تكلم فيه عن المكرم صديقنا ورفيقنا المشترك محمد دكروب، فوفاه حقه عن معرفة دقيقة بحياته.

جرى بيني وبين بعض الشيوعيين الشباب حوار حول الحزب. لا يعرف هؤلاء الشباب ماذا يريدون. أخطر ما في الأمر أن المعايير في الحكم على الأشياء أصبحت مشوشة، الأمر الذي قاد هؤلاء الشباب إلى الغرق في التفاصيل بدلاً من الاهتمام بالأساسي من الأمور. أليس هذا الواقع الذي يسود في ثقافة الشباب وفي المعايير المشوشة عندهم هو ما تنظّر له العولمة الرأسمالية؟ لا بد من أجوبة، بعض الأجوبة على الأقل، التي تقي هؤلاء الشباب من الضياع والانهيار، حتى وهم يؤكدون تمسكهم بشيوعيتهم القديمة وبأحلامهم فيها!

حضرت هذا المساء مسرحية "زواريب" لرفيق علي أحمد. طريقته في المسرح جميلة لكنها بحاجة إلى إبداع أكثر. وهو أهل لذلك. مسرحية "الجرس" كانت بداية رائعة. في حين أن "زواريب" هي أقرب إلى ما يشبه التكرار. أتذكر اليوم يعقوب الشدراوي في مسرحية "مذكرات مجنون" لدستويفسكي. البطل في مسرحية "مذكرات مجنون" هو المسرحية كلها. كان يعقوب رائعاً في دور مجنون دستويفسكي. أتذكر يعقوب بشوق وحب وتقدير. وأتذكر معه الكاتب المسرحي الرائد جلال خوري والمسرحي الجميل ريمون جبارة. وثمة رواد آخرون في المسرح. جيل رائع من حق لبنان دولة وشعباً أن يعتزّ بهم، ومن حقهم على بلدهم أن يكرّمهم.

لكنني أتذكر على وجه التحديد أن يعقوب الشدراوي قد جاءني في أواخر الثمانينات طالباً مساعدته بإقناع رئيس الجامعة جورج طعمه ونائبه ميشال عاصي بإدخاله في ملاك الأساتذة المتفرغين. تحدثت مع صديقيّ جورج وميشال حول الموضوع فاعتذرا مبرّرين

اعتذارهما بأن الشدراوي لم يستكمل في دراسته في الجامعة السوفياتية الأعوام الضرورية التي تعطيه الصفة الأكاديمية الضرورية لكي يدخل في الملاك. وهكذا اضطر يعقوب للعودة إلى الاتحاد السوفياتي للدراسة سنة كاملة، عاد بعدها إلى لبنان ودخل في الملاك. أشير إلى هذه الطرفة لأعبر عن تقديري للشدراوي الذي عاد إلى مقاعد الدراسة، بعد أن كان في ذلك التاريخ قد أصبح شخصية مسرحية مرموقة!

الأحد 22 آب - أغسطس

حضرت احتفالاً في كفررمان في ذكرى محمود أبو زيد. محمود هو واحد من الرموز الشيوعية في هذه البلدة التي أعطاها الشيوعيون طابعاً خاصاً مميزاً. التقيت بالعديد من رفاقي القدماء. لم أعد أذكر أسماء الكثيرين منهم. لكن لمحمود أثراً طيباً عندي وعند الرفاق الشيوعيين. وأولاده يحملون الكثير من أخلاقه.

أعجبت كثيراً بكلام السيد محمد حسن الأمين وهو يرثي محمود أبو زيد. أعجبت بمنطقه، بعقله الواسع، بتسامحه، بتفاؤله، بنظرته الثورية الواقعية الداعية إلى المستقبل، وبنقده اللاذع للماضي ولبعض رموزه، ولحكايا قادمة من كل الاتجاهات المتصلة بمن كانوا أصحاب القرار في بلدنا وفشلوا وأخطأوا، وقادونا إلى ما نحن فيه من مأساة تطال جميع جوانب حياتنا.

## بين "أبو أحمد" و"أبو غسان"
## صلة وصل جميلة بين القديم والجديد

الاثنين 23 آب - أغسطس

بادرتني ماري الياس بحضور ماهر الشريف، وهما أديبان ومفكران من أعز أصدقائي، بادرتني بالسؤال الدائم: أين أصبحت يا كريم؟ أين هي مشاريعك؟ بماذا تفكر؟ هل انتهت تأملاتك المتواصلة إلى شيء ما؟ جوابي كان بسيطاً. ما زلت أحلم. ما زلت أتأمل. ومشاريعي باقية. لكنني صرت الآن على الأرض، وصرت حراً. التصقت بالأرض. صرت أكثر واقعية. بالأمس كانت نظرتي إلى الأشياء محكومة بموقعي. كنت فوق الأرض. الآن صرت على الأرض. فرحت ماري. وفرح ماهر، وضحكنا وصدرت منهما صرخة فرح: لقد صار صاحبنا واقعياً. ضعفت تنظيراته السابقة الحالمة لصالح الواقعية. تذكرنا معاً سعد الله ونوس الذي كان يفرح لأحاديثي المتواصلة عن المستقبل، كأني في العشرين من عمري. ما أجملك يا سعد الله، وما أروع تلك اللقاءات في منزلك. لقاءات كنت فيها متألقاً ومتفائلاً برغم صعوبات المرض وصعوبات الحياة السياسية. لن ننسى يا سعد الله حكمتك الرائعة في يوم المسرح العالمي الذي ألقيت فيه كلمة أنهيتها بصرخة رائعة: نحن محكومون بالأمل.

قال لي صديقي سأناديك بعد اليوم بأبي غسان. لن أناديك بغير هذه الكنية. فمن كان عنده ابن مثل غسان لماذا يسمي نفسه أبا أحمد. وقد قررت أن أستعيض بغسان الحبيب عن أحمد الذي لا وجود له. لكنني عدت فتذكرت أن اسم "أبو أحمد" يرتبط بفترة تاريخية معينة من حياتي سابقة على زواجي، اخترته تأكيداً لعلاقتي بوالدي الشيخ أحمد. والاسم والفترة التاريخية عزيزان عليّ. فتركت لمن يناديني أن يختار من تلقاء ذاته الاسم الذي يريد. وأنا مرتاح لكلا الاسمين العزيز عليّ، إسم ابني واسم والدي.

انهزم الأصوليون في داغستان، أو لم ينهزموا! الحقيقة غير واضحة. أما في أنغولا فالمجاعة تزداد. والاضطرابات كذلك. وقصة هذه البلاد تزداد تعقيداً. رحم الله أغوستينو نيتو أول رئيس للجمهورية بعد الاستقلال، وصديقي ماريو دي أندرادي أول وزير خارجية في حكومة الاستقلال. كم كان الاثنان على حق في بعض مواقفهما وكم أخطآ في الآن ذاته، وأسسا بأخطائهما لما هي عليه أنغولا اليوم. وبالمناسبة فإن صداقتي مع ماريو دي أندرادي تعود إلى الستينات عندما كنت أمارس عملي في قيادة مجلس السلم العالمي في فيينا. كنت ألتقي معه ومع العديد من قادة الحركات الوطنية في أفريقيا، بالأخص في الدول التي كانت تستعمرها البرتغال. وكان من أصدقائي في ذلك التاريخ، إلى جانب أندرادي، أملكار كابرال أحد أبرز قادة تلك الحركات الثورية الذي اغتيل عشية حصول بلاده "غينيا بيساو" على استقلالها، ومارسلينو دي سنتوس الذي صار بعد استقلال الموزامبيق رئيساً للبرلمان ونائباً لرئيس الحكومة، ثم تقاعد وتابع مسيرته كشاعر.

**الثلاثاء 24 آب - أغسطس**

ذهبت مع نجوى إلى إهدن. كنت أنتظر أن أراها بالمقارنة مع الشاطئ اللازوردي الفرنسي أكثر جمالاً، رغم أنها تقع على قمة من قمم الجبال اللبنانية وأن الشاطئ اللازوردي يقع على ضفاف البحر الأبيض المتوسط. تحققت من ذلك في الطريق إلى إهدن، ثم في إهدن ذاتها.

لكن المشكلة في جمال لبنان أن بعض الذين أحبوه أحبوا فيه مصالحهم وساهموا في تشويه جماله الطبيعي. وعندما لا يعود هؤلاء في موقع القرار يصبح لبنان أجمل بقاع الأرض! هل ينجح المناضلون من أجل التغيير في تحرير لبنان من أمثال هؤلاء العابثين بجمال أرضه وبطيبة شعبه؟

تذكرت سعيد عقل وأنا أتنقل في الخيال بين الشاطئ الفرنسي والجبل اللبناني. في شعر سعيد عقل الذي تغنى فيه بلبنان مبالغات. لكنني لم أحب شعر سعيد عقل مثلما أحببته في هذه الأيام!

## ذكرني حسن عواضة في إهدن
## بجيل رائع من مثقّفينا الأوائل

**الأربعاء 25 آب - أغسطس**

زرنا اليوم غابة الأرز. وغابة الأرز أزورها للمرة المائة منذ الشباب الأول. كم يذكرنا الأرز بقدمه بتاريخ هذه المنطقة بالذات، وكم يذكرنا بلبناننا الخالد. الأرز ليس أكثر من رمز. لكن الرمز يختلف باختلاف حامله. لا تتعلق المسألة هنا بتأبيد لبنان والاعتزاز بأزليته. هذا كلام رومانسي. المهم هو أي لبنان نريد، وأي موقع نريده له في الحاضر، وفي المستقبل على وجه الخصوص!

التقيت في إهدن بالصديق حسن عواضه. إنه صديق قديم. يذكرني بالخمسينات والستينات. كان حسن واحداً من كبار الكوادر التي اختارها الرئيس فؤاد شهاب للعب دور مهم في بناء الدولة الحديثة. يذكرني حسن بشقيقه علي وبعدد من الأصدقاء القدامى القضاة سرحان سرحان ونصار الأسعد ووليد غمرة وميشال كرم. ويذكرني بأسرة تحرير مجلة "الثقافة الوطنية" التي كان يتحلّق هؤلاء القضاة المثقفون باسمها حول هموم المجلة برفقة حسين مروة ومحمد دكروب. ما أجمل تلك المجلة. لماذا أوقفنا إصدارها وهي في عز تطورها؟ ويذكرني حسن عواضة أيضاً بالشيخ محمد جواد مغنية وبالأب طانيوس منعم وبالشيخ عبد الله العلايلي وبالروائي محمد عيتاني وبالرسام رضوان الشهال وبالأديب علي سعد وبآخرين. يذكرني بجيل كبير رحل القسم الأكبر منه. حسن عواضة يبقى جسر العبور من ذلك الجيل إلى جيلي والجيل الذي يليه.

زرنا متحف جبران ومعرض يوسف الحويك الذي حكم عليه الأتراك بالاعدام وانتقل إلى دمشق مع الملك فيصل. كان صديقاً لجبران. لكن جبران هو جبرانان وربما أكثر. جبران الأسطورة وجبران الانسان. وهو جبران الذي تعلمنا منه نحن الشباب الثورة والتمرد. كانت كتابات جبران بالنسبة إليّ جسر عبور من تاريخ إلى تاريخ آخر، من موقع في حياتي إلى موقع آخر. جبران هو الذي نقلني إلى رحاب الحرية والثورة.

لزيارة إهدن هذه خصوصية أخرى عزيزة عليّ، أذكر من بينها لقاءاتي المتعددة مع رفيقي محرز معوض وزوجته ورفاق آخرين.

الفنانة التشكيلية ريم الجندي تعافت. ما أجمل هذه الشخصية الفنية الانسانية. وهي فصل من فصول آل الجندي، وامتداداتهم. إنها تذكرني بإنعام عمها، أستاذي، الذي كان يحمل فكراً مستقبلياً. هو الذي علمني في مطالع الأربعينات في سن المراهقة الحرية والاستقلالية والشجاعة في اقتحام دروب المستقبل.

**الخميس 26 آب - أغسطس**

كان يوماً عادياً. نصفه على الطريق من إهدن إلى بيروت، ومن بيروت إلى المكتب، ومن المكتب إلى المنزل. النصف الثاني منه كان في المساء حيث ذهبت برفقة حبيب صادق وصلاح خوري لزيارة صديقنا المشترك محمد غباش في عجلتون. يذكرني محمد كلما التقيته بشقيقه غانم القائد السياسي اليساري، والمثقف الذي جمع حوله في الثمانينات نخبة كبيرة من مثقفي الإمارات. وأصدر باسمهم ومعهم مجلة "الأزمنة" التي لعبت دوراً بارزاً غير مسبوق في الخليج. مات غانم وتفرّق العشاق، رغم أنهم ظلوا عشاقاً للحرية والتقدم.

تحدثنا بأمور شتى مع محمد غباش. وما أكثر ما يمكن أن تدور حوله الأحاديث في مثل هذه اللقاءات. لكن أطرف ما حصل في ذلك اللقاء أن محمد أصر عليَّ بضرورة استخدام الكومبيوتر بنفسي، وتجاوز الوهم الذي يتملّكني بعدم القدرة على القراءة. وأشار إلى تطور هائل في هذا الميدان يصل إلى حد أن الكومبيوتر يمكن أن يقرأ لك ويترجم لك ويصحح أخطاءك. وغداً ستستخدمه في الإملاء عليه. عجيب عالم الانترنت هذا!

**الجمعة 27 آب - أغسطس**

انشغلت في الصباح ببعض اتصالات داخلية وخارجية مع بعض أصدقائي. وفي المساء شاركت مع نجوى وشقيقتها سلوى وابن عمي رضا ومرافقي عارف في حفل موسيقي أحياه رامي وبشار خليفة. عزفا مقطوعات كلاسيكية على البيانو. ثم عزفا موسيقى الجاز على البيانو والطبلة معاً. ما أجمل وأرقى ما أبدعت يا مارسيل خليفة ويا يولا. كان أداء الشابين جميلاً.

عدنا قرابة منتصف الليل إلى كيفون لتناول العشاء عند فيصل جلول مع طانيوس دعيبس وزوجته مي. كان الجو جميلاً. والصداقة كانت مخيمة على السهرة. فيصل مثقف لبناني اختار منذ شبابه الأول أن يكون مقاتلاً مع الفلسطينيين وأن يتمايز بعد بضع سنوات عنهم، في شكل نقدي، وأن يتحول إلى مثقف يساري مستقل. خبير في شؤون المغرب العربي واليمن.

**السبت 28 آب - أغسطس**

كان اليوم كله انتظاراً. انتظار استقبال ابني غسان العائد من "كان"، بعد ثمانية أشهر من الغياب في تعلّم إدارة الفنادق. لغسان شخصيته التي تشبهه. كنا نجوى وأنا، وكان جمهور من أصدقائه في انتظاره في المطار.

كان صديقي المحامي منير مغنية وزوجته وابنه ينتظرون أحد أقربائهم. منير يجمع في شخصيته بين المفكر والقانوني.

أرقام التلفونات هي تعبير عن علاقاتي التي لا حدود لها، داخل لبنان وعلى إمتداد العالم. البعض يتصور أنني أحب الكلام على الهاتف. لكن المسألة هي مسألة علاقات.

بالنسبة إليَّ العلاقات هي سر الحياة وسر الوجود وشكل من أشكال التعبير عن الحضور وعن الذات وعن الشخصية وعن الحياة وعن تفاصيلها.

**الأحد 29 آب - أغسطس**

طوال فترة ما قبل الظهر كانت الاتصالات تتوالى من رفاق غسان ومن العائلة للسؤال عن غسان وللترحيب بعودته. كان بيتنا ورشة. لم يسمح لنا ذلك بالنوم تعويضاً عن سهر الليلة الفائتة. وكان ذلك مصدر سعادة في الأسرة. لغسان نكهة خاصة، كما لهانية نكهة خاصة. كلاهما يملآن البيت كل على طريقته. شكراً لهما أولاً. شكراً لنجوى التي لعبت دوراً أساسياً في تربيتهما حين كنت أنا مهموماً بالحزب في حاضره وفي مستقبله، غائباً في معظم الأيام عن المنزل وحتى عن البلد.

في المساء جلست طويلاً مع برهان علوية. تحدثنا في شؤون ثقافية وحول الوضع في لبنان، وعن مشاريعه ومشاريعي الثقافية والسياسية. اكتشفت برهان من جديد. أحببت فيه ثقافته وفكره المستقبلي وصدقه وانفعالاته الانسانية وفنه السينمائي وطموحاته فيه ومعاناته.

قبل الذهاب إلى النوم جلست مع هانية في وقت كان غسان مع جمهور من رفاقه يتسامرون ويروون الأحاديث بعضهم لبعض في فترة غيابهم. وكانت نجوى تتنقّل بين الجميع إلى أن استقر مقامها معي ومع هانية. هانية قلقة ومتوترة من الوضع اللبناني مثل جيلها. تبحث عن ذاتها وعن لبنانها الذي تحب، والذي لا تراه في حاضره يشبه أحلامها. لكن ما يتصل بهانية هو البحث عن وسائل عمل تكفيها لتأمين شروط طبيعية للحياة. دخلنا طويلاً في نقاشات وفتحنا كوة على المستقبل.

قرأت سيرة إدوار سعيد مترجمة في مجلة "المدى". قلق المثقّف الذي يواجه خطر الموت. إدوارد سعيد شخصية ثقافية فلسطينية مميزة. علاقتي به تعود إلى عام 1978 في أميركا. ولإدوار سعيد شركاء من المثقفين الفلسطينيين الذين ربطتني بهم علاقة صداقة بدأت منذ الخمسينات كان في مقدمتهم الشاعر حنا أبو حنا الذي كان يرأس مجلة "الجديد" الصادرة في الداخل الاسرائيلي باسم الحزب الشيوعي. كنت ألتقي أبو حنا في الخمسينات في مؤتمرات اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي. امتدت تلك العلاقات مع الزمن لتشمل كلاً من الروائي إميل حبيبي صاحب رواية "المتشائل" والمؤرخ إميل توما والشعراء عبد الكريم الكرمي ومعين بسيسو وتوفيق زياد وكمال ناصر ومحمود دوريش وعز الدين المناصرة والروائي غسان كنفاني والفنانين التشكيليين ناجي العلي وإسماعيل شموط والناقدين الأدبيين إحسان عباس وفيصل دراج. وإني لأشهد وأعترف بأن العلاقة التي ربطتني بهذه الكوكبة الرائعة من المثقفين الفلسطينيين وبإبداعاتهم في الفكر والأدب والشعر والفن هي التي كانت ولا تزال الرابطة الأرقى والأصدق والأعمق التي جعلت

القضية الفلسطينية رفيقة لي على امتداد حياتي، دائمة الحضور في قلب همومي واهتماماتي. وهي كانت الامتداد الجميل لبدايات علاقتي بالقضية الفلسطينية منذ شبابي الباكر، بالنظر لكون أهلي وأبناء بلدتي كانوا منذ ثلاثينات القرن، وكنت شاهداً على ذلك، يذهبون كثيراً إلى فلسطين للعمل، وبينهم شقيقي مرتضى، ولشراء حاجياتهم الضرورية من كل الأنواع في مدن حيفا ويافا وعكا وصفد. وإذ أشير إلى هذه العلاقة بفلسطين وبقضيتها في بداياتها، ثم مع هذه الكوكبة من المثقفين الفلسطينيين، وآخرين ممن قرأت لهم وتابعت سيرهم، فإنني لا ألغي من تاريخي تلك العلاقة التي لم تتوقف مع قادة الحركة الوطنية الفلسطينية برموزها الكبار، بدءاً بياسر عرفات منذ أواسط الخمسينات وصولاً إلى الآخرين ممن جاؤوا إلى لبنان بعد هزيمة حزيران وغادروه بعد الغزو الاسرائيلي في عام 1982 إلى مواقع شتات أخرى، ثم إلى الداخل الفلسطيني بعد توقيع اتفاق أوسلو. والقائمة كبيرة.

## لا بد من تغيير في مفهوم التغيير
## تلك هي حكمة هذا اليوم!

الاثنين 30 آب - أغسطس

المعارضة والموالاة، مفاهيم ملتبسة في وضع وظرف ملتبسين داخلياً وإقليمياً. لقد تحوّلت السياسة في لبنان إلى حديث صالونات عن لقاءات يعقدها فلان من المعارضة مع فلان من الموالين. وما أكثر ما يصلني من معلومات عن هذه اللقاءات من مصادر مختلفة. أتوقّع صحة بعضها وأشكّك في صحة البعض الآخر. لكنني أشعر بالمرارة حين لا أرى ظلاً أو أثراً لأدوار تمارسها قوى أخرى في الحياة السياسية، من قوى اليسار ومن القوى الديمقراطية على تعددها، وفي مقدمتها الحزب الشيوعي. ما هذا الذي نحن فيه؟ ما هذا المصير الذي وصلنا إليه؟ ما هذا المصير الذي وصلنا إليه؟ كيف يمكن لواحد مثلي ولكثيرين سواي في مثل موقعي وخلافه أن يفكروا مجرد التفكير بالتغيير في ظل غياب هذه القوى المعنية بالتغيير؟!

الاضرابات حق مشروع. وإضراب عمال البلدية مثل إضراب عمال المياه حق لهم مشروع. لا بد من تسجيل إيجابية للحكومة إزاءه، بخلاف سلبيات سابقة. القضية أخذت حقها من البحث. وجرى التوصل إلى صيغ للحل ولو موقتاً. لكن الاضرابات في ظل الفراغ السياسي يمكن أن توظّف بشكل سلبي لغير صالح أصحابها. هنا المشكلة.

لا بد من مركز وطني كبير تتجمع فيه، بأشكال مختلفة، القوى الديمقراطية لتصحيح مسار الحياة السياسية في البلاد. هل يستيقظ رفاقي الشيوعيون من أدنى إلى أعلى، وبالعكس، ليأخذوا مكانهم في الحياة السياسية؟ فالانتخابات على الأبواب. وهي لن

تكـون أفضل من سـابقاتها. ففي ظل قانـون غير ديمقراطي لن يكون بالامـكان تغيير الطبقة السياسـية إلا بالتزويـر. وقوى التغيير لا يمكن أن تلجأ إلى مثل هـذه الطريقة في التغيير. لا بـد مـن تغيير جوهري في قانون الانتخاب. النسـبية جزء منه، وسـن 18 جـزء آخر والبطاقة الانتخابية والمكننة جزء آخر وهلمجرًا.

يبدو لي، في ما يشبه اليقين، أننا أمام ضرورة إحداث تغيير في مفهوم التغيير وفي مشروعه وفي القوى المعنية بتحقيق هذا المشروع. تلك هي حكمة اليوم!

**الثلاثاء 31 آب - أغسطس**

اتصلـت اليـوم بالكثير مـن الأصدقاء، أصدقاء من كل الجهات ومـن كل المواقع. ومن عادتي أنني إذا تعذر عليَّ اللقاء بصديق أتفقده باتصال هاتفي. تقليد عندي يسـتغربه البعض ويعتبـره البعـض الآخـر ميـزة. مـا يهمني هـو أنني أعتبـر مثل هـذا النوع مـن الحرص على الصداقات جزءاً من موقف إنسـاني واجتماعي وأخلاقـي. وإذ أرتاح للتقييم الايجابي لهذا التقليد، لا أعطي أية أهمية لمن لا يستسيغونه.

**الأربعاء 1 أيلول - سبتمبر**

تُجرى نقاشات تحت السطح وفوق السطح في الحزب الشيوعي لا أجد لي علاقة بها لا من قريب ولا من بعيد. وهي نقاشات لا تطال الجوهري من القضايا. معظمها شخصي مع الأسف. وما هو شخصي لا علاقة لي به، لا الأمس ولا اليوم ولا غداً.

هل هكذا يُجرى الحوار من أجل التجديد؟ إنه نمط يعود في أساسـه إلى تقاليد، انتهت مع نهاية القرن. انهارت حركة من أعظم حركات التاريخ هي الحركة الاشـتراكية التي بشّـر بها ماركس وإنجلز ورفاقهما، وفتح أول كوة في وضعها موضع التطبيق لينين ورفاقه.

أنا اشتراكي اليوم واشتراكي غداً. لكن لي طريقتي التي أجتهد في صوغها لتحديد فهمي للاشتراكية وتحديد شكل انتمائي إليها. لم تعد لي علاقة بذلك الفهم الذي ساد حول أفكار ماركس وجرى تعميمه بالقسـر من قبل الدولة السوفياتية وحزبها الشيوعي. لم تعد لي صلة بذلـك الماضـي وببعـض تقاليده. لكـن للماضي في حياة الشـعوب موقعاً آخـر مختلفاً من حيـث كونـه تاريخاً تتواصل فيه الأحـداث والحقبات. فالتاريخ تواصـل لا انقطاع فيه. ولا بداية مطلقاً في أي عمل من الصفر أو من الفراغ. التاريخ تواصل وتجاوز في الأحداث على اختلافها وفي النضال بتعدد أشـكاله وفي الأفكار والنظريات وفي الاكتشـافات العلمية وفي كل شيء يتصل بحياة البشر وبتطور أوضاعهم ومعارفهم وسوى ذلك من أمور.

**الخميس 2 أيلول - سبتمبر**

كان يوماً ثقافياً طويلاً.

في الصباح التقيت مع نسيبي علي مروة العائد من ليبيا حيث يدرّس الفلسفة. وهو خريج الاتحاد السوفياتي. انطباعات لا يحق لي أن أتحدث عنها باسمه. لكنها تذكّرني بتجربة مرة لي في ملتقى الحوار في جزئه الفكري اقتضت مني، بشكلٍ شخصي، أن أعتذر عن الاستمرار فيه. أنا أكره الزيف. أكرهه في السياسة وأكرهه خصوصاً في الثقافة. ولكل حساباته وطرقه في العمل. لكن الثقافة، بالنسبة إليّ، تقوم أساساً على الاستقلال والحرية. هكذا تعاملت مع هذه القضية منذ البدايات. لذلك فإنني أعتز بهذا العدد الكبير من علاقات الصداقة مع المثقفين اللبنانيين والعرب. اطلعت من علي مروّة على مجلة يصدرها في موسكو هيثم الجنابي وجلال الماشطة وأحمد النعيمي. مجلة تصدر بالعربية تستحق الاهتمام.

عند الظهر عقدت جلسة ممتعة في مقهى "الجندول" مع برهان علوية ومحمد العبد الله. ولهذا المقهى تاريخ من الذكريات تعود إلى الستينات وما بعدها. تحسرنا على الفيلم الذي فشلنا في إنجازه.

في المساء لقاء عند شوقي عبد الأمير حول "كتاب في جريدة". وهو حدث ثقافي جديد من نوعه. جمع اللقاء العديد من المثقفين اللبنانيين وبعض العرب المقيمين في لبنان. استعدت مع أدونيس والأصدقاء الآخرين ذكريات جميلة واتفقنا على تجديد لقاءاتنا.

**الجمعة 3 أيلول – سبتمبر**

وزيرة الخارجية الأميركية مادلين أولبرايت في المنطقة بعد طول انتظار. الاتفاق إذًا سيعقد لا محالة بين عرفات وباراك. لكن ذلك كان يقتضي إقالة عريقات من وفد المفاوضات. يا سلام ملا سلام! يبدو أنه، لكي يبدأ التفاوض مع سوريا ولبنان، لا بد من اتفاق من هذا النوع مع الفلسطينيين لكي يشكّل نموذجاً. باراك يريد مزيداً من الانتصارات على العرب، لا سيما الفلسطينيين. التوقيع سيتم حتماً كما يعلنون. وغداً سنرى.

الضجة حول الفساد في روسيا ذات دلالة، لا سيما أن مصدرها أميركا. يبدو أن أميركا بدأت تتخلّى عن يلتسين بعد أن أتعبها تحالفها معه.

الشعوب الصغيرة لا تعرف كيف تستقل. والقوميات الكبيرة تسعى دائماً لتأبيد سيطرتها على القوميات الصغيرة من أجل استيعابها. هكذا هو شأن تيمور الشرقية. والأمثلة لا تحصى لا سيما في منطقتنا العربية والشرق أوسطية.

تأجلت زيارتي لكردستان العراق لأسباب خاصة وعامة، وإلى أجل وُعدنا بأنه لن يكون بعيداً. ربما إلى العام القادم. وهي زيارة ينظمها فخري كريم صاحب ومدير مؤسسة "المدى" الثقافية. أنتظر بشوق هذه الزيارة. أولاً أنا متشوق للتعرّف إلى كردستان العراق في وضعها الجديد ولأغني معلوماتي عن تاريخ الشعب الكردي، ومتشوق في الآن ذاته للقاء صديقي التاريخي جلال طالباني الذي تعود علاقتي به إلى الخمسينات، وصديقي الآخر مسعود

البارزانـي الذي تعرفت إليه في دمشـق في السـبعينات. وهو نجل الزعيـم الكردي التاريخي الملا مصطفى البارزاني. وآمل أن ألتقي أصدقائي في الحزب الشـيوعي العراقي من العرب والأكراد، لا سـيما الرفيـق القديم عزيز محمد الذي ترك موقعه في قيادة الحزب واسـتقر في السويد، وقيل لي إنه يزور بين وقت وآخر رفاقه في كردستان.

لا يمكن الحديث عن أكراد العراق من دون الحديث عن سائر مكونات الشعب العراقي، هذا الشـعب الذي لا يزال يعاني القهر والقمع والاذلال على يد نظام الطاغية صدام حسـين. ولا يمكن الحديث عن أكراد العراق من دون الحديث عن الشعب الكردي في كل من تركيا وإيران وسـوريا. والشعب الكردي هو شـعب عانى من الاضطهاد على امتداد ألوف السنين قام خلالها بثورات عديدة وفشـل. وكان من أواخر تلك الثورات إقامة جمهورية مهاباد في إيران (1946) التي ما أن قامت حتى جرى قمعها بوحشية من قبل السلطات الايرانية بعد أن انسحبت القوات السوفياتية من إيران بموجب اتفاق يالطة في نهاية الحرب العالمية الثانية.

**تمرين على كتابة سيرتي**

**هل حان الوقت لكتابة السيرة؟!**

**السبت 4 أيلول – سبتمبر**

طُلـب منـي أن أضع ملخصاً لسـيرة حياتي، كي يكون مرجعاً لمـن يريد أن يعرف من أنا. جريدة "السفير" هي التي طلبت مني ذلك بواسطة صديقي صقر أبو فخر. وقد لبّيت الطلب وأعـددت بصعوبـة نصـاً كبيراً. في هكذا حالة علـيَّ أن أكون محايـداً. ذهلت عندما أعدت قراءة هذه التدقيقات التاريخية عن حياتي. سـيرة طويلة وغنية بالأحداث. لكن ما النفع إذا كان كل شيء قد انتهى إلى فراغ، إلى البدء من جديد؟!

حضرت في المسـاء في برجا حفل تكريم للأديب الراحل علي سـعد كان حاشـداً. وإذا اسـتثنينا بعض المبالغات الثقافية والسياسـية والشـخصية، التي برزت في كلمات الخطباء، فإننـا كنا في ذلك اللقاء في حضرة علي سـعد المثقف المتميز. لكـن هذا المثقف الكبير لم يكن يعرف قدر نفسـه. ولعلّي أسـتطيع أن أجزم، بحكم علاقتي به لما يقرب من خمسـين عاماً، أنه كان أديباً وعالماً. وكان يمارس النشـاط السياسـي من هذا الموقع والمنطلق. كان اشـتراكياً ملتزماً من دون أن يكون عضواً في الحزب الشيوعي. لكنه كان صديقاً للشيوعيين منـذ الأربعينـات مع فرج اللـه الحلو وخالد بكداش ومـع الذين ورثوا هذه الريـادة في قيادة الحزب.

ألـم أقل أمس إن التوقيع سيتم أياً كان الثمن بين باراك وعرفات؟ ثم ماذا بعد؟ وإلى أين يذهب القادة الفلسطينيون بفلسطينهم وفلسطيننا؟

تدعوني هذه الحالة إلى اسـتحضار التاريخ التراجيدي للحركة الوطنية الفلسـطينية، منذ

البدايات حتى هذه اللحظة. إنه تاريخ مجيد ومأساوي في الآن ذاته، من ثورة عام 1936 حتى انطلاق المقاومة في الستينات، قبل هزيمة حزيران وما بعدها. وإني لأتساءل بمرارة: ما الذي جعل هذه الحركة تدخل في تلك المتاهات وفي تلك الأخطاء وهي تناضل لتحقيق أهدافها بإقامة الوطن الفلسطيني أسوة بكل شعوب العالم، وتقدم تضحيات كبيرة من دون أن تصل إلى أي من هذه الأهداف؟ لماذا وصلت إلى الوضع الذي هي فيه الآن مقسمة؟ سؤال مؤلم. لكن هل الحركة الوطنية الفلسطينية هي وحدها المسؤولة عن مصيرها هذا؟ إننا نظلمها إذا حصرنا هذه المسؤولية بها، رغم المسؤولية الكبيرة التي تقع عليها باعتبارها صاحبة القضية. فللأشقاء العرب، لا سيما من هم في مواقع السلطة هنا وهناك وهنالك، الدور الأكبر في هذا الوضع الذي تعاني منه القضية الفلسطينية. كل من هؤلاء "الأشقاء" يريد إخضاع القضية وإخضاع الحركة الوطنية صاحبة هذه القضية وإخضاع الشعب الفلسطيني برمته لمصالحه وأهدافه تحت شعارات قومية رنانة، بعضها رومانسي وبعضها زائف. تشارك هؤلاء في المسؤولية الأحزاب اليسارية والقومية من مواقع مختلفة، بما في ذلك من مواقع الرومانسية التي سادت في بلداننا ارتباطاً بالقضية الفلسطينية، كما سادت في حركات وطنية في بلدان أخرى شبيهة ببلداننا. لكنني برغم الواقع المرير لا أستطيع إلا أن أرى مستقبلاً قادماً تتجاوز فيه الأجيال الجديدة من الفلسطينيين أخطاء الأجيال السابقة مستندة إلى إنجازات تلك الأجيال.

نحن محكومون بالأمل برغم كل سواد هذه اللحظات!

علاقتي بالقضية الفلسطينية منذ شبابي الباكر تشكل جزءاً من سيرتي أعتز به.

## فولكلورية الفرنكوفونية كما رأيتها
## في لقاء سريع مع بطرس غالي في باريس

**الأحد 5 أيلول - سبتمبر**

**لم يشكل توقيع اتفاق شرم الشيخ حدثاً مهماً بالنسبة إليَّ. ما أقبح سياسة السلطات الاسرائيلية، وما أضعفنا نحن العرب إزاءها وفي مواجهتها، وما أغبانا. ويا حسرتي على اليسار الشيوعي والقومي. أما الانتحاريون من السلفيين ومن غير السلفيين الذين يقتلون أنفسهم من دون أن يقدموا شيئاً للقضية. إنه جنون العاجزين.**

**ماذا يراد من الفرنكوفونية. وماذا نريد نحن منها. إنها كما تبدو لي فولكلور فرنسي تحت عناوين ثقافية باسم اللغة! كان بإمكانها أن تكون أرقى لو أنها انطلقت من حقائق التاريخ، من عصر الأنوار والثورة الفرنسية وما تلاهما. لكنها تحوّلت إلى حدث سياسي تناقش فيه مشاريع البلدان الفرنكوفونية في شكل فولكلوري! هذا ما تشير إليه نماذج اهتماماتها حتى الآن. هل أنا متعسف في رأيي هذا؟!**

**الاثنين 6 أيلول – سبتمبر**

"فوضى الحواس". ما أظرف عنوان رواية أحلام مستغانمي، وما أقربه إلى وصف حالة لبنان وحالة الوطن العربي. فوضى حواس ومشاعر وأحلام ومشاريع ومصالح. جميلة هذه الرواية، ومبدعة أنت يا صديقتي أحلام.

حزين أنا في هذا اليوم. ولحزني أسباب عدة. وأكبر مصدر لحزني هو أنني عاجز عن إزالة أسباب وجود الحزن في أعماق وجداني، وأنني عاجز عن منع أسباب وجوده. لكن الأكثر إيلاماً، بالنسبة إليّ، هو ما يحصل الآن في الحزب، وما يمكن أن يحصل في المستقبل في اليسار عموماً.

حضرت مع نجوى وصديقتنا سليمة حجازي مسرحية سهام ناصر "الجريمة والعقاب" للروائي الروسي دستويفسكي.

## ردود فعل عشوائية للمظلومين في وجه ظالميهم
## وردود فعل عشوائية للأرض ضد سكانها

**الثلاثاء 7 أيلول – سبتمبر**

زلزال آخر في اليونان قريب منا. ماذا حصل للكرة الأرضية؟ هل هي تنتقم من سكانها، وحوش الغاب الذين يقتلون البشر والشجر والتراب ويكادون يقتلون الحياة على الكوكب، أو أنها مجرد تمايلات، وهزات كتف وخصر ودلع تقوم به الأرض وتخرج من أحشائها ما صار عبئاً عليها وتعيد ترتيب أوضاعها؟

سهرة جميلة مع نصر حامد أبو زيد وزوجته في منزلنا بحضور جيزيل خوري التي حاورته في "حوار العمر". كان نصر رائعاً وشجاعاً في كشف النقاب عن الجميل في التراث وفي نقد ما هو شائع ومتعارض مع القيم الدينية. شاركنا في السهرة نخبة من المثقفين.

هل رد الفعل العنيف من المظلومين، رد الفعل العشوائي، هل هو فعل شرعي مبرر؟ كان ذلك أحد محاور النقاش في السهرة مع نصر. تعددت الآراء. واستعدت من ذاكرتي، في مطالع الخمسينات، نقاشات حول ردود فعل الجزائريين العفوية ضد الاستعمار الفرنسي، التي كان بعضها موجهاً ضد العمال الفرنسيين. لم تجزم النقاشات يومذاك برأيي بين مستنكر لها من حيث المبدأ، وبين مبرر أو مفسر لها من حيث المبدأ. الاجتهاد الذي توصّلنا إليه حول ما قام به الجزائريون، وكنا في ذلك الحين شباناً من بلدان عديدة، هو أننا نستطيع أن نفهم ردود الفعل تلك لكن علينا أن نكون حذرين في تقييمها وأن نتجنّب تبريرها. لا بد من توافر الحد الأقصى من العقل من قبل المظلومين في مواجهة ظالميهم من أي نوع ومن أية جهة!

العدوان الاسرائيلي على البقاع. ما هو مضمون الرسالة التي أرادت إسرائيل توجيهها

بواسطة هذا العدوان ولمن؟ هل هي عودة بالأمور إلى التصعيد؟ هل هو استكمال لرسالة أولبرايت إلى الحكومة اللبنانية؟ هل هو رد على موقف عابر برز في مؤتمر الفرنكوفونية؟

إضـراب الأطباء احتجاجاً على توقيف طبيب أخطأ في معالجة مريض وقاده إلى الموت هو، بالنسبة إليَّ، إضراب غير مقبول، وتضامن في غير محله. هل أصبح الانسان حشرة في أيامنا، ليس فقط بالنسـبة لطواغيت المال، بل، يا للأسـف، حتى بالنسـبة لأطباء لا يحترمون معايير مهنتهم الانسـانية؟ اتصل بي صديقي نصري لحود متسـائلاً عن هذا الموضوع. ماذا بوسعنا أن نفعل إزاء هذه الظاهرة؟ أصدقاء كثيرون لي ومعارف ماتوا في مثل هذا الاستهتار. ابنـي غسـان بالذات أجريـت له عملية في عام 1986، إثر إنفجار لغـم في يديه. هل يعقل أن يقود استهتار الطبيب الذي عالجه إلى إخراجه من المستشفى من دون أن يخرج الشظايا من يديه؟ فكان علينا أن ننتزع تلك الشـظايا من يديّ غسـان في موسكو في عملية جراحية ثانية. هل هذا مقبول؟

**الأربعاء 8 أيلول - سبتمبر**

مـن أطرف أحداث هـذا اليوم لقاء في بلدة الزرارية، بمبادرة من نسيبي علي مروة. كان لقاء عائلياً ضم شـابات وشباناً وعدداً من شـيوخ العائلة ومن إمتداداتها من الشيوعيين وغير الشـيوعيين. محـور الحديـث كان حول صيغة لجمع شـمل العائلة. هل هـو مفيد مثل هذا الجمـع العائلـي؟ هـل هو ممكن؟ هـل أوافق عليه؟ وهـل أنخرط فيه؟ وما هـي وظائفه؟ وكيف يموّل؟ ومن أين تأتي الأموال؟ وكانت قد سبقت مثل هذا الحديث أبحاث معي من بعض وجوه العائلة، أدليت فيها برأيي وكررته في هذا اللقاء. وأشـرت إلى أنني لسـت، من حيـث المبدأ، ضد أن تتجمع العائلة بهدف مسـاعدة المحتاجين من أبنائها. لكنني قلت بأن أي هدف سياسـي وراءها سـيكون عامل تفجير للصراعات داخل العائلة. وأكدت أن لجوء النـاس إلى مثل هـذا النوع من التجمعات سـببه غيـاب الدولة وغياب القـوى الديمقراطية، أحزاباً ومؤسسات مجتمع مدني. ودعوت الشباب إلى الانخراط في الأحزاب والمؤسسات الاجتماعية والتنافس باسمها حول تقديم الخدمات العامة. فهو الطريق الأفضل بانتظار قيام الدولة وممارسة وظائفها الأصلية. لكن المهم أن تُوجد الدولة لكي تمارس دورها وتتكامل مع أدوار الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني.

## أمر فظيع ومريع...
## التجارة بالأطفال قبل الولادة؟!

**الخميس 9 أيلول - سبتمبر**

أرعبنـي خبر سـمعته صباح اليوم مـن لندن عن شـركة تتعامل مع رجل وامـرأة لإنجاب

أطفال، بحسب الطلب، لقاء مبلغ من المال يصبح فيه الأطفال بعد الولادة ملكاً للشركة. ما هذا الذي وصل إليه توحش البشر؟

كان مؤثراً مشهد الفلسطينيين وهم يستقبلون الأسرى المحررين بموجب الاتفاق الجديد. متى يتحرر الآخرون، من فلسطينيين ولبنانيين، وبأي ثمن؟!

الحكومة اللبنانية أعطت أساتذة الجامعة بعض مطالبهم في دخول الملاك. المسألة بالنسبة للجامعة أبعد من ذلك. فوضع الجامعة لم يأخذ بعد طريقه إلى إهتمام الدولة. التعليم في فروعه المختلفة، وفي الجامعة خصوصاً، هو بنظر أهل السياسة في بلدنا في هذا الزمان ترف من النوع الثالث والرابع في الأهمية!

**الجمعة 10 أيلول - سبتمبر**

ناصر صفي الدين يذكرني بوالده الوزير السابق محمد صفي الدين. والأخير يذكرني بجيل من السياسيين الذين كانت لهم نكهة مميزة. جيلنا يختلف عن الجيل السابق، جيل محمد صفي الدين، لكنه اختلاف مختلف في الشكل وفي المضمون عن اختلافنا اليوم مع جيل الحرب وما بعدها. صداقتي مع السيد محمد وابنه ناصر وصداقتي الجديدة مع نصري المعلوف هي عودة إلى تراث أعتزّ به. ولكم سمعت من السيد محمد ومن نصري بك كلاماً شبيهاً بالذي أقوله. لا بد من التذكّر أكثر والمقارنة أكثر، بين جيلين وحقبتين، وبين ما نحن ذاهبون إليه في القرن القادم. مزيد من التذكر ومزيد من إعمال الفكر. ربما نكون قادرين على خلق شيء جديد يليق بشعبنا اللبناني التواق دائماً إلى الحرية كما يشير إلى ذلك تاريخه، التاريخ الذي يختلف حوله المؤرخون، ويختلف حوله بشكل أكثر تحديداً السياسيون القدامى والجدد. كلٌ يريد لهذا التاريخ أن يكون تاريخه هو أباً عن جد. في حين أن التاريخ هو، في الجوانب الإيجابية والجوانب السلبية، تاريخ لبنان كله وتاريخ كل اللبنانيين. لقد حان الوقت لكي يُكتب هذا التاريخ بشكل صحيح، بشكل يتوحّد فيه اللبنانيون حول شخصيتهم بخصائصها المميزة بكثير من المعاني والسمات التي يحددها تعدد مكوّناتهم ثقافياً ودينياً وإثنياً وطرائق حياة وأنماطاً ولهجات تختلف بين منطقة ومنطقة وبين قرية وقرية مجاورة لها في بعض الحالات.

**السبت 11 أيلول - سبتمبر**

يشعر المرء، وهو ذاهب إلى رأس بعلبك في عرض سهل البقاع، يشعر بالمرارة وبالغضب ضد كل العهود السابقة. هذا الوادي العظيم تكاد تيبس فيه الأشجار أسوة بما تعانيه الجبال الشرقية والغربية الجرداء. سألت فاروق دحروج وجورج البطل رفيقيّ في الرحلة عن طول المسافة بين بلدة القاع شمالاً وجسر الخردلي جنوباً الذي منه نصعد إلى مرجعيون، فقالا إنها تبلغ ما يقرب من 180 كلم. كان يُعرف سهل البقاع في التاريخ بأهراءاته وبثرواته

الزراعية والمائية، وكان بثرواته يشكل جزءاً من حضارات قديمة متعددة. ما أبأس سهل البقاع اليوم! أمر يدعو إلى الحزن. ما أكثر الأمور التي تستدعي الحزن في بلدنا.

الشيوعيون طيبون في كل مكان. هذا ما أوحته إليّ جلسة غداء جميلة في رأس بعلبك مع أجيال مختلفة من الشيوعيين.

في المساء تأخرت في الحضور إلى مسرح بيروت للاستماع إلى إعلان المخرج المسرحي روجيه عساف عن بدء نشاط جمعية "شمس"، وإعلان شباب آخرين بينهم ابنتي هانية عن تأسيس جميعتهم السينمائية Beyrouth DC. لكن غياب وزارة الثقافة عن هذا اللقاء كان فاقعاً.

**الأحد 12 أيلول – سبتمبر**

المؤسسات الثقافية والتمويل الخارجي موضوع أثاره إعلان روجيه عساف في جمعية "شمس". إنه موضوع حقيقي. ناقشت الموضوع مع محمد دكروب وماهر الشريف ارتباطاً بمجلة "الطريق" التي يجب أن تبقى ماليتها ومداخيلها بعيدين عن أي نوع من هذا التمويل. وتساءلنا عن وزارات الثقافة في لبنان وفي العالم العربي، وعن الدور الذي يفترض أن تقوم به دعماً للثقافة ولمؤسساتها ودعماً للمثقفين ولإبداعاتهم! وتساءلنا عن الدور الذي على المثقفين أن يلعبوه في بناء أوطانهم؟

سرني كثيراً أن ماهر الشريف منخرط في أبحاث جدية في الفكر العربي وفي أزمة تطوره وأزمة تطور البلدان العربية. ماهر مفكر يستحق التقدير والدعم.

**الاثنين 13 أيلول – سبتمبر**

الأعاصير والزلازل من جهة، وتدمير البيوت على أصحابها الأصليين من جهة ثانية، والحروب الأهلية بأسماء مختلفة ولأغراض ذات صلة بمصالح صغيرة ومصالح زائفة باسم الدين من جهة ثالثة، كلها وسائل معاصرة لتدمير الحياة. الأولى احتجاج من باطن الأرض على ظاهرها، والثانية إمعان من بعض البشر في تدمير حياة البشر. هل ما تقوم به الطبيعة هو شكل من أشكال الاحتجاج ضد الانسان لسوء تعامله مع أخيه الانسان وسوء تعامله مع الطبيعة ذاتها؟

**الثلاثاء 14 أيلول – سبتمبر**

بعوضة سامة قد تقلق نيويورك العظيمة بسكانها الاثني عشر مليوناً! ما أغرب هذه المفارقة. ما أشد جبروت الانسان، وما أشد ضعفه في الآن ذاته. هل يتعظ؟

تشير تقارير الأمم المتحدة إلى كارثة بيئية تسبّب بها الانسان. غابات تحترق، مياه تنضب، أراض تجدب بسبب سوء استخدامها، مواد غذائية تكاد تصبح أقل من حاجات البشر، غازات ومواد سامة تنتشر في الجو وعلى سطح الأرض وفي باطنها وفي البحر. ثم ماذا بعد؟ من

المسؤول عن ذلك؟ ومن المسؤول عن مقاومة هذا الذي يجري أمامنا ضد الحياة؟

موسكو تعيش في ذعر ويلتسن يهيئ لإلغاء الانتخابات. مصير مجهول لروسيا.

مات الصحافي سليمان أبو زيد، أستاذي الذي علمني أدباً وفكراً وأعطاني وعياً. تنبأ لي، منذ سن المراهقة، بالمستقبل الذي وصلت إليه. أحزنني غيابه. إنه واحد من رعيل جميل بدأ يتوارى. إنه جزء عزيز من تراث علاقاتي القديمة.

## هل عادت البشرية إلى زمن البربرية؟

**الأربعاء 15 أيلول - سبتمبر**

العالم من حولنا، وفي أماكن بعيدة عنا، مخضوض بالكامل. حروب أهلية قديمة، وحروب أهلية جديدة، وحروب أهلية كامنة، وصراعات حول أدنى أشكال الانتماء. هل عاد الانسان إلى غريزته الأولى إلى البربرية؟ هل عاد وحشاً؟ هل الشر هو الأساس عند الانسان بديلاً من الخير؟ هل النزوع إلى الظلم هو الأصل عند الانسان؟ أين هو الوعي، الوعي الذي يتطابق مع القيم ومع الأخلاق ومع الحقوق الأولية للانسان؟

عجيبة أحوال عالمنا المعاصر عشية الانتقال إلى الألفية الثالثة، الانتقال في زمن لا قيمة فيه للقيم ولا قيمة فيه للانسان! عملية الانتقال هذه عملية طويلة ومعقّدة سابقة على الزمن الذي نحن فيه، ولاحقة على هذا الزمن، وعلينا أن نتعامل معها بوعي لكي لا يحصل الانتقال في الاتجاه المعاكس المناقض لأحلام البشر في الحرية والسعادة.

دماغ الانسان متفوق وسابق على وعيه. نسبة قليلة من هذا الدماغ، كما يقول العلماء، هي التي يستخدمها الانسان من دماغه. ولهذا الأمر نتائج شهدنا نماذج منها في الماضي، وشهدنا نماذج منها في الزمن الحالي. ماذا علينا أن نعمل لكي يتقدم استخدام الإنسان لدماغه في صالح الحياة وسعادة الإنسان فيها؟

## هكذا احتفلت على طريقتي
## بذكرى انطلاق جبهة المقاومة

**الخميس 16 أيلول - سبتمبر**

اليوم هو السادس عشر من أيلول، يوم إنطلاقة "جبهة المقاومة الوطنية" ضد الاحتلال الاسرائيلي. ماذا حصل خلال هذه الأعوام؟ أسئلة كثيرة، وخلافات لا خلاص منها عشية البدء في المفاوضات الفلسطينية - الاسرائيلية من أجل سلام ناقص، سلام لا تتوافر فيه الشروط لكي يكون سلاماً عادلاً.

في هذا اليوم أيضاً تصادف الذكرى المشؤومة لمجزرة صبرا وشاتيلا. ذكرى مأساوية

نكاد ننساها. وإذا تذكرناها نكتفي بالاعراب عن حزننا. هذا هو حالنا مع ماضينا وحاضرنا. أما المستقبل فالحديث عنه مؤجل إلى أجل غير مسمى.

المسار الفلسطيني، المسار اللبناني، المسار السوري، المسار العربي. مسارات ومسارات متقاربة ومتباعدة، متحدة من حيث المبدأ، متناقضة في الوجهة وفي المصالح، ثم ماذا بعد؟

ما هو مصير بلداننا بعد كل هذه المسارات في بداياتها وفي نهاياتها؟ لا بد لنا من الإعداد للمرحلة المقبلة، ولا بد لنا من الإعداد لمواجهاتنا فيها مع خصوم تحررنا وتقدمنا. لكن عمن أتحدث في ضمير المتكلم الجمع؟ من هم "نحن" في ظل هذا الصراع الواضح منه والكامن بين المكوّنات المتعددة لشعوبنا في فلسطين ولبنان وفي سائر دنيا العرب؟! أول رد فعل عندي على المشهد الحالي يبدأ بالجزم بأننا بحاجة إلى أحزاب شيوعية من نوع جديد مختلف عن السابق، وإلى أحزاب يسارية عربية جديدة وإلى قوى ديمقراطية جديدة. ربما لم تعد ثمة ضرورة للإبقاء على اسم الحزب الشيوعي. فكلمة شيوعي اليوم تذكر بمأساة الانهيار. فلنفتش عن اسم جديد يتطابق لغة ومعنى مع الحالة الراهنة ومهماتنا فيها. لا بد من إطار أكثر اتساعاً وشمولاً لحشد القوى في المرحلة المقبلة، القوى المعنية بالنضال لإحداث التغيير الذي يخرج بلداننا من واقعها المأساوي في ظل الاستبداد والقهر وفوضى التعبير عن الاحتجاج على هذا الواقع.

سأحتفل بهذا اليوم، يوم انطلاق جبهة المقاومة، على طريقتي في هذه اليوميات التي أحاول فيها التعبير الصادق عما في عقلي من أفكار وعما في وجداني من مشاعر، من دون رقابة ذاتية أفرضها على نفسي لاعتبارات ما من نوع ما كنت عليه سابقاً.

بعض سمات هذه الأعوام من العقد الأخير من القرن العشرين تشير بأسى وبمرارة إلى أن قوى اليسار التي أطلقت المقاومة، وفي مقدمتها الشيوعيون، قد صارت خارج فعل المقاومة. وهكذا صار الاحتفال بعيد انطلاقة الجبهة وقفة فولكلورية أمام صيدلية بسترس في وسط مدينة بيروت يعبّر فيها الشيوعيون بالشعارات عن حسرة مكبوتة في ما يشبه البكاء على الأطلال. كنت أشارك في تلك الوقفات في شكل غريزي مثل سواي. وهذا أمر طبيعي في مثل الوضع الذي وصلنا إليه وصرنا جزءاً منه، بدل أن نكون قوة فعل للتغيير، لا أدري كيف. لست هنا في هذه اليومية بالتحديد في معرض الحديث عن كيف سيكون العمل المطلوب من أجل التغيير.

احتفالي اليوم بذكرى انطلاقة جبهة المقاومة على طريقتي هو محاولة تذكير ذاتي بالظروف التي ولدت فيها الجبهة، وبالبطولات التي خاضها المقاومون، وبالانجاز الكبير الذي حققوه باسمها. لا أريد الدخول في تفاصيل الحدث رغم أنه ذو أهمية كبيرة. أريد فقط أن أذكّر بأن عمليات جبهة المقاومة في لبنان كانت أمينة لتاريخ المقاومات في ثلاثينات

وأربعينـات القـرن في أوروبا خلال الحرب العالمية الثانية، وفـي الفيتنام قبل وبعد، كنماذج لحـرب الأنصـار. فالمهـم في المقاومة بصفتها حـرب أنصار هو أن تختـرق صفوف العدو وتقتل وتدمر وتحرص على التخفيف من خسـائرها، لأن حياة الانسـان هي الأسـاس وهي الهـدف المبتغـى من المقاومـة، الهدف الـذي يتمثل بتحريـر الأرض وتحرير الانسـان بعد تحريـر الأرض بهـذه الطريقة وبأسـلحة خفيفة اسـتطاع أبطال جبهـة المقاومة فـي لبنان أن يلحقـوا بالقوات الغازية خسـائر كبيرة في الأرواح والعتاد، وأن تـؤدي بطولاتهم وبطولات شـركاء آخريـن لهم إلى تحرير القسـم الأعظم مـن الأرض التي وقعت تحـت الاحتلال في العاصمـة بيـروت والجبـل والبقاع وصولاً إلى حدود ما سُـمّي بالشـريط الحدودي. تحقق ذلـك الانتصـار في عـام 1985، أي بعد ثلاثة أعوام مـن انطلاقة الجبهة. وكان للشـيوعيين شـرف كبيـر في جعل اللبنانيين من كل مناطق لبنان من دون اسـتثناء ومـن طوائفهم كلها، ما دام الحديث عن الطوائف هو السـائد اليوم، يشـاركون في فعل المقاومة. كان معظم هؤلاء الأبطال من الشـيوعيين وكان لهم شـركاء من كل القوى. لكن دور الشـيوعيين كان متميزاً. تشـير إلى ذلك العمليات التي قاموا بها وأسـماء الشهداء وأسـماء المناطق التي جاءوا منها، كمـا تشـير إلى ذلـك أسـماء المعتقلين من أبطـال الجبهة فـي معتقل انصار ومعتقـل الخيام ومعتقلات الداخل الاسرائيلي.

خطأ وحيد ارتكب باسـم المقاومة في العمليات التي قام بها الشيوعيون يتمثل في ثلاث عمليـات انتحارية كنـت منذ البداية ضدها مـن دون ضجيج، وصرت ضدهـا بأعلى صوتي عندمـا سـمحت لي بذلـك الظروف. كنـت ضد أية تضحيـة متعمدة بأي إنسـان في النضال مـن أجل التحرير. أقول ذلك وأنا أحيي شـهداء تلك العمليـات. ولو كان لي يومذاك رأي، ولو كنت أعرف بتلك العمليات، لقاومت إرسـال، أو السماح بإرسال، مقاتلين في مثل تلك العمليات الانتحارية.

وإذ أشير إلى طبيعة عمل المقاومة باسم الجبهة كحركة أنصار فلكي أقول، في الآن ذاته، وأنا أحيي بطولات حزب الله في المقاومة، إن الأساسـي من مقاومة أبطال الجبهة كان أميناً لأصـول حرب الأنصـار، وإن مقاومة الآخريـن كانت حرب جيوش بـكل المعاني، وكانت كلفتها البشـرية عالية جداً بسـبب طبيعتها. أدوّن رأيي هنا في يومياتي لأشـير إلى أن للتباهي بالدعم السـوري والايراني العسـكري بالسـلاح والمال للمقاومة، وهو حق لمن يتباهى به، ثمناً سياسياً كبيراً دفعه لبنان وسيظل يدفعه إلى زمن لا أستطيع التنبؤ به إذا لـم تتغير الظروف. فأهميـة المقاومة فـي أي بلد تُحتل أرضه هي أن تكون وطنيـة بالكامل. وحين ينتهي دورها تأخـذ الدولـة دورها الطبيعي بعـد أن تكون قد تحررت الأرض من أسـر الاحتلال. وهو ما شـهدناه فـي أوروبا بعد انتهـاء الحرب التي تم فيهـا تحرير الأرض والانتصار على الفاشـية والنازية. خطورة ما أشـير إليه حول هذا الدور للخارج هو أن هذا الخارج بالذات، لا سـيما

المتمثل بالوصاية السورية، قد أخرج من العمل المقاوم بالقسر بكل أشكاله الأبطال الأوائل الذين أطلقوا العمل المقاوم في عام 1982، وكانوا قبل ذلك رواداً في العمل المقاوم خلال عقود طويلة من تاريخ لبنان. ولن أدخل هنا في تعداد نماذج مشاركة الشيوعيين في ذلك التاريخ. أكتفي بدورهم في المقاومة مع المنظمات الفلسطينية بإسم حزبهم الشيوعي. وكان من أوائل الذين استشهدوا في تلك المقاومة في عام 1969 ابراهيم جابر ابن بلدة محيبيب الجنوبية. وأذكر بأن الحزب الشيوعي أنشأ في عام 1969-1970 "الحرس الشعبي" الذي كان لي شرف الإعداد له والإشراف على نشأته في ذلك التاريخ باسم قيادة الحزب مع منظمة الحزب في الجنوب. وقد قام أبطال "الحرس الشعبي" بعمليات مقاومة بطولية لعدوانين إسرائيليين، الأول في عام 1972، والثاني في عام 1978. وبعضهم ظل يقاوم إلى أن سقط شهيداً بعد أن نفدت ذخيرته. وعلي أيوب ابن بلدة عيناتا الجنوبية هو النموذج الرائع لهؤلاء الأبطال الأوائل في المقاومة باسم الشيوعيين، وتحديداً باسم "الحرس الشعبي". وإذ أشير إلى دور الشيوعيين في إطار جبهة المقاومة فلست أغفل دور من شاركوا في المقاومة من أحزاب في الحركة الوطنية ومن قوى أخرى من ضمنهم حركة "أمل" ثم لاحقاً حزب الله.

أذكر في هذا السياق أنني أصدرت في عام 1985 كتاباً عن المقاومة كان الأول من نوعه. وقد استُقبل الكتاب باهتمام في لبنان وفي العالم العربي. وقد صدرت منه ثلاث طبعات في عام واحد ونفدت جميعها. وجاءتني رسائل من عدد من أصدقائي في العالم العربي ترحّب بالكتاب، أخص منها بالذكر تلك الرسالة التي جاءتني من صديقي رفعت السعيد أمين عام حزب التجمع المصري وصديقي محمد شريف مساعديه أمين عام جبهة التحرير الجزائرية. وقد ذكّرني مساعديه بالمقاومة البطولية التي واجه بها الشعب الجزائري الاحتلال الفرنسي وانتصر عليه، وأسس باسم تلك المقاومة دولته الوطنية. وإذ أتذكر اليوم رسالة مساعديه فإنني أتساءل بمرارة وألم: أين أصبحت الجزائر؟ ومن المسؤول عن تحوّلها منذ مطالع التسعينات إلى ملعب لوحوش الغاب الذين يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ والشباب باسم الاسلام، وأي إسلام؟! أتساءل عمن هو المسؤول عن هذا الذي يحصل في الجزائر، وأعلن بمرارة من خلال مرافقتي لأحداث الجزائر في الثورة وما بعدها، من أحمد بن بله إلى الهواري بومدين إلى الشاذلي بن جديد إلى عبد العزيز بوتفليقه، أن المسؤولية تعود لهم جميعاً عما يحصل برغم بعض الاختلاف في دور وموقف كل منهم. إذ حوّلوا الجزائر بصيغة من الصيغ إلى دولة من دول الاستبداد العربية باسم الحرية والاشتراكية!

لقد حرصت في كتاب المقاومة على أن أعود إلى جذور التجربة في الحرب العالمية الثانية، تجربة المقاومة في الاتحاد السوفياتي وفرنسا وإيطاليا ويوغوسلافيا واليونان، وفي الفيتنام في ما بعد. كما حرصت على أن أعطي للفكر وللأدب والفن أدوارها في المقاومة. وقدمت في القسم الأخير من الكتاب نصوصاً مختارة لقادة كبار ممن تحدثوا عن المقاومة،

كل منهم على طريقته ووفق رؤيته وتجربته. ولأن ظاهرة المقاومة في لبنان، لا سيما باسم "جبهة المقاومة" التي كان للشيوعيين دور أساسي وحاسم في إطلاقها وشاركتهم فيها مجموعات تنتمي إلى أحزاب الحركة الوطنية، فقد اتصلت بالرفاق في الحزب الشيوعي الفرنسي مقترحاً عليهم طبع الكتاب في "المنشورات الاجتماعية". واستناداً إلى مواقفهم المبدئية اقترحت على بعض الرفاق ممن يتقنون اللغة الفرنسية أن يتعاونوا على ترجمة الكتاب. فتطوّع للمهمة ثلاثة منهم هم شربل نحاس وفؤاد زحيل وجاد ثابت. وباشروا على الفور في العمل. وقبل أن ينجزوا الترجمة أخبرني الرفاق الفرنسيون أن نشر الكتاب متعذر لأسباب لم أعد أذكرها. لكنها لم تكن مقنعة بالنسبة إليّ. وما زلت أحتفظ بالنصوص المترجمة في أرشيفي الشخصي.

في هذا السياق أذكر أن جريدة "لوموند" الفرنسية طلبت مني بواسطة صديقي إريك رولو أن أكتب مقالاً أعرض فيه وجهة نظري حول ما كان يجري في لبنان في عام 1982، العام الذي شهد احتلال القوات الاسرائيلية للبنان. وكنت في ذلك الحين أقيم في باريس رئيساً لوفد شكلته باسم الحركة الوطنية من الطلاب اللبنانيين المقيمين في فرنسا. عرضت يومذاك على صديقي الكاتب والصحافي أمين معلوف الذي صار في ما بعد روائياً مرموقاً أن يساعدني في صوغ المقال بلغته الفرنسية الجميلة. جلسنا معاً وصغنا المقال وأرسلته للجريدة التي نشرته في الصفحة الثانية. وتكررت المحاولة بعد أن عرّفني إريك رولو إلى رئيس تحرير جريدة "الموند" فونتين الذي نشر لي بطلب منه مقالاً ساعدني في صيوغه بلغة جميلة الرفيق فؤاد عواضة ونشر في زاوية "آراء حرة" تحت عنوان "أنقذوا بيروت". لقي المقال استحساناً في أوساط عربية وفرنسية. وكان من بين أوائل الذين أعجبوا به العميد ريمون إده، مشيداً بأفكاري فيه وبلغته الفرنسية الممتازة. فقلت له بأن الأفكار في المقال هي أفكاري أما اللغة فهي لغة رفيقي فؤاد عواضة.

## هذا ما قلته في رسالتي للرفيق فاروق دحروج عندما غادرت موقعي في قيادة الحزب الشيوعي

**الجمعة 17 أيلول – سبتمبر**

سهرنا الليلة مع عدد من المشاركين في الندوة حول المخطوفين على شاشة NBN. جرى نقاش جدي ومطول بيني وبين نجوى حول هذا الموضوع. واتفقنا بأننا أمام معضلة حقيقية. المأساة فيها هي أفظع من مأساة الذين أعلنت وفاة أبنائهم وآبائهم وشاركوا في تشييعهم وأعلنوا حزنهم العميق عليهم. أما المخطوفون فأمرهم مختلف. ما العمل؟!

قرارات عادية جداً لمجلس الوزراء وتصريحات طنانة حول الانجازات. الله يساعدنا على دولتنا في هذا الزمن الرديء!

موضوع التنمية في حديث المسؤولين في بلادنا نكتة بائخة! فاقد الشيء لا يعطيه...

أشهر عديدة مرت ولم أتلق جواباً من الرفيق فاروق دحروج على رسالتي إليه حول الحزب. لا أعرف بالضبط ماذا فعل الرفيق فاروق بالرسالة التي سلمته إياها، وقدمت فيها جملة اقتراحات تتناول عمل الحزب في عدة ميادين كانت لي فيها مسؤولية مباشرة. أردت يومها أن أقدم جردة حساب مرفقة باقتراحات حول المستقبل. لم أسأله عن مصير الرسالة، ولم يناقشني هو بشأنها. والرسالة تتألف من جزأين. يضم الجزء الأول عرضاً مكثفاً للقضايا التي تحتاج من الحزب إلى معالجة وحلول. وهي بحجم 23 صفحة. والجزء الثاني من الرسالة موزع على قضايا كل واحدة منها منفصلة عن الأخرى. ومجموع صفحاتها 27 صفحة. أردت أن تكون الأمور بالغة الوضوح وبالتفاصيل. وجاء في مقدمة الرسالة:

أرجو ألا يخيفك حجم الرسالة. فهي جردة حساب عن عقد من الزمن، هو العقد الذي يمتد من أواخر عام 1990، حتى مطلع هذا العام، 1999. وتشاء الصدف أن يكون هذا العقد، هو العقد الأخير من القرن العشرين، قرن التحولات الكبرى في تاريخ البشرية من كل الأنواع وفي كل الاتجاهات، وأن يكون، أي هذا العقد في الوقت ذاته، نهاية هذه التحولات ونقيضاً بالكامل لما حملته البدايات من أحلام بالحرية والتقدم والسعادة لملايين الناس باسم الاشتراكية وباسم مُثُلها وقيمها. وتشاء الصدف، أيضاً، أن يكون هذا العقد بالنسبة لنا، في لبنان، منعطفاً تاريخياً ملتبساً بين الحرب والسلم، توقفت فيه الحرب ولم تدخل البلاد بفعل توقفها في السلم الحقيقي. وانهارت أحلام الذين قاتلوا في جبهات الصراع المسلح المدمِّر من أجل المستقبل على مذبح شهوات أصحاب المصالح، أمراء المال والطائفية والفساد، من دون رادع في ظل ذلك الفراغ السياسي الكبير. وأصبحت السنوات العشر هذه، بفعل كل هذه المتغيرات، مصدراً لأزمة عميقة وطويلة ومتمادية في حزبنا، شفانا الله منها ومن آثارها السلبية في أقرب وقت، إنه سميع مجيب! هذه الرسالة هي إذًا جردة حساب أقدمها لمن كنت أسبق منهم جميعهم بالمطلق في تحمل مسؤولية قيادية في الحزب. وهي تتناول بصراحة وبصدق شؤوناً تتعلق بي وبالحزب، تعود بتاريخها إلى المرحلة التي كنت قد بدأت فيها عملية خروجي الطبيعي والتدريجي من موقع القيادة في الحزب. ذلك أنني رأيت وأنا أغادر موقع القيادة أن أسلمك وأسلم القيادة الجديدة بعض القضايا التي كنت أتحمل مسؤوليتها، إما بتكليف رسمي أو بمبادرة شخصية. كانت فيها التزامات مالية وسياسية وسوى ذلك. وقد ضمنت الرسالة بعض إقتراحات وبعض ملاحظات استخلصتها من تجربتي الحزبية الطويلة ومن تجربتي في هذه المرحلة بالذات. وأملي كبير في أن يتسع صدرك وصدر الرفاق في القيادة لقراءة هذه الرسالة بالقدر الذي يوحيه لكم تقديركم لمضمونها من اهتمام".

أما القضايا التي وضعتها أمام الرفيق فاروق في الرسالة للاهتمام بها فهي من نوعين.

النوع الأول يتمثّل بالمؤسسات الحزبية، وهي جميعها بحاجة إلى اهتمام ضروري: 1 - الشركة اللبنانية للإعلام وتحديد مصيرها. 2 - الامتيازات الصحافية السياسية والأدبية وتحديد مصيرها. 3 - مجلة "الطريق" ومستقبلها الذي يجب أن يكون مختلفاً عما هي فيه الآن، مضموناً وشكلاً وإدارة وهيئة تحرير. 4 - دار الفارابي وإعادة النظر في طرائق عملها والانتقال بها إلى مستوى جديد معاصر، وعلاقة جديدة مختلفة بالكتب وبالكتّاب. 5 - إذاعة صوت الشعب وتحويلها إلى مؤسسة وطنية واختيار شركاء جدد للحزب، تمويلاً وإدارة وبرامج. 6 - تاريخ الحزب، وأرشيف الحزب، والاهتمام به وتبويبه وتصويره والحفاظ عليه من خطر التلف. أما النوع الثاني من القضايا فيتعلّق بعمل الحزب وتجديد طرائق هذا العمل في داخل أطره التنفيذية وفي العلاقة مع القوى اللبنانية والقوى الخارجية. تشمل هذه الاقتراحات عدداً كبيراً من ميادين عمل الحزب، بما فيها على وجه الخصوص القضية المتعلقة بتمويل الحزب، آخذاً في الاعتبار الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي يعيشها فيها الشيوعيون وأصدقاؤهم.

أردت من الرسالة أن أريح ضميري وأنا أخرج من موقعي في قيادة الحزب وأدخل في نمط جديد في عملي الثقافي والسياسي باستقلال كامل عن الحزب وعن سياساته وعن أي فريق سياسي في البلد. وإذ اتخذت قراري بالاستقلال في أفكاري وفي مواقفي عن كل القوى السياسية فلأن الوقائع القائمة في بلدنا تشير بوضوح إلى بؤس السياسة وإلى بؤس العمل السياسي في بلدنا. لقد أفرغت السياسة من مضامينها وأفرغت من الثقافة ومن المبادئ ومن الأخلاق. ترى إلى متى ستظل السياسة في هذا المستنقع، وهل من أمل في زمن قريب؟

## قصة سياحة مواطن عربي داخل جدران البيت الأبيض!

**السبت 18 أيلول - سبتمبر**

استفتاء الجزائر ملفت للنظر. ربما يكون قد حصل تزوير. وهو الأمر الأقرب إلى الواقع. فالتزوير في الانتخابات والاستفتاءات هو سمة العصر الذي نعيش فيه، لا سيما في بلداننا! مع ذلك فإن كثافة الاقتراع في استفتاء الجزائر تشير إلى أن الشعب الجزائري يريد بأي شكل من الأشكال الخروج من نفق الموت الفظيع على يد القتلة وحوش الغاب الخارجين من كهوف التاريخ. بوتفليقة صاحب تجربة. وربما يكون مدعوماً من هنا أو من هناك. لا هَمّ. المهم في هذه اللحظة التاريخية أن تخرج الجزائر من محنتها، ثم نرى بعد ذلك إلى أين ستتجه.

تذكرت وأنا أشاهد الناس يدخلون المقرات الرئاسية، يوم كنت في أميركا في أول زيارة لي إليها مع وفد من الحركة الوطنية في عام 1978، تذكرت زيارتي إلى البيت الأبيض مع وفود من أميركا ومن العالم في شكل زيارات سياحية للراغبين من المواطنين الأميركيين ومن الأجانب. خرجت يومها من الزيارة التي شملت كل أجنحة المكان وأنا مزهو. مصدر الزهو عندي يومذاك هو أنني دست بقدميّ مقر رئيس أكبر وأعتى دولة في العالم. اشتريت بطاقة بريدية عليها صورة البيت الأبيض وكتبت عليها: هذا هو البيت الأبيض قدماي تدوسانه. وكم كنت أحب لو كانت لقدميّ صورة في داخل تلك الصورة تثبت وجودي داخل المقر الرئاسي الأميركي. كانت البطاقة مرسلة إلى نجوى. لم أكتب تعليقاتي على البطاقة. لكنني هتفت بأعلى صوتي من على سماعة الهاتف إلى نجوى، وإلى رفاقي اللبنانيين، معلناً النبأ. وفي ظني - ما أغبى هذا الظن وما أكثر السذاجة فيه - أنني بدخولي إلى البيت الأبيض إنما كنت أنتقم لشعبي ولشعوب العالم المضطهدة من هذا الجبار الذي هو مصدر الاضطهاد والظلم للشعوب. شكل الانتقام يتمثل بجعل قدميّ تدوسان أرض البيت الأبيض مقر الرئيس الأميركي. وسرعان ما أفقت من لحظة غيبوبة بلهاء نصاب بها نحن المقهورين، وأدركت أن ما فعلته لم يكن إلا في صالح الديمقراطية الأميركية شئنا أم أبينا. أراد الأميركيون أن يقولوا لنا نحن القادمين من آخر الدنيا في الجغرافيا وفي الحضارة أن دوسوا ما استطعتم أيها الأغبياء بأقدامكم، النظيفة أو القذرة، هذا المكان الأعظم للرجل الأعظم في الدولة الأعظم، ثم عودوا من حيث أتيتم ليبقى المكان مكاناً وليبقى الزمان زماناً ولتبقى الأمور كلها في مكانها وزمانها من دون تبديل، أي تبديل، وتبقى الديمقراطية الأميركية هي الديمقراطية ونبقى نحن أسرى أنظمة الاستبداد، الأنظمة التي تتحكم بمصائرنا وهي تهتف ونهتف معها بأعلى الصوت: فلتسقط الامبريالية الأميركية. ما أشد غباء أيامنا السالفة، أو بعضها، وما أشد غباء أيامنا الراهنة وما بعدها. مساكين نحن!

تذكرت في هذا السياق من الحديث عن الديمقراطية الأميركية الطرفة التي جرى تداولها في خمسينات القرن لدى زيارة القائد الشيوعي السوفياتي خروتشوف إلى أميركا ولقائه مع الرئيس الأميركي جون كينيدي. قال كندي لخروتشوف مشيداً بديمقراطية بلده: نحن نتسامح مع التظاهرات التي يقوم بها أميركيون وأجانب أمام البيت الأبيض وهم يهتفون بشعارات معادية للامبريالية الأميركية. هل تسمحون أنتم بتظاهرات من هذا النوع أمام الكرملين؟ أجابه خروتشوف: بالطبع. نحن نسمح بالكثير من هذه التظاهرات التي تقف أمام جدار الكرملين وهي تهتف بأعلى الصوت: تسقط الامبريالية الأميركية!

وأذكر أنني في زيارتي الأولى تلك للولايات المتحدة الأميركية تعرّفت من خلال لقاءاتنا مع الأميركيين ومع المغتربين اللبنانيين القدامى والجدد في المدن الاثنتي عشرة التي زرناها، تعرفت إلى ما لم يكن بالامكان معرفته إلا بالمشاهدة. تعرّفت إلى سمات الشخصية

الأميركيـة المركّبـة. وتعرفـت إلى الانسـان الأميركي البسـيط الذي يشـبه ببراءتـه وعفويته الانسـان السـوفياتي ويختلف عنه في مسـتوى الثقافة التـي يتميز بها السـوفياتيون والروس تحديـداً منذ القـدم. وهي ملاحظة تبدو غريبـة لما بين البلدين وتاريخهمـا وحاضرهما من اختلاف جوهري في كل الأمور. وقد عرفت إلى جانب ذلك، بالمشاهدة وبالتأمل والقراءة السريعة للوقائع، كم هي كبيرة أميركا ومتقدمة في عمرانها وفي ثرواتها الطبيعية التي حوّلتها التكنولوجيـا إلـى عناصـر قـوة وغنـى. وأجريت مقارنة سـريعة بين هـذه الدولـة الأميركية العظيمة وبين الدولة السـوفياتية العظيمة بتاريخها القديـم والحديث وبثرواتها الفائقة الغنى في كل المجالات. وقادتني تلك المقارنة إلى شيء من الحزن. وتساءلت ببراءة من موقعي كاشـتراكي لماذا لـم يتحوّل الاتحاد السـوفياتي بثرواته البشـرية والطبيعيـة الفائقة الغنى إلى الدولـة الأكثـر تقدمًـا من أميركا؟ أين هي المشـكلة، وما هي الأسـباب التـي جعلت أميركا الحديثة بتاريخها، البسيطة بثقافة شعبها، تمتاز بتقدمها عن الاتحاد السوفياتي الذي كان يبني الاشـتراكية حاملة راية التقدم والحرية والسـعادة للبشـر؟ تسـاءلت كثيراً، ثم تابعت مهمتي السياسية التي ذهبت من أجلها إلى القارة الأميركية.

لكـن زيـارة وفدنا إلى أميـركا قادتنا إلى كندا. وهـي زيارة عرّفتني إلى تلـك البلاد وإلى طبيعتها وطبيعة شعبها وإلى مغتربينا اللبنانيين فيها بانتماءاتهم المختلفة. وأذكر أنني اتفقت مـع شـريكيّ في الوفـد، وهما إنعام رعـد رئيس الحـزب القومي الاجتماعي وسـمير صباغ ممثـل حركة "المرابطون"، على تنظيم لقاء في مدينة مونتريال نجمع فيه مغتربين لبنانيين من الحركة الوطنية ومن "الجبهة اللبنانية". وتطوّعت لإدارة النقاش في اللقاء بعد عرض قدمت فيه بعض الأفكار حول إمكانية وضرورة الحوار بين فريقيّ الصراع في الحرب الأهلية. كان ذلـك اللقـاء هو الأول من نوعـه خلال الحرب الأهلية خـارج الوطـن، وكان صعباً. لكنني فرضت بحزم على المتحاورين ألا يكونوا اسـتفزازيين فـي عرض أفكارهم، وقمعت بعض الاسـتفزازات مـن الطرفين. لكـن اللقاء انتهى مـن دون نتيجة. وكان ذلـك طبيعياً في تلك الحقبة. ثم تطوّعت لإجراء حديث مباشر على الاذاعة مع المستمعين قدمت فيه على مدى ثلث سـاعة أفكاري. وتركت ثلثي السـاعة الباقيين للحوار مع المسـتمعين من اللبنانيين من فريقيّ الصراع في الحرب الأهلية ومن الكنديين. لم يكن الحوار شيقاً. إذ استمعت فيه إلى مـن رحّب بي واسـتمعت إلى من وجّه لي الشـتائم. وانتهى الحـوار من دون جدوى. هكذا كان عليه الحال بين اللبنانيين في الحرب الأهلية داخل الوطن وفي بلدان الاغتراب.

**الأحد 19 أيلول - سبتمبر**

كان هذا الأحد حافلاً بأحداث بعضها بسـيط وبعضها صعب وبعضها الآخر جميل. في الصباح كان لي لقاء مع دكروب، لقاء مصارحة بين صديقيّ عمر. وكان لي لقاء مع صديقي

الطبيب السوداني مصطفى الخوجلي عن مستقبل السودان، وعن المصالحة وإتفاق السلام بين الجنوب والشمال. وسمعت بخبر الاعتداء على مهرجان للحزب الشيوعي السوداني قام به حاقدون. وقد ذكرني هذا الاعتداء بمحاولة اعتداء في المكان نفسه في العام 1974 جرى صدّه. الحادث خطير بدلالاته. ماذا يراد منه، ومن يقف وراءه في تلك اللحظة الحرجة من تاريخ السودان؟

أما الجميل في هذا النهار فهو تلك السهرة التي أقامها ابني غسان مع خمسة وعشرين من رفاقه، عشية عودته إلى تولوز. والحدث الجميل الثاني هو أن هانية وجدت مكاناً للعمل مع روجيه عساف في مسرح بيروت وكانت سعيدة. كنا نجوى وأنا سعيدين بذلك.

**الاثنين 20 أيلول - سبتمبر**

اليوم غادرنا، مصحوباً بحب عظيم، ابننا غسان إلى تولوز. كان ذلك في آخر الليل. لم أجد نجوى أكثر سعادة مثلما وجدتها وهي تعد الطعام له وتلملم أغراضه المبعثرة.

هدأت عاصفة الأيام الماضية حول جمعية "النجدة الشعبية"، أو لم تهدأ؟ اقترحت على الرفيق فاروق أن يكون مرناً في مواجهة هذا النوع من الأحداث غير المألوفة في حزبنا. يجب أن نحافظ على "النجدة الشعبية". والجدير بالذكر أن هذه الجمعية التي أسسها الحزب الشيوعي في مطالع السبعينات كانت الأولى من نوعها في المهمات التي تطوعت لها في المجالين الصحي والاجتماعي. وتمكّنت بنشاطها من إنشاء مستشفى في النبطية يحمل اسمها بمساعدة من دولة الكويت. وهو مستشفى يقوم بدور مهم في المنطقة. لكن المؤسف أن خلافات نشأت داخل الحزب وداخل "النجدة" حول عملها وحول المشرفين عليها وحول مستقبلها. هكذا صارت الأمور في الحزب مع شديد الأسف المرفق بالمرارة.

## تجربة مسؤول حزبي
## في العمل السياسي

**الثلاثاء 21 أيلول - سبتمبر**

كان هذا اليوم عادياً جداً. لم تلفت انتباهي أحداث ذات أهمية. يوم روتيني لا يوحي لي بقول أي شيء. ربما لذلك بالذات شعرت بألم مفاجئ في ظهري. هل يعود ذلك إلى أن جعبتي فرغت من الاهتمامات؟ لكن ما أن أطل المساء حتى ذهب الألم، واستعدت اهتماماتي.

ذهبت إلى دمشق في زيارة لأصدقاء عزيزين تحدثنا خلالها في شؤون وشجون شتى. عادت الاهتمامات عندي تتزاحم، فذهب الألم الجسدي ليحل محله الأرق والقلق والوجع الانساني والروحي. ما أشد العلاقة بين الروحي والمادي في حياة الانسان، أفكاره، وجدانه، مشاعره.

يسـألني بعض أصدقائي كيف كنت أوفق بين مواقفي الفكرية والسياسـية وأنا في موقعي في قيادة حزب يساري، وبين علاقات صداقة حميمة كانت تربطني بشخصيات من اتجاهات متعارضة ومتناقضة مع مواقفي وأفكاري ومع موقعي السياسـي. ولهذا السـؤال تاريخ يعود إلـى الستينات. وهـي المرحلـة التي كانت تنضـج فيها عنـدي عناصر التعـارض مع بعض سياسات الحزب داخلياً وعربياً وعالمياً، وتحديداً في العلاقة العضوية التي كانت قائمة بين حزبنـا وبين الحزب السـوفياتي إلى الحـد الذي دعا أحد قادة الحزب آنـذاك في جوابه على بعض ملاحظاتي بأن حزبنا الشيوعي يستوحي مواقفه من بيانات وكالة تاس! هكذا بالنص. فجعني ذلك الكلام واعترضت عليه. وبدأت أقاوم. وسـرعان ما اكتشـفت أن لي شـريكين فـي موقفي ذاك هما جورج حـاوي، الذي كان مثلي عضواً في سـكرتارية الحزب، وجورج البطـل عضـو اللجنة المركزيـة الذي كان يقيم في بـراغ ممثلاً الحزب في هيئـة تحرير مجلة الأحزاب الشـيوعية "قضايا السلم والاشتراكية". وهكذا بدأ الصراع داخل الحزب من جيل الشـباب والحرس القديم تحت شـعار التغيير. اسـتمر الصراع عاماً ونصف العام انتهى إلى عقـد المؤتمر الثاني للحزب الـذي حددت قراراته طبيعة العلاقة مع الاتحاد السـوفياتي في شـكل متـوازن من دون مبالغات في أي مـن الاتجاهات. كنت في ذلك الوقت قد عدت من فيينا بعد ثلاث سنوات من العمل في قيادة مجلس السلم العالمي. وهي كانت سنوات حافلة بالنشـاط وبالعلاقات مع قوى سياسية متعددة الاتجاهات السياسية والفكرية حتى التناقض. لكنهـا كانت تلتقي على قضية أساسـية هي العمل من أجل سـلم عالمـي دائم قائم على حق الأمم في تقرير مصائرها بحرية، وعلى حق الاختلاف بين الأفراد والجماعات. وقد نشأت لي صداقات مع سياسيين ومثقفين من شتى البلدان ومن شتى الاتجاهات. كان مطلوباً مني مـن موقعـي في المسـؤولية في قيـادة المجلس عن العلاقـة في مرحلة أولى مع شـخصيات وحركات في القارتين الآسـيوية والأفريقية، ثم في مرحلة ثانية مع شـخصيات وحركات من بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وكان بين الذين كان عليّ أن ألتقي بهم وأبحث معهم في قضايا السـلم مسـؤولون في حزب المابام الاسرائيلي. وهـم خصوم أساسيون لنا كعرب لاغتصابهم أرض فلسـطين. ولـم أتردد في ذلـك رغم صعوبة الأمر من نواحٍ عديدة، بعضها مبدئي وبعضها مزاجي، إذا صح التعبير. وقد نجحت في مهمتي.

لمـاذا هـذه التفاصيـل الآن؟ هل هـو حنين إلى الماضـي أو مجرد اسـتدعاء للذاكرة من أجـل إرضـاء النفس؟ إنهـا، تداعيات تخطـر لي وأنا أكتـب يومياتي لا أكثـر ولا أقل. لكن الأساسي في هذا الاستدعاء للذاكرة هو للقول بأن تلك الفترة من وجودي في مجلس السلم العالمي قد علّمني الكثير من الدروس التي أسهمت في تكوين شخصيتي في شكل مختلف عما كانت عليه في بدايات انتمائي إلى الاشـتراكية. حضرت الكثير من المؤتمرات الصعبة التـي عقدها مجلس السـلم، التي كان عليَّ أن أناقش فيها وأن أسـتوعب الخلافات الصعبة

فـي الآراء والمواقف وصـولاً إلى المحصّلة الضرورية المطلوبـة. وقمت بزيارات عديدة، قادتني للقاء ثلاثة رؤسـاء أفارقة هم الجزائري أحمد بن بله والغيني كوامي نكروما والكيني جومـو كينياتـا ووزيـر خارجية تنغانيـكا (تنزانيا)، ورئيس العـراق يومها عبد الكريم قاسـم. ومـا أكثر مثل تلك الزيارات واللقاءات والنقاشـات الصعبة التـي واجهتني فيها منفرداً أو مع أصدقائي الآخرين.

علـى قاعدة هذه التجربـة العالمية أقمت في لبنان، من موقعي في قيادة الحزب، علاقات صداقة مع عدد من السياسيين والاعلاميين والمثقفين من مواقع واتجاهات سياسية وفكرية مختلفة. وكان غسان تويني وزوجته الشاعرة الرائعة نادية من بين أوائل من تكوّنت لي معهم علاقـة صداقـة. كما ربطتني علاقة صداقة حميمة مع هشـام أبو ظهر صاحب ورئيس تحرير جريـدة "المحـرر"، ووفيق الطيبـي صاحب ورئيس تحريـر جريدة "اليوم"، وغسـان كنفاني وجان عبيد اللذين كانا يعملان في جريدة "الأحرار". كما تعرّفت إلى ميشال إده عندما كان وزيـراً للإعـلام في حكومة عبد الله اليافي (1966)، وبواسـطته تعرّفت إلى كل من بيار حلو ورينيه معوض. وتعددت وتنوعت في ما بعد علاقاتي وعلاقات حزبنا مع الوسـط السياسي برمتـه. والأمثلـة عديـدة. وعندمـا نجحنا، نحـن الجيل الثاني فـي قيادة الحزب الشـيوعي فـي الثـورة الاصلاحية (1966-1967)، التـي انتهت بعقد المؤتمر الثانـي للحزب، مؤتمر التجديد، (1968)، توفرت عندي الشروط لتثبيت ذلك النمط من العلاقات التي كثرت عليّ الأسئلة حولها. وكانت لـديّ قناعة كنت أدافع عنها، إما اقتحاماً أحياناً وإما في شـكل مرن في أحيان أخرى، قناعة بأن من الخطأ الفادح أن تكون للحزب الشـيوعي كحزب ديمقراطي للتغيير مواقف قاطعة ضد البرجوازية. إذ كنت وما زلت أعتقد أن للبرجوازية في شـرائحها المختلفـة دوراً في التغيير الديمقراطي الذي كان ينشـده الحـزب، دوراً لا يتحقق تلقائياً، بل في نضال صعب وبإتباع سياسـة مرنة وواقعية تحتـرم فيها المراحل. كنت أدرك بوضوح أن بناء الدولة في بلداننا يحتاج إلى مشاركة جميع القوى ومنها البرجوازية، ليس بشروطها ولا بشـروطنا، بل بنوع من المسـاومة التاريخية التي على القوى اليسـارية وفي مقدمتها الحزب الشـيوعي أن يكـون المبـادر إلى صـوغ عناصرهـا والمواضيع الأساسـية المتصلـة بها وفق المراحـل التاريخيـة المختلفـة. وكان المثال الواضـح أمامي لينين في السياسـة الاقتصادية الجديـدة (النيـب) التـي قادته إلى أن يطلب من الرأسـماليين الروسـي والأجنبي أن يسـاهما فـي إعـادة بناء روسـيا المدمرة. وقد عبّرت عـن موقفي هذا في أكثر مـن مؤتمر للحزب، لا سيما المؤتمر الخامس الذي عقد في عام 1987، ثم في المؤتمر السادس الذي عقد في عام 1992، في أعقاب انهيار التجربة الاشـتراكية. كمـا عبّرت عن ذلك في الوثيقة التي أعددتها بالاشـتراك مع رفيقي وصديقي جورج البطل في عام 1988 احتفالاً بالذكرى العشرين لعقد المؤتمـر الثانـي للحزب. وهي كانت وثيقة دخلنا فيهـا جورج وأنا في محاولات تجديد في

فكر الحزب وفي سياساته وفي أشكال التنظيم الحزبي. لكن المؤسف أن الحزب رفض تلك الوثيقة جملة وتفصيلاً. وأخطأنا نحن صاحباها في عدم نشرها على مسؤوليتنا. وما زلت أحتفظ بها في أرشيفي كشاهد على مرحلة من حياة حزبنا. موقفي المشار إليه هو ذاته الذي أعتبر فيه أن لرفيق الحريري مشروعاً يتصل ببناء دولة رأسمالية حديثة، تخرج البلاد من دمار الحرب الأهلية ومن أنماط في السياسة والاقتصاد كانت سائدة على امتداد مرحلة ما بعد الاستقلال عطلت تطور لبنان، باستثناء عهد فؤاد شهاب نسبياً. وبالطبع فلست أدافع عن مشروع الحريري بكل تفاصيله. لكنني أعتقد أن علينا أن نناقش معه أفكاره لكي نصحح ونرشد قدر ما نستطيع في هذا المشروع، وأن نتابع النضال معه وضده لمنع تحويل مشروعه في اتجاهات تتناقض مع جوهره. وهو أمر ممكن وصعب في الآن ذاته.

المهمة التي تواجه البلاد اليوم هي كيف نهيئ الشروط للتحرر من الوصاية السورية. لقد حان الوقت لكي ندير شؤوننا بأنفسنا. هل يعقل أن نبقى، نحن اللبنانيين، بحاجة إلى وصي يدير شؤوننا بالنيابة عنا ووفق مصالحه؟ الدور الذي تقوم به الوصاية السورية في تعطيل المؤسسات وتعطيل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو الذي جعل الانقسامات الطائفية والاستنفارات الغرائزية فيها محور الحياة السياسية وأفقها المقفل على التغيير. إننا بحاجة إلى قوى سياسية جديدة تقف في وجه الكارثة قبل أن تصل الأمور إلى مرحلة تُستعصي فيها الحلول على أي تغيير في الاتجاه الصحيح. التغيير يبدأ أولاً بإقامة دولة مدنية ديمقراطية حديثة، دولة مؤسسات، تأخذ سماتها مما صار يعرف في الأدبيات السياسية بدولة الحق والقانون. وقيام هذه الدولة لا يتم إلا بقوى جديدة تؤمن بالوطن اللبناني كوطن طبيعي لكل اللبنانيين أسوة بكل الأوطان، وتدافع عن سيادته واستقلاله، وتحرره من كل أشكال التدخل الخارجي في شؤونه الذي استدعتها الطبقة السياسية السائدة ذاتها وأدخلت البلاد في الحرب الأهلية، ولا تزال تدخلها، باسم الوصاية السورية وضدها في صراعات إقليمية ودولية تتعارض مع مصلحة لبنان وشعبه. ولست في ما أسوقه من رأي حول الوصاية السورية وعن ضرورة تحررنا منها من أجل بناء الدولة، لست من الذين يعتقدون بأن فريقاً بعينه ولوحده يمكن أن يقوم بهذه المهمة التاريخية. فهي مهمة جميع اللبنانيين عندما يصبحون مؤهلين بوعي وبواقعية للعمل من أجل تحقيقها.

**الأربعاء 22 أيلول – سبتمبر**

كادت لقاءاتي في هذا اليوم في دمشق تصل، بعددها وبالقضايا التي أثيرت فيها، إلى مستوى الأسبوع لكثرتها. عدت إلى بيروت مرهقاً من التعب، تعب السفر المتواصل في الأمكنة والأزمنة وفي القضايا والهموم. واستمعت في المساء إلى أخبار الدنيا.

التنصت في لبنان هو مثار الاهتمام في هذه الأيام. وكذلك هي الملاحقات القضائية

واستقبالات الرؤساء ورجال الدين. أما رجال الدنيا فخطابهم السياسي يشير إلى نقص في الوطنية حتى لا أقول أكثر من ذلك. ثمة غياب فاضح للسياسة بالمعنى الذي يعطي للسياسة دوراً في بناء الدول والمجتمعات والأوطان. وغياب هؤلاء السياسيين عن العمل السياسي الحقيقي هو أحد مصادر غياب السياسة أو تغييبها ومصدر تعطيل بناء الدولة الحديثة والبقاء تحت الوصاية السورية.

مضحك أمر هذه القضية، التنصّت. مضحك ومبكٍ الجدل حول اللامركزية الإدارية. ديمقراطيتنا تزداد زيفاً أمام أعيننا، وأصحاب القضية الأصليون غائبون. هنا تبرز خطورة ما حدث في طرابلس من اعتداء على اجتماع للحزب الشيوعي احتفالاً بذكرى انطلاقة جبهة المقاومة. وهو اعتداء جرى أمام أعين القوى الأمنية من دون أن تحرِّك ساكناً. ماذا يعني ذلك؟ هل كان هدف الاعتداء إنذاراً موجهاً للحزب من قبل الوصاية السورية للكفّ عن التذكير بدوره في إطلاق العمل المقاوم ضد الاحتلال الاسرائيلي؟

## شاهدت الخلل في التجربة الاشتراكية وسكتّت عنه لثلاثة أسباب غير مقنعة!

**الخميس 23 أيلول – سبتمبر**

رافقتني هذا اليوم هموم عديدة، قديمة وجديدة، رافقتني حتى في منامي. وأنا قليل الأرق. أنام مثل الطفل من دون حاجة إلى أية واسطة، مستشهداً بقول المتنبي ومقلداً إياه:

أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جراها ويختصم

أنام في الليل ثماني ساعات بكاملها، تضاف إليها ساعة في النهار عند القيلولة. لكن الهموم تستدعي الأرق في بعض الحالات لساعة لا أكثر. استعنت في النهار للقضاء على هذه الهموم بالانخراط في كتابة مقال لجريدة "السفير" عن تجربتي في القرن الذي يوشك أن يغادرنا، ونغادر فيه بعض أحلام ماضينا. الكتابة صعبة. فهل أنجح في ذلك؟ أشك في قدرتي على الكتابة في هذا الموضوع بنجاح. ومع ذلك سأحاول. لقد أنهيت قبل أيام كتابة نص مختصر لما أسميه سبعين حياتي. وهو بالتأكيد نص ناقص، لكنه مليء بالإشارات.

لن أغامر الآن في كتابة سيرة حياتي. لا يزال أمامي متسع من الوقت. سأكتب إشارات هنا وهناك إلى أن أكتشف شكل كتابة السيرة، الشكل الذي يبرر كتابتها.

أعدت في المساء قراءة النص الذي كنت قد أرسلته لقسم الأرشيف في جريدة "السفير" حول السيرة المكثفة لحياتي السياسية والفكرية. النص أمين لسيرتي. لكنني اكتشفت أنه نص استعراضي لعلاقاتي مع رؤساء دول وقادة أحزاب شيوعية واشتراكية ديمقراطية وليبرالية وقومية تعد بالعشرات. وجدت في هذا الاستعراض إدعاء لا فائدة منه للقارئ. كان ينبغي

عليَّ أن أقدم مزيداً من الشرح للظروف التي قادتني إلى تلك اللقاءات وإلى تلك العلاقات التي نشأت لي مع تلك الشخصيات في أعقاب تلك اللقاءات. لن أعيد النظر في النص. فقد خرج من ملكيتي وصار له أصحاب سواي. سأكتفي ببعض الملاحظات أدوّنها في يومياتي وأحاول أن أستحضر منها الآن، بعد هذا الزلزال المتمثّل بانهيار الاتحاد السوفياتي وكل التجربة الاشتراكية، بعض ما كان مكبوتاً ومسكوتاً عنه، أو معبّراً عنه بخجل عن حقبة عمرها ثلاثة أرباع القرن. ملخص ما أريد أن أستحضره هو أن علاقة أحزابنا الشيوعية بقادة الدول الاشتراكية وبقادة أحزابها كانت تعسفية، وهو ما أشرت إليه في أحد يومياتي السابقة. كنا نتوهم أننا سعداء بتلك العلاقة، طوعاً أو كرهاً، باسم الانتماء إلى الأممية الشيوعية التي كانت تتهيأ لتخليص البشرية من ظلم وظلام وعبودية عمرها ألوف السنين. كنا نستقوي بذلك النوع من العلاقة الأممية ونحصّن أحزابنا بها ضد مخاطر الداخل والخارج القائمة والداهمة. لكن تلك العلاقة كانت تكوّن مع الزمن مرارة كامنة عند بعض الذين كانوا يرون بحق أن للعلاقة الأممية صيغة أخرى قديمة، من نوع ما كان قائماً في أيام ماركس ولينين، إذ كانت أكثر احتراماً لخصوصيات بلداننا. كانت أحزابنا صغيرة وكان تأثيرها محدوداً. وكانت الرومانسية هي الطاغية في كثير من الأحيان في الشعارات وفي المواقف. كنا مستعجلين للوصول إلى غاياتنا التي كان يحددها لنا انتماؤنا إلى الشيوعية وإلى مشروعها العظيم لتغيير العالم. وكان الاتحاد السوفياتي، وكانت منظومة الدول الاشتراكية التي تأسست في نهاية الحرب العالمية الثانية بدور مباشر من الاتحاد السوفياتي، مهمومين بكيفية تأمين الشروط في بلدانهم للحاق بالدول الرأسمالية في ميدان التسلح في ظل اقتصاد ضعيف، وذلك لمواجهة احتمال قيام حرب عالمية جديدة. وكان ستالين قد قسّم العالم في أعقاب الحرب العالمية الثانية، في ظل ما سمّي بالحرب الباردة، إلى معسكرين إمبريالي وإشتراكي. وأكد أن الصراع بينهما حتمي، وأن الانتصار في ذلك الصراع سيكون حتماً لصالح الاشتراكية في نهاية المطاف. كان الشعار المعمم آنذاك أن البشرية تواجه مرحلة انتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية. ولهذه الأسباب بالذات كان همّ الدول الاشتراكية وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي أن تكسب إلى جانبها أكبر عدد من الدول الصغيرة والمتوسطة الحجم من دول ما كان يسمى العالم الثالث. ولم تكن أحزابنا ذات وزن مقرّر في بلداننا. فكان مطلوباً منها أن تقدم للدول الاشتراكية ما تحتاج إليه من دعم لسياساتها حتى ولو على حساب مصالح بلداننا وأحزابنا. وكانت الأممية الشيوعية ترسل توجيهات إلى الأحزاب الشيوعية منذ تأسيسها، حتى بعد حل الكومنترن في عام 1943، وبعد تأسيس الكومنفورم في عام 1948 وبعد حلّه في عام 1956. وكان يعاقب كل من يخالف تلك التوجيهات. كانت الأممية تنظيماً تتوحد فيه، طوعاً أو كرهاً، كل الأحزاب المنتمية إليها بقيادة الاتحاد السوفياتي من دون شريك.

اختلف الوضع بعض الشـيء بعد وفاة ستالين. لكن موضوعة التطور اللارأسمالي التي ابتدعـت في عهد خروتشـوف كانت تعطي لمن تمّت تسـميتهم "الديمقراطييـن الثورييـن" الأولويـة من اهتمـام ورعايـة ودعم الاتحاد السـوفياتي والدول الاشـتراكية، على حسـاب الأحزاب الشـيوعية ودورها في كل بلد من بلداننا والبلدان الشـبيهة ببلداننا. وجرى التنظير فـي تلك الموضوعة لـدور الجيوش في البلدان المتخلفة في إحداث التغيير. وقد أدى ذلك إلى نشـوء سـلطات اسـتبدادية في بلداننا على قاعدة الحزب الواحد والزعيم الواحد اقتداءً بما كان سـائداً في البلدان الاشتراكية. وكانت تلك الأنظمة الاستبدادية وزعماؤها يتمتعون بعلاقـة صداقة ودعم من الاتحاد السـوفياتي للأسـباب الآنفة الذكـر. وكان من الطبيعي في ظل هكذا وضع وهكذا سياسـة أن تدفع الأحزاب الشـيوعية الثمن أولاً بتقليص نفوذها، أو باندماجهـا في السـلطات القائمـة أو في عقاب بعضهـا لأنها رفضت الانصيـاع للتوجيهات الآتيـة إليها من الاتحاد السـوفياتي. ولـم يكن عدد الأحـزاب التي عوقبت كبيراً. لكن حزبنا الشـيوعي كان واحـداً من تلـك الأحزاب حين قـررت قيادته من جيل الشـباب في أزمة عام 1966-1967 إحـداث تغييـر فـي طبيعة عملها وفـي طبيعة علاقتها بالاتحاد السـوفياتي في اتجـاه اسـتقلالية الحزب في الشـأن الوطنـي اللبناني عن السياسـة السـوفياتية. وهي كانت استقلالية نسبية. وكانت قد رفضت بقوة من قبل المركز السوفياتي.

إلا أن ما شـاهدته من خلال إقاماتي الطويلة في الاتحاد السـوفياتي وفي بلدان اشـتراكية أخرى أو من خلال زياراتي الكثيفة إليها، كان مثيراً للقلق عندي. شـاهدت بأم العين وجود علاقـة سـلبية بين الحـزب والدولة وبين الشـعب في موضـوع الحرية، حرية الـرأي وحرية الحركـة وحريـة التفكيـر، مجرد التفكيـر، حتى في مـا يتعلق بتطوير وتحسـين عمليـة البناء الاشـتراكي. وكان المثقفـون الأكثـر تعرضـاً للعقوبات وكانـوا الأكثر تميزاً فـي التعبير عن احتجاجهم. وكان مما عانيت منه شـخصياً، عندما كنت أتولى مسـؤولية العمل في الميدان الاقتصادي في الحزب، ذلك الفساد الذي كان سائداً في المؤسسات الاقتصادية في البلدان الاشـتراكية. وكان ذلك مصدر مرارة عندي. والحديث في هذا الموضوع يطول. والأمثلة كثيرة على ما أقول. لكنني أعترف بأنني لـم أتجرأ في ذلك الحين على التعبير عن رأيي في ما كنت أعتبره مخالفاً لمبادئ الاشتراكية كما تعلمتها وكما فهمتها. وكان لإحجامي عن التعبير عن رأيي حول عناصر الخلل المشـار إليها في المرحلة السـابقة علـى المؤتمر الثاني لحزبنا ثلاثة أسـباب. السـبب الأول يتمثّل في خوفي من أن يقود ذلك إما إلى الاحباط لدى بعض الرفاق، أو إلى الاحتجاج على كلامي لدى رفاق آخرين. السبب الثاني يتمثل في خوفي من العقاب الذي كان يمكن أن يصل إلى الطرد من الحزب. وكان ماثلاً أمامي في ذلك الحين ما جرى للقائد الشـيوعي الكبير فرج الله الحلو. أما السـبب الثالث فيعود إلى أنني كنت شديد الارتباط بالاشـتراكية في ما يشـبه اليقين الايماني بها وبمسـتقبلها، وعميق الاقتناع بأن مثل

تلك الأخطاء لا بد أن يتم تجاوزها ولو في زمن متأخر. وكان ارتباطي الايماني بالاشتراكية وبمستقبلها الذي أشرت إليه هو الذي دعاني في عام 1956 خلال أحداث المجر، أي ما سمّي الثورة من قبل فريق وما سمي الثورة المضادة من قبل فريق آخر، إلى اتخاذ قرار صعب في تبرير التدخل العسكري السوفياتي لقمع تلك "الثورة" بإسم الحفاظ على الاشتراكية وعلى مستقبلها في المجر.

كان ذلك حالي في البدايات. إلا أنني كنت شديد الحذر حتى في المرحلة التي تحررنا فيها من نمطية العلاقة مع الاتحاد السوفياتي في الدخول في التفاصيل التي تشير إلى الخلل الذي كان يتعاظم في بناء التجربة الاشتراكية. لذلك سمعت الكثير من الملاحظات حول ما توسعت في شرحه حول عناصر الخلل بعد أن انهارت التجربة الاشتراكية. وهي ملاحظات محقة.

لن أدخل في هذه اليومية بأي حديث عن قادة الأحزاب الشيوعية في بلداننا وعن قادتها في بلداننا وفي البلدان الكثيرة التي زرتها، وعن الكثير مما عرفته من سياساتها في الصواب وفي الخطأ. يكفي أن أشير إلى أنها تراجعت جميعها إلى حدود الانهيار، الواحد منها تلو الآخر، وخرجت من أدوار سابقة لها كانت تعطيها في بعض البلدان مواقع مهمة. حصل ذلك مع انهيار التجربة، بل حتى قبل انهيارها في بعض الحالات. أما الأحزاب القومية فقد دفعت هي ذاتها الثمن الأول وكبّدت بلداننا الثمن الأكبر حين استولت بعض قياداتها على السلطات بانقلابات عسكرية، وأسست أنظمة استبداد تحكمت ولا تزال تتحكم بمصائر بلداننا. وأثبتت تلك الأحزاب في الممارسة كم كانت برامجها ومشاريعها خاوية، وكم كانت أقرب إلى الشعبوية أو الرومانسية. وهكذا فرغت الساحة في بلداننا لأنظمة الاستبداد في صيغها المختلفة لتتحكم بها وتزيد شعوبنا قهراً وظلماً، وتزيد بلداننا تخلفاً. وأذكر، في هذا السياق، في ما يشبه الاستهجان، كم كان صعباً عليّ وعلى كثيرين من أمثالي من قيادات أحزابنا الصغيرة إقامة علاقات صداقة مع قياديين في الحزب الشيوعي السوفياتي وفي الأحزاب الشيوعية والعمالية في البلدان الاشتراكية، رغم كثرة اللقاءات. لكنني أستثني، ولكل قاعدة استثناء، عدداً ممن كانوا أصدقائي في اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي واتحاد الطلاب العالمي في الخمسينات، ثم أصبحوا مثلي أعضاء في قيادات أحزابهم. وهؤلاء الرفاق هم لامبرز الألماني وتلالوف البلغاري وفويتاشيك البولوني وتشن لي جن الصيني وفالدس ريسكت الكوبي وسردا مترا الهندي وبرونو برنيني الايطالي وجاك دنيس الفرنسي وسوكاتنو الإندونيسي. وهي صداقة استمرت مع هؤلاء طويلاً. ولم يكن بينهم سوفياتي واحد بالمستوى ذاته من الصداقة، رغم كثرة العلاقات التي أقمتها مع قياديين سوفيات في مستويات مختلفة. لكنني أود أن أشير إلى ما يبدو لي كظاهرة لم أعرف مثيلاً لها في علاقتي مع الحزب الشيوعي السوفياتي تتمثل بكرلينكو الذي كان يحتل المركز الثاني في قيادة

الحزب الشيوعي السوفياتي. وكنت ألتقيه في موسكو وفي لبنان مع رفاقي في قيادة الحزب الشيوعي اللبناني. ظاهرة كرلينكو تتمثل في أنه اختار من تلقاء ذاته التقاعد عندما بلغ السن القانونية. وأذكر أنني التقيت به في عام 1984 في موسكو عندما كنت أشارك مع فؤاد سلمان نائب رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي في احتفالات عيد النصر على الفاشية في الحرب العالمية الثانية. كنت مع فؤاد ندخل مشياً على الأقدام في الساحة الحمراء لنحتل مكاننا في مقاعد الضيوف. وإذ بنا نرى فجأة كرلينكو يعبر معنا المسافة التي تقوده إلى مقعده بين الشخصيات السوفياتية غير القيادية بالقرب من المقاعد المخصصة للضيوف الأجانب. حييناه وتابعنا معاً سيرنا في اتجاه مقاعدنا، وأنا أتحدث معه بلغتي الروسية المتواضعة. هل هي ظاهرة حقاً ظاهرة كرلينكو هذه، أو هكذا أراها ؟ وأعترف أنني لم أر في سوسلوف، الذي كان يعتبر عالمياً المنظر الكبير للشيوعية السوفياتية بعد ستالين، ما يشير إلى هذه الصفة التي أعطيت له، بعد أن أتيحت لي فرص عديدة للالتقاء به والحديث معه. أما بونماريوف فكان ثقيل الظل، كثير الادعاء، أقرب إلى رجل مخابرات منه إلى قائد سياسي في موقعه كسكرتير للعلاقات الخارجية في الحزب الشيوعي السوفياتي.

استرسلت في شرح أوضاع أحزابنا وبلداننا في العلاقة مع البلدان الاشتراكية، وحتى في التعارض معها، لأصل إلى القول بمرارة إننا أضعنا نصف عمرنا سدى. لكنني، مع ذلك، أؤمن بأن لا نهاية للتاريخ. وأؤمن في الآن ذاته بأن علينا أن نخرج من أزماتنا وندخل في الطريق إلى مستقبلنا القادم، حتى ولو كان بعيداً، على قاعدة إعادة إحياء مشروعنا الاشتراكي في صيغة جديدة معاصرة، وتحريره من عناصر الخلل التي برزت في التجربة، والعمل على تشكيل كتلة تاريخية جديدة وواسعة من القوى ذات المصلحة في الانتقال من زمن التراجع والانهيار إلى زمن النهوض. لا بد من مشروع نهضوي جديد. هذا هو همي في الألفية الثالثة. فهل سيكون هذا الهم هو ذاته همّ القوى الأكثر فاعلية في الاتجاه ذاته، وأن يكون للشباب دور الريادة والقيادة والنضال الحاسم فيه؟

## كتاب "حقوق الانسان" لرئيف خوري
## أول كتاب من نوعه صدر في عام 1937

**الجمعة 24 أيلول – سبتمبر**

بدأت في قراءة الملحمة الجديدة لعبد الرحمن منيف "أرض السواد". مدخلها ملحمي. سأكمل القراءة. أكثر لقاءاتي مع عبد الرحمن منيف كانت تتم في منزله في دمشق أو في منزل سعد الله ونوس برفقة فيصل دراج. وهي تتم أحياناً في بيروت عندما يأتي لزيارة أصدقائه القدامى، وفي مقدمتهم صديقنا المشترك طلال شرارة، إما في منزلي وإما في منزل

طلال أو في منازل أصدقاء آخرين. وطلال هو الذي عرّفني إلى عبد الرحمن في باريس عام 1982. كنا نلتقي في منزل طلال وفي المقاهي الباريسية الجميلة. وعرّفني طلال إلى المُعارض المغربي أحد قادة الاتحاد الاشتراكي محمد البصري الذي يعرف بالفقيه. كما عرفني إلى أحد أبرز زعماء الحركة الديمقراطية السورية أكرم الحوراني. وكانت لي مع هذين القائدين لقاءات ونقاشات حول واقع العالم العربي في ظل تلك الأزمة الخانقة التي كانت الحرب الأهلية في لبنان أحد تعبيراتها.

يجري الحديث كثيراً عن حقوق الانسان في الأمم المتحدة. لكن ما أكثر ما يرتكب من جرائم باسم حقوق الانسان. أتذكر الآن، في هذا الصدد، كتاب رئيف خوري الرائع والمدهش الصادر في عام 1937 حول حقوق الانسان. وهو أول كتاب من نوعه في العالم العربي، استعرض فيه رئيف قضية حقوق الانسان من الثورة الفرنسية حتى الثورة الاشتراكية. لكن هذا الكتاب، على أهميته وجرأة رئيف فيه، يحمل الكثير من الأوهام حول الاشتراكية! والسبب معروف. يشير إلى ذلك تاريخ صدور الكتاب. فقد كان العالم يعيش على أعصابه عشية اندلاع الحرب العالمية الثانية التي قادت العالم إليها النازية والفاشية. وكان الأمل في أن تكون الاشتراكية هي الحل التاريخي لقضية حقوق الانسان.

ما أروع إبداعات رئيف خوري هذا المفكر المستنير في أزمنة الظلمات.

أعدت ترتيب مراسلاتي. وهي كثيرة لكنها ليست ذات أهمية. أحتفظ بها فقط للتذكير بتاريخ قد لا يكون له أي معنى. إنه مجرد تصنيف للذاكرة. سأحاول العمل ذاته بالنسبة لصوري في مناسبات عديدة. وهي بالنسبة إليّ أكثر أهمية من المراسلات. ومع ذلك فهي تحمل الصفة نفسها، مجرد تصنيف للذاكرة.

## أعراس أيام زمان
## أعراس فرح حقيقي

**السبت 25 أيلول - سبتمبر**

تختلف طقوس الأعراس في بلادنا اليوم عما كانت عليه في الماضي. كانت قبل ذلك أجمل وأكثر عفوية وبراءة وأقرب إلى الفرح الحقيقي. صارت اليوم في معظمها تظاهرات استعراض يختلط فيها الحابل بالنابل. وصار الفقير يقلد الغني من دون أن تتوافر له الامكانات. وصار الغني يبالغ في مظاهر الترف والبذخ، من دون البساطة التي يفترض بها أن تكون مصدر فرح وسعادة للعرسان ولأهلهم ولأصدقائهم.

أتذكر، في المناسبة، أعراس الماضي في قريتنا حاريص الجنوبية. ولا أنسى عرس محمد الحاج أسعد ناصر، الذي كان يطلق عليه لقب شيخ الشباب. أسبوع كامل من الفرح. كنت

لا أزال طفلاً في التاسعة من عمري. الفرح بقي في مشاعري ووجداني حتى اليوم ممزوجاً بذكريات جميلة. هكذا تكون الأعراس. أما أنا فلم أقم عرساً. لم يكن بمقدوري ذلك. ولم أكن أرغب حتى لو كانت تتوافر لديّ الإمكانات لذلك. ذهبت مع زوجتي فور عقد القران من بيتها إلى بيتي الذي كان خاوياً إلا من سريرين للجلوس عليهما في النهار، والنوم عليهما في الليل. ومن هذا المنزل ذهبنا إلى فندق البستان، نعم فندق البستان الأرستقراطي الجميل في بلدة بيت مري الجميلة، لقضاء ليلة عسل واحدة لا غير. أسعدنا في تلك الليلة أن بعض العاملين في الفندق كانوا من رفاقنا. وضعوا لنا الزهور على طاولة العشاء احتفاءً بنا وتهنئة لي بزواجي المتأخر.

**الأحد 26 أيلول – سبتمبر**

الانتخابات التركية، والتجديد الدائم للرؤساء في دول العالم الثالث، ومنها بلداننا، تطرح الكثير من الأسئلة المتعلقة بمستقبل هذه البلدان في الألفية الثالثة الآتية بسرعة الصوت. وهي أسئلة تتمحور حول إمكانية تحقيق التقدم من دون ديمقراطية! هل يمكن أن يتحقق التقدم من دون ديمقراطية؟! ربما، وهناك أمثلة تقدمها بعض البلدان الآسيوية. لكنني مع ذلك أتساءل: أي معنى للتقدم إذا هو لم يقترن بالحرية وبالعدالة الاجتماعية!

استمعت إلى أوبرا عايدة. ورغم أنني كنت استمعت إليها قبل ذلك فلم أكن اتصور أنني سأستمتع بهذا القدر لدى سماعي ذلك الصوت الأوبرالي العظيم. ما أعظم طاقات الانسان في كل الاتجاهات، اتجاهات الابداع، واتجاهات الفرح. وما أقبح طاقات الانسان وما أفظعها في عمليات القتل والتدمير الهمجية!

يبدو أن الصوت البشري يفوق الآلة في الأداء. ويقال عن بتهوفن أنه استعان في السمفونية التاسعة بالأصوات البشرية عندما عجزت الآلات عن أداء المطلوب منها.

يجب أن أنتهي من كتابي "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف". يجب أن يخرج إلى النور قبل آخر هذا العام. فهو سيكون إطلالتي الأولى على العام الجديد والألفية الجديدة. يجب أن أنتهي من إعداده.

**الاثنين 27 أيلول – سبتمبر**

جلست مع المفكر الكبير قسطنطين زريق، برفقة صديقي صقر أبو فخر، لمدة ساعة ونصف الساعة. لم أكن أعرفه من قبل إلا قليلاً. لكن تاريخه الفكري حافل بالكتب والمواقف. إذ هو يعتبر أبا الفكر القومي المعاصر. ذهنه شديد الصفاء. وموقفه نقدي للماضي وللحاضر واستشرافي للمستقبل. وهو صاحب دعوة جريئة للتغيير الحقيقي ضمّنها كتابه الأخير "ما العمل". أكد لي ابن الـ 92 عاماً أن قراري بالعمل لمدة عشرين عاماً بدءاً من العام القادم ليس هراء. بل هو ممكن التحقيق. وسأتابع السير في هذا الاتجاه. شكراً لك أيها المفكر العربي الكبير.

معرض فني عربي كبير في الأونيسكو. يبدو لي أن جبر علوان هو الأكثر تميزاً بين الفنانين. إنه واحد من قمم الفن التشكيلي المعاصر.

فيلم يوسف شاهين "الآخر" محاولة جريئة من جملة محاولاته الأخيرة، في مواجهة المفهوم الحالي للعولمة، ضد الإرهاب وضد التمييز الديني والعنصري والقومي والحضاري. لا أعرف كيف أصنفه فنياً. إنه باختصار فنان مبدع. وقد أتيح لي أن أتعرف إليه، وأن أشارك مع مثقفين مصريين وعرب في التضامن معه عندما تعرّض للهجوم من قبل سلفيين مصريين. كان ذلك في مقر حزب التجمع في القاهرة. لم أعد أذكر التاريخ.

## أي مستقبل للعالم المعاصر
## في ظل العولمة الرأسمالية؟

**الثلاثاء 28 أيلول - سبتمبر**

حديث العولمة يتواصل. اليوم زارني صديقي رزق الله هيلان، الباحث الماركسي السوري. وجرى نقاش واسع بيننا حول الموضوع وحول كيفية متابعة البحث. أفكار كثيرة. لكن المسألة لا تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتفكير. وأعترف بأننا لم نكتشف بعد الطريق لمعرفة ما يواجهنا في الألفية الثالثة في ظل العولمة.

ما العمل إذا كان بعض الناس، حتى الطيبون منهم، يبدون ثقلاء غلاظاً، غير مهضومين، ويثيرون الضجر؟ لكنني أتساءل في الآن ذاته: هل يصدف أن أكون واحداً من هؤلاء بنظر الآخرين! لا بد من حساب لهذا الأمر في العلاقة مع الآخرين. خفة الظل والدم مسألة مهمة جداً في العلاقة بين الناس.

بمناسبة الحديث عن العولمة أذكر أنني حضرت في عام 1994 في القاهرة مؤتمراً عالمياً حول الثقافة والعولمة شارك في إعداده وتنظيمه لطفي الخولي على رأس لجنة عالمية. كنا اثنين من لبنان، الروائي الياس خوري وأنا. وشارك فيه مثقفون كبار، كان من بينهم المفكران الفرنسيان آلان تورين وريجيس دوبريه. كان النقاش واسعاً، متعددة ومتناقضة فيه الآراء والمواقف. وكان ذلك أمراً طبيعياً. قدمت في المؤتمر ورقة قرأت ملخصاً لها. وكانت لي لقاءات ونقاشات مع عدد كبير من المشاركين في المؤتمر عرباً وأجانب. ثم شاركت في مؤتمر آخر في القاهرة في عام 1997 عن العولمة دعا إليه المجلس الأعلى للثقافة بقيادة جابر عصفور. قدمت للمؤتمر قراءتي للعولمة في نص مكتوب. ولم أتدخل في النقاش. فضلت الاستماع. قلت في ورقتي بأن العولمة ظاهرة تاريخية تعبّر عن سمة العصر. وأشرت إلى أن للعولمة جانبين متناقضين يشيران، برغم تناقضهما، إلى الاتجاه العاصف نحو وحدة العالم الحافلة بالتناقض والصراع بين اتجاهات فيها مختلفة. يتمثّل الجانب الأول في ما تحدث عنه ماركس قبل مئة وخمسين عاماً حول الميل التاريخي في التراكم الرأسمالي

لتوحيد العالم تحت سلطة الرأسمال، فيما صار يعرف اليوم بالعولمة الرأسمالية التي يتحرر الرأسمال في ظلها من قيود الدولة، ويتجاوز ويعبر بحرية كاملة وفي شكل متوحش حدود القارات. أما الجانب الثاني فهو ما تعبّر عنه الاكتشافات العلمية الجديدة وأوتوسترادات المعرفة والاتصالات التي جعلت من العالم قرية كونية. وقلت بأننا إذا كنا ضد العولمة الرأسمالية بحق فإننا لا يمكن إلا أن نكون مع الجانب الذي تعبّر عنه أوتوسترادات المعرفة والاتصالات. ومن طرائف ما سمعت خلال المؤتمر موقف الكاتب المصري جلال أمين الذي أعلن، وهو يعتذر من الحضور، بأنه ليس ضد العولمة الرأسمالية وحسب، بل هو ضد التقنيات الجديدة التي خلقها لنا الرأسمال المعولم المتمثلة بأوتوسترادات المعرفة والاتصالات. حجته في ذلك أن المستفيد من هذه التقنيات هو هذا الرأسمال المعولم المتوحش. لم يناقشه أحد في موقفه. كان تركيز المتداخلين ينحصر في شكل خاص عن الجانب المتوحش في الرأسمال المعولم وضرورة تحديد أشكال نضال البشرية ضد مخاطره. وأعترف بأنني رغم كثرة الندوات التي حضرتها عن العولمة لم تفتح لي تلك الندوات الباب على معرفة إلى أين هي ذاهبة البشرية في ظل سلطة الرأسمال، وأين هي القوى الاجتماعية المتضررة من هذا الرأسمال، وأين هي مشاريعها، وأين هي، على وجه التحديد، القوى الاشتراكية الجديدة وأين هي مشاريعها التي تعيدها إلى مواصلة ما كانت قد بدأته التجربة الاشتراكية بعد ثورة أوكتوبر، على قاعدة مشروع ماركس لتغيير العالم. لكن الجوهر في موقف جلال أمين، كما فهمت منه، هو لفت النظر إلى أن الاكتشافات العلمية والتقنيات الجديدة كلها، رغم أهميتها بالنسبة لتقدم الحضارة البشرية، إنما تستخدم من قبل الرأسمال المتوحش ومن قبل الأصوليات المتطرفة لتدمير الانسان وتدمير الحضارة. ما العمل لتحرير هذه العناصر العظيمة من المعارف من استخدامها ضد الحضارة؟ تلك هي المسألة.

**الأربعاء 29 أيلول - سبتمبر**

أحداث جميلة هذا اليوم. يتمثل الحدث الأول في أنني أنهيت ملحقاً مكثفاً لسيرتي الفكرية والسياسية، وتركت الجانب الانساني من علاقاتي إلى وقت آخر. الحدث الثاني هو لقاء على مدى ساعتين في المساء مع شقيقي أبو هادي عن ذكريات شبابه الأول ومعاناته ومغامراته. الحدث الثالث هو بقية السهرة مع ابنتي هانية وهي تلخّص لي، من أجل امتحان التاريخ، تاريخ الاسلام في مرحلة ما بعد النبي وصولاً إلى العهد الأموي وأحداث تلك الحقبة الحافلة بالصراعات. الحدث الرابع هو متابعتي لقراءة ملحمة عبد الرحمن منيف "أرض السواد". وهي ملحمة بالمعنى الحقيقي يستخدم فيها منيف التاريخ لمحاكمة الحاضر. ما أفظع أحداث ذلك التاريخ، وما أجمل كتاب عبد الرحمن.

## هكذا تعرّفت إلى رفيق الحريري
## وهكذا أقرأ بواقعية ظاهرته

**الجمعة 1 تشرين الأول - أوكتوبر**

عنوان هذا اليوم ومشاعري فيه هو القرف. تذكرني الحالة التي أنا فيها برواية "قرف" للروائي اللبناني فؤاد كنعان، أحد الروائيين المميزين في النصف الثاني من هذا القرن. ورثت القرف من اليوم السابق. أحداث ذلك اليوم لا تومئ لي بشيء جميل. إنه العبث الذي تعبّر عنه العصبيات التي لا حدود لها، لا سيما إذا كانت بين أهل البيت أو الفكر أو الحزب أو التيار أو الدين أو المذهب. ما أفظع وأبشع حقد الانسان على أخيه الانسان. إنه شكل مريع للتخلف الذي يفقد فيه الانسان عقله ووعيه، ويفقد مشاعره الانسانية.

في البلاد اليوم ظاهرة اسمها رفيق الحريري الذي انتقل بسرعة من رجل أعمال إلى زعيم سياسي. أخرج بشكل تعسفي غير مسبوق من رئاسة الحكومة بعد ستة أعوام من وجوده فيها. حصل ذلك في السنة الأولى من عهد الرئيس إميل لحود. فسّر البعض الحدث بأنه عقاب للحريري على محاولاته اتخاذ مواقف مستقلة نسبياً عن الوصاية السورية، وبأنه تحجيم لطموحاته المتعددة الجوانب والأهداف، الخاص منها والعام، ومنعه من تحقيق مشروعه للبنان الجديد على قياسه وعلى قياس لبنان كما يتصوره هو. وهي إشارة واضحة إلى بداية صراع حول مستقبل لبنان بين تيارات من هنا وتيارات من هناك، كل منها يستند ويستقوي بالخارج. وفي ضوء هذا الصراع لا يعلم أحد إلى أين نحن ذاهبون، وفي أي اتجاه، وأي مستقبل لبلدنا!

لقد أصاب الحريري وأخطأ. لكنه سريع التغيّر والتعلم من الأحداث. ولأنني تعرفت إليه في عام 1982 في باريس عندما كنت أرأس وفد الحركة الوطنية في الخارج، ثم في مؤتمريّ جنيف ولوزان في عام 1984، وبعد ذلك في لبنان عندما أصبح رئيساً للحكومة، فقد صار بمقدوري أن ألاحظ بدقة التغيرات التي تحصل في مواقفه وفي طرائق عمله وفي علاقاته مع الآخرين. كان في باريس، عندما التقيته أول مرة، شيخاً سعودياً. هكذا عرّفني بنفسه وبعلاقاته وبالمهمات التي كان مكلفاً بها خلال تلك الفترة من الحرب الأهلية في لبنان. وكان في جنيف سعودياً وسورياً بمعنى ما. وكان في الطائف لبنانياً وعربياً وأممياً. وعندما جاء إلى رئاسة الحكومة في عام 1992 بدأ يتغيّر بصعوبة، بسبب موقعه، في اتجاه أن يصبح لبنانياً بالدرجة الأولى من دون أن يفقد علاقاته الأخرى. لقد تابعت من بعيد التطورات التي كانت تحصل في مواقفه. وقد رأيت كيف أن مشروعه السياسي والاقتصادي يتبلور بصورة مرتبكة في بلد يعيش الاضطراب والارتباك تحت الوصاية السورية، بعد تلك الحرب الأهلية المدمرة التي لم يكن للحريري دور فيها. قرأت في مشروعه رغبة عنده

في بناء دولة فيها شيء من دولة فؤاد شهاب، لكن بتغليب الطابع الرأسمالي على الطابع الاجتماعي الذي كان يحتل مكانة أساسية عند فؤاد شهاب. والمشترك بين الرجلين، في ظروف تاريخية مختلفة بالكامل، هو أنهما كانا يريدان تأسيس دولة حديثة كانت مفقودة على الدوام في تاريخ لبنان منذ الاستقلال. حاول فؤاد شهاب أن يراعي العلاقة مع سوريا في ظل الجمهورية العربية المتحدة بقيادة الرئيس عبد الناصر مع الحفاظ على استقلاليته والحفاظ على استقلال لبنان. أما الحريري فهو أقل قدرة من شهاب على مراعاة العلاقة مع سوريا في ظل الوصاية والحفاظ على استقلاليته. لكنني، برغم هذه الصعوبات التي واجهت الحريري في تحقيق برنامجه، أرى فيه نواة أولية واعدة لمستقبل قد لا يأتي قريباً. لذلك كنت وما زلت من أنصار تقديم الدعم له مع الاحتفاظ بالنقد الصريح والبنّاء للجوانب السلبية عنده وفي مشروعه، الجوانب المتمثلة بطغيان الطابع الرأسمالي على الهمّ الاجتماعي، رغم أنني أقدّر الأهمية البالغة للمنح الجامعية التي قدمها لعشرات الألوف من الطلاب اللبنانيين والعرب. وقلت لبعض رفاقي في الحزب ولبعض أصدقائي من اليساريين والديمقراطيين إن عملية إعادة الاعمار التي يقودها الحريري في ظل الوصاية السورية، والثمن الباهظ لهذه الوصاية، تتطلب منا أن نكون أكثر واقعية وموضوعية في قراءة ما يجري، وأن نعرف جيداً شروط اللحظة التاريخية التي يمرّ فيها لبنان، وأن نقرأ مشروع الحريري كما هو من دون مبالغة في هذا الاتجاه أو ذاك. هو رجل أعمال وليس قائد حزب شيوعي. لكن ما كنت وما زلت أخشاه هو أن يضعف الحريري أمام ضغط الوصاية السورية وحلفائها وضغط الرئيس لحود الذي ينظر إلى الحريري كخصم سياسي، لا أدري لماذا! ما أخشاه هو أن يقود طموح الحريري في لعب دور كبير في تاريخ لبنان الحديث إلى تنازلات أمام الوصاية السورية من أجل البقاء في السلطة ظناً منه أنه يستطيع بتلك التنازلات، من موقعه في السلطة، تحقيق هذه الطموحات ولو بالتدريج. وفي ظني أنه مخطئ في تقديره. فهو ليس أذكى من الوصاية السورية ومن أصحاب هذه الوصاية، المعروفة قديماً وحديثاً مطامحهم ومطامعهم في لبنان.

## مهدي عامل وميشال كامل
## في صورة بطلين تراجيديين

السبت 2 تشرين الأول - أوكتوبر

قضية مارسيل خليفة تطرح ألف سؤال وسؤال حول المستقبل. لماذا صدر قرار بمنع أغنيته "أحد عشر كوكباً" من كلمات الشاعر محمود درويش؟ هل يعقل؟ إلى أين يراد لنا أن نتجه؟ ماذا وبأية وسائل ولصالح من يراد حكمنا والتحكم بمشاعرنا وبعقولنا عشية الدخول في الألفية الثالثة؟ هل سيرد الانسان العربي في ظل الظروف الداخلية والخارجية إلى أرذل العمر؟ مع ذلك فحملة التضامن مع مارسيل سوف تستمر. علينا أن ننتصر في هذه الحملة على خصوم حرياتنا.

أجمل وأصعب الأحاديث والنقاشات والحوارات هي التي تدور بين أب وابنته. وهذا ما حصل ليل السبت - الأحد حول الثقافة وحول تعدد النشاطات باسمها، وحول دور القوى الأجنبية في تمويل بعض ذلك النشاط. قلت ما عليَّ أن أقوله، وتركت لهانية حرية الاختيار.

أقاوم الرشح بالأدوية. هل سأنجح؟ يبدو أن المهمة صعبة. قوة المرض أكبر من فعل الدواء وأقوى من الآراء المتداولة عن هذا الموضوع.

في المساء تذكرت اثنين من أصدقائي رحلا قبل أوان الرحيل هما مهدي عامل وميشال كامل. ما الذي يجمع بين هذين الرمزين الاشتراكيين الكبيرين، وما الذي جعلني أتذكرهما معاً في هذا اليوم بالذات؟

الاستذكار عندما تتوافر شروطه في الذاكرة الحية لا يحتاج إلى إذن من صاحب الذاكرة. تقتحم الأسماء والأحداث وجدان المرء وتصبح جزءاً من حياته في لحظة من الزمن، وتزيح سواها من الهموم والاهتمامات. هذا ما حصل لي هذا المساء بالذات. العلاقة بين مهدي وميشال تتحدد في أن كليهما كانا مهمومين بمستقبل الحركة الاشتراكية في بلديهما وفي العالم. كان مهدي يتعامل مع القضية بالفكر الفلسفي تاركاً للحركة الاشتراكية ولقادتها التفاصيل المتصلة بتأمين الشروط لانتصار الفكرة على الأرض. في حين أن ميشال كان مهموماً في التفاصيل ذاتها التي نأى مهدي بنفسه عن الانشغال بها.

ما أجمل وما أرقى هذين الاشتراكيين في عالمنا العربي. ما أجمل وما أرقى ذلك التفاؤل الذي جعلهما يتصوران أن الاشتراكية هي الحل الوحيد القادم لمأساة بلداننا الغارقة في تخلفها وفي انقساماتها. رحل مهدي شهيداً وهو في أوج عطائه الفكري، شهيد أفكاره وشهيد جرأته في عرض أفكاره وفي الدفاع عنها وعن حرية كل مفكر، حتى وإن كان مختلفاً معه حتى التناقض. أما ميشال فقد ظل صامداً في منفاه الطوعي والقسري في باريس ومعه مجلته المتواضعة والمكافحة "اليسار العربي"، إلى أن رأى بعينيه العاصفة التي تمثلت بسقوط المشروع الاشتراكي وسقوط أحلامه الاشتراكية. فقرر الرحيل غداة العاصفة.

أتذكر هذين البطلين التراجيديين وأعلن اعتزازي بتجربتهما واعتزازي بالصداقة العميقة والحميمة التي كانت تربطني بكليهما. وقد خطر لي سؤال وأنا أتذكر هذين الرمزين للحركة الاشتراكية العربية: كيف يلتقي ويتعايش العلم مع الرومانسية؟ هل هذا السر هو أيضاً جزء من شروط حياة البشر في كل الأزمنة؟

## أنجزت كتاب "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف" وأجّلت إصداره لمزيد من التفكير والمعرفة

**الأحد 3 تشرين الأول - أوكتوبر**

رغم أن النهار كان مكرساً لمارسيل خليفة وابنتي هانية والمسرحي عصام أبو خالد،

فإنني جلست بعد الظهر للاستماع إلى موزار لمدة ساعة واحدة. قمت بعدها لمتابعة الكتابة. مرض الكتابة والقراءة والتفكير، مرض جميل. لكنك تفكر وتكتب والقراء قليلون في عالمنا العربي كما تشير إلى ذلك إحصاءات الأونيسكو. ومع ذلك فلا بد من العمل، ولا بد من الكتابة، ولا بد من التفكير. المهم هو أن يكون للفكر أفق حتى ولو لم تتضح معالمه.

أنجزت كتابي "التفكير اشتراكياً في زمن مختلف" بعد جهد كبير بذلته خلال أكثر من عام. وعندما أعدت قراءته اكتشفت أنه أقل من طموحاتي. وجدته غير مقنع لي بما فيه الكفاية. فكيف بالذين سيقرأونه ممن ينتمون إلى الاشتراكية ويبحثون عن صيغة جديدة معاصرة للمشروع الاشتراكي؟ عرضت الكتاب على عدد من أصدقائي هم جورج حاوي وغسان الرفاعي وجورج البطل وماهر الشريف وغالب أبو مصلح. سأنتظر ملاحظاتهم. لكنني اتخذت قراري بعدم إصدار الكتاب والعمل في ضوء ملاحظات أصدقائي وفي ضوء قراءاتي على إصداره في وقت لاحق عندما أقتنع بذلك. لا ضرورة للاستعجال في تقديم أفكارنا في هذا الزمن المختلف. لا بد من قراءة التجربة في شكل أكثر عمقاً، قراءة نقدية شاملة بعقلانية ومن دون انفعال وارتجال، ومن دون تجنّ على التجربة، لكن بحرص صادق على تحديد الأسباب الحقيقية التي قادتها إلى الفشل، والتوقف عند التناقض الذي كان يتطور بين المنجزات التي كانت تتحقق بصعوبة، وبين الخلل في مجالاته المختلفة الذي كان يبرز في الممارسة. لم يكن فقدان الديمقراطية وحده هو الخلل. ثمة عناصر عديدة لهذا الخلل لا بد من الكشف عنها. وقد ذكرت بعضها في إحدى يومياتي السابقة. وكنت، في محاضرة دعيت لإلقائها في عام 1993 في منتدى الفكر التقدمي في بيروت مع صديقي غازي العريضي، قد أشرت إلى خمسة عشر سبباً قادت التجربة إلى إنهيارها، ورفضت الفكرة التي كانت تقول بأن سقوط الاتحاد السوفياتي كان نتيجة مؤامرة إمبريالية. رفضت هذه الفكرة بحزم قائلاً بأن في ذلك إهانة للمشروع الاشتراكي وتحقيراً له ولنا نحن الاشتراكيين. وكانت مجلة "الطريق" في إصدارها الذي كنت مسؤولاً عنه ابتداءً من عام 1993 قد فتحت نقاشات متعددة عن التجربة الاشتراكية وعن أسباب انهيارها وعن مشروعها المستقبلي، وعن أمور عديدة ذات صلة بالمرحلة التي تمر فيها بلداننا ويمر فيها العالم بعد انهيار هذه التجربة. وشارك في النقاشات عدد كبير من قادة الرأي والفكر من اشتراكيين قدامى واشتراكيين جدد. وأعترف بأن رفيقيّ وصديقيّ جورج البطل وسناء أبو شقرا قد تقدّما عليَّ في نقدهما لطبيعة الحزب اللينيني وفي تصورهما للحزب الجديد في شروط العصر الجديد صدور تلك الطبعة الثالثة.

## متى يتحرر الدين من المتاجرين بإسمه
## وتستعاد قيمه الروحية السامية؟!

**الاثنين 4 تشرين الأول - أوكتوبر**

أتساءل اليوم، مثلما تساءلت دائماً، كيف يمكن الوصول وبأية وسائل إلى وضع حد لاستغلال الدين من قبل المؤسسات الدينية تأميناً للمصالح الشخصية لقاداتها ولمشاريعهم باسمها، وجعله في شكل متعسف ضد قِيَمِهِ وسيلة إرهاب للفكر؟ لا بد من عمل يعيد الاعتبار إلى حقوق الانسان وإلى القيم الانسانية في الدين. وهو عمل صعب وضروري في الآن ذاته. لكنه يحتاج إلى قوى من داخل الدين ذاته، ممن يرتبطون بقيمه، من مرجعيات دينية مستنيرة ومفكرين دينيين مستنيرين، ويحتاج إلى قوى علمانية رشيدة تقدم للمؤمنين، وهي تحترم مشاعرهم، رؤيتها الواقعية لضرورات التغيير في بلداننا من أجل تحسين حياة الناس جميعهم في إطار دولة مدنية حديثة تساوي بين جميع المواطنين وتحترم حرياتهم وحقوقهم وعقائدهم. الآن باستطاعتي أن أجزم بأن حركة الاصلاح الديني التي قامت في القرن التاسع عشر، إنما أعاقتها المؤسسات الدينية القديمة وساهم في إعاقتها، إلى جانب تخلف الوعي عند شعوبنا، الدور الذي مارسته أنظمة الاستبداد في القمع وفي تعطيل ولادة وعي جديد.

يكاد المرء يختنق كلما فكّر أن مثل هذه المؤسسات الدينية قادرة على تسخير الدولة باسم الدين ضد قيمه لأغراض شخصية، داخلية أو خارجية، ولصراعات هنا وهناك حول هذه الأغراض. يجب تحرير الدين ممن يتاجرون باسمه، وجعله عامل إسهام في تحقيق التقدم في بلداننا بدل أن يبقى كما يريد أعداؤه المنتحلون اسمه عائقاً أمام التقدم.

لا بد من العمل بكل الوسائل لاستنهاض الوعي عند شعوبنا بفئاتها المختلفة لكي نزيل من طريق النهوض الذي نحن بحاجة إليه أمثال تلك العوائق المذلة للإنسان في بلداننا والمدمرة لحياته ولمستقبله والمشوهة لوعيه، وإلا فكيف يمكن لنا أن نؤمّل في نهضة ما في زمن ما من تاريخنا القادم؟

## يوم لمارسيل خليفة
## في الدفاع عن حرية الابداع

**الثلاثاء 5 تشرين الأول - أوكتوبر**

كان يوماً لحرية الابداع، ولحرية التفكير، ولحرية التعبير ضد الأشكال المعاصرة لظلامية القرون الوسطى. كان يوماً لمارسيل خليفة. دلالات كبيرة للتظاهرة التي حصلت في نقابة

الصحافة، إيجابية وسلبية. الايجابي فيها هو استعداد الناس للدفاع عن حرياتهم من دون تردد وبكفاحية عالية. والسلبي هو غياب القوى القادرة على قيادة هذا النوع من الكفاحية. أين هو الحزب الشيوعي؟ أين هو اليسار عموماً؟ مفرح ومحزن هذا الذي شهدناه اليوم.

كلما فكرت في الوضع الذي آل إليه مشروعنا الاشتراكي يصيبني وجع روحي، وشعور بالقلق على مستقبل بلداننا ومستقبل العالم. فأعود إلى التاريخ أستنجد بأبطالنا الكبار فيه لأريح نفسي، وأستعيد بعضاً من الأمل. فالأحداث الكبيرة وأبطالها التاريخيون يعطوننا دروساً في كيفية مواجهة الصعوبات، ومتابعة النضال في شروط تاريخية جديدة من أجل ذلك المستقبل الذي نريده سعيداً. تلك الأحداث والبطولات التي صنعوها تخفف من الوجع الذي تحدثه الخيبات. لا نهاية للتاريخ. لكن علينا أن نتعلم من دروسه ومن شجاعة الأبطال فيه ومن الانجازات التي تحققت بقيادتهم، ومن الأخطاء الفادحة التي ارتكبت بوعي ومن دون وعي، وقادت التجربة إلى الفشل والخسران، وأدخلتنا في حالة الارتباك التي نحن فيها الآن وإلى زمن لا أستطيع تحديده.

تذكرني هذه التداعيات بستة قادة تاريخيين في حركتنا الشيوعية العربية. الأول هو يوسف سلمان (فهد) أول أمين عام للحزب الشيوعي العراقي الذي أعدم مع ثلاثة من رفاقه في عام 1949 هم حسين الشبيبي وزكي بسيم ويهودا صدّيق، في أعقاب انتكاسة الانتفاضة الشعبية التي كنت شاهداً عليها في مطلع عام 1948. الثاني هو فرج الله الحلو أول رئيس للحزب الشيوعي اللبناني الذي اعتقلته سلطات الجمهورية العربية المتحدة في سوريا في العام الثاني لتأسيسها (1959)، وعذّب حتى الموت. الثالث هو القائد الشيوعي المصري شهدي عطيه الشافعي الذي اعتقل في عام 1954 في ظل الجمهورية المصرية، وعذّب حتى الموت في عام 1959 في ظل سلطات الجمهورية العربية المتحدة. الرابع هو عبد الخالق محجوب الأمين العام للحزب الشيوعي السوداني الذي اعتقلته سلطات جعفر النميري، في أعقاب المحاولة الفاشلة التي قام بها مع عدد من الضباط الشيوعيين وأصدقائهم للانقلاب على النميري، وأعدم مع عدد من قادة الحزب في عام 1971. الخامس هو بشير الحاج علي القائد الشيوعي الجزائري الذي اعتقل في عهد الرئيس الهواري بومدين بعد الانقلاب الذي قام به هذا الأخير ضد رفيق دربه الرئيس الأول للجمهورية الجزائرية أحمد بن بله. قضى بشير الحاج علي زمناً طويلاً تحت التعذيب، ثم خرج من المعتقل إلى القبر. السادس هو سلام عادل الذي قضى مع العديد من قادة وأعضاء الحزب الشيوعي والعديد من الديمقراطيين في المؤامرة التي قادها البعثيون العراقيون في شهر شباط من عام 1963 وأسقطوا فيها جمهورية الرابع عشر من تموز.

ستة نماذج من القيادات التاريخية في الحركة الشيوعية العربية قدموا حياتهم في النضال من أجل مستقبل أفضل لشعوبهم بإسم المشروع الاشتراكي. لكنني وأنا أتذكر هؤلاء الستة الكبار لا أستطيع إلا أن أشير، وأنا أكبر فيهم شجاعتهم وأعتز بانتمائي إليهم وإلى تاريخهم،

إلى أخطاء لم يكونوا قادرين، هم وآخرون من قادة الأحزاب الشيوعية العربية، على اكتشافها وعلى تجنيب أحزابهم ومشاريعهم من أخطارها، التي ظلت تتفاقم إلى أن قادت أحزابهم، حتى قبل انهيار التجربة الاشتراكية في الوطن الأم الاتحاد السوفياتي، إلى الوقوع في أزمات كانت تستعصي على الحل، سرعان ما أدخلتها جميعها بنسب مختلفة في التهميش أو ما يشبهه.

وإذ أتذكر هؤلاء القادة الكبار في الأحزاب الشيوعية العربية فإنني أتوقف عند الدور التاريخي الذي لعبه في حياة الحزب الشيوعي اللبناني رفيقي القائد والمثقف والانسان الكبير نقولا شاوي أول أمين عام للحزب بعد الانفصال عن الحزب السوري. أتذكر تميّزه عن معظم، إن لم يكن جميع قادة الأحزاب الشيوعية، وذلك بأمرين. الأول دقة اختياره للكوادر و جرأة تقديمه لهم، والثاني إصراره وهو لا يزال في أوج عطائه أن يترك الأمانة العامة للحزب للجيل الجديد من الكوادر التي كان هو السبّاق في تقديمها إلى مواقع القرار، وفي المقدمة جورج حاوي. والقائمة كبيرة والأبطال فيها كثيرون من كل القامات وفي كل المواقع. تاريخ مجيد من دون شك. لكنه تاريخ تراجيدي بكل معنى الكلمة.

**الأربعاء 6 تشرين الأول - أوكتوبر**

تتزاحم الأفكار على باب يومياتي. تستعجلني للدخول إلى متنها. لقد أصبح للدخول في هذه اليوميات شروط جديدة. فهي في الآن ذاته مجمع أفكار مشتتة وخلاصات لتأملات ولأفكار، الأساسي منها يفرض نفسه على اليوميات من دون استئذان. أما الباقي منها فلا بد من توافر الشروط التي تتيح له الدخول في دفتيّ هذه اليوميات. بهذا المعنى صارت لليوميات وظيفة مختلفة عما كانت عليه في بداياتها.

كثيرة هذه الأفكار التي تمليها عليَّ كثرة الأحداث الكبيرة والصغيرة وفيض الذكريات. وما أكثر ما نشهده في أيامنا من مثل هذه الأحداث، وما تثيره فينا من مشاعر، وما تولّده عندنا من هواجس وهموم، ومن استدعاءات للذاكرة. لكل هذه الأحداث أربابها والقوى الفاعلة فيها. وكنت شاهداً على الكثير من هذه الأحداث، وفاعلاً في بعضها من موقعي في المسؤولية التي كان يحددها حجم حزبي وحجمي الشخصي في داخل الحزب. الصغير من هذه الأحداث يعنيني بحكم دوري المباشر ودور حزبي فيها. أما الأحداث الكبيرة فقد كنت فيها شاهداً ومنفعلاً، أي خارج أي دور وأي فعل مباشر. وكلا هذين النوعين من الأحداث يتطلب مني اليوم المزيد من التأمل والتفكير والبحث عن الاستنتاجات الضرورية منها للمستقبل.

الواقع المرضي الذي نحن فيه يقلقني ويكاد يقودني إلى اليأس أو ما يشبه اليأس. مهلاً، مهلاً. اليأس ممنوع.

## حلم نوم سوريالي

**الخميس 7 تشرين الأول - أوكتوبر**

أضغاث أحلام. رأيت البارحة في منامي حلماً سوريالياً. والأحلام غالباً ما تكون سوريالية. حلمت أنني أهبط السلالم من بناية شاهقة باتجاه الأرض. لم أعد أذكر هل كان ذلك في الليل أو في النهار. لكنني أذكر أن طريق السلالم كان معتماً مع بصيص ضوء يتيح للنازل أن يرى طريقه بشيء من الصعوبة. غير أنني كنت كلما هبطت طابقاً أو طابقين أطل من النافذة فأرى أنني ما زلت في علو شاهق، وأن عليَّ أن أهبط وأهبط سالكاً سلالم لا حدود لها، إلى أن بدأ يخامرني شك في أن ما أراه ليس الحقيقة، وأنني ربما اجتزت سطح الأرض وبدأت في الهبوط في جوفها. هل هو صحيح هذا القدر الذي أنا الآن سجينه؟ ومع ذلك تابعت سيري عبر السلالم. وتابعت مراقبتي عبر النافذة للأرض من تحتي، من علو شاهق. وفجأة أفقت مذعوراً. ثم عدت بعد لحظة إلى النوم، وإذا بالحلم ذاته يعاودني من جديد، وإذا بي أرى أنني دخلت فعلاً في جوف الأرض. ولم أعد أرى لا نافذة ولا مطلاً من النافذة، ولا شيء سوى ظلمة قاتلة. ذعرت وأفقت محاولاً إزالة هذا الكابوس. لكن سرعان ما اكتشفت أن الكابوس هو أشبه بالحقيقة التي نعيش فيها في بلدنا لبنان وفي عالمنا العربي وفي العالم عشية الألفية الثالثة. أدركت ذلك تلقائياً من دون أن أعود إلى فرويد لأقرأ في كتابه الضخم "تفسير الأحلام" الذي يطل من مقره في أحد رفوف مكتبتي ليذكرني بوجوده وباستعداده للإجابة عن كل سؤال يتصل بأحلام البشر.

## أتذكر الشيخ عبد الله العلايلي وأتذكر مشروعه التنويري في الدين واللغة

**الجمعة 8 تشرين الأول - أوكتوبر**

جميل أن يكرّم المناضلون بعد أن يكونوا قد بلغوا من العمر ما يسمح لهم بالاستراحة، استراحة المناضل. وهذا ما شهدته الليلة في المنتدى القومي. تكريم شفيق الحوت وجهاد كرم وسعيد مغربل. ثلاثة من أصدقائي الأعزاء. وكان هناك اثنان آخران لا أعرفهما شخصياً وهما مناضلان معروفان، نمر فاضل ورفيق الزغبي.

لكن هذا النوع من التكريم بالكلام الجميل، الذي قيل عنهم ولهم ومن أجلهم، يذكرني بالكلام الذي يردده العرب على الأطلال، أطلال الأيام الخاليات، وأطلال المعارك الراهنة والخاسرة، وأطلال أيام العمر الذاهبة في الاتجاه الأخير. كلام جميل نقدم فيه التحية للمكرَّمين ونعزّي به النفس في مكابرة لا تهيئ الشروط لولادة الجديد، ولا توحي بأمل قادم.

هـروب إلى الـوراء في صيغة تبدو في الوهـم كأنها تقدّم إلى الأمام. ما أتعسـنا نحن أمة العـرب. ما أتعسـنا ومـا أبعدنا حتى عن طموحنا العاطفي البسـيط في الاقتـراب من الفرح. سـنبقى طويلاً حيث نحن. وسـنتذكر، بعد الأعوام الطويلة، أننا كنـا مناضلين من أجل حلم عجزنا عن تحقيقه بسبب منا أولاً وقبل كل شيء.

بمناسبة الحديث عن التكريم أذكر أنه عندما عُرض على الشيخ عبد الله العلايلي تكريمه بوسـام من رئاسـة الجمهورية وتكريمه باحتفال، قَال ببسـاطة وبصدق العالـم: أفضل تكريم لـي هو العمل على اسـتكمال مشـروعي العلمي فـي المعجم، على وجـه الخصوص، وفي سـائر جوانب مشـروعي الثقافي والفكري. والشـيخ العلايلـي في مشـروعه الثقافي متعدد وفائـق الغنى. أهم جانب في هذا المشـروع يتمثل في "المعجم" الـذي ضمّنه اجتهاداته في تطوير اللغة العربية وفي إبراز الغنى الذي تحمله. كما يتمثّل في كتبه عن التراث الاسلامي، واجتهاداتـه المتميزة في الدين الاسـلامي لجهة تحريره مما أدخـل عليه من بدع وخرافات، وكشـف الكنوز التي تشـير إلى كونه دين حياة وتقدّم للإنسانية. وكتابه "أين الخطأ" هو أبرز كتبه في هذا الميدان. والشيخ العلايلي إلى جانب ذلك صاحب رأي تقدمي وديمقراطي في العمل السياسـي وفي المشاريع السياسية. وكان أحد مؤسسـي الحزب التقدمي الاشتراكي مع كمال جنبلاط. وكم أنا سـعيد بالعلاقة معه منذ الخمسـينات عندما ترشّـح لمركز مفتي الجمهورية. وكنت مع عدد من رفاقي من الذين عملوا على تعميم الوثيقة التي كتبها الشيخ العلايلي محدداً فيها دور ووظيفة الافتاء كما رآها هو من موقعه الاسلامي التنويري.

## بين إدمان نجوى وإدماني
## والإدمان الذي تصاب به الشعوب!

**السبت 9 تشرين الأول - أوكتوبر**

صباحيتي هذا اليوم كانت مع صديقين عراقيين عزيزين هما جبر علوان الفنان التشكيلي وانتشـال الدليمي المصوِّر السـينمائي، إلى مائدة فطور من النوع الذي أمارسـه كل يوم: لبنة وجبنـة وزيتـون وزعتر وشـاي مخمَّر على طريقتـي. صباحية ممتعـة كان محورها أحاديث متنوعة في الثقافة والفن وشـيء من السياسة. لكن نجوى كانت في يومها الثاني من التوقف عـن التدخيـن. لذلك فهي، علـى غير عادتها، عابسـة، متوتـرة، تجيب عن الأسـئلة اليومية البسـيطة بـكلام برقي، خال من حـروف العلة ومن النقط والفواصـل. إدمانها على التدخين مثل إدماني على فطوري الآنف الذكر. الثابت في فطوري هو اثنان: اللبنة المغمسـة بالزيت وبعـض الزعتـر من جهة، والشـاي المخمر على طريقتـي من جهة ثانية. وإعداد الشـاي هو فن لمن يتولى تحضيره، إذا افتقد هذا التخمير فقد الشـاي نكهته. تخمير الشـاي يحتاج إلى

إبريقيـن، وإلـى وضع الشـاي مبللًا بالمـاء المغلي في الإبريـق الصغير المقيـم فوق الإبريق الكبيـر المليء بالماء المغلي، بحيث يمارس البخار دوره الخاص في إجبار زهرات الشـاي على التفتح، لكي يدخل الماء الساخن إلى ضلوعها وأنسجتها، فيسهل خروج العطر المخمر إلـى شـاينا تلقائياً من دون تدخل أي عنصر آخر. وبرغم اللذة التـي يعطيني إياها طعم اللبنة مغمسـاً بالزيـت والزعتر فإنهـا، أي اللبنة، تفقد قيمتها وتفقد لذتها وشـهوتي إليها إذا هي لم تقترن بالشـاي المخمَّر هذا وبعطره الفواح وبطعمه الشـهي الممتاز. هذا هو إدماني. وذلك هو إدمان نجوى. والفارق بين الإدمانين كبير. الأول يقولون إنه مصدر لأمراض لا تحصى. أمـا الثانـي فلم يصدر عن أي طبيب قول بأنه يؤدي إلـى أمراض من أي نوع. ومع ذلك فهذا أو ذاك ينتميـان إلى ما نسـميه إدماناً. فكل ما يتكرر في حياتنـا اليومية ويصبح جزءاً ضرورياً منها، يدخل في خانة الإدمان. الدخان هو، إذاً، أفيون الشـعوب، مثلما هي اللبنة أفيوني أنا، وربمـا أفيـون آخرين مثلي. والأفيون اصطلاح لا يفيد بالضرورة معنى سـلبياً بصورة دائمة. فقد قال ماركس عن الدين إنه أفيون الشعوب، بمعنى مختلف عما جرى تفسيره من دون أن يُقـرأ قصـد ماركس منه، من قبل كثيرين لا سـيما الدينيين. وأذكّر هنا بنص ماركس المشـار إليـه مأخـوذ من فقرة وردت في المقدمة التي وضعها لكتاب "نقد فلسـفة الحق" عند هيغل: "الدين هو النظرية العامة لهذا العالم، خلاصته الموسوعية، منطقه في صيغته الشعبية، مناط شـرفه الروحي، حماسـته، جزاؤه الأخلاقي، تكملته المهيبة، أسـاس عزائه وتبريره الشامل. إنه التحقيق الخيالي لكينونة الانسـان، لأنه ليس لكينونة الانسان واقع حقيقي. إذن فالنضال ضد الدين هو، بصورة غير مباشـرة، ضد ذلك العالم الذي يشـكل الدين عبيره الروحي. إن الشقاء الديني هو تعبير عن الشقاء الواقعي. وهو، من جهة أخرى، احتجاج عليه. الدين هو زفير المخلوق المقموع، قلب عالم لا قلب له. كما أنه روح شـروط إجتماعية لا روح فيها. إنه "أفيون الشعوب".

ليـس فـي هذا النص إسـاءة إلـى الدين، حتى فـي كلمة "النضـال ضد الديـن". فما أراد ماركـس أن يقولـه هو إن الدين ملاذ للبائسـين الفاقديـن القدرة على تغيير شـروط حياتهم. وتغيير شـروط الحياة هو عملية نضالية تتطلب قوى للقيام بها وشـروطاً، في مقدمتها برنامج وأشـكال نضـال ومراحـل لا بد من تحديد المهمات فـي كل منها بوعـي وبواقعية. وهذا ما يفتـرض أن تقوم به الأحزاب والحركات لا سـيما اليسـارية منها. هذه المهمة ليسـت مهمة الديـن ولا مهمـة المؤسسـات الدينية. لكنْ للمؤمنيـن مكان حقيقي في عمليـة التغيير هذه لا تتعـارض مـع ارتباطهم بدينهم وبطقوسـهم فيه. هكـذا فهمت منذ البدايـات هذا المعنى الذي رمى إليه ماركس في نصّه المشار إليه، وفي كلمتيّ "أفيون الشعوب". ودعوته للنضال ضـد الدين تدخل في إطـار النضال لمنع المؤسسـات الدينية من التدخـل لصرف المؤمنين عـن الانخراط في النضال لتغيير شـروط حياتهـم، بهدف إبقائهم أدوات فـي خدمة مصالح

المتاجرين بالدين على حساب قيمه الروحية. وفهمي هذا لمقولة ماركس هو الذي عرضته بوضوح في المحاضرة التي ألقيتها في مركز الإمام الخميني في عام 1993 بدعوة من المشرفين على المركز لمناقشة رسالة الإمام الخميني إلى غورباتشوف التي يدعوه فيها لمغادرة الشيوعية والدخول في الإسلام. فماركس يشير في هذا النص إلى أن الناس عندما لا يجدون ما يشكل حلاً لمشاكلهم ومآسيهم يذهبون في خيالهم إلى ما يعدهم به الدين في العالم الآخر، عالم ما بعد الموت. إذ هم يهربون من آلامهم ومآسيهم في الدنيا إلى ما ينتظرهم من خير في الآخرة. إنه الهروب من الواقع إلى الخيال الذي جعل ماركس يعطيه صفة الأفيون. وهي حالة عامة يلجأ إليها البسطاء ويحث عليها الخبثاء، لكي يبقى المؤمنون خارج العمل من أجل تغيير شروط حياتهم في الدنيا، قانعين بما هم فيه من دون حلم، مجرد حلم، بحياة أفضل على وجه الأرض. وإذا كان ماركس قد برّر للناس، من موقع الاحترام لمشاعرهم اللجوء إلى حلم يخفف أوجاعهم، فإنه دعاهم للعمل من أجل تغيير حقيقي لشروط حياتهم في الدنيا محتفظين بإيمانهم الديني، وخلق جنتهم في الدنيا قبل الوصول إلى الجنة التي يحلمون بها في الآخرة بعد الموت. وبهذا المعنى يكون ماركس قد التقى مع الإمام علي بن أبي طالب في كلمته الرائعة الموجهة إلى المؤمنين: "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا".

ليس كل مخدّر سلبي. لكن كل مخدر يعطل فعل الحياة هو سلبي بالمطلق. الدخان مليء بالأضرار، لكنه مختلف جوهرياً عن المخدر الذي يسلب من الحياة روحها. هل يمكن اختراع مخدر من نوع آخر أقل ضرراً من الدخان شبيه باللبنة مثلاً!! قلت لنجوى: أوقفي التدخين وتعالي نفتش معاً عن أفيون آخر أقل ضرراً. بقي لنا عمر غير قصير يجب أن نملأه بالحياة الممتعة الجميلة. ومتع الدنيا كثيرة. الحب العذري واحد من هذه المتع. والجنس واحد آخر من المتع أجمل. والفن وممارسته، والاستمتاع به شيء جميل أيضا. أجابتني بأن التدخين مضر ولا شك، وأنها تعرف ضرره بالنسبة لها أكثر مني، لكن التدخين متعة من متع الدنيا. وقالت لها يولا: دخني ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، ولا تستمعي إلى قول الأطباء. لعنة الله عليك يا يولا. أما أنا فقد تحديت نجوى، بعد أن كانت قد اتخذت قرارها بالتوقف عن التدخين، تحديتها وأشعلت سيجارة. نفخته بالقرب منها لأمتحن صحة وجدية قرارها. يبدو أنها لا تزال مستمرة في التوقف عن التدخين. لكن لي شرطاً، أنا شريكها في الحياة، هو ألا تفقد ما يميز شخصيتها: المرح الساخر الجميل والابتسامة الخبيثة والبريئة في آن. كلما رأيت هذه الابتسامة تظهر على شفتي نجوى، وكثيراً ما تظهر، تغمرني سعادة.

**الأحد 10 تشرين الأول - أوكتوبر**

تبيّن لي أن الاستماع إلى الموسيقى عندما يكون المزاج مضطرباً أمر غير ملائم يعطل صفو الروح، ويعطل إمكان الغذاء الروحي الذي تقدمه الموسيقى للمستمع إليها، وعبر أنغامها. حاولت عدة مرات وفشلت. فأقفلت الجهاز وعدت إلى القراءة. لكن القراءة ذاتها ليست ممتعة بالضرورة في كل الظروف، لا سيما في ظروف اضطراب المزاج. فما العمل؟ لا أدري! هذا الأمر يحصل للإنسان، كل إنسان، كما يحصل لي. كانت عندي أفكار كثيرة وكنت أرغب في أن أتحدث بشأنها وأكتب وأقرأ وأستمع وأجادل. لكن لم أفعل شيئاً من ذلك تقريباً. ما أصعب مزاج البشر. ويقولون إن الانسان قادر على التحكم بمسار التاريخ على أساس قواعد وقوانين صارمة. كلا أيها السادة. ثمة أمور لا يمكن لأحد أن يتحكم بها من خارجها. إنها ملك صاحبها حصراً تتحكم به ولا أحد سواه يمكن أن يجد لها حلاً.

**الاثنين 11 تشرين الأول - أوكتوبر**

كان "أبطال" برنامج إيلي ناكوزي على محطة MTV، مارسيل خليفة والياس خوري وشوقي بزيع وفؤاد شبقلو، ممتازين. لكل واحد منهم دور أدّاه بأمانة. ومجمل هذه الأدوار كان يصب في مسألة أساسية هي حرية التعبير وحرية الإبداع في التعبير. لا يحق لأحد أن يتدخّل في حق أيّ كان في التعبير عن ذاته وعن أفكاره وعن مشاعره وعن أحلامه. يجب أن تنتهي مهزلة التاريخ القديم الذي يتجدّد، أعني تاريخ محاكم التفتيش. لا واسطة بين الإنسان وخالقه، سواء بالنسبة للذين يعترفون به، أم بالنسبة للذين لا يعترفون. لا حق لأحد أن يقرر عن الآخر كيف يفكر. الدولة المدنية هي التي تحفظ لكل الناس حقوقهم، وتنظم القوانين في هذا الشأن. متى تولد عندنا هذه الدولة؟

## مع الروائي القرغيزي إتماتوف في الجزائر
## ونهاية تراجيدية لقصة حب كانت جميلة!

**الثلاثاء 12 تشرين الأول - أوكتوبر**

القرف يكبر عندي. يكبر بشكل خاص من جراء ما اكتشفته من اختلاف بيني وبين من كنت أتصور أنني واحد منهم. وإذ بي أراني واحداً آخر مختلفاً! ما أصعب مثل هذه اللحظات في حياة الإنسان، كل إنسان، وأنا واحد من الناس. لكن من أنا، يا ترى؟ لماذا أعتبر نفسي في هذه اللحظة نقطة ارتكاز؟ هل من حقي ادعاء ذلك ولو للحظة؟ ومع ذلك وغصباً عني أجدني أحياناً في هذا الوضع. فليحتجّ من لا يعجبه الأمر. إنني أشعر في بعض الأحيان أنني ثائر على نفسي أولاً، وثائر على ما ومن، وإلى متى، ومن أجل ماذا، وإلى أين، لا أدري! إنها حالة من حالات الاضطراب والهذيان تصيبني مثلما تصيب أي إنسان. أنا

أعترف بذلك. هل يعترف بذلك الآخرون ؟

من عادتي، في لحظات الضجر والقرف وعدم الرغبة في العمل في الميادين التي تشغلني وتأخذ معظم وقتي مثلما هو عليه حالي اليوم، أن أتوجه إلى رفوف مكتبتي لأبحث عن كتاب يشدني إليه موضوعه فأتناوله وأقاوم به ضجري. ومكتبتي مليئة بأنواع شتى من الكتب. توجهت ناحية الروايات التي لم أقرأها والروايات التي قرأتها واحتفظت بها لأهميتها. وقع نظري على رواية "وداعاً يا غولساري" للروائي القرغيزي جنكيز إتماتوف. وهي من أجمل ما قرأت من روايات. فهي تحكي قصة علاقة غير عادية بين إنسان وحصانه. حاولت أن أعيد قراءتها فوجدت أن عينيّ لم تعودا قادرتين على قراءة مثل ذلك الحرف. فحزنت وقررت تصوير الكتاب وتكبير الحرف لكي أتمكن من قراءتها من جديد. قصة هذه الرواية وبطلاها وقصة الحرف الذي صار يستعصي على القراءة في الحالة الراهنة لنظري، جعلتني أتوقف عن البحث عن كتاب آخر للقراءة. جلست أتذكر ذلك اللقاء الذي جمعني بصاحب الرواية إتماتوف في عام 1964 في الجزائر في منزل القائد الشيوعي الجزائري بشير الحاج علي بحضور الأمين العام للحزب العربي بو علي ورئيس تحرير جريدة "الجزائر الجمهورية" هنري آليغ وعضو قيادة الحزب عبد الحميد بن زين والشاعر بو عْلام خلفا. تذكرت بعض تفاصيل ذلك اللقاء إلى مائدة العشاء بحضور عدد من قادة الحزب الشيوعي الجزائري. وبعض تلك التفاصيل تتصل بالظروف التي قادتني إلى الجزائر في ذلك التاريخ. كانت الجزائر قد دخلت في العام الثاني لتحررها من السيطرة الاستعمارية الفرنسية. وكان الجزائريون سعداء بممارسة حريتهم في العهد الاستقلالي. لكنهم كانوا لا يزالون يتدربون على حكم أنفسهم بأنفسهم. وهي مسألة صعبة أثبتت الأيام صعوباتها بالنسبة للجزائريين ولأشقائهم من الشعوب العربية والأفريقية. كنت مكلّفاً من قبل مجلس السلم العالمي بالتحضير لمؤتمر حول السلم في منطقة البحر الأبيض المتوسط.

عرّفتني الأشهر الثلاثة التي قضيتها في الجزائر على جوانب مهمة من تاريخ الجزائر القديم والحديث، لا سيما مرحلة الثورة. وأقمت علاقة صداقة مع عدد من قادة وكوادر جبهة التحرير ومن قادة الحزب الشيوعي ومن يساريين من خارج الحزب الشيوعي وكان بينهم محمد حربي. وتعرّفت إلى الرئيس أحمد بن بلّه من جديد بعد أن كنت قد التقيت به في العام الأسبق في إطار وفد حركة السلم العالمية الذي كنت عضواً فيه خلال الزيارة التي قمنا بها إلى الجزائر وغانا وكينيا وتنزانيا. في ذلك العام بالذات، وخلال إقامتي في الجزائر، تعرّفت إلى عدد من كبار المثقفين الجزائريين والعرب الذين كانوا يقيمون في الجزائر، وكان من بينهم حسن حمدان الذي صار يعرف بمهدي عامل. وتعرّفت خلال عقد المؤتمر إلى عدد آخر من المثقفين العرب أذكر منهم اثنين على وجه التحديد هما الروائي المصري إحسان عبد القدوس والأديب اللبناني فؤاد حبيش صاحب مجلة "المكشوف".

مـن طرائف تلـك الفترة من إقامتي في الجزائر أن نشـأت بيني وبين فتـاة جزائرية جميلة وجذابة وذات ثقافة عالية، علاقة صداقة كادت تنتهي بالزواج. والطريف في الأمر أن العربي بو علي الأمين العام للحزب الشيوعي عاتبني في أحد لقاءاتي معه كيف أنني سـأصبح صهر الجزائـر مـن دون معرفته. إذ أخبره بتلـك العلاقة مع الفتاة الجزائريـة خالها، وهو أحد قادة جبهة التحرير. فاجأني الخبر. ولأنني صادق في علاقاتي مع النساء خصوصاً، ولأنني شديد الاحترام للمرأة، فقد اتخذت على الفور قراراً صعباً بقطع تلك العلاقة قبل أن يصبح قطعها مستحيلا. ذلك أنني لم أكن قد قررت الانتقال من العزوبية إلى مملكة الزواج. وقد تكررت تلك التجربة معي أكثر من مرة. وأشـعر اليوم كم كنت مصيباً في قراري ذاك، لأنني وجدت في آخر المطاف من أنا سـعيد بإقامتي معها في مملكة الزواج الراقية، شـريكة حياتي نجوى التي أنجبت لنا ولدينا الجميلين الحبيبين هانية وغسان.

تذكّرني هذه الحادثة مع الفتاة الجزائرية وعزوفي عن الزواج حتى فترة متأخرة من عمري بالحوار الذي جرى بيني وبين الرفيق الشهيد فرج الله الحلو. سألني ذات يوم قبيل مغادرته إلى دمشـق واستشـهاده فيها في صيـف عام 1959: "متى سـتتزوج يا كريـم؟". أجبته على الفور: "لا يغريني الزواج ولا أفكر فيه. أفضل الحرية التي تشكل العزوبية مجالها الرحب". فقال لي بهدوء وبحزم في ما يشبه الأمر الحزبي: "أنت الآن في طريقك إلى تسلّم مسؤوليات كبيرة في الحزب. وسوف تضعك مسؤولياتك في لحظات معينة أمام اتخاذ قرارات بإرسال رفـاق بمهمـات قد تودي بحياتهم. فـإذا كنت أعزب ومن دون عائلة وأولاد مسـؤولاً عنهم فإنـك ستستسـهل إرسـال الرفاق إلى مهمات من هـذا النوع. انتبه يا كريـم، فكّر جيداً في ما أقوله لك. الحرية التي تتصورها لنفسك في رحاب العزوبية قد تقودك في لحظة من حياتك إلى حرمان رفاق لك من حرياتهم وحتى من حياتهم". كنت في ذلك الحين أمارس مهماتي الحزبية في بداياتها في منظمة الحزب في العاصمة بيروت.

تأخـرت فـي تنفيذ وصيـة الرفيق فرج الله إلى مـا بعد انتهاء مسـؤولياتي خارج البلاد في المنظمات العالمية. وعندما قررت الزواج وبدأت أبحث عن شـريكة حياتي أعلنت لرفيقي جورج البطل الذي كان شـريكي في قرار الاسـتمرار بالعزوبية بأنني غيرت رأيي، واعتذرت منه.

**الأربعاء 13 تشرين الأول - أوكتوبر**

معـرض جبـر علـوان في كاليري منى الأتاسـي في دمشـق. اسـم كبيـر في عالـم الفنون التشـكيلية. عالمه مزيج من الألوان والوجوه وحركات اللون والجسم البشري عاريا. عالم غريب ومليء بالأسئلة عالم جبر. إنه واحد من فنانينا الكبار.

أهـلاً بتوفيق سلّوم في سـوريا ولبنان. لقاء جميـل وغني منذ اللحظة الأولى. اسـتعادة

لكثير من الأفكار والمواقف والأحلام والذكريات. توفيق سلوم هو واحد من كبار مثقفينا الباحث بعمق في التراث الإسلامي بعقل منفتح وبثقافة واسعة وباستنارة مميزة.

انقلاب باكستان، ودراسة الأزمات في العالم الثالث، ووضع كوكب الأرض الذي أصبح عدد سكانه ستة مليارات إنسان، كلها أخبار ذات معنى وأخبار للترف. لكن كون عدد سكان الكرة الأرضية قد بلغ هذا الرقم الكبير أمر يستحق التوقف عنده. من أجل ماذا ولأي هدف؟ هل هو حدث مفرح، أو هو حدث محزن؟ إنه حدث محايد، بمعنى ما، ومفرح بمعنى آخر، ومحزن بكل المعاني. والمحزن في هذا الأمر أن ازدياد عدد سكان الأرض يعني في الواقع زيادة عدد الفقراء، وعدد المهمشين، وعدد الذين يتحوّلون، في ظل الظلم الذي يمارَس عليهم، إلى ما يشبه القطعان البشرية التي تنساق إلى حتفها وتسوق معها إلى حتفهم أناساً آخرين!

لماذا يأتي إلى العالم هذا العدد من البشر الذين لا مكان لهم على وجه الأرض؟ لماذا ثم ألف لماذا ما دام لا يستطيع الانسان، حتى الأكثر عقلانية وحرية، أن يقدم لهؤلاء القادمين إلى عالم الحياة أي معنى لوجودهم على الكوكب! الأمر لا يتعلّق فقط ببلدان العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، بل كذلك في أكثر البلدان الرأسمالية تقدماً. الفقراء هم فقراء إلى أي بلد وإلى أي أمة وإلى أي شعب وعرق ينتمون.

**الخميس 14 تشرين الأول - أوكتوبر**

تظاهرة عبد الرحمن منيف الثقافية ليست ثقافية وحسب، ولا سياسية وحسب، بل هي في الأساس عمل تضامني مع مثقف متميز في أدبه وفي خلقه وفي صدقه وفي كونه علامة وشهادة على عصر يجب أن تنتهي فيه المظالم. لك يا عبد الرحمن، يا أبا العوف، حبنا وتقديرنا من أعماق القلب.

"ديمقراطية" الانقلابات العسكرية، بأشكالها وبصيغها المختلفة، هي كارثة القرن الذي نودع. لكأننا ندخل في القرن الجديد وفي الألفية الجديدة مزوَّدين بهذا التراث البالي من تخلف لا يمل أصحابه منه، ولا يمل العالم منه. ترى إلى متى؟ مثال باكستان وإندونيسيا، والعالم العربي كله، هو هذا الذي يعاني منه ملايين ومئات ملايين في بلدان العالم الثالث.

إقرار التنصّت، وحق الحكومة بالتنصّت، عارٌ على ديمقراطية بلدنا وديمقراطييها. أما إلغاء مشروع الاثراء غير المشروع فهو العار الآخر وليس الأخير.

## الحنين إلى بلدتي حاريص
## وإلى العصر الذهبي في جنوبنا

**الجمعة 15 تشرين الأول - أوكتوبر**

الحوارات بيني وبين هانية من أمتع الحوارات التي أقيمها في هذه الأيام. الحوارات دائمة مع هانية حتى عندما كانت طفلة عنيدة ومشاكسة.

ما أجمل أن يكون للأب ابنة مثل هانية. علّمناها نجوى وأنا أن تكون حرة متحررة حتى من أبويها. أقدّم لها نفسي في كل مرة نتحدث ونتحاور فيها. أقدم نفسي عارية من كل افتعال، وأترك لها أن ترى في سيرتي وفي شخصيتي ما يمكن أن تقتنع به وما يمكن أن تتجاوزه وأن تحدّد هي بنفسها بحرية حقها في أن تكون لها شخصيتها المستقلة وتختار مستقبلها. وهي من اللواتي يَرَين أن على الانسان أن يجرّب حتى ولو كان في التجربة ما يضني ويوجع. فالتجربة ممر ضروري للإبداع في تكوين الشخصية الإنسانية.

أتذكر اليوم حادثة كانت تشير منذ وقت مبكر إلى الشخصية المميزة لهانية. كنا في ضيافة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي في منطقة القرم في المنتجع المخصص لقادة الحزب وللضيوف "الكبار" من "أمثالي"، بصفتي نائباً للأمين العام لحزبنا الشيوعي. اسم المنتجع "يوجني". والتاريخ هو صيف عام 1984. كانت هانية في عامها التاسع وكان غسان في عامه الخامس. ومن عادة السوفييت في تكريم ضيوفهم أنهم يدخلونهم في الأماكن خارج الانتظام وخارج ازدحام الصفوف. أدخلونا خلال زيارتنا لضريح لينين من دون الوقوف في الصفوف بانتظار دورنا. فاحتجت هانية وغضبت وبكت واحمرت عيناها وهي تعلن اعتراضها على هذا التمييز. وأذكر أنها سألتني ذات يوم ونحن نتنزه داخل أسوار المنتجع وخارج الشقة الفخمة التي كنا نقيم فيها: هل هذا الذي نمضي فيه إجازتنا مفتوح لجميع السوفياتيين؟ فأجبتها بالنفي شارحاً لها أسباب ذلك في منطق تبريري لم يقنعها. وقالت ما معناه بلغة فظة: تباً لكم ولاشتراكيتكم!

أليس من حقي أن أقول في هذه اليومية ما قلته عن اعتزازي بشخصية هذه الابنة الرائعة؟!

زياراتي إلى بلدتي حاريص، التي ولدت وعشت طفولتي فيها، صارت في هذه الأيام أشبه بالعبء عليّ، عبء المسافة الفاصلة بين العصر الذهبي الذي ولدت فيه في ربوع الجنوب وترعرعت وصرت رجلاً، وبين الواقع الأليم الذي يعيشه الجنوب نقيضاً لتاريخه، ونقيضاً لذلك العصر الذهبي. ما هكذا كانت حاريص، ولا هكذا كان الجنوب الذي عشت فيه طفولتي وشبابي الأول، وعشت فيه بعضاً من كهولتي. كان الجنوب نموذجاً راقياً يتمتع الناس فيه بالحرية بكل معانيها، الحرية الفكرية والسياسية والدينية، وحتى الحرية الجنسية. هكذا عشت هذه الحرية وكنت شاهداً عليها في بلدتي حاريص وفي مدينة صور

وفـي سـائر المدن والقرى الجنوبية. لـم تكن لرجال الدين أية سـطوة علـى المواطنين. ولـم تكن للرجل سـلطة مطلقة علـى المرأة. كان الحب مظهراً راقياً مـن مظاهر الحرية. وكانت الأحزاب العلمانية تمارس نشـاطها، وتتصارع بشـكل ديمقراطي في مـا بينها حول برامجها وحول مشـاريعها وحول شعاراتها. الحزب الشـيوعي هو الأقدم في التأسيس، يليه الحزب السوري القومي الاجتماعي وحزب البعث العربي الاشتراكي والحزب التقدمي الاشتراكي وحركة القوميين العرب. وكانت للتعليم مؤسسات راقية: "المدرسة العاملية" التي تأسست في بلدتنا حاريص في عام 1939، وكانت مدرسـة الطفولة، تلتها "المدرسـة الجعفرية" في مدينة صور التي تكوّنت فيها شـخصيتي الأولى، مضافة إلى الجعفرية، بين مرحلتين لبضعة أشـهر، مدرسة الكاثوليك في مدينة صور أيضاً. وكانت قد تأسست قبل العاملية والجعفرية وبعدهما مدرسة المقاصد ومدرسة الفرير ومدرسة الأميركان في صيدا والمدرسة الانجيلية في مرجعيون وصيدا وتبعتها مؤسسات تعليمية أخرى كانت منتشرة في كل مناطق الجنوب.

لقـد دُمِّرت تلـك المظاهر الحضارية للجنـوب وللحياة العامة فيـه. تعاقبت على عملية التدميـر قـوى متعـددة، كانـت تحمـل كل منهـا مشـاريعها. وكانـت البداية مـع المنظمات الفلسـطينية التي اسـتقبلها الجنوبيون بالورود بعد هزيمة حزيران فـي عام 1967. كانوا قبل ذلك قد استقبلوا اللاجئين الفلسطينيين بعد نكبة عام 1948 وكرّموهم. لكن هذه المنظمات لـم تلبث أن صارت عبئاً ثقيلاً على الجنوبيين، شـاركتها في ذلك أحزاب الحركة الوطنية لا سيما في ظل الحرب الأهلية. ثم جاء التيار الاسلامي باسم المقاومة (حزب الله)، فاستقبل بالتقديـر والاحتضـان، ثم صـار عبئاً علـى الجنوبييـن، برغم الاعتـزاز ببطـولات مقاوميه، شـاركته فـي ذلك العـبء، قبل نشـوء الحزب وبعد نشـوئه، حركـة أمل عندمـا تحوّلت من حركة محرومين بقيادة الامام موسـى الصدر إلى حركة سياسية طائفية، أسوة بكل الحركات الطائفية الطابع في كل المناطق اللبنانية.

إن مـا نـراه في الجنـوب اليوم لا يمت بصلة إلـى تاريخه المجيد. الجنـوب والجنوبيون يعيشـون اليـوم فـي قلـق، بين هاجـس الخطـر الاسـرائيلي المتمثـل بالاحتـلال وبالعدوان وضـرورة الاسـتعداد لمقاومته، وبين الرغبة في العودة إلى تاريخهـم الذي كانوا فيه أحراراً. الحريـة لا تتجـزأ يا نـاس. للحرية طعم ونكهة هما طعم ونكهة الحريـة. من قال إن النضال من أجل الحرية يقضي بحرمان الناس من حريتهم؟ عاشت الحرية. لا بد من استعادتها إلى الجنوبييـن لكي يكونـوا بتاريخهم القديم وبتاريخهم الحديث جزءاً أساسـياً من وطن سـيد حر، حر بكل المعاني التي تشير إليها وتعبّر عنها كلمة حرية.

## قصّتي مع الرئيس السوري نور الدين الأتاسي
## وقصص أخرى مع رؤساء آخرين عرب وأجانب

السبت 16 تشرين الأول - أوكتوبر

عندما يفقد المثقف استقلاليته يصبح في منطقة اللاتوازن. وتصبح الأمور عنده من دون معايير. إذ هو يفقد قدرته على التفريق بين ما هو صحيح وما هو غير صحيح، تلك هي حكمة هذا اليوم من دون الدخول في التفاصيل.

استسلمت لتأملاتي في أحداث أيامنا الراهنة وفي أحداث أيامنا السابقة. ورأيت نفسي منساقاً بشكل عفوي في ذكريات تعود إلى السبعينات، ما هو مفرح منها وما هو محزن. تذكرت المصائب التي قادتنا إليها أنظمة الحكم الاستبدادية في بلداننا، الاستبدادية المطلقة ونصف الاستبدادية، إذا صح التعبير. تحضرني أمثلة حية واجهتني مع بعض من كنت في ظروف تاريخية معينة على علاقة سياسية معهم. المثل الأول هو رئيس الجمهورية السورية بين عام 1966 وعام 1970 نور الدين الأتاسي. كنت شخصياً مع عدد من رفاقي في قيادة الحزب الشيوعي اللبناني على علاقة سياسية معه ومع فريق عمله الذي كان مؤلفاً منه ومن صلاح جديد ويوسف الزعيّن وإبراهيم ماخوس. ذهبنا ذات يوم من بيروت، جورج البطل وأنا، للقاء مع الرئيس الأتاسي في دمشق بناء لموعد حدّد لنا. أوقف جورج البطل على الحدود لأن اسمه مسجل بين الذين لا يسمح لهم بالدخول إلى البلاد. لم تفلح جهودنا بإقناع المسؤولين في مخفر الحدود بأننا ذاهبون للقاء مع رئيس الجمهورية. تابعت سيري إلى دمشق واتصلت بمكتب الرئيس للإفراج عن جورج. وعندما التقينا مع الرئيس سألناه عما إذا كان بالإمكان إلغاء ذلك المنع. فأجابنا وهو يضحك بما معناه أن أحداً لا يستطيع إلغاء تلك الملفات مضيفاً، وهو يتابع الضحك، بأنه لا يعرف هو شخصياً متى سيقوده سجله وأحداث أخرى إلى مستقبل لا يعرف تحديده. ومعروف أن الأتاسي وفريقه قد جاؤوا إلى الحكم بانقلاب عسكري. ولم يمض عام على ذلك اللقاء معه، جورج البطل وأنا، حتى كان الأتاسي ذاته مع رفيقه صلاح جديد وآخرين كثر من فريقهما قد دخلوا السجن. ولم يخرج الاثنان من سجنهما، الأتاسي وجديد على وجه الخصوص، إلا إلى القبر بعد عشرين عاماً بالتمام والكمال! وأذكر في هذا السياق، تأكيداً لما قاله لنا الأتاسي حول تلك السجلات، إن أحد القادة التاريخيين في الحزب الشيوعي اللبناني فؤاد قازان قد منع من السفر في عام 1973 من مطار دمشق إلى موسكو للعلاج. وعندما حاولنا أن نعرف أسباب المنع جاءنا من يخبرنا معتذراً بأن سبب منعه من السفر يعود إلى قرار كانت سلطات الانتداب الفرنسي قد اتخذته بحقه في عام 1936 إثر مشاركته في التظاهرات المعادية للانتداب والمطالبة بالاستقلال.

يذكرني هذا الذي حصل بيننا وبين الأتاسي بما حصل لي مع شعراوي جمعة وزير الداخلية المصري في عهد الرئيس عبد الناصر. إذ كنت قد طلبت منه أن يلغي القرار الذي كان يمنعني من الدخول إلى مصر. فأجابني بنفس الجواب الذي سمعته من الرئيس الأتاسي. وصار يرسل لي إلى المطار من ينقلني إلى الداخل من دون الرجوع إلى المخابرات التي تحتفظ بذلك القرار إلى ما شاء الله. ولم يمض على حديثي مع شعراوي سوى عامين حتى كان محدثي قد دخل السجن في عهد الرئيس السادات مع كل المجموعة الناصرية التي كان ينتمي إليها من قادة الاتحاد الاشتراكي.

وأذكر في السياق ذاته أنني التقيت بالرئيس الصومالي سياد بري، مرة بمبادرة مني في عام 1973، ومرة بدعوة منه في عام 1975 للمشاركة في النقاش حول الحزب الذي كان ينوي تأسيسه. وكنت في ذلك اللقاء إلى جانب عدد من قادة اليسار في العالم العربي وفي بعض البلدان الاشتراكية. كان لقائي مع الرئيس بري في الزيارتين في الساعة الثانية بعد منتصف الليل. وحين سألت بعض المرافقين عن سبب تحديد هذا الوقت للموعد، قيل لي بأنه تدبير وقائي ضد احتمال قيام انقلاب عسكري. ومعروف أن سياد بري كان قد جاء إلى السلطة بانقلاب عسكري، وأن انقلاباً عسكرياً قد أطاحه بعد بضعة أعوام من حكمه. كان الرئيس بري يريد أن يؤسس حزباً جديداً ديمقراطياً يساري الاتجاه ليتابع إدارة البلاد بإسمه. وكان رأيي الذي أدليت به في النقاشات، وعرضته للرئيس، أن تأسيس الأحزاب بقرار إداري من فوق لا تتوفر له الحياة، وأن الطريق الأفضل، استناداً إلى التجارب التاريخية، هو أن يتم ذلك في عملية ديمقراطية يشارك فيها جمهور المثقفين والشباب. قلت كلمتي يومها ومشيت.

إلا أن ما كنت شاهداً عليه في سوريا ومصر والصومال تكرر بصيغ مختلفة في اليمن الجنوبي وفي السودان. وكنت شاهداً على الحدثين في البلدين. والقصة هي كما يلي. دعيت في ربيع عام 1970 من قبل حكومة جعفر النميري باسم وزير الشباب فيها مع كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ونائبه عباس خلف وشفيق الحوت رئيس مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان للمشاركة في الملتقى الفكري الذي نظّم برعاية وبحضور النميري وأركان حكومته. وشاركنا في الملتقى ممثلون لكافة القوى السياسية العربية في السلطة وخارجها من جميع التيارات. قدمنا، كمال جنبلاط وأنا، مساهمتنا في الندوة الفكرية حول واقع ومستقبل الحركة الثورية العربية. وكلّفت بإدارة حلقة نقاش حول دور الجيوش في العالم الثالث. كانت مهمتي صعبة. حاولت بالاتفاق مع عبد الخالق محجوب الأمين العام للحزب الشيوعي التملص من المهمة فلم أفلح. إذ جرى التأكيد على ضرورة حضوري من قبل أركان النميري ومنهم وزير الشباب بالذات الذي جاءتني الدعوة باسمه. افتتحت النقاش بكلمة عرضت فيها موقفي المعارض لدور الجيوش، منبهًا إلى مخاطر الاعتماد على الجيوش في إدارة بلداننا، من دون أن أشير بشكل واضح إلى

الانقلابات العسكرية وإلى أنظمة الاستبداد التي تولّدت عنها. استمع النميري إلى كلمتي من دون تعليق. وبدأ النقاش. وكان أول المتكلمين محمد إبراهيم نقد عضو قيادة الحزب الشيوعي السوداني. قدّم محمد نقد على امتداد ساعة عرضاً دقيقاً ووافياً من موقعه كقائد سياسي وكمفكر اشتراكي لما كان يجري في السودان بعد الانقلاب الذي قاده النميري وشارك فيه الشيوعيون، من دون أن يشير مباشرة إلى الصراع الذي كان قد قسّم الحزب الشيوعي إلى جناحين، جناح مع النميري مدعوم من السوفيات وجناح معارض كان نقد من رموزه إلى جانب الأمين العام للحزب عبد الخالق محجوب. كان الملتقى حدثاً فكرياً وسياسياً مهماً. لكن الأحداث في السودان تسارعت. ففي العام التالي حصل انقلاب على الانقلاب قاده عبد الخالق محجوب انتهى بالفشل وذهب ضحيته قادة الحزب الشيوعي وفي مقدمتهم عبد الخالق. وانتقل السودان إلى اتجاه مغاير لما كان قد وعد به الانقلاب الأول. وانتقل النميري إلى أحضان السلفية الإسلامية. وفي عهده أعدم أحد رموز الاستنارة الدينية محمود طه. ولم يلبث أن حصل انقلاب جديد أطاح حكم النميري عام 1989.

بقي عليَّ أن أذكّر بما حصل في اليمن الجنوبي. أذكر أنني كنت أول من دخل باسم الحزب الشيوعي إلى هذا البلد بعد انتصار ثورة أوكتوبر وتأسيس جمهورية اليمن الديمقراطية. زرت عدن في عام 1970 بدعوة من الجبهة القومية التي كان سالمين رئيسها ورئيس البلاد للمشاركة في الاحتفالات بعيد الثورة. وبدأت علاقة الحزب الشيوعي من خلال تلك الزيارة بالجمهورية الجديدة وبقادتها من كل الاتجاهات. في ذلك التاريخ بالذات بدأت علاقتي مع الرفيق عبد الله باذيب أمين عام اتحاد الشعب الديمقراطي ومع العديد من قادة وكوادر الحزب وفي المقدمة منهم شقيقا عبد الله علي وأبو بكر. كما كان لي لقاء مع الرئيس سالمين ومع علي ناصر محمد الذي كان وزيراً للدفاع وعلي عنتر الذي كان رئيساً لأركان الجيش ومحمد علي هيثم الذي كان رئيساً للحكومة. وأذكر أنني في زياراتي المتكررة لعدن بين عام 1973 وعام 1975 طرحت على قادة الأحزاب اليمنية الثلاثة "الجبهة القومية" بأشخاص الرئيس سالمين ورئيس الحكومة علي ناصر محمد والمنظر والقائد الحزبي عبد الفتاح إسماعيل، و"اتحاد الشعب الديمقراطي" بشخص رئيسه عبد الله باذيب، وأعضاء المكتب السياسي، وحزب "الطليعة" بشخص رئيسه أنيس يحيي، طرحت عليهم التوحّد في حزب اشتراكي واحد استناداً إلى أنهم كانوا جميعهم يعلنون بوضوح انتماءهم إلى الاشتراكية. وقد لاقت الفكرة تجاوباً منهم جميعاً. وإذ تولّدت عندي قناعة بأن الفكرة قد نضجت تركت مهمة الاسهام في تحقيقها إلى أصدقائي ورفاقي في الحزب الشيوعي ومنظمة العمل الشيوعي والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. لكن المأساة سرعان ما برزت عناصرها بعد تأسيس الحزب الاشتراكي (1975) في الصراع بين الأخوة من مؤسسي الجبهة القومية، وانتهت بتلك المجزرة في المكتب

السياسي (1986) التي قادت التجربة إلى الخراب والدمار التدريجي وصولاً إلى الخراب الكامل الذي أعقب الوحدة المتسرعة بين شطريّ البلاد.

إلا أن تلك الأحداث المأساوية التي كنت شاهداً عليها تقودني في السياق ذاته من تداعي الذكريات إلى عام 1961. ففي أواخر ذلك العام، وكنت نائباً للمسؤول في منظمة الحزب في العاصمة بيروت وضواحيها، جاءني اثنان من قيادة الحزب يطلبان مني الاستعداد للذهاب إلى الكونغو على رأس وفد من حزبنا للانضمام إلى المتطوعين الأمميين في جيش صديق الشهيد باتريس لومومبا وخليفته جيزينغا في المعركة من أجل تحرير هذا البلد ممن اغتصبوا السلطة فيه بدعم من القوى الخارجية الأميركية والبلجيكية، وانتقاماً لروح لومومبا. شعرت بسعادة لا توصف لدى تكليفي بتلك المهمة الأممية. وبدأت بالتحضير للحظة الانطلاق. انتظرت بفارغ الصبر الإيعاز لي بالسفر. لكنني فجعت عندما جاءني الرفيقان إياهما لينعيا لي تلك المهمة. إذ إن جيش جيزنغا كان قد بدأ يتراجع أمام هجوم المرتزقة بقيادة مويس تشومبي.

هكذا انتهى نهاري الحزين بهذه الذكريات المأساوية. فازددت حزناً.

## بين الشاعر آراغون والروائي أندريه جيد في الموقف من الاشتراكية السوفياتية!

**الأحد 17 تشرين الأول - أوكتوبر**

يتعبني منظر مكتبتي. يتعبني منظر الكتب المكدسة أمامي فوق المكتب. كتب جديدة تأتيني وكتب أخرى أجلبها لكي أقرأ فيها ما يهمني. مجلات من هنا، ومجلات من هناك. عالم الكتب والكتابة ما أروعه وما أرهقه وما أكثر ما يثيره من أمور في النفس ومن قلق. أما الإبداع فشيء آخرمختلف. هو مثل الولادة إذا كانت متوافرة شروطها. إذ إن بعض الناس يكونون في موضوع الإبداع في مثل حالة العاقرين والعاقرات!

التعب الذي أمرّ به أحياناً هو فقط في النظر إلى كثرة هذه الأشياء، والعجز عن اللحاق بها، وربما العجز في بعض الحالات عن توليد شيء جديد، أو إجهاض مولود غير متوافرة شروط ولادته.. لكن أيام الأحد تحوّلت عندي بالتدريج بعد خروجي من موقع القيادة في الحزب إلى فرصة للراحة وللتأمل وللتذكر.

بين الحين والآخر أعود إلى بعض أرشيفي لأستعيد بعض ذكرياتي فيه. وأرشيفي يضم إلى جانب أوراقي المتعددة المواضيع، نصوصاً أدبية وفكرية لكبار الأدباء والمفكرين من أجيال مختلفة قديمة ومعاصرة. اليوم تذكرت الشاعر الفرنسي لويس آراغون. إذ وقعت بين يديّ مجموعة مختارة مصورة من المجلة الأدبية التي كان يرأس تحريرها أهداني إياها

أصدقائي في قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي (Lettres Françaises). قلّبت بعض صفحاتها ولم أدخل عميقاً في المقالات المنشورة فيها. أرجأت ذلك إلى وقت لاحق. لكن المجلة ذكرتني بالشاعر والروائي آراغون وملحمته الشهيرة "مجنون إلسا". فأسرعت إلى إخراجها من أحد الرفوف الحافلة بمثلها من الكتب الثمينة. وقرأت بعض صفحات منها أعادتني إلى تاريخ سابق، تاريخ الأندلس وتاريخ آخر ملوك الطوائف أبو عبد الله، الذي انتهى بانهيار مملكته في "غرناطة" العصر الذهبي للعرب في الأندلس.

كان آراغون شيوعياً. وكان أحد رموز المقاومة الفرنسية، وأحد رموز الحركة السوريالية في الشعر الفرنسي مع الشاعر إلوار وآخرين من ذلك الجيل. لكن آراغون كان، قبل أن يكون شيوعياً، أديباً كبيراً وشاعراً كبيراً وروائياً كبيراً وصاحب رأي وموقف وصاحب فكر، هو الفكر الاشتراكي. كان في المرحلة الستالينية ستالينياً مثل سائر الشيوعيين. لكنه بدأ بعد وفاة ستالين، وفي أعقاب المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي الذي حاول فيه خروتشوف تجديد الحركة الشيوعية بعد الكشف عما ارتبط باسم ستالين من جرائم على امتداد عهده، حاول آراغون أن يتخذ لنفسه، وهو عضو في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، حيزاً من الاستقلالية مع جرأة في النقد لم تكن تسمح له بها الظروف السابقة على المؤتمر العشرين.

موقف آراغون هذا ذكّرني بموقف مختلف للروائي الفرنسي أندريه جيد صاحب روايتيّ "الباب الضيق" و"مدرسة الزوجات". فقد قرأت مقالاً له يتحدث فيه عن زيارته إلى موسكو بدعوة من اتحاد الكتاب السوفيات في أواسط الثلاثينات. يتحدث جيد في هذا النص عن انطباعاته السيئة المخيبة للآمال، التي ولّدتها عنده زياراته ولقاءاته التي حددها هو بنفسه من خارج البرنامج الرسمي، واكتشف فيها جملة من الوقائع المناقضة للدعاية المنظمة حول إنجازات الاشتراكية. وأعلن جيد بعد تلك الزيارة خروجه من الموقع الذي كان فيه صديقاً للاشتراكية السوفياتية.

## مشاعر تثير الثورة والغضب

**الاثنين 18 تشرين الأول - أوكتوبر**

أنا في هذا اليوم ثائر أكثر من أي يوم من أيامي الماضية. ثورتي هي ضد الذين يعتدون على القيم الانسانية وعلى حق الناس في الحياة الحرة الكريمة. القيم هي القيم، مهما اختلفت المرجعيات التي تتحدث عنها وتدّعي تبنّيها. والحرية هي الحرية التي يحقق فيها كل إنسان حقه في ممارسة حياته. ولا معنى لها غير هذا المعنى. المشكلة التي تستدعي ثورتي تكمن في أن خيانة هذه القيم أصبحت حالة سائدة في هذا الزمن الرديء الذي نحن فيه. أسلّط

الضوء اليوم على التيار الاسلامي بتنويعاته المختلفة. ما يرعبني ويقلقني وما يجعلني أخاف على مستقبل بلدانا هذا الذي صار سائداً باسم الإسلام من تيارات سلفية تمارس التكفير والقتل والارهاب باسم الإسلام، والإسلام بريء منها جملة وتفصيلاً. ألم يحن الوقت لكي تعاد للإسلام قيمه الروحية نقضاً ورفضاً للسائد المعمم باسمه من قبل جهالة الجاهلين، أو أن بلداننا ستقاد من دون مقاومة إلى زمن انحطاط جديد قادم في غياب العقلاء من دينيين وعلمانيين؟! وللانحطاط الذي أشير إليه نماذج راهنة مرعبة تدمّر الوعي، نماذج تعبّر عنها الخرافات والبدع وسائر التشويهات الملصقة تعسفاً بالدين ضد قيمه الروحية.

أما لهذا الليل من آخر؟ استبداد وظلم وقهر وتدمير للإنسان وللحياة الوطنية وتدمير للحياة الاقتصادية والاجتماعية وتدمير للروح. أينما التفتّ تجد أشكالاً من هذا الوضع الشاذ الذي يستمر طويلاً ويترسخ عميقاً ويستولي على شعوب بكاملها، من الخليج العربي الفارسي إلى المحيط الأطلسي وعلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وشواطئ البحر الأحمر.

لا بد من ثورة، ثورة سلمية حتى ولو كانت سلميّتها مكلفة، ثورة يقوم بها جميع الذين يقع عليهم القهر والظلم، وجميع الذين يدركون خطر الاستمرار في هذا التدمير المنظم لبلداننا. لكنني لست في وضع يؤهلني لأن أعطي درساً في كيف ومتى وبأية وسائل ستكون عليه الثورة التي أدعو لها. ولست أرى في الوضع الراهن قيادة ذات مشروع تغييري تستطيع أن تمسك بهذه الثورة وتقودها إلى نهاياتها السعيدة. الفشل والتراجع والأزمة تلفّ كل تلك القوى، القديمة منها والجديدة، التي كانت تحمل في الماضي وتدّعي اليوم أنها تحمل مشاريع للتغيير، وفي مقدمتها الأحزاب الشيوعية. وعندما يحين موعد هذه الثورة وتقترب من بلدي لبنان، كما أتصورها، أقسم بأنني سأكون في الميدان جندياً من جنودها. ولتذهب إلى الجحيم مشاريعي إذا ما أنا صرت واحداً من شهداء هذه الثورة. لكنني أجزم بأن مشاريعي ستزدهر حتماً إذا ما أتيح لهذه الثورة أن تحقق بعضاً من أهدافها، في مقدمتها سقوط أنظمة الاستبداد، وسقوط الظلامية السلفية الشريك الطوعي للاستبداد في تدمير الحياة في بلداننا. أقول بأن مشاريعي ستزدهر "شرط" أن أكون ما زلت على قيد الحياة!

لا بد من تحريك هذا المستنقع الآسن. لا بد من تحرير بلداننا من مستبديها وقاهري شعوبها ومدمري خيراتها ومبددي ثرواتها، بعد أن أخرجتها من التاريخ. ما أجملك يا فوزي منصور، أيها اليساري الرائع في كتابك الذي يحمل عنوان "خروج العرب من التاريخ". وما أروع وأبهى تلك المرجعيات الدينية المستنيرة من مشرق عالمنا العربي ومن مغربه، من رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي وجمال الدين الأفغاني وصولاً إلى الشيخ محمد عبده والشيخ عبد الرحمن الكواكبي والطاهر حداد وبن بادس والميرزا النائيني صاحب "المشروطة" في الثورة الدستورية الايرانية والسيد محسن الأمين والشيخ علي عبد الرازق.

وكوكبة هذه الأسماء المستنيرة كثيرة لا تحصى عدداً في عالمنا العربي منذ عصر النهضة حتى يومنا هذا.

هل أنا أهذي، أو أنا في حلم يقظة؟ ليسمح لنا، في ظل هذه العتمة من حياتنا، أن نحلم بعالم جديد مختلف. الحلم، في حالة العجز عن فعل شيء، هو حق مشروع للعاجزين!

## أنا نزق في بعض تصرفاتي
## ما العمل لكي أتحرر من نزقي؟!

**الأربعاء 20 تشرين الأول - أوكتوبر**

كنت متعباً. وكنت بسبب ذلك ولأسباب أخرى نزقاً. صرختي في وجه الآخرين كانت عالية جداً. هل هذا جائز؟ بالتأكيد لا. لا بد إذن من تغيير في طريقة تعبيري عن الحالات النفسية التي تصيب الانسان في لحظة معينة.

كنت مسؤولاً في موقع قيادي. وكنت أمارس مثل هذا النزق من موقعي في المسؤولية. أنا الآن لم أعد مسؤولاً، لكنني ما زلت أمارس هذا النزق اللعين. كان البعض يتصور أن المسؤول، لا سيما إذا كان شيوعياً، يجب أن يكون قدّيساً أو ما يشبه القديس، أو أن يكون ملاكاً. لقد أعلنت، منذ البدايات، أنني لست من هذا النوع من الناس الذين يجري تصويرهم لأنهم شيوعيون على أنهم ملائكة وقديسون. كلا. أنا إنسان مثل الآخرين، وأحياناً مثل أكثرهم بساطة وعفوية. وأنا صادق في هدوئي، وصادق حين يعلو صوتي، وصادق في نزقي، وحتى في تعسفي. هل هذا ممكن؟ نعم هو ممكن بالتأكيد. لكن هل هو جائز بالنسبة لمن هم في مثل وضعي؟ أعتقد، في ضوء ما كوّنته من خلاصات لتجربة حياتي، أن ذلك غير جائز.

**الخميس 21 تشرين الأول - أوكتوبر**

ذهبت إلى دمشق. يسألني البعض لماذا أكثر من ذهابي إليها. وأقدّم لكل سائل، بحسب معرفتي بخلفية سؤاله، الجواب الذي أرى أنه يناسب السؤال والسائل. وهكذا يقع الجميع في التباسات المعرفة التي يبحثون عنها. ما أكثر فضول الناس. وأنا فضولي مثل سواي من الناس. لكنني أزعم أن فضولي هو فضول معرفة، لا فضول حرتقة!

## كبار في عالم الفكر والأدب
## تعلمت منهم وأغنيت ثقافتي

**الجمعة 22 تشرين الأول - أوكتوبر**

حدث اليوم هو مسرحية المخرج والممثل الشاب عصام أبو خالد والأحاديث التي سبقت ورافقت وتلت عرض المسرحية. ظاهرة عصام ذات دلالات وآفاق. المهم أن يستمر عصام في إبداعه وألا يصاب بمرض العظمة قبل الأوان، مثل آخرين سبقوه إلى تلك النهاية الكارثية. انتبه يا عصام!

لا جديد يستحق الذكر في هذا اليوم. ليس حتماً أن أكتب يومياتي حول حدث راهن. جلست أستمع إلى الموسيقى بعد القيلولة. وعندما انتهيت من سماع بعض أغاني أسمهان دخلت إلى عالم الذاكرة أستعرض فيه تلك اللحظات التاريخية وأبطالها الذين ساهم كل منهم من موقعه في تكوين شخصيتي الثقافية والفكرية. تذكرت أسماء الذين أدمنت على قراءة أدبهم القصصي وهم الروسي أنطون تشيخوف والفرنسي غي دوماباسان والمصري محمود تيمور وصديقي العراقي القصاص عبد الملك نوري. أما الذين تأثرت بهم فكرياً وأدبياً فهم اللبنانيان جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة في ثورتهما ضد التقاليد البالية، والروسي مكسيم غوركي في العديد من رواياته ومسرحياته لا سيما في روايته "الأم"، والايرلندي جورج برنارد شو في كتاباته الساخرة وفي مسرحياته وبالأخص منها مسرحية "القديسة جون" التي تحتل مكاناً مهماً في ذاكرتي وفي وجداني، والفرنسي فولتير أحد أبطال حركة التنوير في فرنسا، والمصريون طه حسين الأديب الطليعي صاحب كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" ومؤسس مجلة "الكاتب المصري"، وسلامة موسى وكتاباته في الاشتراكية وفي تاريخ الفكر خاصة كتابه "عقلي وعقلك" الذي دخل عميقاً في عقلي، والأديب محمد مندور لا سيما في كتابه الرائع "نماذج بشرية". ولا أنسى تأثير مجلة "الهلال" وكتّابها عليّ قبل "الكاتب المصري" ثم مجلة "الطريق" في ما بعد. أما رئيف خوري الذي تعرّفت إليه في أوائل عام 1950 فقد أدمنت على زياراته والاصغاء إلى أحاديثه الراقية والتعلّم منه. وتعلمت من كتبه وأهمها كتاب "حقوق الانسان" وكتاب "الفكر العربي وأثر الثورة الفرنسية فيه". لكن يبقى لحسين مروة الدور الأول السابق على هؤلاء. ولا أنسى البيان الشيوعي لماركس وإنجلز الذي قرأته في ذلك التاريخ (1949-1950) مترجماً إلى اللغة العربية بقلم خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان. وكانت تلك القراءة قراءة أولية. لكنها مع ذلك كانت قراءة أدخلتني بثقة إلى عالم الشيوعية الذي كنت قد ولجته من أبواب أخرى في عام 1947، الأبواب السياسية وخيباتي فيها وخروجي منها وعليها إلى

سياسة أخرى تمثلت في ذلك الحين بما ارتبط بمواقف الاتحاد السوفياتي في أعقاب الدور الذي مارسه جيشه الأحمر في الانتصار على الفاشية. ومع مطالع الخمسينات صارت لي شخصيتي وصرت في موقع القادر على تحديد مواقفي واتجاهاتي فيها فكرياً وسياسياً وثقافيًا بشكل عام باسم الاشتراكية.

## مدن وأماكن في حياتي
## تستحضرهم الذاكرة بحنين إلى زمن جميل

**الأحد 24 تشرين الأول - أوكتوبر**

أشعر في هذه الأيام بحنين إلى بعض أيام زمان وإلى بعض الأسماء وإلى بعض الأمكنة المتصلة بتلك الأيام. وهو حنين إنساني رومانسي متحرر من أي وهم باحتمال العودة إلى تلك الأيام، والعودة إلى تلك الأسماء التي غاب معظمها، وإلى تلك الأمكنة التي تغيّرت معالمها. إنها مجرد ذكريات جميلة أستعين بها لنسيان بعض مآسي زماننا الراهن. أحن إلى بغداد الأربعينات والخمسينات، إلى شارع أبو نواس وشارع المتنبي وشارع الرشيد والكرادة الشرقية. أحن إلى لقاءاتي مع مثقفي مصر في مطالع الخمسينات في مجلتيّ "صباح الخير" و"روز اليوسف" مع أحمد بهاء الدين وصلاح جاهين وعبد الغني أبو العينين وصلاح حافظ وكمال عبد الحليم وعبد المنعم القصاص، ومجلة "الغد" بشخص حسن فؤاد وعبد الرحمن الشرقاوي وألفريد فرج، وإلى مقهى غروبي ولقاءاتي المتعددة فيه مع شيوعيي تلك الحقبة. أحن إلى أيامي التي لا تنسى في بودابست ودانوبها، وإلى فيينا ودانوبها، وإلى باريس وشوارعها ومقاهيها، وإلى موسكو التي عشقت تاريخها وناسها وأحياءها وعلاقاتي الجميلة فيها، وإلى وارصو وكراكوفيا وإلى بوسطن الأميركية الجميلة. أحن إلى دمشق الخمسينات والستينات وإلى مقهى الهافانا وحي المزرعة وإلى رفاقي الشيوعيين وإلى ذلك العدد الكبير من الأدباء والفنانين السوريين الذين تعرّفت إليهم وإلى إبداعاتهم. أحن إلى بلدتي حاريص مسقط رأسي، ودراستي الأولى في كتّاب الشيخ خليل العتريسي. أحن إلى صور مدينتي الأولى وإلى مدرسة الجعفرية التي فيها تفتحت عيناي على المعرفة. أحن إلى بيروت الأربعينات والخمسينات، وإلى الترامواي ومتعة التنقل فيه بين غربي المدينة وشرقها والضواحي. وثمة أمور أخرى لا تحصى عدداً تدخل في عالم هذا الحنين إلى أزمنة ذهبت ولن تعود. والحنين هو جزء متحرك من الذاكرة، بخلاف أجزاء أخرى لا تتقن فن الحركة ولا يستدعيها الحنين الرومانسي. ومن ليس عنده ذاكرة هو إنسان بلا تاريخ. مسكين هذا الانسان الذي لا تاريخ له يستعيده في صورة حنين رومانسي مثلما أنا فيه في هذا اليوم.

بعض الشيوعيين يحنون إلى الاتحاد السوفياتي ويعيشون في حلم عودته إليهم وعودتهم

إليه. هؤلاء لا يعرفون معنى العلاقة بالتاريخ، تاريخهم وتاريخ شعوبهم وتاريخ الإنسانية. أنا شيوعي عتيق ولي ذكريات لا تنسى في الاتحاد السوفياتي وفي البلدان الاشتراكية. أحن إلى أيام جميلة في علاقتي بتلك البلدان وبناسها الكبار وبناسها البسطاء الطيبين. أحن إلى الجميل والعظيم ممَّ ارتبط بالتجربة الاشتراكية في هذه البلدان، وأعلم علم اليقين أن ذلك التاريخ قد مضى. وأعلم علم اليقين أن علينا نحن اشتراكيي المستقبل أن نعمل من أجل إحياء مشروعنا الاشتراكي في شكل مختلف عما كان عليه، متحرراً من الخلل الذي أدى إلى انهيار التجربة، مراعين في عملنا هذا شروط العصر وقوانينه.

**الاثنين 25 تشرين الأول - أوكتوبر**

بهاء البساط يغادرنا. ما أكثر الذين يذهبون من هذا النوع الطيب من الناس، وما أقل الذين يبقون منهم. بهاء البساط مهندس كبير، نقيب للمهندسين لأكثر من مرة. تاريخ مهني وسياسي مجيد. صديق عزيز أفتقده ويفتقده الوطن.

## عن "طبائع الاستبداد" والاستبداد باسم الدين!

**الثلاثاء 26 تشرين الأول - أوكتوبر**

لقائي مع صديقي نصري لحود بدأ يثير عندي القلق ارتباطاً بعهد شقيقه الرئيس إميل لحود الذي لا يعرف كيف يخطط لتحقيق برنامجه المعلن في خطاب القسم. فوضى من داخلنا ومن خارجنا لا تريد لبلداننا أن تنهض. نصري صديق عزيز. ولا يقلل من صداقتنا بعض الاختلاف معه في الرأي وفي الموقف.

أقرأ في أدب النهضة فأزداد إعجاباً برموزه وأزداد حزناً على حاضرنا. مأساة حقيقية هذه التي نعيش في ظلالها. 150 عاماً لم نتقدم فيها خطوة باتجاه النهضة الجديدة. بل نحن على أبواب تخلّف جديد عشية الدخول في الألفية الثالثة. إلى أين نحن سائرون ومسيّرون؟!

استحضرت الكثير من الأفكار التي ارتبطت بمفكري النهضة في القرن التاسع عشر ومطالع القرن العشرين. لكنني أحب هنا أن أتوقف بشكل خاص عند مفكر نهضوي كبير هو السوري الحلبي الشيخ عبد الرحمن الكواكبي. أهم كتبه الذي قاده إلى الاضطهاد هو كتاب "طبائع الاستبداد" الذي أنجزه في عام 1902 العام الأخير من حياته. في تعريفه للاستبداد يقول الكواكبي: "... ويراد بالاستبداد عند إطلاقه استبداد الحكومات خاصة، لأنها مظاهر إضراره التي جعلت الانسان أشقى ذوي الحياة. وأما تحكم النفس على العقل، وتحكم الأب والأستاذ والزوج ورؤساء بعض الأديان وبعض الشركات وبعض الطبقات، فيوصف بالاستبداد مجازاً أو مع الاضافة...". ويضيف: "... وأشد مراتب الاستبداد التي

يُتعوَّذ بها من الشيطان هي حكومة الفرد المطلق الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية". ويقول في مطلع الفصل الذي يحمل عنوان "الاستبداد والدين": "تضافرت آراء أكثر العلماء الناظرين في التاريخ الطبيعي للأديان على أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني. ويقول البعض إن لم يكن هناك توليد فهما أخوان أبوهما التغلب وأمهما الرئاسة، أو هما صنوان قويان بينهما رابطة الحاجة على التعاون لتذليل الانسان. والمشاكلة بينهما أنهما حاكمان أحدهما في مملكة الأجسام والآخر في عالم القلوب". ويضيف الكواكبي في مكان آخر من الفصل ذاته: "... وهذه الحال هي التي سهلت في الأمم الغابرة المنحطة دعوى بعض المستبدين الألوهية على مراتب مختلفة حسب استعداد أذهان الرعية، حتى يقال إنه ما من مستبد سياسي إلى الآن إلا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها الله، أو تعطيه مقام ذي علاقة مع الله. ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم الله. وأقل ما يعنون به الاستبداد تفريق الأمم إلى مذاهب وشيع متعادية تقاوم بعضها بعضاً، وتتهاتر قوة الأمة ويذهب ريحها فيخلو الجو للاستبداد ليبيض ويفرخ".

أشعر وأنا أستشهد بالكواكبي أن عليَّ أن أتابع ما كنت قد بدأته منذ فترة في اختيار نماذج من فكر النهضة ومن رموزه ورواده لكي يصدر في كتب مختصرة تضم سيراً مكثفة لمفكري النهضة ونماذج من أفكارهم في ميادينها المختلفة. علينا أن نستعيد تاريخ حركة النهضة ونستلهم من أفكار رموزها ونستكمل ما قاموا به في الشروط التاريخية الجديدة.

**الأربعاء 27 تشرين الأول - أوكتوبر**

"فنجان شاي مع موسوليني" فيلم إنساني يحمل دلالات سياسية.

مسرحية ريمون جبارة نمط قديم وجميل من العمل المسرحي، ومن الخطاب الساخر في زمن اختلفت فيه الأمور واختلف الجمهور.

## العولمة الرأسمالية
## قطب واحد أو تعدد أقطاب؟!

**الخميس 28 تشرين الأول - أوكتوبر**

لا شيء يدعو إلى الارتياح. أخبار من هنا، وأخبار من هناك، والوقائع غير السارة تتوالى على الأرض. ومأساة وطن لا تشير الدلائل إلى قيامته القريبة. ما العمل؟

الشباب يطمحون إلى التغيير. يفتشون ويقاتلون ويحلمون. ثم ماذا بعد؟

جاء الألوف من الشباب إلى مهرجان الحزب الشيوعي للاحتفال بالعيد الـ 75 لتأسيسه. جاءوا إلى الحزب من خلال مارسيل خليفة. جاؤوا إليه من خلال الفن من دون توصيف. جاؤوا إلى الحلم الذي لم ير النور ولم تبرز تباشير ولادته من جديد!

أعترف صادقاً بيني وبين نفسي وعلى صفحات دفتر يومياتي أنني شديد الارتباك في قراءتي لمستقبل العالم بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وانهيار التجربة الاشتراكية. هل يعقل أن يصبح مصير البشرية مرهوناً بسياسة ومصالح قطب عالمي وحيد هو الولايات المتحدة الأميركية؟ ماذا سيحلّ بالعالم في ظل هذا الواقع الجديد؟

مصدر إرتباكي الأساسي لا ينحصر في الأسئلة التي أطرحها على نفسي ويطرحها كل عاقل على نفسه، ويتعداها إلى ما لا أستطيع أن أجزم به الآن، وهو أن العالم لم يعد قادراً على سيطرة قطب واحد على مصائره، بعد تجربة ثلاثة أرباع القرن من وجود قطبين كانا يتنافسان على التحكم بمصائر البشرية. لا أجزم بذلك لكنني لا أستطيع إلا أن أطرح الفكرة بيني وبين نفسي. يشجعني على طرحها هذا التوحش المفرط من قبل الرأسمال المعولم، وعلى رأسه الرأسمال الذي يتحكم بسياسة الولايات المتحدة الأميركية.

لديّ شعور غير مبرر بما فيه الكفاية أن هذا التوحش الرأسمالي لن يستطيع أن يتحكم طويلاً بمصائر العالم من دون مقاومة ما. لماذا لا يكون التنافس بين المؤسسات الرأسمالية العملاقة مصدراً للصراع، وربما مصدراً لأزمات تنهش جسم هذا الوحش الكبير؟ يعيدني هذا الموضوع إلى ماركس، ليس بالضرورة نصياً، بل من حيث المنهج، ومن حيث الرؤية الاستشرافية لدى هذا المفكر الكبير صاحب مشروع تغيير العالم باسم الاشتراكية. النظام الرأسمالي يحفر قبره بيده بسبب توحشه وبسبب الصراعات بين مكوناته وبسبب الأزمات التي يخلقها لنفسه وللعالم بسبب هذا التوحش. لكن هذا الرأسمال، كما تشير إلى ذلك الوقائع، لا يزال قادراً على أن يعيش طويلاً قبل أن يذهب إلى قبره. كان ذلك واضحاً حتى في ظل وجود نظامين، فكيف وقد سقط النظام النقيض وبقي هو لوحده يتحكم بمصائر العالم.

لا بد من إعادة صوغ مشروع جديد لتغيير العالم يستوحي من مشروع ماركس ويتجاوزه في شروط العصر. لا بد من العمل لتشكيل كتلة تاريخية جديدة في كل بلد تهيئ الشروط لولادة كتلة تاريخية عالمية، أو ما يمكن الاصطلاح على تسميته العولمة البديلة، لكن في شكل مختلف عما هو قائم وشائع في الوقت الراهن باسم هذه العولمة البديلة. كيف؟ لا أدري. لكنني أرى ضرورة ذلك، أراه كضرورة تاريخية. وأكاد أرى في الآن ذاته أن ثمة شروطاً بدأت تتكوّن لولادة أقطاب جدد يشاركون القطب الأميركي، في ظل الصراع والتنافس والتوحش، على التحكم بمصائر العالم المعاصر. وأكاد أرى، في هذا السياق، أن دولاً مما كان يسمى العالم الثالث، قد بدأت تكبر وتصبح مشاريع دول عظمى، كهند غاندي ونهرو والبرازيل واليابان والاتحاد الأوروبي رغم أزماته، والصين الذاهبة سريعاً في هذا الاتجاه، ليس كدولة اشتراكية، بل كدولة رأسمالية يحكمها حزب شيوعي من نوع مختلف غير مسبوق في ظل علاقات إنتاج رأسمالية بالكامل.

وأحب أن أعترف في الآن ذاته، وأنا أتحدث مع نفسي عما يجري في العالم المعاصر،

بأنني لم أعد أحبذ لغة الشتائم لأميركا وللرأسمال المعولم، وأن البديل من الشتائم ينبغي أن يكون قراءة موضوعية ترى الشيء ونقيضه في كل حالة، بما في ذلك في أميركا بالذات وفي الرأسمال المعولم. كثرة الشتائم لأميركا وللرأسمال المعولم التي لم أتحرر منها شخصياً لا تقود إلى إسقاط أي منهما وإرسالهما إلى القبر الذي يحفرانه لنفسيهما كما كنا نحلم نحن الشيوعيين بإسم ما جاء على لسان ماركس في ذات زمان قديم.

لقد زرت الولايات المتحدة الأميركية أربع مرات. وتجولت في ولاياتها شرقاً وغرباً وجنوباً ووسطاً. أدهشتني عظمة هذه الأمة. وأدهشتني بساطة الشعب الأميركي. وأدهشتني هذه الوحدة القوية التي تجعل المتناقضين، أعني السود والبيض، في موقف واحد عندما يرون وطنهم أميركا تواجه خطراً من داخلها ولا سيما من خارجها. وتساءلت وأنا أعبّر عن دهشتي وعن غضبي في الآن ذاته عما إذا كانت الشروط متوافرة لنشوء وتطور قوى حقيقية داخل أميركا تشارك في إحداث تغيير ما في سياساتها. لقد أحببت أغاني المغني الاسود بول روبسون. وتعرّفت إليه في أواسط الستينات عندما زار فيينا وغنّى في ساحاتها. وأحببت أفلام شارلي شابلن الصامتة وأفلامه الروائية وأعجبت بسيرته السينمائية والسياسية. واستمتعت بروايات هوارد فاست وشتاينبيك وهمنغواي. لكنني استغربت ما سمعته من رئيس الحزب الشيوعي الأميركي هنري ونستون عندما زرته في نيويورك في عام 1981 بناء لموعد سابق. استقبلني يومذاك مع زوجته وهو ضرير، واعتذر مني لعدم تمكنه من البقاء معي طويلاً لأنه مضطر للذهاب إلى إذاعة يسارية ليقدّم فيها حديثاً عن الأممية البروليتارية! هل هي الأممية البروليتارية التي كانت تشغل الحزب الشيوعي الأميركي في ذلك التاريخ؟!

لم أستغرب الأمر عندما عرفت في ما بعد من أحد قادة الحزب الشيوعي الأميركي ذاته أن الأمين العام للحزب غس هول، الذي كنت أعرفه جيداً، قد خاض معركة الرئاسة الأميركية وحصل على خمسة وثلاثين ألف صوت! ما أصعب التغيير في الأمبراطورية الأميركية العظمى!

**الجمعة 29 تشرين الأول - أوكتوبر**

قضية المخطوفين ووداد حلواني الوجه البارز في اللجنة التي تتابع هذه القضية بمأساوية هما موضع اهتمامي اليوم لكن من دون أفق. ومصدر اهتمامي بهذه القضية لا يعود فقط إلى أن لي بين المخطوفين عدداً من رفاقي الشيوعيين، بل لأنها قضية إنسانية وسياسية في آن. كيف لي أن أنسى محيي الدين حشيشو رفيقي الجميل. وكيف لي أن أنسى رفيقي الجميل الآخر أحمد نجا والاخوة أبو رجيلي والقائمة تطول. إنه التاريخ الذي نريد أن ننساه ولا نستطيع، ونقع في الحيرة في ما علينا أن نفعله، وما على السلطات السياسية أن تفعله.

حفل تكريم النائب جعفر شرف الدين أثار عندي ذكريات تاريخية قادتني إلى استذكار

السيد عبد الحسين شرف الدين المرجع الديني ومنشئ الكلية الجعفرية، وقادتني إلى استذكار والدي الشيخ أحمد صديق السيد عبد الحسين. والنائب جعفر شرف الدين كان أحد أساتذتي في الكلية الجعفرية. ما أجمل ذكريات تلك الأيام من شبابي الأول في مدينة صور.

**السبت 30 تشرين الأول - أوكتوبر**

يوم طويل للطعام والشراب والنقاش، مع شيوعيين ويساريين من مستويات مختلفة عن الحزب وعن الشباب وعن المستقبل، وحول القيم التي تعصف بها أحداث هذا الزمان.

**الأحد 31 تشرين الأول - أوكتوبر**

الموسيقى ملاذي عند التعب الجسدي والنفسي. هذا الأمر سيجعلني أعود لقراءة سير الموسيقيين. ربما تكون تلك القراءة لسير الموسيقيين مثل موسيقاهم أجمل من حياتنا. أقول ربما، لكن لماذا هذه الربما؟! لا شيء في الحياة أجمل من الموسيقى.

لكن الموسيقى ليست مخدراً ولا هي ملجأ من التعب. هي متعة ذهنية ومتعة مشاعر ومجال خصب للتخيلات والتأملات في كل أمر جميل. هي فسحة للسفر في المتاهات من خلال الاستماع إلى الأنغام التي تفوق لغتها بجمالها كل لغة. وهي لغة لا قدرة لي على تحديد أبعادها. لغة أعترف بأنني لا أفهمها، لكنني أستمتع بها، ولا أجد ضرورة لإجهاد نفسي في فهمها ما دمت لا أحتاج لفهمها كما يفهمها أربابها المبدعون.

## الشروط الطبيعية
## لانتماء الناس إلى أوطانهم

**الاثنين 1 تشرين الثاني - نوفمبر**

كيف نمارس حريتنا؟ كيف يمارس المستبدون استبدادهم؟ كيف يتصرف الناس وفق مستويات وعيهم في الدفاع عن حرياتهم وعن سائر القضايا التي تتصل بحياتهم؟

أسئلة تستوقفني في هذا اليوم وتستولي على تفكيري ومشاعري. لكن ما يشغلني أكثر من هذه الأسئلة قضية انتماء الناس إلى أوطانهم بشكل عام، وفي بلداننا العربية وفي بلدي لبنان بشكل أكثر تحديداً. ذلك أن بعض القوى تمارس، وفق مصالحها، بث وعي مزيف ومشوّه للانتماء إلى الأوطان. إذ يغلّبون انتماء الناس إلى هوياتهم الدينية والعقائدية والاثنية عندما تتطلب مصالحهم ذلك. ويغلّبون في ظروف أخرى انتماء الناس إلى عقائدهم تحديداً، متجاوزين أوطانهم إلى أوطان أخرى.

ما يشغلني في هذه الحالة هو أن أوطاننا تستمر غارقة في انقساماتها عمودياً وأفقياً،

وتستمر في تخلفها، ويستمر الاستبداد بصيغه المختلفة، مدنياً ودينياً وعسكرياً وعائلياً، متحكماً بمصائر بلداننا من دون أمل في التحرر منه ومن آفاته.

ثمة شروط طبيعية لا تقبل الجدل في انتماء الناس إلى أوطانهم. أولها الولاء للوطن قبل أي ولاء آخر. والانتماء إليه كانتماء أول، من دون أن يتخلى أحد عن هويته الدينية أو العقائدية أو الاثنية أو سوى ذلك من الاثنيات.

أهمية الولاء للوطن، والانتماء إليه كانتماء أول، أن المواطنين يصبحون معنيين بالعمل لتحقيق تقدم وطنهم ومعنيين بخلق الشروط لقيام دولة حديثة فيه في ظل نظام ديمقراطي، ومعنيين في الآن ذاته بالعمل لتأمين شروط حياة لهم أفضل وأكثر حرية وكرامة. جميع هذه الشروط هي التي تحرر أوطاننا من أشكال الاستبداد السائدة فيها، وتحرر الانسان من تبعات هذا الاستبداد على حياتهم.

الدين ظاهرة تاريخية. إنه الوعي الأول للإنسان. ولدت هذه الظاهرة معه وتطورت، في صيغ شتى واتجاهات شتى. وكانت القيم الروحية هي الأساس في البدايات. لكنها كانت تتحوّل بالتدريج من خلال ممارسة المنافقين باسم الدين إلى نقيضها. وإني لأرى في التعليم الديني، كما يدرّس في أيامنا، ما يشبه الكارثة. إذ هو يستخدم لأغراض تفرغ الدين من قيمه الروحية وتقسّم الناس على أساس أديانهم ومذاهبهم بدلاً من أن توحّدهم في الانتماء إلى الوطن. وهذا ما نشهده في أيامنا في لبنان وفي بلدان عربية أخرى. هل من الممكن إلغاء التدريس الديني في المدارس؟ وإذا كان ذلك مستحيلاً، هل يمكن وضع قواعد لتدريس الدين في الاتجاه الذي يمجد قيمه الروحية، ويؤكد على وحدة انتماء اللبنانيين بتعدد أديانهم إلى الوطن أولاً قبل أي إنتماء آخر؟ إن انتماءنا إلى لبنان هو الانتماء الأول الذي تتوحّد الانتماءات الأخرى في ما بينها على قاعدته، وأي خلل في هذا الانتماء سيشكّل مع الوقت كارثة تتمثّل في عدم قيامة لبنان من حالته المأساوية الراهنة.

يبدو لي أننا بحاجة إلى إعادة تحديد معنى الوعي الذي هو شرط ضروري لإحساس الانسان الفرد والانسان الجماعة بانتمائه إلى وطن طبيعي، وإحساسه في الآن ذاته بمسؤولياته داخل هذا الوطن الذي هو وطنه. ففي توفر مثل هذا الوعي عند الانسان الفرد وعند الجماعة تتحقق بشكل طبيعي العلاقة الصحيحة بين انتمائه إلى الوطن كانتماء أول وأساسي، والانتماء إلى طائفة أو مذهب أو حزب أو سوى ذلك من الانتماءات الثانوية. وفي مثل هذا الوعي عندما تتوفر شروطه يبدأ تحرر أوطاننا مما هي فيه. لكن هذا الوعي، كما تشير إلى ذلك التجارب التاريخية، لا يأتي تلقائياً. إنه يحتاج إلى حركة للتغيير تساعد في إنتاج هذا الوعي.

أخشى أن أكون قد عقّدت المسألة في كلامي. في أي حال تلك هي قناعتي. يذكرني واقع أيامنا بحلم ابنتي هانية عن البشر القادمين من كوكب آخر!

**الثلاثاء 2 تشرين الثاني - نوفمبر**

نهضة وتخلّف عمرهما أكثر من قرن. ماذا قال رواد النهضة في القرن الماضي، وماذا يقول رواد التخلّف في نهاية القرن العشرين؟ إنها سخرية التاريخ.

نصر حامد أبو زيد هو اليوم واحد من أرقى تعبيرات النهضة الجديدة. إنه مفكر مبدع. لكن إبداعه يزعج المتخلفين ويرفع من شأنه. مأساتنا التي نعيش فيها وفي نتائجها تكمن في أن بعض القوى السياسية التي تحتمي بالدين في شكل متعسف ضد قيمه الروحية قد اختارت البقاء في القرون الوسطى وفي كهوف التاريخ، وتهدد في إدخال بلداننا معها إلى كهوف التاريخ وإلى عهود البربرية.

**الأربعاء 3 تشرين الثاني - نوفمبر**

دلالات يوم مارسيل خليفة: الدين والحرية، الدين والثقافة، الثقافة والسياسة، الثقافة والحرية، المثقفون والحرية. مارسيل انتصر ضد التكفيريين وانتصرت بانتصاره قضية الحرية، رغم أنف التكفيريين.

نصب تذكاري لفؤاد شهاب واحتفال بذكراه. لماذا الآن؟ ومن الذي يحتفل بهذه الذكرى؟ سؤال احتجاج واستغراب. مشروع فؤاد شهاب لبناء الدولة الحديثة، ومشروعه في القضية الاجتماعية الذي استعان ببعثة إرفد لتحديده، يحتاج من الديمقراطيين الحقيقيين النضال لاستعادته في الشروط التاريخية الجديدة. هل هذا ممكن في مثل الظروف السائدة في لبنان، في ظل الوصاية السورية، وفي ظل ترهل وتراجع دور القوى الديمقراطية، اليسارية منها خصوصاً، ودور القوى الليبرالية الحديثة، ودور القوى الدينية المعروفة باستنارتها؟

## ثلاثة استنتاجات راهنة
## حول بعض أفكار ماركس

**الخميس 4 تشرين الثاني - نوفمبر**

كنت هذا اليوم غارقاً في أجواء ماركس ونقده للحركة الثوروية في أوروبا. الاستنتاج الأول الذي خرجت به في هذه القراءة والتأمل والمقارنة بين الماضي والحاضر هو أن أمميتنا القديمة، الاشتراكية والشيوعية، قد صارت جزءاً من الماضي مع إنجازاتها وإخفاقاتها. الاستنتاج الثاني الذي قادتني إليه تأملاتي أن ثمة فرقاً جوهرياً بين الاشتراكية كمشروع لتغيير

العالـم وبين حكومات تدّعي أنها اشـتراكية وتمـارس نقيض أفكار الاشـتراكية وقيمها. أما الاستنتاج الثالث فيصبّ في ضرورة تجديد مشروع ماركس في الاتجاه الذي يجعله مطابقاً لشـروط العصـر. وهي مهمة تعـود لقوى جديدة تنتمـي إلى العصر الجديد وإلى شـروطه. وهي شـروط مختلفة في جوانب كثيرة عن الشـروط القديمة من حيث التركيب الاجتماعي للقـوى التـي اقترحها ماركس في عصره لتكون البديل من الرأسـمالية فـي توحيد العالم. لا أدّعي أنني أمتلك في قراءتي النقدية لتجربتنا الاشتراكية القدرة على تجديد هذا البديل الذي أدعـو إلى إنتاجه، البديل الـذي ينتمي إلى العصر. لكنني سـأحاول تقديم أفكاري في كتابي "التفكيـر اشـتراكياً في زمن مختلف" الذي أجّلت إصداره إلـى حين اقتناعي به وبجدواه. وكنت قد نشرت في مجلة "الطريق" في عام 1984 بمناسبة مرور مائة عام على وفاة ماركس مقالاً بعنوان "أزمة في الماركسية في العالـم العربي"، حددت فيه عناصر هذه الأزمة ودعوت الماركسـيين العرب إلـى العمل للخروج من الصيغة القديمة لنضالنا باسـم الاشـتراكية إلى صيغة جديدة معاصرة. كما حاولت في كتابي "حوارات" الصادر في عام 1990 أن أشير إلى عناصر الخلل في تجربتنا الاشـتراكية في جوانب عديـدة منها، وفق ما كنت قد توصلت إليه من جهودي الفردية لتصحيح مسار هذه التجربة. ما زلنا في أول الطريق إلى ما نصبو إليه من تجديد فكرنا وتجربتنا في الشروط التاريخية الجديدة.

**الجمعة 5 تشرين الثاني - نوفمبر**

الاحتفال باتفاق الطائف، وما أدراك ما اتفاق الطائف. لقد ضيّعته وشوّهته الوصاية السورية وحلفاؤها من اللبنانيين. لم يعد يحمل الحديث عن اتفاق الطائف اليوم المعنى الذي حمله عند إقراره في مؤتمر الطائف. والإكثار من الحديث عنه هو مجرد كلام للاسـتهلاك. لا بد من العمل من أجل جمهورية ثالثة تأخذ من الجمهورية الأولى ومن جمهورية الطائف ما هو جوهـري، وتتخلّى عما هو مناقض لوحدة اللبنانيين، ومناقض للشـخصية اللبنانية المتعددة المكوّنات. لا بد من جمهورية جديدة كاملة فيها عناصر الديمقراطية.

مـا هـي دلالات هذا التباعد حتى التناقض الذي نشـهده بين التطـور العاصف في العلوم والمعارف وبين الوعي الاجتماعي السائد؟!

مهرجان السينما البديلة في العالم العربي الذي يعقد في دمشق هو مهرجان جميل ورائد. شـاهدت فيه أفلاماً بديعة والتقيت بكثيرين من ممثلي هذه السينما البديلة، مخرجين ونقاداً: سمير فريد وروجيه عسـاف ومحمد ملص وأسامة محمد وهيثم حقي وعمر أميرالاي وفؤاد التهامـي وقيس الزبيدي الذي كان قد أعدّ وأنتج بالاتفاق مع الحزب الشـيوعي اللبناني أول فيلـم عـن المقاومة هو "واهب الحرية". وكنت إلى جانبـه على امتداد فترة إعداد هذا الفيلم

الجميل الذي يستحق أن يشاهد. المهرجان كان ظاهرة جديدة تستحق الاهتمام والدعم.

**السبت 6 تشرين الثاني - نوفمبر**

تأمـلات قلقـة في واقعنا الراهن. تخبّط يقع فيه الناس جميعـاً، أفراداً وأحزاباً وجمعيات مجتمع مدني، وسلطات وحكاماً من كل الأنواع.

ما هذا الذي يجري عشـية الألفية الثالثة؟ هل هو جنون، أو هو ما يشـبه ذلك؟ رأسـمال معولم متوحش وقوى سـلفية تكفيرية متوحّشـة، وتراجع مرعب فـي الوعي العام وحتى في وعي النخب الثقافية والسياسية!

أفكر كثيراً في كيف عليّ أن أواجه أنا شـخصياً مسـتقبلي فكرياً وسياسياً وإنسانياً، وكيف عليّ أن أسـاهم، من موقعي الشـخصي، في الإعداد لمسـتقبل بلدي ومستقبل اليسار ودوره في تحديد هذا المستقبل لبلدي. لكن التفكير يتطلب ارتقاء في الوعي عند النخب السياسية والثقافية وعند الجماهير كذلك. لكن كيف؟ لا أدري!!

**الأحد 7 تشرين الثاني - نوفمبر**

أحاول فهم أحلامي، ومعظمها كوابيس في هذه الأيام. ما هذا الذي يلاحقني في المنام؟ أكاد أحس أن ذلك هو شكل من أشكال التعبير عن قلقي من موت المشروع الذي أنتمي إليه من جراء غباء الذين حملوه قديماً ويحملونه اليوم. أقول الغباء، حتى لا أقول أكثر وأقسى من ذلك. ربما يكون هذا القلق هو السبب في ملاحقة هذه الأحلام لي. وقد يكون ذلك في الآن ذاته تعبيراً عن قلقي من وضع لبنان: إلى أين يسير بلدي، وإلى أين يُسار به، وأمور أخرى؟!

شـاركت فـي نقاش مـع رفيقيّ نديم عبد الصمد وسـناء أبو شـقرا حول أوضـاع المنطقة ولبنـان. لـم نجد أجوبة واضحة على تسـاؤلاتنا. إلى أين يسـير العرب فـي حاضرهم وفي مسـتقبلهم، وإلـى أين يسـير بهم حكامهـم المسـتبدون هنـا، والطائفيون هنـاك والمنافقون هنالك؟!

## أهلاً بالشاعر محمود درويش في بيروت خيمته وخيمتنا

**الاثنين 8 تشرين الثاني - نوفمبر**

يوم القدس. وليد الخالدي أبدع في طرح القضية، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً. ومحمود درويش في بيروت بعد 17 عاماً من الغياب القسـري. أهلاً بك في وطنك الثاني يا محمود، أهلاً بك في بيروت خيمتك وخيمتنا.

وكان محمود قد غادر بيروت مع ياسر عرفات والمقاتلين الفلسطينيين إلى تونس في عام 1982 بموجب الاتفاق الذي وضعه فيليب حبيب. ثم غادر تونس بعد فترة قصيرة من إقامته فيها إلى باريس ليستقر فيها عدة أعوام، وينتقل بعدها إلى عمان حيث يستقر الآن. جاء محمود إلى بيروت ليشارك في يوم القدس على طريقته. جاء ليلقي بعض قصائده التي أبدع فيها حزناً على فلسطين واعتزازاً بتاريخها. وكان من أروع ما كتبه في منفاه الجديد القصيدة التي تحمل عنوان "بيروت خيمتنا". محمود درويش في بيروت صوت رائع بمستوى روعة شعره.

**الثلاثاء 9 تشرين الثاني – نوفمبر**

الباحث والمؤرخ أحمد بيضون أبدع في طرح مسألة الهوية في لبنان. وأبدع في تصحيح مفهومها وفضح العسف في الموقف منها، ارتباطاً بهوية لبنان واللبنانيين.

لديّ أفكار في هذا الموضوع أغربلها، من دون أن أصل بعد إلى قرار حاسم بشأنها.

ماذا يعني مثل هذا الذي نشهده في كل أنحاء العالم؟ تفكك إلى الحدود الدنيا باسم الانتماءات الثانوية على اختلافها وضدها. ثم حروب هنا وهناك وهنالك، حروب من كل الأنواع. يجري ذلك في الوقت الذي يسير العالم في اتجاه الدولة الكونية!

**الأربعاء 10 تشرين الثاني – نوفمبر**

يوم محمود درويش في لبنان، يوم الشباب مع محمود ومارسيل في بيروت. لكن واأسفاه أين هم أولئك الذين يفترض بهم أن يديروا أحلام الشباب في الاتجاه الصحيح؟ أين هو حزبهم؟ أين هم قادتهم؟ أين هو المشروع الذي يفترض أن يكونوا فيه جنوداً وأبطال نضال من أجل تحقيقه؟!

**الخميس 11 تشرين الثاني – نوفمبر**

مسرح إيمائي. مسرحية جميلة إخراج ميرنا الحارس. المسرحية فيها تطوير للإيماء يمتزج فيه الرقص والايقاع بالأصوات البشرية وأشياء أخرى. ليست لدي معرفة بهذا الفن إلا قليلاً من خلال أعمال صديقي الفنان فائق حميصي. لكن ما شاهدته، بمعزل عن التقييم الفني الذي له أربابه، هو بالنسبة إليّ شيء جميل يستحق أن يُشاهَد.

أخبار الوضع في لبنان، وفي الجنوب، وفي العلاقة مع الفلسطينيين وفي العلاقة مع سوريا، ودور فرنسا، ودور أميركا، كلها أمور تثير القلق عندي وعند الكثيرين، سواء أعلنوا عن قلقهم أم كتموه. أخبار موسكو والشيشان. تقلق أيضاً، ما أكره هذا المنطق في التعامل مع الأشياء. الشيشان شيء، وكوسوفو شيء آخر، والأكراد في العراق وفي تركيا شيء ثالث. أي عصر هذا الذي نحن فيه؟

دخنت عدة سجائر، بمعزل عن نجوى وهانية. وأكلت كثيراً في الصباح وعند الظهر وفي المساء، على غير عادتي.

## لقاءات وذكريات في القاهرة

**الجمعة 12 تشرين الثاني - نوفمبر**

كنت اليوم أشاهد أحداثاً من دون أن أشغل نفسي بها. أنا اليوم عاطل عن العمل وعن التفكير. وكنت قد قرأت مقالات إسكندر حبش عن العراق ومشاهدات مثقف شفاف عن حالة إنسانية وثقافية وسياسية مأساوية.

تذكرت بعض لقاءاتي في القاهرة على هامش اجتماعات منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا مع بعض أصدقائي القدامى والجدد. تذكرت صديقي نوري عبد الرزاق الأمين العام الدائم للمنظمة. صداقتنا تعود إلى الخمسينات في أوروبا وفي العراق وفي لبنان، وفي مصر بصورة متواصلة. جمعنا نوري قبل عامين في منزله في منطقة الهرم في سهرة جميلة ضمت عدداً من الأصدقاء المصريين والعرب، كان في مقدمتهم رئيس المنظمة مراد غالب. تحدثنا في شؤون الماضي والحاضر والمستقبل. لكن مراد غالب روى لنا بمرارة بعض أحداث كان شاهداً عليها عندما كان مديراً لمكتب الرئيس جمال عبد الناصر ثم وزيراً للخارجية وأخيراً سفيراً لمصر في الاتحاد السوفياتي. طلبت منه، بعد سماعي بعض ذكريات طريفة رواها لنا، أن يكتب مذكراته فأجابني بمرارة: كيف تريدني أن أكتب مذكراتي وفيها بعض ما يسيء إلى الرئيس جمال عبد الناصر في بعض الأحداث التي رويتها لكم، وأنا حريص على البقاء في موقع التقدير الكبير لهذا الزعيم الخالد. . ولا أسمح لنفسي في يومياتي بذكر تلك الأخبار التي رواها لنا مراد. فهي ملك له. وليس من حقي أن أرويها بالنيابة عنه. وأذكر في السياق ذاته من الذكريات أنني شاركت في جلسة عقدت في مقر المنظمة في تلك الفترة بحضور عدد من الشخصيات السياسية المصرية كان من ضمنها الفريق محمد فوزي وزير الحربية في مرحلة ما بعد هزيمة حزيران. ناقشنا في الجلسة أموراً سياسية وأحداثاً ذات صلة باهتمامات المنظمة. وقد وردت في مداخلتي في ذلك اللقاء إشارة إلى الكارثة التي قادتنا إليها هزيمة حزيران. فأجابني الفريق فوزي مستنفراً وبغضب: عن أية هزيمة تتحدّث أنت والآخرون؟ فقلت له بهدوء أعصاب: أتحدث عن الهزيمة التي وقعت في عام 1967. ألم تقع تلك الهزيمة يا سيادة الفريق، أو أننا لا نحب ذكر اسمها، رغم أننا لا نزال نعاني من نتائجها حتى الآن. وكان جوابي محمّلاً بالسخرية من كلام الفريق. فسارع رئيس الجلسة مراد غالب إلى إنهاء الاجتماع. ومعروف أن فريق الرئيس عبد الناصر

في الدولة وفي الاتحاد الاشتراكي كانوا قد دخلوا السجن من دون مقاومة في عهد الرئيس السادات بعد عام من وفاة الرئيس عبد الناصر.

## قصتي مع سرير نومي!

السبت 13 تشرين الثاني - نوفمبر

علاقتي بسرير نومي علاقة متعددة. وهي لا تتصل بوظائف السرير وحسب. جميعها وظائف، إذا صح التعبير، وظائف جميلة وممتعة. والجمال والمتعة هنا عديدة ومتنوعة عناصرهما، لا في النوم وحده، ولا في الراحة وحدها، بل في أمور أخرى ربما تكون أهم من هذه وتلك. هذا ما أرمي إليه في هذه العلاقة الجميلة اليومية بسرير النوم. إنها بسيطة جداً، لكنها معقدة مثل كل شيء في حياة البشر. ذلك أنني اعتدت، منذ الصغر، على الاهتمام بسريري. هكذا علمتني الوالدة. وهكذا علمتني أعوام عديدة من حياتي قضيتها في فترات مختلفة وحيداً خارج بلدي في غرفة أو في شقة صغيرة. إلا أن لهذه العادة، مثل كل شيء، استثناءات. لكنها ليست عفوية بالكامل. فأحياناً أنهض، ولا رغبة عندي في ترتيب السرير. وعندما أكون وحدي لا تكون مراهناتي على أحد لترتيب السرير في غيابي. غير أنني، بعد أن طلقت العزوبية وصرت زوجاً وأباً، صارت مراهنتي تتجه أحياناً نحو الزوجة وأحياناً نحو الأولاد. وكثيراً ما اكتشفت أن المراهنات ليست دائماً مسنودة بالواقع. الأولاد بحاجة دائماً إلى من يرتب لهم أسرّتهم. هكذا أصبح جيل هذا العصر. وربما هو كذلك في كل العصور. لكن ما الذي يجعل الزوجة تهمل أحياناً هذه المسألة؟ اكتشفت من دون أن أناقش الأمر مع أحد أن للمسألة جذوراً في طباع الناس جميعاً. فالمزاج حق لكل إنسان، وعليك أن تحترمه وتعطيه حقه في التعبير عن ذاته. المزاج المعوكر، لسبب أو لآخر، يستدعي عدم ترتيب السرير. وكما هو الأمر عندي، كذلك هو عند نجوى. وحين يختلف وضع أحد الزوجين يبادر الآخر إلى سد الفراغ، فيلجأ إلى ترتيب السريرين. أما إذا صادف أن كلينا أسيران لنفس المزاج يبقى السريران من دون ترتيب. وقد يبقى الأمر على هذا النحو إلى أكثرمن يوم، ليومين، أو حتى لثلاثة أيام. واليوم هو أحد هذه الأيام. وربما سيكون الأمر غداً كذلك والسرير مبعثرة عليه أشياؤنا، مثل أمزجتنا. فما الذي جعل كلينا في الحالة نفسها، وفي المزاج نفسه؟!

أنا مثلاً أشعر بالقهر. أشعر أن أشياء ثقيلة تضغط على صدري، على قلبي، على عقلي. بعضها أشاهده بالعين المجردة، وبعضها أشاهده بالبصيرة، أو بالحدس، أو بالتفكير، أو بالظن، أو بالتفسير، أو بطرق لا حصر لها. ربما تكون نجوى في نفس الحالة التي أمرّ بها.

مـا أصعب الانسـان، وما أعقـد حياته. وكل من يتصور أن قانوناً وضعياً باسـتطاعته أن ينظم أمزجة البشر مخطئ إلى حد الجنون.

الرقابـة على الابـداع الثقافي في مجالاته كافـة هي مثل التنصت على النـاس. فهي تقود عملياً إلى إلغاء حق الانسان بالمعرفة. هل هي طرق جديدة لعصر استبداد جديد؟

مـات فاضل سـعيد عقل، أحد بقايـا الصحافيين القدمـاء. واحد منهم هـو رفيقي الرائع يوسف خطار الحلو. رعيل يذهب. فمن سيبقى، ومن سيأتي ليكمل الرسالة؟!

## الامامان موسى الصدر ومحمد مهدي شمس الدين
## سيرتان مختلفتان لكل منهما تاريخها وألقها

**الأحد 14 تشرين الثاني - نوفمبر**

تذكرني منظمة الجهاد الاسـلامي اليوم من خـلال عملياتها غير المبررة في جنوب لبنان بالمناضل الشـهيد فتحي الشقاقي. لقد كان فتحي من أكثر الاسلاميين انفتاحاً ورحابة صدر في الحوار مع الآخر. وكنا صديقين حميمين. نادرون هم أمثال فتحي الشـقاقي في الاتجاه الذي كان ينتمي إليه.

زلزال تركيا يثير أسـئلة كبيرة حول مصير الأرض وسـكانها. مرة ثانية هل هذا هو عقاب السماء للأرض؟ عقاب لما فعل أهل هذه الأرض بالأرض وبسكانها وبمحيطها!

قـررت سـراً أن أؤجل سـفري علـى الطائـرة المصرية. لـم يعرف بذلك سـوى نجوى. والسـبب معروف بالنسـبة إليّ، لكنه مجهول بالنسـبة لما كان يمكن أن يلحق بي لو كنت قد سافرت على متن هذه الطائرة!

أتذكر اليوم بأسـى وألم سـيرة الإمام موسـى الصدر وعلاقتي به. نشأت تلك العلاقة في مطالـع عام 1974 في أعقـاب ذلك اللقاء التاريخي الذي جمعنا في منزل صديقنا المشـترك المحامـي زكريـا رعـد. أردنا أن يكون ذلـك اللقاء خارج الإعلان. كان الإمـام لوحده وكنا نحـن ثلاثة، جـورج حاوي وعلي العبد وأنـا. تحدثنا، كل منا من موقعـه، عن الوضع الذي كان سـائداً فـي البـلاد. واتفقنا على ضرورة العمـل من أجل تغيير هذا الوضـع. وكان لكل منـا خلفياته ومشـاريعه. ولـم يكن ذلـك خافياً على أحد. لخّص الأمـر الإمام الصدر تأكيداً على ضرورة الالتقاء في العمل من أجل التغيير بقوله الشـهير: لا يزال أمامنا زمن طويل قبل أن نجلـس للبحـث في الخلاف القائم بين عمامتي وعقيدتكـم. وأردف قائلاً: تعالوا نعمل معـاً مـن أجل التغيير في السـر وفي العلن، كل منـا على طريقته، ووفق رؤيتـه ووفق أفكاره. ذكريـات جميلـة مع الإمام موسـى الصدر. توطدت علاقتي الشـخصية به فـي أعقاب ذلك

اللقـاء. وصرت أزوره لوحدي، أو بصحبة أصدقاء من البلدان العربية كانوا يريدون التعرف إليـه. وكان في مقدمة هؤلاء خالد محيي الدين. كانت لدى الإمام الصدر طموحات كبيرة، متناقضة في بعضها، وكبيرة مثل الأوهام في بعضها الآخر. وقد ذهب ضحية هذه الطموحات فـي تناقضهـا. غيّبـوه خوفاً منه قبل أن يعرفـوا إلى أين كان يتجه في معركتـه من أجل التغيير في لبنان باسـم مشـروعه الشـيعي الذي أراده رديفاً للمشـاريع الدينية الأخرى باسم الانتماء إلـى الوطـن اللبناني في تنـوّع مكوناته. وكان قد اتخـذ له عدداً من المستشـارين أذكر منهم غسـان تويني وميشـال إده وبيار حلو وتقي الدين الصلح وميشـال الأسمر، فضلاً عن حسين الحسـيني وفضل الله دندش وأحمد قبيسـي. لكن الحرب الأهلية خذلته وخذلت مشروعه الطموح وأربكته وقادته إلى مصيره في قضية لا تزال مستعصية على المعرفة وعلى الحل.

أمـا الإمام محمد مهدي شـمس الدين فكان أكثر وضوحاً فـي الالتقاء معنا حول ضرورة التغييـر مـن أجـل إقامة دولـة مدنية في لبنـان. وهو قد وصـل إلى ذلك الموقـف بالتدريج. مـا أروعك يا سـماحة الإمام شـمس الدين. لقد تغيّـر الإمام كثيراً في هـذا العقد الأخير من القـرن وصـار في موقفـه نقيضاً لما كان عليـه في الأعوام السـابقة. وتربطنـي بالإمام علاقة جميلـة ومتواصلـة منذ منتصـف الثمانينات. لقد حقـق في مواقفه، من موقعـه الديني، ثورة بـكل المعانـي. وهـي ثورة يمكـن أن تكون في مرحلة قادمـة ذات دور يتصل بمـا نحلم فيه بالعودة بالجنوب وبالجنوبيين إلى تاريخهم المجيد، التاريخ الذي شكّلت الحرية فيه عنوان نهضتهم القديمة والآتية حتماً وإن طال الزمن. لكن لا بد من طرد الاحتلال من أرضنا أولاً كشرط للعودة إلى ذلك التاريخ والارتقاء به في الشروط الجديدة، ارتقاء يجعل هذا الجنوب المعطاء نقطة ضوء مشـعة في اتجاه المسـتقبل الذي يريده اللبنانيون، كل اللبنانيين، لوطنهم العزيز عليهم جميعًا، لبنان بشخصيته الغنية بتعدد وتنوع مكوناتها.

يذكّرني الإمام شمس الدين ببعض من كانوا ومن هم الآن شركاء له في الدعوة إلى دولة مدنية. أذكر منهم على سـبيل المثال لا الحصر الشـيخ عبد الله العلايلي والمطران غريغوار حداد والسيد محمد حسن الأمين والسيد هاني فحص والمفكر الإسلامي جمال البنا شقيق الشيخ حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين في مصر.

## صور مضيئة لرجال أعمال في حركة الاغتراب الجنوبي

**الاثنين 15 تشرين الثاني – نوفمبر**

فرحت بالخبر الذي زفّ إليَّ عن تماثل صديقي رجل الأعمال جميل سـعيد إلى الشفاء.

فجميل هو نمط خاص من المغتربين اللبنانيين من بلدتنا حاريص، نمط جميل بكل المعاني، جميلٌ في عمله التجاري وفي تعامله في السياسة، وجميل على وجه الخصوص في علاقاته الانسانية. هو مغامر من الدرجة الأولى. نجح كثيراً وأخطأ وخسر. وقادته أخطاؤه إلى أحداث مأساوية في حياته الشخصية وفي حياته كرجل أعمال. ومن أجمل علاقاتي الحميمة معه أنه لم يتردد عندما كنت أطلب منه تبرعات للحزب الشيوعي ولبعض مؤسساته. وأذكر على وجه الخصوص أنني عندما تقرّر في أحد اجتماعات اللجنة المركزية للحزب في أواخر عام 1990 أن أتسلم مسؤولية الإشراف على جريدة "النداء" ذهبت إلى جميل وطلبت مساعدته. فقدم لي شيكاً بمبلغ خمسين ألف دولار. وسألني: هل هذا المبلغ يكفي؟! كم يذكرني جميل بشقيقي الراحل مرتضى الذي غادرنا وهو في عز شبابه مغترباً في أفريقيا. مرتضى إنسان من أروع ما عرفت في حياتي من الرجال. إنه معلمي الأول في المرحلة الأولى من شبابي. ويذكرني مرتضى بشقيقنا الأكبر أبو جعفر المغترب الدائم منذ الشباب الأول، الإنسان المؤمن الملتزم بالقيم الدينية على طريقته إلى الحدود التي جعلته يغفل إهتمامه بشؤونه الخاصة ويحمل على عاتقه محاربة الدجالين باسم الدين.

للاغتراب الجنوبي تاريخ قديم، فيه الكثير من المآسي الاجتماعية وفيه بعض ما أنجزه مغتربون قلائل ممن كَدَّسوا ثروات تحوّل قسم كبير منها إلى قصور شاهقة في قراهم، بدل أن يحولوا قسماً من هذه الثروات إلى طاقة استثمارية في الصناعة والزراعة والسياحة. وحين نعرف السبب لماذا لم يقوموا بذلك يبطل العجب! متى عُرف السبب بطل العجب! لكنني لا أستطيع وأنا أتحدث عن الاغتراب إلا أن أتذكّر بحب وتقدير ابن بلدتنا حاريص الحاج علي ناصر، الذي كان في سماته نموذجاً راقياً لرجل الأعمال الطيب الكريم المعطاء.

## ندوة "الطريق" في ذكرى مهدي عامل
## ما أحوجنا إلى تكرار نموذجها الرائع

**الأربعاء 17 تشرين الثاني - نوفمبر**

الحرية في خطر. كيف يتدخل الأمن العام في شؤون الأحزاب عندما تعقد اجتماعاتها في مكاتبها؟!

هل نحن أمام يقظة روسية تبشر بعودة هذا البلد إلى دور له قادم حتى ولو كان هذا الدور متواضعاً في الظروف الراهنة، أو هي أضغاث أحلام؟

لكن ما هي حرب الشيشان هذه التي لا تنتهي؟ يضيع فيها المرء بين التأييد والرفض. ما أبشع أيامنا هذه التي تختلط فيها الأشياء، وتُفتَقد فيها القدرة على الرؤية الصائبة.

ما أكثر الندوات. وما أقل النتائج المرجوة منها!

تذكرت وأنا في حالة القلق على مستقبل مجلة "الطريق" الندوة التي عقدناها في عام 1997، كواحدة من الندوات والنشاطات التي كنت أتصور أنها سترافق مسيرة "الطريق" في صيغتها الجديدة. تمحور موضوع الندوة حول تجديد المشروع الاشتراكي. حضر الندوة عدد من المثقفين من فرنسا والجزائر ومصر والمغرب وفلسطين واليمن، ومئتا مثقف لبناني من أجيال مختلفة ومن تيارات فكرية وسياسية مختلفة. استمر النقاش في الندوة ثلاثة أيام متواصلة حول أبحاث قدمها عدد من المثقفين اللبنانيين والعرب والأجانب. وأذكر أنني في كلمة الافتتاح أجهشت في البكاء وأنا أعلن بمرارة نبأ وفاة المسرحي الكبير سعد الله ونوس. وقد أصدرنا كتاباً تضمّن وقائع الندوة من أبحاث ونقاشات وأهدينا الندوة إلى ذكرى مهدي عامل بمناسبة مرور عشرة أعوام على استشهاده. لكن المؤسف أن "الطريق" بدأت بالتراجع بعد هذا الحدث الثقافي الكبير الذي ارتبط بها وبالمستقبل الذي كنت أنتظره لها.

**الخميس 18 تشرين الثاني - نوفمبر**

الارتباك في موضوع الانسحاب الإسرائيلي التدريجي من الجنوب كان سيّد الموقف عند المسؤولين وعند السياسيين اللبنانيين وعند قيادة حزب الله وعند أهل اليسار. أما أنا فلي موقف آخر مخالف لهذا الارتباك ولآلياته ولتجلياته. لتنسحب إسرائيل سواء بالمقاومة وبدور أبطالنا الشجعان فيها، أم لأسباب تتعلّق بالسياسة الاسرائيلية. المهم أن تخرج هذه القوات العدوّة الغازية من أرضنا لكي نتحرر من جورها، ولكي نتحرّر في الآن ذاته ممن يستخدمون وجودها ذريعة لأغراض سياسية لا تتصل لا من قريب ولا من بعيد بالمطامح الوطنية وبالاستقرار السياسي والأمني في البلاد. وأعني هنا على وجه الخصوص الوصاية السورية ومن يشاركها من حلفائها في المواقف وفي المصالح، داخلياً وخارجياً.

كيف يمكن أن يقوم وطن في ظل استشراء أمراض سياسية وأمراض سلفية متعددة المرجعيات والأشكال ومتعددة الأغراض؟

سهرة جميلة مع زياد الرحباني. ما أرقى عملك الموسيقي يا زياد.

## إن بعض الظن إثم
## تلك هي حكمة اليوم

**الجمعة 19 تشرين الثاني - نوفمبر**

إن بعض الظن إثم. هذا ما تثبته الأحداث. لقد أكثرت من الظن في مناسبات معينة

وتبيّن لي أن ظني لم يكن في محله. لذلك قررت ألا أتجاوز في الظن الحدود، وأن أتمهل حتى أعرف الحقيقة. واليوم بالذات كنت أظن ظناً سيئاً، ولم تلبث أن جاءتني الوقائع لتثبت عكس ظني. إن بعض الظن إثم!

في الحديث الذي أجريته مع صديقي حسين عبد الرازق أحد المسؤولين في حزب التجمع المصري، تأكد لي ما صرت مؤمناً به مثل اليقين بأنه صار من الضروري أن تنتقل الأحزاب الاشتراكية والشيوعية إلى مرحلة أعلى لكي تستحق الحياة، وتثبت جدارتها في الدخول في العصر الجديد. أما بقايا هذه الأحزاب المصرّة على البقاء في الماضي فلتبق حيث هي سعيدة في ماضيها المريض إلى ما شاء الله، أو إلى أن تحدث معجزة ما تقودها إلى الاستيقاظ من سباتها العميق!

**السبت 20 تشرين الثاني – نوفمبر**

عندما تجتمع الأحزاب العربية من بلدان مختلفة ومن اتجاهات مختلفة في بيروت، يتساءل المرء: من أين هي قادمة، وإلى أين هي ذاهبة؟! وعندما يتحدث قادتها عن الديمقراطية وعن الحرية وعن الوحدة العربية يتساءل المرء بمرارة وبحيرة: كيف، ولماذا، ومن أجل من، وماذا يعني كل ذلك الحديث الباهت في القاعات المكتظة بما ومن صاروا خارج الواقع وخارج التاريخ؟!

**الأحد 21 تشرين الثاني – نوفمبر**

مهم خطاب الرئيس لحود في عيد الاستقلال، وفي ختام السنة الأولى من رئاسته. مع ذلك أتساءل هل هو حقاً ديمقراطي ويريد الحوار بين القوى السياسية المختلفة؟ ذلك أمر يحتاج إلى الإثبات على الأرض. فثمة بوادر غير مشجعة في ممارسته لدوره كرئيس لكل اللبنانيين. لننتظر بعض الوقت ونحكم. لا ضرورة للاستعجال في الحكم. لكن ثمة ضرورة للاستعداد لمواجهة أي انحراف. ولنتذكر دائماً وبوعي أننا لا نزال في أسر الوصاية السورية، وفي أسر سياساتها المدمرة، وفي أسر السياسيين من أعلى الهرم إلى أسفله، التابعين والمستتبعين لهذه الوصاية.

يوم هادئ مع موسيقى بتهوفن. إنها السيمفونية السادسة. تأملات في الماضي والحاضر وفي المستقبل.

حديث مستقبلي مع مثقف شاب ذكي وواسع الثقافة هو سعد سمير مراد عن لبنان، وعن العصر، وعن التغيير وعن أدواته. أخذ سعد من والده سمير مراد وتجاوزه، لكن إلى أين؟ لست أدري، وأظن أنه هو لا يدري!

## كمال جنبلاط وبشير الجميل ورينيه معوض
## تأملات في معاني الشهادة وفي دلالاتها!!

**الاثنين 22 تشرين الثاني - نوفمبر**

قبل عشرة أعوام من هذا التاريخ على وجه التحديد كان اللبنانيون في بداية الحلم بانتهاء الحرب الأهلية بعد اتفاق الطائف. كان الأمل يكبر بولادة غد أفضل ولو بالتدريج بعد انتخاب رينيه معوض رئيساً للجمهورية. ولأنني كنت أعرف رينيه معوض وزوجته نايلا، وكانت تربطني بهما صداقة حميمة، فقد كنت مثل الكثير من اللبنانيين، وربما أكثر، تفاؤلاً بالمستقبل في ظل رئاسة رينيه معوض للجمهورية.

أستعيد اليوم بعض ما كنت شاهداً عليه في ذلك اليوم المشؤوم. ذهبت برفقة جورج حاوي والياس عطالله لزيارته عشية عيد الاستقلال، بعد أن كنت قد زرته مهنئاً مع وفد من بقايا الحركة الوطنية. كانت زيارتنا تلك ذات هدف محدد. أخبرناه بما كان قد وصلنا من معلومات دقيقة عن الاعداد لاغتياله بقرار سوري في الأغلب وبدور لأحد الأطراف اللبنانيين لم نكن متأكدين من هويته. نصحناه بعدم الذهاب إلى احتفال عيد الاستقلال في اليوم التالي. فأجاب بحزم، انطلاقاً من إحساسه الصادق بالمسؤولية، أنه لا يستطيع أن يغيب. ودعاني ودعا جورج وهو يودعنا لكي نصطحب سوسي ونجوى معنا في اليوم التالي إلى عشاء بحضور نايلا في المنزل الموقت لإقامته في منطقة الرملة البيضاء. وفي ذلك اليوم التالي ذاته تم اغتياله. وبإغتياله باتت الشروط متوفرة للبدء في المرحلة التالية التي أدّت إلى الدخول السوري المسلح لقصر بعبدا مجازاً من قبل العالم كله، بما في ذلك من إسرائيل كما تردد في ذلك الحين، فضلاً عن أميركا مروراً بما لا يحصى من دول وقوى. كما أدى الدخول السوري إلى هروب الجنرال المتمرد على الشرعية ميشال عون من القصر الجمهوري الذي كان يحتله ولجوئه إلى السفارة الفرنسية. اكتشفنا في ما بعد أن الرئيس رينيه معوض كان قد رفض الدخول إلى قصر بعبدا بالقوة لخلع ميشال عون، ورفض إعطاء ضوء أخضر للجيش السوري للقيام بتلك المهمة. وكان للرئيس معوض منطقه. لم يكن يريد هدر الدم ولا كان يريد السماح بالتدخل الخارجي. فكان لا بد من رئيس جمهورية جديد يقوم بالمهمة. تدخلنا بسذاجة جورج حاوي وأنا لترشيح بيار حلو لخلافة رينيه معوض. وذهب جورج إلى دمشق وعاد خائباً. وكان يشاركنا الرئيس حسين الحسيني ذلك الخيار. ثم ذهب جورج إلى دمشق وعاد خائباً. ثم تـمّ إختيار الياس الهراوي لتلك المهمة التي رفضها الرئيس رينيه معوض. وانتخب رئيساً للجمهورية خلال أيام معدودات.

أتذكر ذلك الحدث، وأتذكر معه تاريخ الاغتيالات السياسية التي كان يقف وراءها النظام

السوري. وكانت البداية مع كمال جنبلاط، ثم مع بشير الجميل. ثم سلسلة الاغتيالات التي شملت عدداً من قادة الرأي والفكر من حسين مروة ومهدي عامل وسهيل طويلة وخليل نعوس من قادة الحزب الشيوعي وميشال واكد مسؤول منظمة الحزب الشيوعي في الضاحية الجنوبية، وكوكبة من أبطال جبهة المقاومة وصولاً إلى المفتي حسن خالد والشيخ صبحي الصالح والشيخ حليم تقي الدين، ورشيد كرامي الذي اغتالته القوات اللبنانية. وتذكرت ما ترافق مع تلك الاغتيالات من عمليات ضغط سياسية وغير سياسية طالت أشخاصاً عديدين لبنانيين وأجانب، وما ترافق معها من عمليات خطف طالت لبنانيين وأجانب، استمرت على امتداد الثمانينات.

لكن لإغتيال بشير الجميل بعد انتخابه رئيساً للجمهورية قصة تخصني أبوح بها لأول مرة هنا في هذه اليومية من يومياتي. كنت في ذلك الحين أقيم في باريس. كنت عائداً من زيارة خاطفة إلى تونس التقيت فيها ياسر عرفات والشاذلي القليبي أمين عام الجامعة العربية ونائبه أسعد الأسعد. اتصل بي الإعلامي برومبرجيه من القناة الأولى في التلفزيون الفرنسي يدعوني للحديث عن ظروف اغتيال الجميل. ذهبت من دون تردد وأعلنت بصوت عال أن من قام باغتيال خصمنا السياسي بشير الجميل، الذي انتخب رئيساً للجمهورية في ظل الوجود الاسرائيلي، هو في غالب الظن إسرائيل، في أعقاب الشجار الذي دار بينه وبين بيغن عندما طلب منه الجميل الخروج من البلاد لكي يمارس دوره كرئيس لكل اللبنانيين على مساحة لبنان 10452 كيلومترًا مربعًا. قلت ذلك على تلك القناة التلفزيونية الفرنسية الأولى وكرّرته على القناة الثانية في اليوم التالي، رغم أن البعض في لبنان كان يعلن فرحته بالاغتيال ويشير إلى دور سوري وإيراني وفلسطيني في العملية. وهو الدور الذي تبيّن في ما بعد أن حبيب الشرتوني القومي السوري كان بطله. كررت الموقف ذاته في أواخر ذلك العام في جامعة برنستون في الولايات المتحدة الأميركية في محاضرة قدمتها أمام مجموعة من الطلاب الدبلوماسيين من بلدان عديدة، وكان بينهم إسرائيليون قاطعوا كلامي ووجهوا لي الشتائم. فأوقفهم الأستاذ الذي كنت في ضيافته وطلب إليهم أن يكونوا مؤدبين وأن يعبّروا عن آرائهم من دون شتائم. كنت أستند في موقفي ذاك إلى الخطب التي سمعتها من الجميّل بعد إنتخابه رئيساً وكانت تشير إلى موقف آخر مختلف عما كانت عليه خطبه قبل انتخابه. وكنت من بعيد أرى أن من الضروري انتظار بعض الوقت لكي نرى مدى جدية ومدى قدرة الجميل والقوى التي كانت معه والقوى التي كانت ضده على جعل تلك السياسة المعلنة من قبله ممكنة التحقيق.

وأكرر اعترافي هنا في هذه اليومية، تأكيداً لما قلته في يوميات سابقة، بأن جريمة الحرب الأهلية هي جريمة يشترك فيها جميع الذين انخرطوا فيها، ونحن الشيوعيين منهم. لذلك

فقد بدأت أعتبر أن الذين قتلوا في الحرب من جبهتي الصراع ومن الناس العاديين شهداء، أيّا كانت المواقف التي كانوا يدافعون عنها، وهي جميعها، وإن بنسب متفاوتة، خاطئة وفادحة بمستوى الخطيئة. وأول وأهم عناصر الخطأ في الحرب الأهلية أن جميع القوى المتصارعة فيها قد استقوت بجهة خارجية من هنا وجهة خارجية من هناك لتعزيز موقفها في الصراع. وكان لبنان واللبنانيون هم الضحية لجرائم تلك الحرب العبثية. وكان من أخطائنا في الحركة الوطنية أننا، باسم دفاعنا عن القضية الفلسطينية ودورنا كلبنانيين في هذه المهمة التاريخية، تسامحنا مع قرار الرئيس ياسر عرفات وقادة فصائل المقاومة الفلسطينية بإقامة دولة فلسطينية داخل الدولة اللبنانية ينطلقون باسمها في كفاحهم لتحرير فلسطين، مستندين بذلك إلى الحق الذي أعطاهم إياه اتفاق القاهرة. وكانت نتائج تلك الأخطاء، في الحرب الأهلية وقبلها وبعدها، وبالاً على فلسطين وقضيتها وشعبها ووبالاً على لبنان وشعبه. أما خطيئة أحزاب الجبهة اللبنانية في الحرب الأهلية فتتمثل بتحالفهم مع العدو الاسرائيلي رداً على تحالف الحركة الوطنية مع المنظمات الفلسطينية. عمل عبثي مقابل عمل عبثي. والنتيجة المأساوية لذلك العمل العبثي تشير إليها بوضوح أوضاعنا الراهنة.

لم أستطع أن أتحمل مشهد ذلك الزنجي وهو يُجْلَدُ من قِبَل رجل أبيض، وعلامات الاحساس بالقهر والتمرد تظهر على وجهه إزاء كل ضربة كنت أسمع صوتها، وكان يحسّ هو بها.

قبل يومين كنت أشاهد باليه سبارتاكوس للموسيقار الأرميني السوفياتي ختشادوريان. تساءلت: متى وكيف يتحرّر الإنسان من ظلم الإنسان، ومتى سنصل إلى عالم الحرية الحقيقية والعدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر؟

**الثلاثاء 23 تشرين الثاني – نوفمبر**

أحلامي المتصلة بالمستقبل لا حدود لها. لا أستطيع أن أكون متفرجاً. ماذا عليّ أن أفعل لكي يكون العمل الذي أود الانخراط فيه مجدياً؟

كان اليوم ميدان بحث معقدعن مشاريعي الثقافية. المهمة صعبة لأن الفردية طاغية في عالمنا العربي. كل يريد أن يكون هو البادئ وهو المحور. لكن ما علاقة مشاريعي الثقافية بموقف الآخرين؟ تساؤل في غير محله. كيف لي أن أحقق هذه المشاريع من دون الآخرين؟

أصابني في المساء غثيان لا أدري سببه، غثيان ترافق مع أوجاع في الجسم كله وحالة إحباط نفسية وأحلام عديدة غير مريحة أشبه بالكوابيس. ما سرّ هذا يا ترى؟!

**الأربعاء 24 تشرين الثاني – نوفمبر**

مؤتمرات ثقافية، وندوات لا تنتهي. ما إن تخرج من واحدة منها حتى تدخل في ثانية

وعاشـرة. ما أكثـر مهرجانات البحث والتفكيـر وما أقل الإنتاج الفكـري. ومع ذلك فإن ما يحصل من هذه الأحداث الثقافية يدخل في إطار الظاهرة الايجابية.

محبَط أخوك، ولكنه محكوم بالأمل. إنها معادلة غريبة. هذا هو الواقع النفسي والمادي وسوى ذلك في ما أنا فيه اليوم.

**الخميس 25 تشرين الثاني – نوفمبر**

هـل صحيح أن أفقاً جديداً سـيبزغ؟ هل صحيح أننا سـنخرج من حالـة العوز التي نحن فيهـا إلى حالة الوفـرة أو ما يقترب منها؟ هل صحيح أن أملاً حقيقياً ينتظرنا قبل الدخول في الألفيـة الثالثة، بحيـث ندخل فيها ونحن أكثر قدرة على متابعة العيـش بكرامة، وأكثر تفاؤلاً بحاضرنا وبغدنا؟

أسـئلة شخصية وعائلية. أسـئلة ثقافية وسياسـية. لكنها أقرب إلى أضغاث أحلام! غير أننـي وأنـا أطرح هذه الأسـئلة على نفسـي بمرارة أسـتعيد الوضـع الذي كنت قـد بدأت فيه أتحمـل المسـؤوليات فـي الحزب، من سـكرتير فرقـة إلى نائب الأميـن العـام. أتذكر أنني رفضـت أية مكافـأة كانت تعرض عليّ مقابل ما كنت أنشـره من مقالات هنـا وهناك، معتبراً أن عليّ أن أبقى مسـاوياً لرفاقي، لا سـيما منهم الذين لا يملكون القدرة على تأمين مداخيل خارج المرتبات الحزبية. كنت أعتبر موقفي ذاك موقفاً مبدئياً. ولست نادماً اليوم على ذلك الموقف، وإن كنت أشعر بمرارة أن الحزب، وأنا أتحمل قسطي من المسؤولية عن ذلك، لم ينشئ مؤسسة حقيقية ترعى مصالح المناضلين الشيوعيين، لا سيما الذين تحوّلوا إلى كوادر حزبية وإنصرفوا عن أي عمل يمكن أن يؤمن لهم مداخيل مقبولة لعيشهم ولعائلاتهم، ، كل بحسب قدرته وكفاءته. أقول ذلك اليوم لأنني بعد أن خرجت من موقع القيادة، وكان مرتبي الحزبـي متواضعاً لا يؤمّن الشـروط الضروريـة للحياة، اضطررت إلى تغييـر موقفي القديم الذي أشرت إليه وبدأت أكتب في الصحف مقابل مكافآت مالية.

**الجمعة 26 تشرين الثاني – نوفمبر**

حديـث التغييـر في المؤتمر الـذي دعا إليه حبيب صـادق حديث ملـيء بالالتباس، لأن المرحلة شديدة الغموض.

مـن يجرؤ على ادعاء الوضوح الكامل في الوضع الـذي نحن فيه لبنانياً وعربياً وعالمياً؟ إنني أفكر دائماً في ما سـأكتبه في كتابي الجديد، وأتأخر في الكتابة لعلّي أصبح أكثر اقتناعاً، ولو بحدود مقبولة، بما سأقوله فيه.

## مع الرئيس الغاني نكروما مفكراً قبل أن يغادر رئاسته قسرًا

**السبت 27 تشرين الثاني – نوفمبر**

مات مفيد أبو مراد. يذكرني هذا الصديق بمرحلة الدراسة والنضال معه ومع مجموعة من أصدقائنا الذين صاروا بعد تخرّجهم من الجامعة موزعين على مسؤوليات في مؤسسات متعددة في الدولة وفي المجتمع. كان ذلك في مطلع الخمسينات عندما كنت شريكاً لهم في الجامعة اللبنانية لعام واحد. مرّ ذلك العام بسرعة في حياتي، لكنه يعيش في أعماق الذاكرة والوجدان.

صدر ملحق "النهار" وفيه آراء حول المفاوضات الفلسطينية – الاسرائيلية لمجموعة من أهل الرأي أنا واحد منهم. وكنت قد ترددت في الكتابة عندما عرض عليّ ذلك الصديق الياس خوري. ثم كتبت لأقول ما كان ينبغي عليّ أن أقوله بحرية وبصراحة كاملتين. ولن أبالي بأي رد فعل ما دمت مقتنعاً بما أقوله. تحدثت في النص الذي قدمته عن الخلل في الوضع السياسي، وعن الخلل في مواقف القوى اليسارية خصوصاً، وقدمت بعض الأفكار حول المقاومة مختلفة عما هو سائد.

مات عدلي فخري، المغني السياسي الشيوعي المصري. يذكرني هذا الفنان بالذكرى الخمسين لتأسيس الحزب الشيوعي والاحتفال الذي أقمناه في عام 1974 وشارك فيه عدلي في فرقة "حب مصر" التي كان شريكه فيها الشاعر سمير عبد الباقي. ما أجمل تلك الأيام التي يبدو أنها لن تعود في الزمن المنظور. لكن التاريخ من حيث المبدأ لا يعيد نفسه إلا في صورة مهزلة أو مأساة. أما عودة الفرح والبهجة والنهوض فهي أشبه بعودة الروح التي نبحث عنها في بلدنا من دون أن نفلح في استعادتها. لكنها آتية ذات يوم رغم أنف المعترضين. تذكرني عودة الروح بكتابيّ توفيق الحكيم "عودة الروح" و"عودة الوعي". ما أجمل كتابات توفيق الحكيم، لا سيما منها ما جاء في الأعوام الأخيرة من حياته في الحديث المطول الذي نشرته مجلة "الطليعة" حول انتمائه إلى الاشتراكية على طريقته.

الذاكرة في حياة البشر خزان حوادث كبيرة وصغيرة مهمة تظل حاضرة، وأخرى يلفها النسيان. لكن هذه الحوادث تصبح عبئاً على صاحبها إذا هو طلّق الحاضر وعاش في الذكريات. بالنسبة إليّ للذاكرة وظيفة تتلخّص في الربط بين الماضي والمستقبل لصالح المستقبل تأكيداً للتواصل والتجاوز في حركة التاريخ. فلا مستقبل من دون ماض لا بد من تجاوزه، ولا ماض من دون مستقبل يجري العمل على توليده والانتقال إليه. تلك هي فلسفتي في العلاقة التي أقيمها مع الذاكرة. وما أكثر ما أعود إليها لأستحضر ما أراه ضرورياً

بالنسـبة إلـيَّ في لحظـة معينة مـن أحداث وأسـماء وأماكن. لكـن للضرورة هنا مسـتويان، مستوى شخصي بحت هو أقرب إلى الترف، ومستوى عام يتصل بهمومي المستقبلية.

تذكرت اليوم، في ظل ما تشهده أفريقيا من اضطرابات وصراعات معظمها قَبلي، تذكرت الرئيس الغاني السابق كوامي نكروما. تذكرت اللقاء معه في عام 1963 في إطار وفد مجلس السـلم العالمي الذي قام بجولة في عدد من البلدان الأفريقية التي كانت قد نالت اسـتقلالها حديثاً. وجدت نفسـي في ذلك اللقاء مع نكروما أمام مفكر نهضوي جعلنا ننسـى في حديثه معنا أنه رئيس دولة. وأذكر أنني ناقشت مع زملائي في الوفد بعض الانطباعات التي تولّدت عندي حول هذا الرئيس المفكر، وعن مدى قدرته على التوفيق في شخصه بين دور الرئيس ودور المفكـر في بلد كان قد انتقل حديثاً من تحت السـيطرة الاسـتعمارية إلى الاسـتقلال. عرضـت لأعضـاء الوفـد هواجسـي. وكان الوفد مؤلفاً من شـخصيات سياسـية واجتماعية وثقافية من الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي والهند وفرنسا وإنكلترا وجنوب أفريقيا ولبنان الذي كنت أمثله.

كان نكرومـا قـد أصدر عـدة كتب أهمها كتابه الـذي يتحدث فيه عن نهضـة أفريقيا وعن شروط هذه النهضة. لم يبقَ نكروما طويلاً في موقعه كرئيس لغانا. ويبدو أن انشغاله بالتفكير وبالتنظير غيّب عنده الاهتمام الضروري بمشـاكل البلاد وبالصراعات فيها بين القبائل وبين الطامحين للحلول مكانه في موقع الرئاسـة. وأفاق ذات يوم على انقلاب عسـكري أطاحه، فهـرب إلى غينيا ضيفاً على صديقه الرئيس سـيكوتوري. ومات هنـاك حزيناً. ما هكذا تقاد أفريقيـا إلى مسـتقبلها بعد قرون مـن العبودية والتخلف. حتى جنـوب أفريقيا في ظل حكم أبنائهـا الأفارقـة غادرت الموقع الذي كانت فيه في ظل دولة العنصريين البيض. وهي كانت دولة متقدمة اقتصادياً في مستوى الدول الرأسمالية الكبرى. والخلل الذي أشير إليه اكتشفته خـلال زيارتـي إلى هـذا البلد الأفريقي الكبير في عـام 1994 والتقيت فيـه بنائب مانديلا في رئاسـة الدولـة تابو مبيكـي ونائبه في قيـادة الحزب ولتر سيسـولو. وكان الأثنـان صريحين معـي في القلق الذي كان يسـاورهما حول مسـتقبل جنـوب أفريقيا بقيادة أهلهـا الأصليين. وهـذا الموضـوع بالذات كان موضع نقاش مـع صديقيّ الأمينين العامين السـابقين للحزب الشـيوعي في جنوب أفريقيا جون ماركس ويوسـف دادو، وذلك في السـتينات عندما كنت أمارس عملي في قيادة مجلس السلم العالمي في فيينا، وعندما كان حزبهما شريكاً للمؤتمر الوطني الأفريقي بقيادة مانديلا في النضال ضد العنصرية.

لا يمكن تجاوز القوانين الموضوعية بشـكل تعسفي. فهي، أي هذه القوانين، سرعان ما تنتقـم ممـن يتجاوزونها ولو بعد قـرن من الزمن. أليس هذا ما رأيناه في التجربة الاشـتراكية التي انهارت بعد ثلاثة أرباع القرن من قيامها بسـبب الخلل الذي سـاد فيها، وبسـبب تجاوز قادتها للقوانين الموضوعية في التطور؟

**الأحد 28 تشرين الثاني - نوفمبر**

يبدو أن العمل الجماعي أمر في غاية الصعوبة إلى حد الاستحالة في الكثير من الأحيان. فكيف إذا نطمح بتحقيق التغيير؟ من سيغيّر؟ هل كل واحد بمفرده سيقوم بالتغيير؟ أكاد أستسلم ليأس ما، رغم أنني مبدئياً ضد الاستسلام لليأس. ذلك هو جزء من كياني وقَدَري، وجزء من مشكلتي مع ذاتي ومع أحلامي المستقبلية.

سألني التلفزيون الايراني عن العولمة وعن الإعلام في ظل العولمة في البلدان العربية. قلت بعض ما أنا مقتنع به مرفقاً بتساؤلات كثيرة، لا أجوبة جاهزة عندي حولها. لكنني كنت متشائماً من دور الإعلام في زمن العولمة. فما قدمه ويقدمه لنا هذا الاعلام هو نقيض لما كنا نطمح لأن يكون عليه، أي أن يكون مصدر تكوين لمعرفة موضوعية بما يجري في العالم، وتكوين وعي وموقف ورأي من شأنها مجتمعة أن تساهم في خلق القوى المؤهلة لقيادة حركة التغيير في بلداننا على قاعدة مشروع مستقبلي من دون تحديد اسم معين لهذا المشروع ولمرجعيته الفكرية. لكنني تساءلت بيني وبين نفسي: عن أي إعلام أتحدث؟ هل أصابني مسّ؟ هل يمكن أن تكون من مهمة إعلام العولمة بث الوعي من أجل إحداث التغيير الذي يَطمح اليساريون والديمقراطيون من أمثالنا في تحقيقه؟!

ما يمكن وما يجب التفكير فيه هو البحث عن إعلام جديد تقوم بتأسيسه القوى المعنية بالتغيير مستفيدة من كل ما حصل من متغيرات في تقنيات الاعلام، لا سيما المرئي منه والالكتروني الذي يتطور بسرعة استثنائية. تلك مهمتنا، وليست مهمة الذين يقوم مشروعنا المستقبلي على محاربتهم.

**الاثنين 29 تشرين الثاني - نوفمبر**

الصراع بين اليأس من التغيير كما تشير إلى ذلك الوقائع، وبين الثورة المنشودة من أجل التغيير، هو سمة المرحلة التي نحن فيها.

كيف نواجه مصائرنا الشخصية والجماعية في عصر لم نعرف بعد كيف ندخل فيه، وكيف سيكون، وكيف ستكون العلاقات فيه وأي مكان للجوهر الانساني في هذه العلاقات!

أقرأ في الكتب القديمة فأندهش مما أقرأ، وأزداد شعوراً بالاحباط إزاء الواقع الذي نحن فيه في الفكر وفي الإبداع في ميادينه المتعددة، وفي السياسة، خصوصاً السياسة، التي تتكشف فيها في الآن ذاته أوضاع السلطات الحاكمة، وأوضاع القوى السياسية وفي المقدمة منها الأحزاب التي يفترض بها أنها صاحبة مشاريع للتغيير. هل في كلامي هذا تمجيد للقديم الذي صار جزءاً من التاريخ بالمقارنة مع الجديد الذي نعيش فيه ويعيش فينا؟ جوابي هو بلا ونعم. لا، لأنه لا يجوز ولا يمكن الاستعاضة عن المستقبل بالتاريخ، مهما كان في هذا التاريخ من إنجازات عظيمة. أما نعم، فلأن القرن العشرين والقرن الذي سبقه

كانا حافلين بالأفكار العظيمة وبالابداعات الأدبية والفنية، وحافلين بالمشاريع الكبرى التي ولّدت ثورات كبرى. ولأنني أعرف أن الثورات التي شهدها القرنان قد أفشلها قادتها، وأن ما نحن بحاجة إليه اليوم على أبواب قرن جديد وألفية جديدة هو شيء جديد مختلف عن ذلك القديم برغم عظمته وأهميته، أشعر أحياناً بأن من العبث البحث عن صيغة واقعية لجمع وتوحيد القوى المفترض أنها معنية بالتغيير. لا أتحدث هنا عن الفئات الشعبية. فهي مهيأة، من حيث المبدأ، للتجاوب مع أية حركة ترفع شعار التغيير، إذا هي اقتنعت بمصداقيتها. أتحدث هنا عن القيادات القديمة والجديدة. وهي إما مترهّلة أو متردّدة أو لا تزال في مرحلة البحث عن إطار وصيغة تتطابقان مع إمكانياتها. خيارنا إذًا هو الانتظار. وفي ما يخصني شخصياً فإن مهمتي، بعد أن انتقلت من مسؤول في حزب إلى فرد، هي الاستمرار في تقديم قراءتي للحاضر، انطلاقاً من تجربتي ومن خلاصاتي فيها، من أجل المستقبل. وأداتي في هذه القراءة هي كتبي وكتاباتي. أنا هنا الآن في هذا الموقع لا أكثر ولا أقل.

**الثلاثاء 30 تشرين الثاني - نوفمبر**

اعتداء وحشي على طفل. ما هذا العالم الذي نعيش فيه؟ كيف يجرؤ البشر على مثل هذا النوع من العمل الوحشي؟!

استقبالات رئيس الجمهورية وسائر الاستقبالات عند المسؤولين تثير سخريتي وحزني.

يا عيب الشوم يا عرب! أمير الكويت ديمقراطي وحضاري أكثر من البرلمان الكويتي في الموقف من حقوق المرأة وأكثر من برلماناتنا العربية جمعاء التي لا تصدر قراراً يجرّم العنف الأسري!

## ما هكذا تبنى العولمة البديلة

**الأربعاء 1 كانون الأول - ديسمبر**

المظاهرات تعمّ أميركا وأوروبا ضد المؤتمر العالمي للتجارة الحرّة. نجح المتظاهرون في مدينة سياتل في تعطيل hفتتاح المؤتمر. hنتصار سلبي لكنه معبّر. والمعركة مستمرة داخل المؤتمر وخارجه. دلالات لا بد من قراءة ما تشير إليه، لكن من دون أوهام، أكرر من دون أوهام يا أهل اليسار في بلداننا وفي بلدان العالم المتقدم!

العولمة البديلة التي يكثر الحديث عنها هي عنوان للمستقبل، مجرد عنوان، ليس أكثر. وفي رأيي المتواضع لا يبنى المستقبل بشعارات تكتفي برفض الواقع القائم. الرفض هو رفض. لذلك فهو لا يحمل بديلًا للواقع المرفوض. ألم نتعلم من تجاربنا والتجارب التاريخية التي ترتبط بالشعبوية؟! لا بد أن يقترن الرفض بصوغ مشروع يرمي إلى تغيير هذا الواقع. لذلك فالحديث عن العولمة البديلة والنشاط الذي يجري في أنحاء مختلفة

من العالم باسمها رفضاً للعولمة الرأسمالية وإحتجاجاً عليها، مثل هذا الحديث ومثل هذا النشاط لا يؤسسان للبديل المنشود، البديل عن العولمة الرأسمالية المتوحشة. ماذا يفيد الهجوم على المؤسسات الاقتصادية الرأسمالية وتدميرها. يذكرني هذا النوع من الاعتراض على العولمة الرأسمالية بما كنا نقوم به نحن الشيوعيين في لبنان في أيام شبابنا بتوجيه من الحزب. كنا نعلن احتجاجنا على سياسات حكوماتنا بالهجوم على الحافلات التابعة للدولة وعلى قاطرات الترامواي ونعمل على رميها بالحجارة وتحطيم أعمدة الكهرباء في الشوارع!! ما هكذا يخاض النضال من أجل المستقبل. أقدم ملاحظاتي هذه وأعلن دعمي للفكرة التي تدعو إلى عولمة بديلة لكن على نحو مختلف.

**الخميس 2 كانون الأول - ديسمبر**

الأمير خالد بن سلطان يجمع كل أهل لبنان في حفل استقبال أقيم على شرفه في مؤسسة "الحياة". تذكرت كامل مروة وتذكرت جريدة "الحياة" أيام كان هو صاحبها ورئيس تحريرها وكاتب افتتاحياتها الأنيقة التي كانت تستهوي القارئ حتى وهو يختلف مع الأفكار والمواقف فيها.

كان كامل مروة أحد أهم الصحافيين اللبنانيين، وأحد أبرع كتّاب الافتتاحيات الصحافية. لا أتحدث هنا عن موقفه السياسي. فتلك مسألة أخرى. فأنا مختلف معه في موقفه السياسي. لكن جريمة قتله بسبب موقفه هي عمل وحشي يجب أن نتخلّص منه ومن الداعين له. يجب أن نعرف كيف نتصارع ديمقراطياً حول المواقف والآراء والاتجاهات من دون عنف ودم. وقد كنت مع المفكر حسين مروة ومع شقيقي أبو هادي الذي كان يعمل موظفاً في الجريدة نقف إلى جانب أبناء الشهيد في تقبّل التعازي.

**الجمعة 3 كانون الأول - ديسمبر**

موقف السيد محمد حسن الأمين من "التطبيع" الثقافي مع إسرائيل جيد. وهو يختلف فيه عن المواقف الشعبوية السائدة. لا يُستغرب الشيء من معدنه. السيد الأمين هو في لبنان من رجال الدين التنويريين الذين يدعون إلى بناء دولة مدنية. وموقفه وموقف أقرانه من رجال الدين لا يتعارض مع موقعه وموقعهم كرجال دين يلتزمون بصدق بالقيم الروحية التي تعبّر عن جوهر الدين. وهو، وهم، يعتبرون أن مواقف السلفيين التكفيريين تتعارض تعارضاً مطلقاً مع مبادئ الدين وقيمه. يذكّرني موقف السيد الأمين بمواقف الامام محمد مهدي شمس الدين من موقعه على رأس المجلس الشيعي الأعلى، وبموقف السيد هاني فحص وبآخرين مثله ومثلهم. لكن رجال الدين المستنيرين هؤلاء لا يزالون مجموعة صغيرة. لا بد من الجرأة في دعم مواقفهم وأدوارهم التي يحتاج إليها بلدنا لبنان. كم نحن بحاجة لأن يصبح هذا الموقف نهجاً متكاملاً لدى مجموعة كبيرة من رجال الدين لتحرير

الدين من الإساءات التي توجّه إليه من هنا ومن هناك ومن هنالك، من قبل من يدّعون تعسفاً النطق باسمه. وهؤلاء لا يزالون أصحاب الكلمة الفصل في شؤون الدين في بلداننا.

**السبت 4 كانون الأول – ديسمبر**

ما أجمل أن تأتيك الأخبار بصوت إنسان عزيز عليك هو ابنك، صوت ينبئ بشيء جميل. غسان في تولوز سعيد بدراسته ويتقدم فيها بنجاح ويستعد للانتقال قريبًا إلى العمل في الميدان الذي تعلّق به منذ صغره، ميدان إدارة الفنادق.

أما هانية فقد أطلت علينا في كازينو لبنان في المسرحية الغنائية "بليلة قمر" فأضاءت قلوبنا. مرة ثانية نحن فرحون وسعداء. لا يوجد في الدنيا ما هو أجمل من رؤية فرح الأولاد. المسرحية متواضعة نصاً وموضوعاً وأداء. أجمل ما فيها هو الرقص وبعض الموسيقى. وهذا يكفي بالنسبة لي ولنجوى.

ما أقبح السياسة في لبنان وفي عالم اليوم. فساد السلطات القديمة والحديثة يبعث على القرف والاشمئزاز. ومع ذلك فنحن محكومون بالعمل.

**الأحد 5 كانون الأول – ديسمبر**

يوم للحيرة مما أنا فيه. ما هي أسباب هذه الحيرة؟ من أي شيء أنا حائر؟ في الذهاب إلى ماذا وفي الخروج من ماذا، وفي الوصول إلى ماذا، أو في عدم الوصول، أو في ما لا أعرف ما أريد وما لا أريد، وفي ما يراد لي، وما لا يراد؟!

مع ذلك فإن أبسط أشكال الحيرة هو ما حصل لي البارحة. ألم في فقرات الظهر أتاني في موسم الشتاء. هل هو بسبب كثرة الحركة، أو بسبب قلة الحركة؟ كنت حائراً على أي جنب أتكئ. لا علاقة لحيرتي هذه بالشأن العام في بلدي. فهي تعيش معي منذ زمن مثلما تعيش الحيرة عند أكثر أبناء وطننا إزاء الوضع السائد في الوطن.

**الاثنين 6 كانون الأول – ديسمبر**

الدنيا أمطرت ليلاً لكنها مع ذلك لم تحمل لنا أملاً يطمئن النفوس بخصوص المياه التي تأتينا قليلًا، وتأتينا ملوثة.

هل لبنان القاعد على بحر من المياه في جوف الأرض قادر على الاستمرار في رؤية مياهه تستنزف من دون أن يحسب أهله حساباً لمستقبل قد لا يكون بعيداً يتهددنا بأن نصبح في صحراء؟ المياه تذهب إلى البحر. أما الأشجار فتُقطع لتأخذ مكانها من دون إستئذان المقالع والكسارات. ما أجملك يا لبنان! لكن عن أي جمال أتحدث في ظل هذا الخراب المنظّم لجمال جبالنا وشواطئنا؟!

هل نحن في مرحلة انتقالية إلى شيء لا نعرفه، ولا نعرف من يمكن أن يدلنا عليه في لبنان وفي العالم العربي وفي العالم؟!

## في وداع عيني اليسرى لمصلحة العين اليمنى

**الثلاثاء 7 كانون الأول - ديسمبر**

هل يمكن التفكير بقفزة نوعية في الحزب الشيوعي على قاعدة برنامج جديد مستقبلي؟ هل هذا الأمر ممكن في الوضع الذي هو فيه؟ هل لي دور فيه؟ هل أستطيع أن أتحمل الانخراط من جديد في عمل حزبي؟ أظن أن السؤال في غير محله. فالجواب قلته عندما قررت الخروج من قيادة الحزب!

صديقي أحمد السويسي يغريني بعمل ثقافي على صعيد أوروبا من خلال منظمة شمال - جنوب. لا بد من مواجهة آثار العولمة الرأسمالية بدءاً ببلادنا. الموضوع يستأهل التفكير.

طبيب العيون يقول إن عيني اليمنى لا تزال مستقرة، في حين أن العين اليسرى قد ودعت مهمتها منذ زمن طويل وتحديداً في عام 1981، أي قبل عشرة أعوام من انهيار الاتحاد السوفياتي. أصابها نزيف عجز الأطباء في لبنان عن إيقافه. فذهبت إلى الولايات المتحدة الأميركية في بوسطن لإيقافه. لم يجد الأطباء طريقة أفضل لوقف النزيف سوى حرق شرايين الشبكة بالليزر. سألت صديقي الدكتور منصور أرملي، رئيس قسم العيون في مستشفى جورج واشنطن، فقال لي بأنها الوسيلة الوحيدة حتى ذلك التاريخ لإيقاف النزيف وإنقاذ الشبكة. تلقيت الكارثة من دون نقاش. وودعت العين اليسرى كما لو أنني على موعد مع توديع التجربة الاشتراكية بعد ذلك التاريخ بعشرة أعوام. مفارقة عجيبة في تلك الأحداث والتواريخ التي تتصل بوضع عيني اليسرى. يبقى الأهم هو أن صديقيَّ طبيبَيْ العيون في واشنطن وبوسطن طمأناني بأن عيني اليمنى تقوم بشكل طبيعي بدورها وبدور شقيقتها التي ضعفت كثيراً واستقالت من مهمتها الأساسية، مضيفين بأن العين اليسرى ستظل تحتفظ ببعض وظائفها، وأن الطب الذي يتطور بسرعة ربما سيجد علاجاً يعيد لهذه العين وظائفها السابقة. فازددت اطمئناناً على مستقبلي وعلى يسار عيني. مرت عشرة أعوام وإذا بي أفاجأ بأن ما حصل لعيني اليسرى كان إنذاراً لي بتلك الفاجعة قبل عقد من الزمن، الفاجعة المتمثلة بانهيار التجربة الاشتراكية. وتساءلت بيني وبين نفسي عن تلك المصادفة الغريبة، مصادفة أن تضعف عيني اليسرى فجأة من دون سبب، كما قال الأطباء، وأن يجري حرق شرايينها في الولايات المتحدة الأميركية بالذات! لكنني قاومت بشدة أية فكرة كانت متداولة بعد انهيار التجربة الاشتراكية في بعض أوساط الشيوعيين بأن الامبريالية الأميركية هي المسؤولة عن ذلك الانهيار. قاومت تلك الفكرة دفاعاً عن اشتراكيتي، واحتراماً لعقلي، وبدأت أبحث بجد واجتهاد عن الخلل البنيوي الذي قاد التجربة الاشتراكية إلى انهيارها من داخلها، وعن الخلل البنيوي الذي دعا إلى ذلك النزيف اللعين في عيني اليسرى وقضى

بحرق شرايين الشبكة، وبتعطيل وظائف تلك العين بالتحديد!

المهـم أنني اطمأننت على أنني سـأتابع القراءة والكتابة، وأنـه لا خوف على نظري حتى ولو كنت أصبحت أرى في العين اليمنى من دون دور ضروري للعين اليسرى. هل الخوف الـذي يربكنـي أحيانـاً يطـال بصيرتـي، أو هو الخوف مـن أن أصبـح ذات يوم يمينياً بسـبب اعتمادي على العين اليمنى؟ لكن تفاؤلي بعودة اليسار الاشتراكي إلى دوره في شكل جديد هو أقوى من تفاؤلي بعودة عيني اليسرى إلى ممارسة وظيفتها السابقة. أما أنا فلا خوف على يساريتي من عيني اليمنى!

**الأربعاء 8 كانون الأول - ديسمبر**

اللقاء الذي عقدته مع أحد أصدقائي عن مصير اليسار ومصير بلدنا ومصير العالم العربي كان جيداً. وكانت همومنا متقاربة. وقررنا معاً بأنه ليس أمامنا سـوى أن نسـتمر في العمل والتفاؤل بواقعية ومن دون أوهام.

اسـتئناف المفاوضات الفلسطينية - الاسـرائيلية كان أمراً منتظراً. وهو في طبيعته حدث سوري وإسرائيلي في الآن ذاته. ثم ماذا بعد؟ لست متفائلاً، بل أنا متشائم. وتشاؤمي ناتج عن ما تشير إليه الأوضاع في هذه المرحلة.

لقائـي مع صديق العمر حسـين شـرف الدين فـي هذا اليـوم كان لقاء حميمـاً أثار عندي ذكريـات تعود إلـى الأربعينات. مـا أجمل ذلك التاريخ فـي حياتي الدراسـية، وفي بدايات نشاطي السياسي وأحلامي الرومانسية فيه.

## مهمات وذكريات في أوروبا

**الخميس 9 كانون الأول - ديسمبر**

استعدت اليوم بعض ذكريات الفترة التي قضيتها في باريس خلال الغزو الاسرائيلي للبنان في صيف 1982. ذهبت إلى العاصمة الفرنسـية بمهمة حزبية ووطنية. كان مطلوباً مني أن أقـوم بعمـل على نطاق أوروبـا، وحيث تتوافر الامكانية، لشـرح أهداف الغزو الاسـرائيلي، ولتأمين أوسع تضامن عالمي مع قضيتنا الوطنية اللبنانية ومع قضية الشعب الفلسطيني. كما كان عليَّ أن أشـجع على تشـكيل جمعيات دعم للمقاومة ضد الغزو الاسرائيلي للبنان بكل الوسـائل. كانـت المهمة صعبـة. لكنها كانت بالنسـبة إليَّ من أجمل المهمـات التي كلّفت بها في حياتي الحزبية. شـكّلت على الفور فريقاً من الطلاب اللبنانيين أطلقنا عليه اسـم وفد الحركـة الوطنيـة اللبنانيـة في الخارج. وسـاعدني صديقـي الكاتب والصحافـي في جريدة "الموند" إريك رولو في إيصال موقفي إلى وسائل الاعلام. حرّرت بمساعدته نصاً ساعدني بتوزيعه على وكالات الأنباء. ونظم لي ثلاثة لقاءات مع وسـائل الاعلام كانت الأولى على

الاذاعة والثانية والثالثة على قناتي التلفزة الفرنسيتين.

لن أدخل في تفاصيل ما قمت به وما واجهته من تجاوب عند بعض القوى وتحفظ عند قوى أخرى.

زرت في ذلك التاريخ معظم بلدان أوروبا. والتقيت بمعظم الأحزاب السياسية فيها، في السلطة وعلى تخومها وضدها: أحزاب شيوعية، أحزاب اشتراكية ديمقراطية، أحزاب ديمقراطية مسيحية، أحزاب خضر إلخ. واستكملت تلك الزيارات في عامي 1983 و1984. وقد أعطتني تلك الزيارات ولقاءاتي فيها كثيراً من الغنى في معرفة ما يجري داخل القارة الأوروبية من صراع بين ماضيها ومستقبلها في ظل العولمة، وفي ظل الاتحاد الأوروبي وتجاربه الصعبة. كانت تلك الفترة درساً مهماً بالنسبة إليَّ أغنيت به معرفتي السابقة بأوروبا التي وفّرتها لي مهماتي في منظمتين عالميتين هما اتحاد الشباب الديمقراطي العالمي ومجلس السلم العالمي في الخمسينات والستينات.

تعلمت كثيراً في تلك الفترة من حياتي. تعرفت إلى أناسٍ كثيرين، زعماء وقادة أحزاب ومثقفين وإعلاميين وأناس عاديين. وعدت إلى لبنان حاملاً ما كدسته من المعارف في ميادينها الثقافية والسياسية المختلفة. وأشهد أنني دهشت كثيراً بما عرفته من أفكار ومواقف جديدة ورائدة ارتبطت باسم البابا يوحنا الثالث والعشرين وبما ارتبط أيضاً بحركة لاهوت التحرير التي كانت تستوحي أفكارها وأهدافها من أفكار البابا الرائدة تلك. وهي حركة كانت قد انتشرت في عدد من بلدان أميركا اللاتينية.

**الجمعة 10 كانون الأول – ديسمبر**

أتابع بحثي في مهمتي التي أزعم أنها تنويرية، أتابعها بتواضع قدر إمكاناتي، وبواقعية لا بد منها. لكن لماذا التواضع عندما يتعلق الأمر بمهمة أجدني قادراً على القيام بها وفق إمكاناتي كما هي؟

اجتمعت لهذا الغرض مع مجموعة من الشباب المهمومين والمشوَّشين فكرياً وسياسياً، والقلقين على الحاضر والمستقبل. كان النقاش صعباً وهو أمر طبيعي. لكنه كان مفيداً. علينا نحن الآباء أن نفهم هواجس أبنائنا وأن نعترف، ونحن نناقشهم في أمور الحاضر والمستقبل أنهم مختلفون عنا وعن تجاربنا، وأن واجبنا هو تقديم خلاصة تجاربنا إليهم لكي يدرسوها ويستخلصوا منها الدروس لحاضرهم ولمستقبلهم باعتبار أنهم هم أصحابه وهم بُناته. لكن علينا أن نعترف، استناداً إلى أحداث التاريخ، بأن الشعوب والجماعات وحتى أصحاب المشاريع الكبرى قليلاً ما يتعلّمون من تجاربهم و تجارب سواهم.

## في العالم مشعوذون وتكفيريون وإنتحاريون
## وأنا وصديقي إريك رولو نحب الحياة!

**السبت 11 كانون الأول - ديسمبر**

أثار الحديث الذي قدمته لملحق "النهار" عن المفاوضات ترحيباً من البعض، واستفسارات من بعض آخر، واعتراضاً من قبل بعض ثالث أثار استغرابي. لن أتنازل عن حقي في قول ما أريد قوله وما أنا مقتنع به. وأنا مسؤول عن أفكاري وعن مواقفي. ومسؤوليتي نابعة من التزامي بأفكاري ومن إحساسي بالمسؤولية. لكنني منفتح على الحوار.

حضرت في المساء حفلة رمضانية ممتعة مع عبد الكريم الشعار. صوت عبد الكريم صوت أوبرالي جميل. الطرب متعة روحية تشترك فيها كل حواس البشر، ونحن الشرقيين مؤهلون لمثل هذا النوع من المتعة الروحية كجزء من تقاليدنا الجميلة.

كلما اقتربنا من نهاية القرن ونهاية الألفية الثانية يزداد عدد المشعوذين الذين يطلقون أفكاراً وتصورات عن نهاية العالم، ويأخذون في طريقهم السذّج من الناس، اليائسين من ظلم التاريخ وظلم البشر، ويستعجلون، بسبب ما هم فيه من أوجاع، الوصول إلى نهاية العالم من أجل الخلاص. فيذهب بعضهم إلى الانتحار استباقاً لهذا الحدث ويأخذون معهم بالقسر أناساً آخرين لا علاقة لهم بهذا الأمر. يفعلون ذلك باسم الانتقام من الظلم. ما أفظع هذا الأمر وهذا المصير!

عناصر السوء موجودة عند الانسان في عقله وفي وجدانه وفي نفسه. إبليس فينا يا ناس. إبليس ليس شيئاً خارجياً. فلنبحث عنه حيث هو فينا، لا خارج هذا المكان الذي هو نحن.

هل يعقل أن ندخل إلى الألفية الجديدة ونحن في مثل هذه الحالة؟

أتذكّر أنه عندما شارف العقد الخامس من عمري على الرحيل وبتّ على أبواب العقد السادس جرى بيني وبين صديقي الكاتب والاعلامي الفرنسي إريك رولو حوار عن ماضي أيامنا وعن الحقبة الجديدة القادمة منها. وكان رولو قد تجاوزني بأربعة أعوام كما يقول. دخلنا كلانا في عصر جديد عبرنا فيه من عمرنا نصف قرن. قلت لصديقي إريك بأنني أشعر كما لو أنني ما زلت في أول الشباب وقراري هو ألا أدخل في عالم الشيخوخة قبل أن أصل إلى نهاية النصف الثاني من القرن وأبعد من ذلك. اتفقنا بعد جدال على المثابرة بالتمسك بالحياة والعمل فيها بكل طاقاتنا، وأن نمنع اليأس من أن يستولي علينا أية كانت الظروف التي تستدعيه. وصرنا كلما كنا نقترب من نهاية عقد نتبادل الحديث ذاته. وها نحن الآن على أبواب عقد جديد وقرن جديد وألفية جديدة. وما زلنا نمارس عملنا كما لو أن الزمن

ثابت وأننا ثابتون في حبنا للحياة كما كان عليه حالنا أيام الشباب. سأكلمه غداً أو بعد غد لنستأنف حواراتنا السابقة عن المستقبل الآتي.

## هكذا أعرِّف اشتراكيتي المعاصرة
## وأنا أستذكر الأممية الثالثة وإنجازاتها!

**الأحد 12 كانون الأول - ديسمبر**

لم أستمع إلى الموسيقى في هذا اليوم، لذلك أشعر أنني خسرت. كنت مشغولاً بأمور أخرى. كيف يمكن للمرء أن يكون في مكان ما وخارجه في آن. أنا اليوم في مثل هذا الوضع.

انسلخت فجأة عن عالم المشاة الذي كنت قد صرت جزءاً من مجتمعه الغريب العجيب والطبيعي في آن. السبب في مغادرتي لهذا المجتمع حادث لم أتوقعه صدمني وأقلقني. أصابني ألم في الساق منعني من الاستمرار في المشي. توقفت عن ممارسة المشي على كورنيش المنارة، حتى بعد أن عرفت السبب. وهو ليس خطيراً. لكنني لن أتخلى عن المشي بعد أن أصبحت مدمناً على ممارسته. سأضطر لمغادرة مجتمع المشاة على كورنيش المنارة، ومغادرة صداقاتي التي تكوّنت مع المشي من دون أن يتمّ بيني وبين أي من هؤلاء الأصدقاء كلام أو سلام، ومن دون أن أعرف أسماءهم. ومع ذلك سيبقى هؤلاء مع مجتمعهم بكل ما فيه من ناس وأشياء ومشاهد وحالات إنسانية في ذاكرتي حتى وأنا أمارس المشي في الممر الداخلي في المنزل، بين غرف النوم والمكتبة وغرفتيّ الاستقبال والطعام. لكنني أعترف أن ثمة فارقاً كبيراً بين ذلك المجتمع المفتوح على الناس والدنيا والمحيط، وبين الجدران الأربعة داخل هذا الممر الضيق في منزلي. سأمشي كل يوم نصف ساعة وساعة في بعض الأحيان. أمارس التأمل الذهني وأنا أمشي وأستذكر أحداثاً تقع لي في هذه الأيام. وهي أحداث كثيرة، أواجهها أحياناً بشجاعة، وأواجهها أحياناً بقلق وارتباك. وأنا في حالي هذه إنسان مثل سائر الناس.

لا أدري لماذا يتملكني ويستولي عليَّ تراث الأممية الثالثة في بعض الأحيان وأنا أمشي، وفي بعض الأحيان وأنا أقرأ، وفي أحيان ثالثة وأنا في حالة تفكير في ما آلت إليه الأوضاع في بلداننا وما آلت إليه مصائر حركتنا الاشتراكية. هل هي محض مصادفة هذه العلاقة بين الأممية الثالثة وبين الأماكن واللحظات والحالة التي أنا فيها الآن؟ أياً كان الأمر فإن من المؤكد أن تراث الأممية الثالثة غنيّ جداً رغم أنها صارت من الماضي. وخلّفت وراءها أحداثاً كبيرة. بعض هذه الأحداث، وهو عظيم، ينتسب إلى قيمها، وبعضها الآخر لا يمت بصلة إليها وإلى قيمها، بل هو نقيض لهذه القيم. كلا، لم أعد أنتسب إلى هذه الأممية بعد

انتهاء دورها، ولا إلى أية أممية أخرى، لا ثانية ولا رابعة ولا خامسة، وربما لما لم يولد بعد من أمميات! لكنني بهذا الكلام لا ألغي التاريخ. التاريخ جزء منا لا يُلغى، ولا يحق لنا أن نتنكر لأدوارنا فيه، في الايجابي وفي السلبي من هذه الأدوار. الأثر القديم لهذا التاريخ يزول ليحلّ محله أثر يتمثل في ما سيتركه لاحقاً الوليد الجديد القادم من ذلك التاريخ. وهكذا دواليك. مع ذلك وبرغم ذلك أنا ما زلت اشتراكياً. وتعريفي الراهن لاشتراكيتي هو أنها ببساطة معادية للرأسمالية، معادية لها بعقل وبواقعية وببرنامج تحدده الشروط التاريخية وتحترم فيه المراحل، برنامج يرمي إلى تحقيق الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية التي هي الأقانيم الأصلية في المشروع الاشتراكي. وهو تعريف ربما لا يرضي بعض المستعجلين للوصول إلى جنة الاشتراكية. لكنني منخرط باقتناع في هذه الاشتراكية الجديدة من دون شعارات شعبوية براقة. تعالوا أيها الاشتراكيون المعاصرون إلى نقاش واقعي نحدد فيه معنى الاشتراكية المعاصرة، ومعنى الالتزام بها، ومعنى أن يكون المرء اشتراكياً في زمن مختلف.

**الاثنين 13 كانون الأول - ديسمبر**

"خان الحرير" مسلسل تاريخي سوري يثير عندي ذكريات تعود إلى فترة الخمسينات، وإلى أحلامنا فيها وإلى صراعاتنا فيها حول الشعارات. علينا أن نتساءل اليوم، وأن نحاول الاجابة عن السؤال التالي: ما الذي قادنا إلى ما نحن فيه الآن؟ وعلينا أن نكون صريحين مع أنفسنا ومع شعوبنا. على كل واحد منا أن يتحمل قسطه من المسؤولية عن هذا المصير الذي نحن فيه، أحزاباً ومجموعات ونخباً سياسية وثقافية واجتماعية من كل الاتجاهات.

**الثلاثاء 14 كانون الأول - ديسمبر**

كان لي لقاء في تلفزيون NBN مع نبيل قاسم. قلت فيه ما كنت أريد قوله عن لبنان. أي لبنان أريد وأي لبنان لا أريد. البحث عن لبنان الغد هو همّ اللبنانيين الحقيقيين القائم والدائم.

**الأربعاء 15 كانون الأول - ديسمبر**

المشهد التلفزيوني للمفاوضات السورية - الاسرائيلية يثير الكثير من الأسئلة. إلى أين نحن ذاهبون؟ أي سلام هذا السلام؟ أين هو موقع لبنان فيه؟ أين هو موقع فلسطين؟ أين هو مصير العالم العربي إذا ما أتيح لهذا السلام الناقص والخادع أن تقود إليه تلك المفاوضات؟

**الخميس 16 كانون الأول - ديسمبر**

مسلسل "خان الحرير" في زمن الوحدة السورية - المصرية. ذاكرة حزينة معبّرة. أين الخطأ في كل ما حدث، وما سيحدث اليوم وغداً؟

المفاوضات تستمر. والعدوان الاسرائيلي يستمر. أطفال بلدة عربصاليم الجنوبية هل هم ثمن هذا السلام اللعين؟

**الجمعة 17 كانون الأول - ديسمبر**

كلما اقتربنا من اليوم الأخير من العام ازداد الناس تفلسفاً حول المستقبل. بالنسبة إليَّ اليوم الأخير من العام هو يوم لا أكثر ولا أقل. ذلك أننا قد دخلنا في الجديد الذي يجري الحديث عنه قبل هذا اليوم بزمن غير قصير، على الأقل منذ عشرة أعوام، وربما أكثر من ذلك، ربما قبل عشرين عاماً. دخلنا في هذا الجديد من باب السياسة، ومن باب التحولات الاقتصادية والاجتماعية ومن باب التكنولوجيا، ومن أبواب الديموغرافيا بكل جوانبها، داخل كل بلد، وعلى الصعيد الكوني! لكن مأساتنا هي أننا نحن في بلداننا نظل حيث كنا، ويسير العالم بالتدريج في اتجاهات جديدة لا حدود لها. هنا المشكلة التي تواجهنا. إنها قائمة فينا، أفراداً وجماعات، في هذه الحقبة الصعبة المضطربة من تاريخنا نحن العرب ومن تاريخ العالم.

**السبت 18 كانون الأول - ديسمبر**

يوم موسيقي طويل بدأته بالاستماع إلى مقطوعات متنوعة من الموسيقى الكلاسيكية. بعد العشاء استراحة على أنغام موسيقى باليه. وفي المساء حفل موسيقي في الأسامبلي هول للأوركسترا الوطنية السمفونية بقيادة هاروت فازليان، ابن صديقي المخرج المسرحي برج فازليان. وفي الليل حتى الصباح سهرت على أنغام مطربين في مقدمتهم عبد الكريم الشعار وابنته رنين ومايز البياع. يوم جميل يؤنس الروح وينسي المرء همومه وأوجاعه.

## في عيد ميلاد نجوى

**الأحد 19 كانون الأول - ديسمبر**

عيد ميلاد نجوى، الأم والزوجة والمعلمة والرفيقة للجميع، حبيبة الجميع. كيف احتفلت العائلة بسيدة العائلة؟ غسان في تولوز وهانية في الطريق عائدة من حفلتها، وأنا مع نجوى في المنزل ننتظر بشوق وصول هانية وسماع صوت غسان يلعلع عبر الهاتف. استعدنا نجوى وأنا ذكريات الأعوام الأولى من زواجنا قبل اندلاع الحرب الأهلية، ثم بعد اندلاعها، وكيف أن نجوى كانت المسؤولة لوحدها عن تربية الاولاد ورعايتهم بسبب غيابي الاضطراري إما في مهمات حزبية خارج البلاد أو بقرار من جهاز الأمن الحزبي لا يُناقش. عمر علاقتنا يتجاوز الربع قرن بقليل. لكنه عمر جميل ونموذجي. كلانا نشعر في هذه العلاقة بسعادة طبيعية لا افتعال فيها. اتفقنا منذ البدايات أن علينا أن نقرّ بوضوح كزوجين

ورفيقيّ حياة أننا شخصان مختلفان، وأن لكل منا سماته وخصوصياته، وأن علينا أن نحترم هذه الأمور جميعها. وهكذا كان. وهكذا هي مملكة الزواج الحقيقية.

ما أجمل نجوى في كل ما يتصل بالانسان الذي فيها. هل كان لقاؤنا الأول صدفة أموكان قراراً غير مرئي؟ لا أدري. ولا أبحث عن الجواب. لكن عليّ أن أعترف بأن الصدف جميلة حين تكون صادقة وتقود إلى شيء جميل. لا شيء يحتل عقلي ووجداني في هذا اليوم غير نجوى. كل خبر، كل عمل لا يتصل بجمال هذا اليوم لا مكان له في اهتماماتي. أما أم كلثوم فهي إضافة جميلة إلى هذا اليوم في المسلسل عن حياتها الذي كنا نتابعه معاً نجوى وأنا، بانتظار وصول هانية من حفلتها وسماع صوت غسان من تولوز. فجأة وصلت هانية وهي مسرعة وعانقت والدتها وعانقتني، وضحكنا جميعنا بفرح. ولم نكد نجلس حول المائدة وقبل أن نشعل الشمعات حتى رن الهاتف يعلن مشاركة غسان معنا في الاحتفال بعيد ميلاد سيدة العائلة.

هكذا إحتفلنا بعيد ميلاد نجوى. أما أنا فلا يغريني قط في حياتي أن أحتفل بعيد ميلادي. رغم أن عائلتي كانت تهيئ لي في شكل مفاجئ احتفالا متواضعاً من دون مشاركة أحد من الأقارب والأصدقاء. فأنا حريص على عدم تعداد أعوام عمري، بالمعنى الذي يشير إلى التقدم في العمر. فما دمت في وضع صحي جسدياً وذهنياً فلماذا الخوف من نهاية العمر ونهاية الزمن مع نهاية العمر. الزمن لا نهائي عندي. لذلك فأنا مثابر على تحقيق البرنامج الذي وضعته أمامي للأعوام القادمة من دون حساب للمعنى الذي يشير إليه التقدم في العمر. فعندما تأتي النهاية لن أقف في وجهها، لأنني لن أكون قادراً على ذلك. وهذه النهاية لا تبدو لي قريبة. لكن من طرائف ما بدأت أشعر به، وأنا في عز إحساسي بالقدرة على العمل، بعض مظاهر الطفولة التي تأتي في صورة عفوية مثيرة للغرابة وللضحك مني ومن نجوى ومن الأولاد. يبدو أن الشيخوخة بشكل عام تحمل معها بعض مظاهر العودة إلى الطفولة. لست قاطعاً وجازماً في هذا الأمر. وما قاله ذات يوم حسين مروة في الحوار الذي أجراه معه عباس بيضون "ولدت شيخاً وأموت طفلاً"، هو تعبير عن حالة لا تشبهني. فأنا، بخلاف حسين مروة، عشت طفولتي كما تعاش الطفولة. لذلك فأنا إذ أتقدم في العمر فلست أستعيض عن طفولة ناقصة في زمن الطفولة بطفولة من نوع آخر في زمن الشيخوخة.

**الاثنين 20 كانون الأول - ديسمبر**

معرض الفنان عارف الريس عالم مليء بالتأملات وبالأفكار الفوضوية وبالمشاعر وبالمواقف. ألوان وأشكال ورسوم شخصيات. هذا هو صديقي الفنان عارف الريس. إنه أكثر من فنان. إنه مفكر وصاحب رأي وموقف وثائر في الآن ذاته. هذا ما قلته له وأنا أضمه وأقبله في المعرض.

مسرح الدمى لكريم دكروب جهد فني يستحق الاهتمام. لكن مسرحه بحاجة إلى نَصّ وإلى موسيقى تتعامل مع النص والحركة والرمز والطفولة. الموسيقى في مسرحيته التي شاهدناها نجوى وأنا أكبر من الأطفال. كريم دكروب فنان واعد. ثقافته وجهده سيجعلان منه فناناً مرموقاً.

**الثلاثاء 21 كانون الأول - ديسمبر**

نتائج إنتخابات الدوما الروسية ذات دلالات بالنسبة لحاضر روسيا ولمستقبلها. جاء الشيوعيون في المقدمة، وهو أمر مهم. لكنني أشك في قدرة الشعب الروسي على إختيار مستقبله في الشكل الذي يتطابق مع مطامحه ومع تاريخ وموقع بلده الكبير روسيا. إنها مشكلة كبرى تواجه روسيا في هذا الزمن الرديء.

لقاء على تلفزيون NBN. صراحة مهذبة ومدروسة، وجرأة غير متصفة بالمغامرة، وتأمل داخلي في الراهن وفي المستقبل عن بلدنا لبنان وعن العالم العربي. كلام شخصي من قبلي يحمل تجربة نصف قرن.

**الأربعاء 22 كانون الأول - ديسمبر**

بعض الأصداء الايجابية لحديثين لي على التلفزيون. المهم بالنسبة إليّ أنه لقي ارتياحاً في أوساط الشباب. لا يهمني موقف السياسيين كثيراً.

**الخميس 23 كانون الأول - ديسمبر**

بداية رشح أقاومه. سأظل أقاومه لكي أدخل إلى الألفية الجديدة في صحة جيدة. وباء هذا الرشح ينتشر ربما بسبب التغيرات الجيولوجية تحت الأرض وفوق الأرض. ما هذا الذي يحصل في العالم في كوكبنا الأرضي؟

الأميركيون، علماؤهم وسياسيوهم، يستعجلون للذهاب إلى الكواكب الأخرى في وقت يزداد فيه الخطر على الكرة الأرضية، بسبب سياسة أميركا والرأسمال المعولم. لا جدال حول أهمية الاكتشافات العلمية وحول فوائدها الجَمّة للبشرية. لكن الانسان في هذا الوقت يموت قهراً وذلاً وجوعاً ومرضاً، والكوارث الطبيعية تزداد تدميراً للحياة على الأرض. السؤال الذي يُطرح بإلحاح: كيف يمكن لهذه الاكتشافات العلمية المذهلة أن توظَّفَ في صالح حياة الانسان بدل أن توظف في معظمها في تدمير حياته؟

**الجمعة 24 كانون الأول - ديسمبر**

الاحتفال بعيد الميلاد والاحتفال بعيد زواجنا كان جميلاً. جعلته جميلاً ابنتنا الجميلة هانية. في هذا العام جاءت برفيقاتها ورفاقها للاحتفال معنا بالعيدين. إنه احتفال لا يُنسى. قلنا لها ما نحب أن نقوله، وقالت لنا هي ما تحب أن تقوله بطريقتها. كانت هي وشقيقها

غسان صغاراً وكنا كباراً. أصبحنا كباراً وعدنا، بمعنى ما، إلى ما يشبه ما كانا هما عليه من طفولة. لكن طفولتنا هذه هي طفولة الشيوخ. أعتذر من نجوى. الشيخ هو أنا. أما هي فلا يزال أمامها زمن آخر لكي تحمل صفة شيخة!

شاركنا الحبيب غسان بالهاتف من دبلن في العيدين. ما أجمل هذا الاجتماع لهذه العائلة الجميلة في هذا اليوم الجميل.

## عندما خدعت بالقذافي وبالقذافيين ثم اعتذرت من أصدقائي المثقفين!

**السبت 25 كانون الأول - ديسمبر**

كان يومي عادياً، في النهار قراءات متنوعة، ثم متابعة مسلسل أم كلثوم. وهو مسلسل جميل يقدم لنا أم كلثوم بأرقى حالاتها، وبشخصيتها المتميزة.

ما أكثر مشاريعي الفكرية، وما أكثر فشلي في تحقيقها حتى الآن. لكنني مستمر في العمل من دون كلل، رغم مرور الزمن وكثرة الخيبات التي أتحمل لوحدي، قبل أي شيء آخر، المسؤولية عنها. أذكر من بين هذه المشاريع الفاشلة ذلك المشروع الذي اقتضى مني أن أسافر إلى ليبيا عدة مرات برفقة جورج حاوي الذي كان يشارك باسم الحزب الشيوعي اللبناني وباسمه الشخصي في ملتقى الحوار الذي كان يضمّ ممثلين لتيارات ثلاثة، التيار الماركسي والتيار القومي والتيار الاسلامي، وذلك برعاية ليبية وبدعم مباشر من العقيد معمر القذافي. جوهر المشروع الذي كلّفت بمتابعته مع عدد من المثقفين العرب من التيارات الثلاثة هو العمل لإيجاد قواسم مشتركة من خلال الحوار الفكري بين التيارات الثلاثة، خارج الهم السياسي الذي كانت القيادات السياسية تهتم به في اجتماعاتها. عقدنا اجتماعاً للمثقفين العرب من التيارات الثلاثة في طرابلس في عام 1992 برئاستي. وتوصلنا بعد نقاش طويل استمر نهاراً كاملاً إلى صيغة لعملنا الفكري يقوم على إنشاء مؤسسة تضمّ عدداً من المثقفين ممن شاركوا في الاجتماع ومن آخرين يتمّ اختيارهم من اتجاهات واختصاصات مختلفة ومن أجيال مختلفة يكون مقرها في بيروت، مهمتها إصدار مجلة فكرية حوارية، وعقد ندوات فكرية في أكثر من بلد عربي حول مواضيع راهنة ومستقبلية تتصل بالعالم العربي وبمستقبل بلداننا وشعوبنا. اتفقنا على أن ينحصر الدور الليبي في المؤسسة، لكون ليبيا هي مصدر التمويل للمؤسسة، باثنين من المثقفين، وإداري يهتم بالجانب المالي في إطار هيئة إدارية يتم إختيار أعضائها من ذوي الاختصاص من أكثر من بلد عربي. وتم الاتفاق على أن تكون المؤسسة برئاستي، وأن تتمتع باستقلالية تامة عن أي تدخل سياسي وغير سياسي لا سيما من السلطات الليبية.

عدت إلى لبنان حاملاً إلى أصدقائي المثقفين النبأ المفرح. كان بينهم من أبدى ارتياحه، وكان بينهم من شكك بإمكانية النجاح في المشروع. قلت للجميع إننا سنتابع، فإما أن يتحقق المشروع وفق ما اتفقنا عليه وثبّتناه بنص مكتوب وموقع من المثقفين الذين حضروا الاجتماع ومن بينهم الليبيون، وإما نفشل فنعتذر. وكانت التجربة بالنسبة إليّ امتحاناً لمدى صدقية المسؤولين الليبيين. عدنا إلى الاجتماع في طرابلس بعد بضعة أشهر لأخذ الموافقة النهائية على المشروع والبدء بالتنفيذ. لكنني اكتشفت أن النص الذي كنا إتفقنا عليه قد حُرّف ولم تعد له علاقة بالمشروع الأصلي. فأبديت انزعاجي وأعلنت انسحابي من المشروع وقررت العودة فوراً إلى لبنان. فأعيد النص الأصلي وقيل لي إن خطأ وقع وجرى تصحيحه. قبلت الاعتذار. لكنني بدأت أشك في الأمر، وصرت على قاب قوسين أو أدنى من إعلان الفشل. وإنتظرت أن يأتي اتصال من طرابلس يدعونني إلى الاجتماع من أجل الاقرار النهائي للمشروع. طال انتظاري وكثرت شكوكي. وفجأة جاءني اتصال من طرابلس يدعونني إلى اجتماع للجنة المكلفة بتنفيذ المشروع يعقد في القاهرة في أواسط عام 1994. ذهبت إلى الاجتماع حاملاً معي شكوكي. هناك حصلت المفاجأة. اكتشفت أنني إستبدلت بليث شبيلات الإسلامي الأردني في رئاسة اللجنة، وبتغيير كامل في المشروع. أُخفيت النسخة الأصلية التي حددت طبيعة المشروع، وأضيفت أسماء وحذفت أسماء. سألت ليث شبيلات وكان يجلس بالقرب مني: لماذا قبلت أن تكون بديلاً مني في هذه المهمة الصعبة؟ وهل تعتقد أن بإمكانك أن تكون من موقعك القاسم المشترك بين هذه التيارات في هذه المهمة؟ ارتبك ولم يعرف كيف يبرر موقفه. كان الاجتماع في مقر حزب التجمع. وكان محمود أمين العالم أول المعترضين. فشنّ هجوماً صاعقاً على الليبيين وأعلن انسحابه ولحقه آخرون. أما أنا فأعلنت بهدوء وبحزم لليبيين الذين كانوا حاضرين ولأصدقائهم أنهم ليسوا أهلاً للتعامل مع المثقفين، وليسوا أهلاً للانخراط في مشاريع من النوع الذي كنا بصدد إنشائه. وقطعت علاقتي مع ليبيا، وعدت إلى رشدي، وقلت لأصدقائي الذين شككوا بإمكانية إنجاز مثل هذا المشروع وفي شروطه مع الليبيين، بأنهم كانوا على حق وكنت على خطأ. واعتذرت من الجميع. وقلت لجورج حاوي إن بإمكانه أن يتابع عمله على مسؤوليته في "ملتقى الحوار"، أما أنا فإنني اقتنعت ولو متأخراً كم هو متخلف وكم هو زائف وكم هو اعتباطي ذلك النظام الذي يختصر شعباً في شخص وزبائن تابعين له. ولم أعد أستجيب لكثرة النداءات والاتصالات من مسؤولين ليبيين للمشاركة بأي نشاط يتصل بهم. وأصابني قرف لم أشف منه حتى الآن. هل يعقل يا ناس أن يستمر مثل هذا الزيف في الحياة السياسية ومثل هذا الاستبداد في بلداننا، وهل يعقل أن نكون نحن الشيوعيين مخدوعين به، وإلى متى؟

لقد خرجت من المسؤولية في الحزب الشيوعي، وصرت المسؤول عن مواقفي. أن

تأتيني اليقظة متأخرة أفضل من ألا تأتي أبداً.

مسكينة أمتنا العربية المبتلية بقادتها في السلطة وبالقوى التي تقف على تخومها، وبالقوى التي تقف في مواقع المعارضة لها. أما لهذا الليل من آخر؟

**الأحد 26 كانون الأول – ديسمبر**

مات نجيب الكك. قصة شاب طموح مغامر. لم يجد هذا المثقف المتنوّر المكان الذي يعود له ولم يعرف هو كيف يحدده لنفسه. مات بحادث سير. حزنت عليه إنساناً وصديقاً.

الفنانون الشباب الطامحون إلى تحقيق أمور كثيرة ما زالوا عاجزين عن تحديد ماذا يريدون وعاجزين عن تحديد صورة الحلم الذي يؤرقهم ويحفزهم. إنهم قلقون، شكاكون، يبحثون عما يريدون من دون أن يمتلكوا وسائل وأدوات معرفية كافية. فكيف يمكن أن يصلوا. طيبون بالتأكيد، صادقون بالتأكيد ولكن هذا لا يكفي. أجد نفسي بينهم طفلاً كبيراً عاجزاً حتى إشعار آخر عن تقديم العون لهم لاكتشاف الطريق إلى مستقبلهم!

قضية المرأة في بلداننا هي قضية أجيال وقرون سابقة، لكن إلى متى وإلى أي زمن؟! هل سيكون بالإمكان إيجاد حل لهذه المشكلة المزمنة في هذا العصر؟ هل سنستطيع ذات يوم أن نحقق للمرأة العربية حقوقها في المساواة مع الرجل في كل الأمور، لا سيما في سن قانون مدني للأحوال الشخصية؟ هل ستتمكن في زمن قريب من إصدار قانون يلغي العنف الأسري؟ إنها أسئلة الماضي والحاضر والمستقبل التي حان الوقت لكي نجد الأجوبة الصحيحة عنها. وهي ليست مهمة المرأة وحدها، بل هي مهمة الرجل المدني الحديث في الدرجة الأولى. أليس كذلك؟ وهل تحتاج القضية إلى نقاش؟

**الاثنين 27 كانون الأول – ديسمبر**

مسرحية أحمد علي الزين ورضوان حمزه عمل فني متفاوت غير معدّ للخشبة. النص يحمل أفكاراً وصوراً وهموماً وأسئلة كثيرة كعادة أحمد علي الزين. في التمثيل تمرّ الأفكار في صورة خطاب في بعض المشاهد. أما الاخراج فيشير إلى إبداع. لكنه كان بحاجة إلى إتقان أكثر. التمثيل متفاوت. رضوان ممثل جيد لكنه إستعراضي. كان يمكن للعمل أن يكون أفضل. ومع أن أحمد حرّ في الدوران حول ذاته وحول والده وحول قريته، وقد استلهمهم جميعهم في الرواية، فقد كان عليه أن يفكر أكثر بالجمهور. ومع ذلك فروايته جميلة تستهوي القارئ وتمتعه.

مات القاضي أحمد شحادة، القاضي النزيه صاحب القيم، الصامت، المتواضع. إنه رمز طيب آخر يغادرنا. أمر محزن هذا الغياب المتواصل للطيبين في بلدنا لبنان وفي العالم العربي.

**الثلاثاء 28 كانون الأول - ديسمبر**

قمت بزيارة لعائلة الفنان التشكيلي بول غيراغوسيان. ما أجملك يا بول، حاضراً وغائباً. الأولاد يبدعون من دون أن يمارسوا الاستنساخ، ومن ضمنهم الصبية المتألقة مانويلا.

نقولا زيادة مثقف موسوعي جريء، مستقل في آرائه وفي قراءته للتاريخ. كان يجب أن يكون حوار جيزيل خوري معه أفضل مما شاهدناه على قناة LBC. أحس بقرب الشبه في بعض سماته الانسانية مع شخصي الكريم!! صداقتنا جديدة. إنه شاب جميل في التسعين من العمر.

من عادات نقولا زياده في سنوات عمره المتقدمة أنه يستضيف في منزله في أيام معينة من كل أسبوع أعداداً متنوعة من أصدقائه، لا سيما السيدات منهن، على كأس من العرق أو النبيذ أو الويسكي مع بعض المقبلات يحملها معهم الأصدقاء. وتدور نقاشات تتناول كل الشؤون، تتخللها حكايات ونكات ظريفة. وكنت واحداً ممن شاركوا في تلك اللقاءات الممتعة.

**الأربعاء 29 كانون الأول - ديسمبر**

ماذا يعني أن نقترب من نهاية العام والقرن والألفية؟

أعترف بأنني لا أملك في هذه اللحظة أي إحساس إستثنائي بأي أمر. هل هو خطأ في الشعور، أو خطأ في شيء آخر؟! ربما هو الموقف الوحيد الصحيح إزاء ما سيحصل أمامي من أحداث لا توحي بالاطمئنان! سنؤرخ أيامنا بعام جديد ينتمي إلى قرن جديد وألفية جديدة. وهلمجرًّا. ثم ماذا بعد؟ ثمة من يفكر في الأمر، لكن ليس بالضرورة دائماً في الاتجاه الذي له علاقة بحياة البشر وبسعادتهم وبمستقبل العالم.

هل أنا مخطئ في قراءتي للواقع الذي نحن فيه الآن، ومنذ زمن، وإلى ما شاء الله؟! أرجو أن أكون مخطئاً.

الأنانية الفردية تقتل صاحبها، وتقتل الآخرين. ما أكثر الأمثلة على ذلك، وما أفظعها عندما تصبح ظاهرة.

أتابع عملي كالمعتاد. أفكر في المستقبل الأبعد، وأفكر في اليوم التالي. لا أرى في ذلك أي تناقض.

**الخميس 30 كانون الأول - ديسمبر**

أفكر وأحلم وأحب أناساً وأشياء. هكذا أدخل في القرن الجديد. لكنني مع ذلك شديد الأرق والقلق. يظهر ذلك في بعض تصرفاتي اليومية. يزداد عندي التأمل، وتزداد السخرية، ويزداد عدد ساعات الأرق، أحياناً في الليل قبل النوم وأحياناً أخرى في ساعات النوم. أما الأحلام فهي في حالة صراع بين أنواع شتى منها. الكوابيس ضعفت في الأيام الأخيرة.

بعـد أن كانـت كثيرة قبل ذلك. بل إن بعض الليالي تمر من دون أحلام. ظاهرة ملفتة للنظر، لنظري.

لا أجـد فـي الألفيـة زيادة في عمري. ولا أجد فيها قرباً من النهايات. سـأصبح في سـن السبعين في آخر الشهرين الأولين من العام الجديد. ثم ماذا؟! لم يتغيّر موقفي المحايد من الموت. لكنني أزداد قلقاً من كثرة حالات الموت غير الطبيعي، الموت قتلاً على الطرقات وعلى يد الوحوش البشرية، والموت بفعل الكوارث الطبيعية.

لا بـد مـن مواجهة هـذه الحالات. كيـف؟ ذلك هو سـؤال العصر الذي علينـا أن نقدم الجواب عليه. لكن علينا أن نحدد بدقة من هم نحن!

## في وداع قرن وخيباتنا فيه
## واستقبال قرن وأحلامنا فيه!

**الجمعة 31 كانون الأول - ديسمبر**

اليوم الأخير من العام والقرن والألفية. ماذا بوسعي أن أقول، وما هي مشاعري فيه؟

كان همي الأول أن أتحدث مع نجوى وهانية، ومع غسـان في غربته. كان حديثاً إنسـانياً بسـيطاً، لا تكلّف فيه ولا افتعال. والأحاديث كثيـرة في حياة عائلتنا الصغيرة. تمنياتنا للعام الجديـد والقـرن الجديد أن تكـون حياتنا من الناحيـة الصحية جيدة، وهي حتـى الآن جيدة والحمـد للـه، وأن تكون من الناحية المادية أفضل من العـام الماضي، ولكن بالاعتماد على ذواتنا حصراً. لم نتحدث عن دور كل منا في تحسـين شـروط حياة شـعبنا. فهذا يعود لكل فرد منا ولمجموع أفراد الشعب.

سأتابع في العام الجديد اهتمامي القديم في البحث عن تقديم صورة لما يمكن أن يفعله أهل اليسار خصوصاً، من الناحية الفكرية والسياسية والعملية، لكي تسلك بلادنا طريقها إلى الحرية والتقدم. هل تغيّر في هذا الأمر الكتابة والقراءة؟! يقول لي البعض من أصدقائي هذا لا يكفي. ولكن هل بوسع المرء أن يعمل أكثر مما يستطيع؟

لم أغيّر شـفرة الحلاقة منذ ما يقرب من الشـهر. يبدو أنني سأدخل الألفية الثالثة بالشفرة القديمـة ذاتهـا. وهي على كل حال شـفرة جيدة وغير حادة، لا تقتل، وتـكاد لا تجرح، وإذا جرحـت بالخطـأ تجرحها ببـطء. حذائي لـم ألمّعه منذ أيام عديـدة وتبدو عليه آثـار الألفية الثانيـة. لـن أدعه يلمـع إلا بعد مـرور الألفية هذه. مـا العلاقة بين الحذاء وشـفرة الحلاقة، والمكتبة وكل هذا الحشـد من الأفكار والأحلام، التي تأتي إلى الرأس دفعة واحدة، عشـية الانتقال من عام إلى عام، ومن قرن إلى قرن، ومن ألفية إلى ألفية؟

لـم أتصل بأحد للتهنئة بالعام الجديد. لم أشـعر بالحاجة إلى ذلك رغم كثرة الأصدقاء.

ولـم أجـب علـى بطاقات التهنئـة بالعام الجديـد. وهي عـادة جديدة عندي تعـود إلى بضع سنوات. وقد شعرت بالخجل من أصدقائي الذين بادروا للاتصال بي هاتفياً للتهنئة.

مـع ذلك شـعرت أننـي بحاجة إلى حلم. فاستسـلمت لمشـاعري. وبدأت، فـي اليقظة والمنـام، رحلـة عجيبة من الأحلام. أحلام اليقظة كانـت خليطاً من صور حقيقية وصور لها صفة وسـمة الرؤيا البسـيطة العفوية. أما أحلام المنام فكانت مليئة بالتفاؤل، بعكس أحلام كنت أشـاهدها بكثرة، في أيام سـابقة هي أقرب إلى الكوابيس. كانت هذه الأحلام الجديدة تبشـرني بأيام قادمة أكثر سـعادة، وأكثر غنى مـادي. فيض من الأفـكار والمبادرات والآراء والأعمـال في كل ما يتصل بسـيرتي القديمة والقادمة. كانت تأتيني فـي المنام أموال كثيرة، كنت في أحلام اليقظة أعدّ لها برامجها ومشـاريعها. وهكذا عدت إلى مشـروع قديم يتصل بإصـدار مجلة يسـارية عربية تمثل محصلة مواقف واتجاهات قوى اليسـار العربي، ومحطة إذاعة، ومحطة تلفزة. وذهبت في تفاصيل البرامج القادمة، وأسـماء العاملين في إعداد هذه البرامج.

مـا أسـهل أن يحـاول المـرء في المنـام تحويل أحـلام يقظته إلـى وقائع. لكـن الأحلام والأوهام التي تحملها معها هذه الأحلام سرعان ما تصطدم بالوقائع الصعبة والقاسية.

اكتشـفت اليـوم أن مكتبتـي مبعثرة، وأنني بحاجـة إلى يوم كامل لأكتشـف الكتاب الذي كنـت قبـل يوم أقرأ فيـه. هل هذا يعني أننـي أدخل الألفيـة الجديدة مبعثر الكتـب والأفكار والمشاعر؟ كلا ونعم!

هل هذا هو كل ما يمكن أن أقوله وأنا أودّع عاماً وقرناً وألفية بهذه البسـاطة؟! لا بد من كلمات للوداع وللاستقبال. لحظة الوداع صعبة بالنسبة لعزيز. أما القرن العشرون فلا بد من الاقرار بأنه، بإطلاق، أهم القرون في تاريخ البشـرية. لذلك فوداعه صعب، رغم أن نهاياته كانـت مفجعـة. لكن ذلك لا يقلـل من أهمية وعظمـة تاريخه وإنجازاته، مـا نحب منها وما نكره. أما الاستقبال، فهو دائماً محفوف بالحذر. استقبال مَنْ وماذا وكيف؟

القـادم فـي الألفية الثالثة سـيكون أمـراً جديداً، لكننـا لا نعرفه، مهما تكن فراسـتنا قوية. الحذر والأمل هما سـمتا الاسـتقبال للعام والقرن والألفية. لم يحدث شـيء في تلك الليلة التي ودّعنا فيها الألفية الثانية سوى استقالة يلتسن، لا ردّه الله، والافراج عن الطائرة الهندية. مأساة قرن في نهايته، مؤسف ذلك ومؤلم وموجع.

إلا أننـي ودّعـت الليلة الأخيرة من العام برؤية وجوه كثيرة وسـماع أصـوات كثيرة. ثمة وجوه جميلة وبسـيطة. وثمة وجوه لا تسـتحق مجرد التفكير بها، وصورتها تذهب سـريعاً. لكن أكثر الوجوه هي الوجوه الجميلة، البسيطة، العفوية، وجوه البشر الطيبين.

غيـر أن أجمل الوجوه التي رأيتها هو وجـه ابنتي هانية قبل أن تذهب إلى الاحتفال بنهاية العـام. كانـت جميلة وحزينة. وهـي في حزنها مثل فرحها جميلة دائمـاً. وكان وجه نجوى

متألقاً. كانت ملكة. وازداد إحساسها بذلك عندما ناديتها بصفة ملكة، وازداد انبهاري بها عندما كانت في السهرة مائلة ناحية النارجيله تعبّ من دون توقف انتقاماً من السيجارة التي ودّعتها منذ ثلاثة شهور. وكان وجه عارف، رفيق تجوالي بين المنزل والمكتب وأماكن أخرى لا تحصى، نموذجاً للإنسان الطيب العفوي. كان يتهيأ للعب دور المسؤول عن سهرة رأس السنة بمعناها السياسي الحزبي. وكان بين الوجوه الأليفة التي أحبها وجه سلوى شقيقة نجوى، ووجه رضا ابن عمي ورفيق عمري. أما الأحداث الجميلة فكان أولها صوت غسان يلعلع عبر الهاتف. ما أجمل هذا الصوت، وما أجمل وجه صاحبه، وقلبه وعقله. والصوت الثاني كان صوت هانية في آخر السهرة على الهاتف يعايدنا. أما الصوت الثالث كان صوت عبد الكريم الشعار الذي نقلنا بين الماضي السحيق، والحاضر الذي نودّع، والمستقبل الذي لا نكاد نعرف عنه شيئاً.

أكثر ما أثار مشاعري وأفكاري وزادني قلقاً، هذا الجمهور الطيب من الناس الذين لا أكاد أعرف أسماءهم، من أتى منهم لتحيتي، ومن لم يأت، الذين أحسست أنهم يبحثون في لحظات معينة من العمر عن وجود لفرح يكاد لا يوجد إلا قليلاً. وإذا وجد هذا اليوم فهو منقوص ومنفصل عن سابقه وعن لاحقه. هكذا انتهى اليوم الأخير من القرن الماضي.

انتهى العام من دون أن أفلح باكتشاف الهواية التي كنت أبحث عنها. ربما يعود السبب في ذلك إلى أنني تأخرت في البحث. لم تعد هناك ضرورة للاستمرار في هذا البحث العبثي عن تلك الهواية المتعذر الوصول إلى اكتشافها. لماذا المكابرة؟ مشاريعي كثيرة. كتاباتي وكتبي وقراءاتي واهتماماتي المتعددة ميادينها وهمومي فيها هي البديل من تلك الهوايات. إذ هي تحتل كل الأوقات وكل الساعات في أيامي الباقيات، الأيام التي لا يحددها إلا الزمن الذي سيأتيني في حينه من دون استئذان مني ومن مشاريعي ومن اهتماماتي. سأتابع العمل والحياة. فالحياة جميلة تستحق منا أن نعيشها كما نحب، رغم كل ما يرافقنا من صعوبات من كل الأنواع.

## غلطة غير فادحة
## إكتشفتها في آخر يومياتي!

**1 كانون الثاني - يناير 2000**

استيقظت من نوم عميق. وكان الوقت ظهراً. ركضت على الفور أبحث عن نجوى لأخبرها بما اكتشفته بين النوم واليقظة. اكتشفت أن كل حديثي في يومياتي واعترافاتي فيها عن أننا نودع في هذا العام القرن العشرين كان غلطة في الحسابات. لكنها لم تكن فادحة. اكتشفت أن عام 1999 ليس العام الأخير من القرن. العام الأخير هو العام الذي دخلنا فيه.

غلطة حدثت ولكنها لم تغيّر شيئاً مما دونته في يومياتي. لم أطلع نجوى على اليوميات. أردت أن تبقى سـراً إلى أن أعيد قراءتها وأعيد صوغها لكي تكون صالحة للقراءة. لا أدري إلى متى سأقفل الأبواب عليها. وهي في كل الأحوال جاءت عفويّة من دون جهد في صوغ الكلمات. هذا تفصيل لا يستحق الوقوف عنده. لكن المهم هو اليوميات ذاتها واعترافاتي فيها.

## بعد خمسة عشر عاماً
## حوادث وأفكار تحاكي المستقبل

1 كانون الثاني – يناير 2014

بيـن اعترافاتـي في نهاية القرن الماضي التي دونتها في يومياتي واسـتحضرت فيها بعض الأحداث والأسـماء والذكريات، وبين ما سـتقودني إليه من تأملات، أحداث القرن الجديد العاصفة في اتجاهاتها المختلفة، مسـافة زمنية عمرها خمسة عشر عاماً استدعت وتستدعي مني المراقبة والمراجعة والانتظار. كما تتطلب مني في الآن ذاته الاستمرار في ما أنا منخرط فيه من عملية تجديد وتحديث لأفكاري تساعدني في قراءة لمستقبل بلداننا برؤية أكثر واقعية وأكثر عقلانية للسبل التي يمكن أن تقودنا إلى ذلك المستقبل.

لقد كنت في اعترافاتي صريحاً في ما أردت قوله عن الحوادث التي كنت شـاهداً عليها. وكنـت صريحـاً، وأنا أسـتحضر حوادث سـابقة، في الاعتراف بقسـطي وبقسـط حزبي من المسـؤولية عن الخلل الذي سـاد في تجربتنا الاشـتراكية وقادها إلى الانهيار، والخلل الذي سـاد فـي حركتنا الوطنيـة العربية التحرريـة بمكوناتها المختلفة. وأشـهد بأننـي ناضلت في الماضي وما زلت أناضل اليوم بكل قواي ضد اليأس الذي ولدته عندي الانهيارات والهزائم وأشـكال التخلف التي كان التطرف السـلفي واسـتبداد الأنظمة من أبشع صورها. وجعلت الأمل رفيقاً دائماً لي في هذا الزمن الحافل بالصعوبات والآلام والخراب الذي يعمّ بلداننا.

لـم يكـن الأمل الذي راهنت عليه فـي اعترافاتي سـاذجاً، ولا كان اعتباطياً، ولا كنت فيه أكابـر باسـم حتميتنا التاريخيـة نحن الماركسـيين القدامى. لكنني أعتـرف بأنني كنت أحلم مثلما يحلم البشر الطبيعيون. وكانت أحلامي تنتمي إلى اليوتوبيا التي من دونها يفقد الناس طاقتهم على النضال لتغيير شـروط حياتهم. وكنت أدرك بوعي كامل أن شـرط الانتماء إلى تلك اليوتوبيا هو ألا يحوّلها المناضلون من أجل التغيير إلى هدف مباشر للتحقّق. فالأهداف القابلة للتحقّق في النضال من أجل التغيير هي وحدها التي تجعل الارتباط باليوتوبيا ارتباطاً طبيعيـاً وضروريـاً. وهي وحدها التي تجعل اليوتوبيين من أمثالي أناسـاً طبيعيين وواقعيين، بخلاف الشعبويين الذين يمتلئ بهم التاريخ القديم والحديث في بلداننا وفي كل البلدان.

لكن ما مضى قد مضى. والمسـتقبل هو الذي يعنيني ويعني كل الناس الطبيعيين بعد أن

انتقلنا من قرن إلى قرن جديد، ومن ألفية إلى ألفية جديدة. فماذا عساي أقول في بدايات هذا القرن وهذه الألفية؟

كان العقد الأول من القرن الأول من الألفية الثالثة حافلاً بأحداث كبيرة حولت بلداننا إلى أحد محاورها وميادينها. لكن محورها وميدانها الأساس هو النظام الرأسمالي العالمي في مرحلته الجديدة التي تحمل اسم العولمة. وهي أحداث لم تنته فصولها. وقد خلقت عند بعض الحالمين ممن شعروا باليتم بعد انهيار التجربة الاشتراكية أن التاريخ بدأ يمارس انتقامه لتلك التجربة من خصومها التاريخيين، وأن الشروط قد بدأت تنضج للنهوض من جديد في اتجاه قديمهم الذي مات!

لكن ما أن أطل العقد الثاني من القرن الجديد حتى اندلعت الثورات في العالم العربي في مغربه وفي مشرقه في تلك اللحظة ذاتها التي كان فيها العالم الرأسمالي يحاول مداواة الجراح والآلام التي ولّدتها له الأزمة. وبدا ذلك الحدث كما لو أنه كان معداً له لكي يحصل في تلك اللحظة التاريخية بالذات. وبالتأكيد، كما يبدو لي في ما يشبه اليقين، فإن هذه الثورات قد فتحت الطريق أمام تاريخ جديد لبلداننا طال انتظاره. لكن صناعة هذا التاريخ ستكون عملية صعبة ومعقدة ومكلفة وطويلة.

فهي، أي هذه الثورات، في حقيقتها، ثورات من نوع جديد مختلف، تستكمل في شروط جديدة ما حاولت أن تقوم به حركات سابقة عليها تم قمعها، وتواصل وتتجاوز ما انقطع في الثلث الأخير من القرن الماضي في مسار حركة التاريخ الذي بشرت به ودعت إليه وقامت من أجله ثورات ذلك الزمان. وهي كانت ثورات عظيمة في بداياتها. ثم انهارت، برغم إنجازاتها، بسبب الخلل بصيغه المختلفة الذي ساد فيها جميعها.

لم تنجح الثورات الجديدة حتى الآن في تحقيق ما قامت من أجله. وهو أمر طبيعي في ظل تعقيدات الحاضر الذي ولّدها ذلك الزمن الطويل من الاستبداد في بلداننا في صيغه المختلفة. لكنها حققت في مصر وتونس على وجه التحديد بعض ما قامت من أجله. وهي مستمرة. ولن تقف في وجهها لا القوى القديمة المتبقية من أنظمة الاستبداد، ولا القوى الجديدة التي تريد إقامة نظام استبدادي باسم الدين الاسلامي ضد قيمه الروحية. لكن هذه القوى المعادية للثورة، القديم منها والجديد، إذ تعمل على تأخير انتصار الثوار في تحقيق أهدافهم في الحرية والكرامة والعيش الكريم وفي إقامة أنظمة مدنية ديمقراطية حديثة في بلداننا، فإنها ستساعدهم على الارتقاء في وعيهم وعلى التعلم من تجاربهم وعلى كشف القوى المعادية للثورة أمام جماهير شعوبنا التي خرجت من سباتها وبدأت تسلك بالتدريج طريقها لاستعادة حريتها المفقودة وكرامتها المهدورة وحقها المنقوص في الحياة الكريمة. وبدأ الثوار يدركون، بالتدريج وسط الآلام والتضحيات، وبدأت تدرك معهم شعوبهم، مخاطر ما قادت إليه سياسات القوى التي استولت على السلطة باسم الثورة، والقوى التي

لا تـزال تعاند التاريخ وتسـعى للاسـتيلاء على الثورة وعلى مسـتقبل بلدانـنـا. وبدأ الجميع يدركون بالتجربة أن ثمن الاسـتمرار في الثورة سـيكون باهظاً، كما تشـير إلى ذلك الوقائع، وأنـه سـوف يسـتمر باهظاً إلى زمن غيـر قصير. وهو ثمـن لا مفر من دفعه مـن أجل انتصار أهـداف الثـورة ولو بعد حين. وصار من المؤكد أن لا عودة لبلداننا إلى الوراء، إلى الماضي البائس وإلى المظالم فيه.

خلاصـة ما أريد قوله حول المسـتقبل الـذي ننتقل إليه بفعل ثوراتنـا المجيدة الرائدة من القـرن الماضي والألفيـة الماضية إلى القـرن الجديد والألفية الجديدة، بـأن الوقت قد حان لكي تتحرّر شـعوبنا من المظالم التي فرضتها عليها أنظمة الاسـتبداد بصيغها المختلفة، وأن تنهـض لكـي تؤمّـن حقها في الحيـاة الحرة الكريمة. لكن شـرط ذلك، الشـرط الضروري، هـو أن نقدّم نحن المناضلين القدامى لجيل الثورات المعاصرة، خلاصة تجاربنا ومراجعاتنا النقدية الصريحة فيها. ربما يكون ذلك عاملاً مسـاعداً للثوار في نضالهم من أجل الانتصار علـى القوى القديمة والجديدة التي تقف في وجهها. وأنا، بعكس من باتوا يعلنون يأسـهم، أراهـن بثقة علـى هذه الثورات وعلى أبطالها، وأراهن على وعي شـعوبنا وعلى اسـتعدادها للنضال من أجل تحقيق حريتها بعد كل تلك العذابات التي ولّدتها أنواع القهر التي مورست ضدها وبعد كل التجارب والأوهام والخيبات التي تتصل بتلك التجارب.

سـأتابع وأواكب مسـار الثـورات الجديدة، فـي إنجازاتها وفي إخفاقاتهـا، بقدر كبير من الثقة بالمسـتقبل. لكنني سأنتظر، وسأفكر كثيراً، وسأناقش مع من أراه حاضراً بعقله وبوعيه للنقاش. وسـأحاول، قـدر إمكاناتي من الموقع الذي أنا فيه، اسـتناداً إلـى الخلاصات التي قدمتهـا لي المراجعـة النقدية لتجاربنـا القديمة والحديثة، مـا يمكن أن يكون مفيـداً للثوار، قـادة وجماهير، في نضالهم المتواصل بشـجاعة وصبر وواقعية من أجل المسـتقبل الجديد لبلداننا. وسيكون رفيقي الدائم هو الأمل في المستقبل والعمل من أجل الوصول إليه.

# فهرس المحتويات

## صدر للمؤلف

- كيف نواجه الأزمة، 1974، دار الفارابي.
- في حركة التحرر الوطني العربية المقاومـة، 1985، دار الفارابي.
- أفـكار للنقـاش حـول الجـذور والتجربة والآفاق، قـدم له جورج حـاوي، حـوارات، 1990، دار الفارابي.
- مفكـرون عـرب يناقشـون كريم مروة فـي القومية والاشـتراكية والديمقراطيـة والدِّين والتراث والثورة، حوار الايديولوجيات، 1997، دار الفارابي.
- بين أفكار ماركسية وأفكار دينية، نحـو جمهورية ثالثـة، 2001، دار الفارابي
- كريـم مـروة يتذكّـر، 2002، دار المدى.
- فيما يشبه السيرة، حاوره صقر أبو فخر.
- عشية أفول الأمبراطورية، 2003، دار الفارابي.
- أسئلة حول موقعنا في عالم الغد.
- الشيوعيون الأربعة الكبار، 2008، دار الساقي.
- في تاريخ لبنان الحديث، فؤاد الشمالي وفرج الله الحلو ونقولا شاوي وجورج حاوي،
- في البحث عن المستقبل، 2008، دار الساقي.
- حوار فكري وسياسـي وشـخصي، نحـو نهضة جديدة في العالـم العربي، 2009، دار الساقي.
- قادة تاريخيون كبار، 2012 ، دار العربية للعلوم.
- في ثورات القرن العشرين، فلسطين وقضية الحرية، 2012، الدار العربية للعلوم.
- في سـير وإبداعات المثقفين الفلسـطينيين، أفكار حول تحديث المشروع الاشتراكي، 2013، دار التنوير.
- وجوه مصرية مضيئة، في الفكر والأدب والفن،2014، دار سجال-مصر.

# اعترافات نهاية القرن

ولد هذا الكتاب من أرشيف مؤلفه، كريم مروة. ويعود تاريخ كتابته إلى خمسة عشر عاماً. وهو عبارة عن يوميات دوّنها المؤلف في عام 1999 من أول يوم فيه إلى آخر يوم منه، على أساس أنه العام الأخير من القرن. وتناولت اليوميات الأحداث التي كانت تجري في لبنان وفي العالم العربي وفي العالم، وانطباعات المؤلف وأفكاره حولها. كما تناولت أحداثاً عائلية وشخصية. لكن المهم في هذه اليوميات هو ما ارتبط بتلك الأحداث العامة والخاصة وما أوحت به للمؤلف من ذكريات تعود إلى أعوام سابقة. إذ إن المؤلف يتوقف عند ما قدمته له تلك الذكريات من مواقف عامة وخاصة، اقتضت منه أن يقدم مراجعة نقدية حول مواقف قديمة يتعلق قسم منها به شخصياً، وقسم منها بالحزب الشيوعي الذي كان المؤلف أحد قادته. ويتعلق قسم ثالث بالحركة الشيوعية العالمية. وقسم رابع بالحركة السياسية في لبنان بمكوناتها المختلفة، أحزاباً يسارية وأحزاباً يمينية وفصائل فلسطينية، لا سيما في مرحلة الحرب الأهلية. وهو بذلك يقدم نوع من سيرة لمرحلة من العمل السياسي، وخاصة في إطار الحركة الإشتراكية والأحزاب الشيوعية. ولذلك كان عنوان الكتاب: اعترافات نهاية القرن. وهو عنوان يعكس مضمون الكتاب ويغري بالقراءة لكثرة الأحداث فيه والاعترافات التي أدلى بها المؤلف.

وفي ختام هذه الاعترافات يعود الأستاذ كريم مروّة ليكتب يومية أخيرة يطل فيها على المتغيرات التي حصلت في السنوات التي انصرمت من هذا القرن، وخاصة مرحلة الثورات التي حصلت في العالم العربي.

لوحة الغلاف: بول ضاي







بيروت - القاهرة - تونس